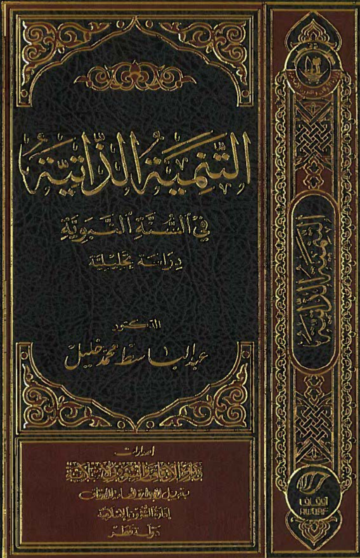

التنمية الذاتية
في السنة النبوية
دراسة تحليلية
الدكتور
عبد الباسط محمد خليل
إصدارات
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
بتمويل الإدارة العامة للأوقاف
إدارة الشؤون الإسلامية
دولة قطر
التنمية الذاتية
أوقاف
AWQAF



أصل هذا الكتاب

رسالة دكتوراه قد نوقشت في جامعة أم درمان بجمهورية السودان.

وقد تكونت لجنة المناقشة من:

١) الأستاذ الدكتور الفاتح الحبر عمر أحمد (عميد كلية أصول الدين بجامعة أم درمان).

٢) الأستاذ الدكتور الشريف المدثر القطبي.

٣) الأستاذ الدكتور يسري سعد عبدالله.

وقد حازت الرسالة درجة الدكتوراه بتقدير ممتاز.



التنمية الذاتية

في السنة النبوية

دراسة تحليلية

الدكتور

عبد الباسط محمد خليل

من مطبوعات

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

إدارة الشؤون الإسلامية

بتمويل الإدارة العامة للأوقاف

دولة قطر





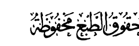
التنمية الذاتية

في السنة النبوية

دراسة تحليلية







الطبعة الأولى لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

إصدارات

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

إدارة الشؤون الإسلامية - دولة قطر

بتمويل الإدارة العامة للأوقاف

turathuna@islam.gov.qa




مقدمة كتاب
(التنمية الذاتية في السنة النبوية)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد،

فإن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر ـ وقد وفقها الله لأن تضرب بسهم في نشر الكتب النافعة للأمة ـ لَتحمد الله سبحانه وتعالى على أن ما أصدرته قد نال الرضا والقبول من أهل العلم.

والمتابع لحركة النشر العلمي لا يخفى عليه جهود دولة قطر في خدمة العلوم الشرعية ورفد المكتبة الإسلامية بنفائس الكتب القديمة والمعاصرة وذلك منذ تسعة عقود، عندما وجه **الشيخ عبد الله بن قاسم آل ثاني** حاكم قطر آنذاك بطباعة كتابي **(الفروع)** و**(تصحيح الفروع)**، سنة ١٣٤٥هـ، وكان المؤسس **الشيخ جاسم بن محمد آل ثاني** رحمه الله تعالى قد سن تلك السنة من قبل.

وقد جاء مشروع إحياء التراث الإسلامي والنشر العلمي الذي بدأته الوزارة في السنوات الأخيرة امتدادًا لتلك الجهود وسيرًا على تلك المحجة التي عُرفت بها دولة قطر.

ومنذ انطلاقة هذا المشروع المبارك يسَّر الله جلّ وعلا للوزارة إخراج مجموعة من أمهات كتب العلم والدراسات المعاصرة المتميزة في فنون مختلفة، **تُطبع لأول مرة**، نذكر منها:

● **في التفسير وعلوم القرآن:**

أصدرت الوزارة عدة كتب منها: (**فتح الرحمن في تفسير القرآن**) للعُليمي، و(**المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**) لابن عطية في طبعته الثانية.

وفي علم رسم المصحف أصدرت الوزارة: كتاب (**مرسوم المصحف**) للعُقيلي، و(**الدرة الصقيلة في شرح أبيات العقيلة**) لأبي بكر اللبيب.

وفي علم القراءات أصدرت الوزارة كتاب: (**البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة**) لأبي حفص النشار، و(**معاني الأحرف السبعة**) لأبي الفضل الرازي.

● **وفي السنة النبوية وشروحها:**

أصدرت الوزارة عدة كتب، منها: (**التقاسيم والأنواع**) لابن حبان، و(**مطالع الأنوار**) لابن قرقول، و(**التوضيح شرح الجامع الصحيح**) لابن الملقن، و(**حاشية مسند الإمام أحمد**) للسندي، و(**شرحان لموطأ الإمام مالك**)؛ لكُلٍّ من (القنازعي)، و(البوني)، و(**المخلصيات**) لأبي طاهر المخلص، و(**شرح مسند الإمام الشافعي**) للرافعي، و(**نخب الأفكار شرح معاني الآثار**) للعيني، و(**مصابيح الجامع**) للدَّماميني.

ومما تشرفت الوزارة بإصداره في تحقيق جديد متقن: (**صحيح ابن خزيمة**)، و(**السنن الكبرى**) للإمام النسائي، والمحقَّقان على عدة نسخ خطية، و(**جامع الأصول في أحاديث الرسول**)، و(**النهاية في غريب الحديث**) لابن الأثير.

● **وفي الفقه وما يتصل به:**

أصدرت الوزارة عدة كتب في المذاهب الأربعة، منها: كتاب: (**الأصل**) لمحمد بن الحسن الشيباني (ت١٨٩هـ) كاملاً محققًا على أصول عدة، و(**التبصرة**) للخمي، و(**نهاية المطلب في دراية المذهب**) للإمام

الجويني بتحقيقه المتقن للأستاذ الدكتور عبدالعظيم الديب رحمه الله تعالى عضو لجنة إحياء التراث الإسلامي، و(**حاشية الخلوتي**).

كما أصدرت الوزارة: (**الأوسط من السنن والإجماع والاختلاف**) للإمام ابن المنذر بمراجعة دقيقة للشيخ الدكتور عبد الله الفقيه عضو لجنة إحياء التراث الإسلامي، و(**بغية المتتبع لحل ألفاظ روض المربع**) للعوفي الصالحي، و(**منحة السلوك في شرح تحفة الملوك**) للعيني.

● **وفي السيرة النبوية:**

أصدرت الوزارة الموسوعة الإسناد: (**جامع الآثار في السير ومولد المختار**) لابن ناصر الدين الدمشقي، وغيرها.

● **وفي العقيدة والتوحيد:**

أصدرت الوزارة كتابًا نفيسًا لطيفًا هو: (**الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد**) لابن العطار تلميذ الإمام النووي رحمهما الله تعالى، كما أعادت نشر كتاب الرد على الجهمية للإمام أحمد رحمه الله تعالى، وغيرها من كتب عقيدة أهل السنة والجماعة.

● **وفي مجال الدراسات المعاصرة المتميزة:**

أصدرت: (**القيمة الاقتصادية للزمن**)، و(**نوازل الإنجاب**)، و(**مجموعة القره داغي الاقتصادية**)، و(**التعامل مع غير المسلمين في العهد النبوي**)، و(**صكوك الإجارة**)، و(**الأحكام الفقهية المتعلقة بالتدخين**)، و(**التورق المصرفي**)، و(**حاجة العلوم الإسلامية إلى اللغة العربية**)، و(**روايات الجامع الصحيح ونسخه دراسة نظرية تطبيقية**)، وغيرها.

كما قامت الوزارة بشراء وتوزيع أجود الطبعات من بعض الكتب المطبوعة لما لها من أهمية مثل: (**مسند الإمام أحمد**)، و(**صحيح الإمام مسلم**)، و(**الجامع لأحكام القرآن**) للقرطبي، و(**الجامع لشعب الإيمان**) للبيهقي، و(**تاريخ الخلفاء**) للسيوطي، و(**التاريخ الأندلسي**) لعبد الرحمن علي

الحجي، و(**الإقناع في مسائل الإجماع**) لابن القطان الفاسي، و(**شرح العقيدة الطحاوية**) لابن أبي العز الحنفي، و(**قواعد الأحكام في إصلاح الأنام**) للعز ابن عبد السلام.

ومثل (**ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين**) لأبي الحسن الندوي و(**الرسالة المحمدية**) لسليمان الندوي، وغيرها.

واليوم يسرنا أن نقدم لإصدار جديد هو كتاب (التنمية الذاتية في السنة النبوية) وهو محاولة جادة لوضع أنموذج متكامل للتنمية الذاتية في إطار السنة النبوية، حيث خلت الساحة العلمية الإسلامية أو كادت من التأطير الإسلامي لها.

وقد اعتنى الباحث ببيان الأسس والأهداف والمجالات، ودور التنمية في بناء الإنسان، وتربيته ليكون فاعلاً مؤثرًا في مجتمعه، وقد أضافت هذه الدراسة إضافة هامة تعبر خصوصية هذه الأمة وهي التأكيد على دور العبادات المتنوعة في تنمية الفرد وأثرها في بناء شخصية سوية منتجة ومؤثرة.

لهذا كله رأينا نشر هذه الدراسة ضمن دراسات أخرى تُعنى بتنزيل السنة المطهرة على حياتنا المعاصرة.

والحمد لله على توفيقه ونسأله المزيد من فضله.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

إدار الشؤون الإسلامية

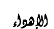


استهلال

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً ﴾

[طه، ١١٤]



إلى والديّ الكريمين:

أسأل الله أن يرحمهما كما ربياني صغيراً.

إلى كل من ساعدني وأرشدني ونصحني جزاهم الله عني خير الجزاء.

أهدي هذا الجهد.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑





شكر وتقدير

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأحمدك ربي حمداً كثيراً كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، وأصلي وأسلم على رسولك الكريم سيدنا محمد بن عبدالله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعد: فبعد إنجاز هذه الرسالة التي أرجو الله تعالى أن أكون قد نجحت في تحقيق أهدافها، أن أشكر ربي عز وجل، وهو جل شأنه القائل ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[1]، ولقول سيدنا محمد ﷺ «من لا يشكر الناس لا يشكر الله»[2]، من هذا المنطلق أتقدم بخالص الشكر والتقدير، لجامعة أم درمان الإسلامية الموقرة، والشكر موصول لمعهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي، وكذلك المكتبات على إتاحة الفرصة لهذا البحث المتواضع.

والشكر الخالص لفضيلة المشرف على الرسالة الأستاذ الكبير العلامة الدكتور/ الفاتح الحبر عمر أحمد على تصويباته الدقيقة القيمة وملاحظاته الرصينة، وعلى جهوده في متابعة هذه الرسالة بمراحلها المختلفة فجزاه الله عني خير الجزاء، وأسأل الله تعالى أن يبارك في علمه، وأن يزيده من فضله.

---

(١) سورة إبراهيم، آية ٧.

(٢) خرجه الترمذي، كتاب البر والصلة، . . . ه في الشكر لمن أحسن إليك، برقم ١٩٥٤، من حديث أبي هريرة ﷺ. وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وأتقدم بخالص شكري ووافر تقديري، إلى الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة الموقرة،فضيلة الأستاذ الدكتور/الشريف المدثر القطبي،وفضيلة الأستاذ الدكتور/ يسري سعد عبدالله،عضوي لجنة المناقشة على تفضلهما بقبول مناقشة الرسالة، وأسأل الله تعالى أن يجزيهم جميعاً عني خير الجزاء، كما أنني أتقدم بالشكر للأخ الكريم الأستاذ/ مزمل عبدالرحيم مصطفى ـ مدير المركز التعليمي الدولي (جامعة وادي النيل) بالدوحة ـ على متابعته واهتمامه البالغ، والشكر والتقدير موصول لكل من ساندني ونصحني ودعا لي بالتوفيق بظهر الغيب، شكر الله الجميع، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

❑❑❑❑❑❑




خطة البحث

يتكون البحث من مقدمة وتمهيد وخمسة فصول وخاتمة:

- **المقدمة: بينت فيها أسباب اختيار الموضوع وبيان أهميته، ومشكلة البحث وفروضه، ومنهج البحث، والدراسات السابقة.**
- التمهيد: بينت فيه تحديد المفاهيم الرئيسة في البحث، فذكرت فيه مفهوم التنمية لغة واصطلاحاً، ثم ذكرت مفهوم الذاتية لغة واصطلاحاً، ومفهوم السنة النبوية لغة واصطلاحا ومن خلال هذه المفاهيم، حددت عناصر التنمية.
- الفصل الأول: التنمية الذاتية مجالاتها وأسسها وفيه مبحثان:
- المبحث الأول: التنمية الذاتية ومجالاتها في السنة النبوية، وفيه ثلاثة مطالب:
  - o المطلب الأول: تنمية المعارف.
  - o المطلب الثاني: الارتقاء الذاتي.
  - o المطلب الثالث: الانفتاح المعرفي وتحته ثلاثة فروع
    - ✓ الفرع الأول: نشر المعرفة والاستفادة من الآخر.
    - ✓ الفرع الثاني: توظيف المعرفة الوافدة.
    - ✓ الفرع الثالث: تنمية لغة المعرفة الذاتية.

- ✓ الفرع الثاني: التنمية في مجال الآداب.
- ✓ الفرع الثالث: التنمية في مجال الأخوة والمحبة في الله.
- ✓ الفرع الرابع: التنمية في مجال النصح والإرشاد.
- الفصل الرابع: التنمية ودورها في بناء الإنسان، وفيه ثلاثة مباحث:
- المبحث الأول: التنمية حقوق وواجبات ومسؤولية وتربية، وفيه أربعة مطالب:
  - o المطلب الأول: التنمية في مجال الحقوق والواجبات.
  - o المطلب الثاني: التنمية البشرية عوامل وعقبات.
  - o المطلب الثالث: التنمية في مجال المسؤولية.
  - o المطلب الرابع: التنمية في مجال التربية.
- المبحث الثاني: التنمية في مجال البذل والعطاء، وفيه أربعة مطالب :
  - o المطلب الأول: التنمية بالصدقة.
  - o المطلب الثاني: التنمية بالزكاة.
  - o المطلب الثالث: التنمية في مجال العمل والكسب.
  - o المطلب الرابع :تطبيقات التنمية البشرية في العصر النبوي المدني.
- المبحث الثالث: التنمية في مجال المال، وفيه أربعة مطالب:
  - o المطلب الأول: التنمية في مجال التجارة.
  - o المطلب الثاني: التنمية في مجال الزراعة.
  - o المطلب الثالث: التنمية في مجال الثروة الحيوانية.
  - o المطلب الرابع: التنمية في مجال الإنتاج.
- الفصل الخامس: التنمية في مجال الجهاد من خلال السنة النبوية، وفيه خمسة مطالب:

- المطلب الأول : التربية العسكرية.
- المطلب الثاني: تنمية مقومات الحسم العسكري.
- المطلب الثالث: تنمية الروح الجهادية.
- المطلب الرابع: تنمية الكفايات التعبوية.
- المطلب الخامس : الإرهاب ودوره السلبي في التنمية.

- الخاتمة والتوصيات: وقد ذكرت فيها أهم النتائج وأبرز التوصيات.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

المقدمة

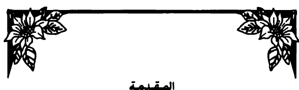
وتشتمل على :

١ - أسباب اختيار الموضوع وبيان أهميته.

٢ - مشكلة البحث و' وضه.

٣ - منهج البحث.

٤ - الدراسات السابقة.



المقدمة

الحمد لله بنعمته نتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله إمام المتقين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد :

فإن موضوع التنمية التي تناولها الكُتّاب المسلمون المعاصرون في كتاباتهم، هو التنمية الاقتصادية، والتنمية الاجتماعية، والتنمية البشرية،وقد تبعوا في ذلك ما كتبه كتّاب الغرب، وذلك من خلال نظرياتهم وفلسفاتهم وعقائدهم.

ونحن إذا تتبعنا تعاليم الإسلام العظيمة، وما شرعه ربنا سبحانه وتعالى لهذه الأمة المجيدة العظيمة الفتيّة، نجد أن الإسلام يأمر بالتنمية في كثير مما شرعه الله عز وجل، وفي كثير من المجالات، إذا ما استثنينا النواهي والمحرمات، ولم يقتصر على مجال دون غيره من المجالات، بل حث على ذلك، وباركه في كل زمان و مكان، فهي تشمل كثيراً من أوامر الشرع وتعاليمه، وعلى ذلك فالتنمية مطلوبة، ونحن في حاجة ماسة إليها في مجتمعاتنا الإسلامية المعاصرة في كثير من المجالات.

وقد تتبعت بفضل الله تعالى ذلك من نصوص السنة النبوية الصحيحة المطهرة، فوجدت ما يشفي العليل، ويروي الظمآن، والرائع حقاً أننا من خلال حياتنا اليومية نطبق أساليب ومجالات التنمية من أوامر وفرائض، وواجبات وسنن.

ومن خلال هذا البحث المتواضع، نحاول بتوفيق الله تعالى، أن نبرز مجالات التنمية، ومدى دورها الفاعل في بناء الإنسان المسلم المعاصر، من خلال الإطار المنهجي الإسلامي.

من هنا كمُنت صعوبة البحث في تتبع هذه المجالات المتناثرة في ثنايا الكتب، ومن ناحية أخرى شح الدراسات والكتابات التي تشفي العليل في هذا الموضوع.

وقد حصلتُ الاستفادة من بعض الكتابات العربية، وبعض الكتابات الغربية، حيث استخلصت منها ما يمكن الاستفادة منه، ولا مانع من قبول الحق، وإن جاء من غيرنا، ما لم يتعارض مع المفاهيم الإسلامية الأصيلة العامة، من هذا المنطلق، كان هذا البحث المتواضع إسهاماً علمياً واقعياً، لوضع النموذج المتكامل للتنمية الذاتية في إطار السنة النبوية.

رجاء أن يكون هذا البحث خطوة تتبعها خطوات، في طريق التطبيق العملي والواقعي للمفاهيم الإسلامية في موضوع التنمية الذاتية.

١ ـ أسباب اختيار الموضوع وبيان أهميته:

١ ـ محاضرة ألقاها فضيلة الشيخ مصطفى الصيرفي[(١)] في مدرسة الأندلس الابتدائية الخاصة بدولة قطر، وكان عنوانها (التنمية الذاتية)، تحدث الشيخ فيها عن مفاتيح كثيرة، خدمت الموضوع وأثرته إثراناً عظيماً، وبعد المحاضرة شكر السيد مدير المدرسة الشيخ محمد موفق لطفي[(٢)] المحاضر على هذه المحاضرة القيمة قائلاً: إن هذا الموضوع جدير بأن يُبحث في

---

(١) مصطفى محمد علي الصيرفي، معاصر، ولد عام ١٩٣٠م، عمل بالمحاماة والتدريس وشارك بالحركة الإسلامية بحماة، واستفاد منه خلق كثير في الدعوة إلى الله، وعضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، نفع الله به.

(٢) محمد موفق محمد منير لطفي، معاصر، ولد سنة١٩٥٣، عضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، تلقى العلم على يد كبار علماء حماه، وعلى رأسهم شيخ قراء حماه فضيلة الشيخ سعيد العبد الله، والشيخ محمد الحامد، كما استفاد من والده فضيلة الشيخ محمد منير لطفي رحمه الله تعالى أحد علماء حماه.

رسالة ماجستير أو دكتوراه، وكنت وقتذاك أكتب في البحث التكميلي للماجستير، والذي كان عنوانه **"دعوة نبي الله هود ـ ﷺ ـ كما صورها القرآن"** فوقع الموضوع في نفسي، وصادف قلباً خالياً فتمكنا، وسألت الله تعالى تيسير الأمر، ببحث الموضوع عند الانتهاء من الماجستير، وما أن حصلت على الماجستير إلا وجدت نفسي مندفعاً نحو الموضوع أجمع شتاته، وألم شعثه.

٢ ـ حيوية الموضوع، والحاجة إليه.

٣ ـ أن الإسلام قد وضع الأسس والأهداف للتنمية، فيجب على كل مسلم مراعاة ذلك في السعي لتنمية مجتمعه ووطنه، فلا يتعداها إلى سلبيات تعيق حركة التنمية.

٤ ـ خلو الكتابات في هذا الموضوع من التأطير الإسلامي، من هنا تبرز أهمية الموضوع لإبراز وتقعيد المنهج الإسلامي في التنمية الذاتية، وذلك من خلال ما ورد في السنة،مروراً بما ورد في ذلك من آيات، وبيان أن الشريعة الإسلامية قد استوعبت مناهج الحياة، ومجالاتها التنموية، ومن حسن الطالع أنني وجدت كتابات قديمة ومتناثرة حول الموضوع، كنت قد أعددتها في برامج بث في إذاعة القرآن الكريم بدولة قطر.

لذا أردت أن أجمع شتات هذا الموضوع، راجياً وداعياً الله تعالى أن ينفع بهذا الجمع المتواضع، وأن أقدم إضافة للمكتبة الإسلامية، إنه ولى ذلك والقادر عليه.

٢ ـ مشكلة البحث وفروضه:

بناء على ما سبق تبرز إشكالية البحث متمثلة في تحليل أنواع التنمية، وبيان مجالاتها، بغية الوصول إلى منهج متكامل للتنمية الذاتية، ليسهم ذلك في التطبيق الفعلي الصحيح لها على أرض الواقع، ويثمر في ترشيد مسيرة مجالاتنا التنموية المعاصرة، وقد اقتضت الدراسة أن تكون المعالجة من خلال نصوص السنة النبوية، وإن هذه الدراسة يتوقع أن تُعد إضافة علمية إذا أخذنا بالاعتبار الجوانب التالية:

١ ـ حاجة موضوعات التنمية إلى مزيد من البحوث المعمّقة والعلمية، نظراً للأهمية العلمية والتطبيقية لها في حياة المسلمين المعاصرة.

٢ ـ يُتوقع للدراسة أن تتوصل إلى نتائج، واستنتاجات جديدة تضاف إلى جهود السابقين في هذا المجال .

٣ ـ سيحاول الباحث ربط مباحث وموضوعات التنمية بالواقع المعاش، ومن ثمَّ سيكون لذلك تأثير على النتائج والإستنتاجات التي خلص إليها الباحث.

٤ ـ الدراسة وإن تطرقت لمسائل بحثها بعض المعاصرين في كتاباتهم، إلا أنها تميزت بالتعمق في دراسة هذه القضايا تعمقاً يفي مثل هذه الموضوعات حقها من الدراسة العلمية الجادة، وهذا سيمكّن الباحث من الاعتماد على هذه الدراسة، والإفادة منها في هذا المجال، وانطلاقاً من ذلك فإن فرضية هذا البحث تعتمد على أن المجتمع الإسلامي، في ظل المنهج الإسلامي، المستمد من الكتاب والسنة يتميز بوجود تنمية دائمة للأنشطة الإنتاجية، تقوم على ضوابط وأسس إسلامية، تتصف بالتنوع والمرونة، تهدف إلى رفع كفاءة الإنتاج، ومن ثم نهضة المجتمع.

والهدف الأساس للبحث، هو توضيح أسس التنمية ومجالاتها، والعمل على تفعيلها، لتقوم كل مؤسسة بدورها المنوط بها، بالإضافة إلى .. ن الآثار التي حققها المجتمع من خلال هذا التفعيل.

٣ ـ منهج البحث:

ومن خلال المقدمة التي سبقت أود أن أشير إلى المنهج الذي اتبعته في هذا البحث وذلك من خلال الخطوات التالية:

- **الخطوة الأولى**: جمع المادة العلمية المطلوبة «**التنمية الذاتية في ضوء السنة النبوية الشريفة، دراسة تحليلية**»، بالاستقراء والاستقصاء من مظانها الأصلية، من نصوص السنة النبوية الصحيحة.

- **الخطوة الثانية**: جمع وتخريج الأحاديث والآثار من مصادرها والتركيز على الصحيح فقط، وحيثما ورد الحديث في البخاري ومسلم، أو أحدهما فإني اكتفي به من غير إشارة إلى كتب السنة الأخرى،وما كان في غيرهما من السنن فإني أورد رواية واحدة فقط مع الحكم عليها من كلام العلماء السابقين، حرصاً على عدم إطالة الحاشية.

- **الخطوة الثالثة**: قمت بعزو الآيات، التي ورد ذكرها في ثنايا الموضوع إلى سورها، مع ذكر رقم الآية، في الحاشية .

- **الخطوة الرابعة**: ترجمت للأعلام، الذين ورد ذكرهم في ثنايا الرسالة في الحاشية.

- **الخطوة الخامسة**: بينت معاني الألفاظ الغريبة من كتب اللغة وغريب الحديث في الحاشية.

- **الخطوة السادسة**: ضبطت بالشكل ما دعت الحاجة إلى ضبطه، رغبة في النطق به نطقاً صحيحاً .

- **الخطوة السابعة**: عزوت كلام الأئمة إلى مصادره، و ورد بين القوسين من غير ترقيم ولا إحالة فهو من كلام الباحث .

- **الخطوة الثامنة**: جعلت لكل فصل تمهيداً في أوله أعرض فيه ما سيتم تناوله في الفصل وخلاصة في آخره،لما تم تناوله.

- **الخطوة التاسعة**: الفهارس وهي:

  فهرس المصادر والمراجع.

  فهرس الموضوعات.

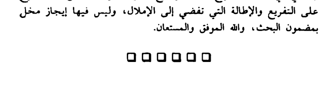
وبعد فإني أحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات، ففضله تعالى سهَّل أمر هذه الرسالة، وبفضله تعالى تجاوزت العقبات، وبفضله جلت قدرته

أفدت علماً نافعاً، أسأله ﷻ أن يجعل عاقبته عملاً صالحاً متقبلاً، فما كان فيه من صواب فمن الله وحده لا شريك له، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي والشيطان، واستغفر الله، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

٤ ـ الدراسات السابقة:

لست أول من كتب في هذا الموضوع، فقد سبقني قبل ذلك ممن كتب من المعاصرين، منهم ما كتبه الدكتور/ عبدالله عبدالرحيم العبادي في كتابه (التنمية بالمفهوم الشامل في الإسلام) جزاه الله خير الجزاء، وقد استفدت منه استفادة عظيمة على الرغم من صغر حجمه، فقد ذكر في كتابه مجالات التنمية في دراسة سريعة مختصرة.

ثم كان كتاب (المنظور الإسلامي للتنمية البشرية) للأستاذ / أسامة عبدالمجيد العاني، وهو كتيب صغير عرض فيه المؤلف إحصائيات بيانية تشير إلى التطور التاريخي للتنمية، وقد أطال النفس في هذا، وكتاب (النبي المربي) للدكتور/ أحمد رجب الأسمر جزاه الله خيراً، فلم يكن كتابه متخصصاً في الموضوع بل جاء ذكر التنمية عارضاً باعتبار أن التنمية لها علاقة وثيقة بالتربية،وأما كتاب (استراتيجيات التربية الايجابية) للدكتور/ مصطفى أبو سعد حفظه الله، فقد ركّز في كتابه على التربية الإيجابية في تربية الأبناء، مشيراً إلى بعض الإشارات في التنمية الذاتية حرصت على الاستفادة منها، وبعض المقالات في المجلات والدوريات، وعليه فإن بحثي هذا، جاء متمماً لجهود سابقة حيث أوضحت في هذه الدراسة التأصيل الشرعي للتنمية، واستخدام الوسائل المعاصرة،مثل: الإنترنت، ووسائل الإعلام، والفضائيات، وبيان دورها في تنمية المسلم المعاصر، وكذلك أوضحت الدراسة الأسس التي قامت عليها التنمية مع بيان أهمية تدريب العنصر البشري، والوفاء بحاجياته، و بينت الدراسة أهداف التنمية من خلال منظور شرعي بالسنة النبوية الشريفة، من هنا أردت أن اجمع شتات هذا الموضوع جمعاً متكاملاً وافياً، وقد بذلت في ذلك جهدي

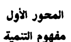

وطاقتي في محاولة إخراج هذا الموضوع بصورة متوازٍ، ليس فيها جنوح على التفريع والإطالة التي تفضي إلى الإملال، وليس فيها إيجاز مخل بمضمون البحث، والله الموفق والمستعان.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

تمهيد
مفاهيم التنمية الذاتية في السنة النبوية

- **المحور الأول:** مفهوم التنمية.
- **المحور الثاني:** مفهوم الذاتية.
- **المحور الثالث:** مفهوم السنة النبوية.
- **المحور الرابع:** عناصر التنمية.





المحور الأول
مفهوم التنمية

التنمية لغة: مصدر نمى ينمي تنمية بتشديد الميم، فيقال: نمى الشئ أي جعله نامياً، ونمى النار: أي أشبع وقودها، وأصله من (نما الشيء، تنمو نماءً ونمواً) أي زاد وكثر، فيقال: نما الزرع أو المال أو الولد: ازداد، ومن نمى ـ بفتح الميم ـ وينمي ـ كسر الميم ـ، فيقال: نمى الحديث نماءً ونمياً: أي شاع، ونمى الحيوان أي: سمن، ونما الشيء: رفعه وأعلى شأنه، فيقال: فلان ينميه حسبه أي: يرفع شأنه، ونمى المال: زاده وكثره[١].

ومن هنا فالتنمية هي الزيادة الذاتية، والنماء الحاصل للشيء، وليست الكثرة والإضافة، ولكن ابن منظور ذكر من معانيها الكثرة فقال: نما، أي زاد وكثر[٢]، فعلى ذلك تدخل الزيادة الخارجية المضافة إلى المال في التنمية.

وقد سلكت في تحديدي للمفهوم الإسلامي للتنمية، مسلكاً يقوم على استقصاء معانيها الواردة في المنهج الإسلامي ـ القرآن والسنة الصحيحة ـ

---

(١) المعجم الوسيط، قام بإخراجه إبراهيم مصطفى، وأحمد حسن الزيات وآخرون، الدعوة، تركيا (٢ /٩٥٦).

(٢) لسان العرب، للإمام العلامة ابن منظور، الطبعة الثانية، ١٩٩٧، دار إحياء التراث العربي، بيروت (٦/٤٥٥١).

كلفظ مجرد (للتنمية)، أو بالبحث عن مرادفاتها في بعض آيات القرآن الكريم، أما الأحاديث، فقدجاءت مشتقاتها في السنة النبوية المطهرة، منها قوله ﷺ **«كل ميت يختم على عمله إلا الذي مات مرابطاً في سبيل الله فإنه ينمى له عمله إلى يوم القيامة»**[1].

أما من ناحية المرادفات، فقد وجد الباحث باستقصائه مرادفات كثيرة للفظ (التنمية) ورد منها في القرآن الكريم أحد عشر مرادفاً، بالإضافة إلى ما ورد في السنة النبوية الصحيحة.

أول هذه المرادفات هو «التزكية» قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ۝﴾[2]، وقال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[3].

والتزكية من مادة (زكا) والتزكية لغة[4] وفقهاً[5]: النماء والزيادة والصلاح والطهر، وبذلك فإنها مرادفة للفظ (تنمية) التي تعنى الزيادة والكثرة.

أما ثاني هذه المرادفات هو «التنبيت» أو «الإنبات» قال تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾[6]، قال تعالى: ﴿فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا﴾[7].

والإنبات أو التنبيت لغة[8]: التربية، والتنشئة، والعلو، والارتفاع،

---

(١) خرجه الترمذي، كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل من مات مرابطاً، برقم ١٦٢١، من حديث فضالة بن عبيد ﷺ، وقال: حسن صحيح.

(٢) سورة الشمس، الآيات من ٧ ـ ١٠.

(٣) سورة التوبة، آية ١٠٣.

(٤) انظر: (زكا) المعجم الوسيط، الجزء الأول، ص٣٩٦.

(٥) الإسلام بين الرأسمالية والشيوعية، الشيخ محمد متولي الشعراوي، إعداد أبي ياسر الأنصاري، القاهرة، دار المسلم، ١٩٨٠، ص ٢٧، ٢٨.

(٦) سورة آل عمران، آية ٣٧.

(٧) سورة النمل، آية ٦٠.

(٨) (نبت)، المصدر السابق، ٨٦٦/٢.

والكبر، والبروز، وبذلك فإنه مرادف في معانيه للتنمية.

وثالث هذه المرادفات هو «التربية» قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾[2].

والتربية لغة[3]: هي التنمية والزيادة، وتتعلق بالقوى الجسدية، والعقلية، والخلقية، ويتضح من ذلك أن التربية مرادفة للتنمية.

ورابع هذه المرادفات هو «التكثير» أو «التكاثر» قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾[5].

والتكثير، والتكاثر لغة[6] وفقها[7]: نقيض التقليل أو القلة، وهي الزيادة والتسابق في الكثرة، وبذلك فإن التكثير أو التكاثر مرادف للتنمية.

أما خامس هذه المرادفات فهو «التثمير» قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾[8]، وقال تعالى: ﴿ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ﴾[9].

والتثمير لغة[10]: النضوج والاكتمال، والتكثير والتنمية، ويخلص الباحث من ذلك أن التثمير مرادف للتنمية.

---

(1) سورة الفاتحة، آية ٢.

(2) سورة الإسراء، آية ٢٤.

(3) (ربا)، (ر)، القاموس المحيط، المجلد الأول، ص ٣٢١.

(4) سورة الأعراف، آية ٨٦.

(5) سورة الحديد، آية ٢٠.

(6) أنظر «كثير» القاموس المحيط، المجلد الثاني، وكثر، المعجم الوسيط، الجزء الثاني.ص١٢٩.

(7) تفسير سورة القارعة والتكاثر، لفضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي، القاهرة، مكتبة القرآن، ١٩٧٧، ص٥٣.

(8) سورة البقرة، آية ٢٢، وسورة إبراهيم، آية ٣٢.

(9) سورة الأنعام، آية ٩٩.

(10) (ثمر) المعجم الوسيط، الجزء الأول.ص١٠٠.

وأما سادس هذه المرادفات فهو «التنشئة» قال تعالى: ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾﴾[2].

والتنشئة لغة[3]: التربية والتنمية، والإيجاد، ويخلص الباحث من ذلك أن التنشئة مرادف للتنمية.

أما سابع هذه المرادفات هو «النشور» أو «الإنشار» قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾[4] وقال تعالى: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾﴾[5].

والنشور، و (الإنشار) لغة[6] الإنبات، والبعث، والإحياء، بذلك يخلص الباحث أن النشور من مرادفات التنمية.

ثامن هذه المرادفات هو (النشوز) أو (الإنشاز) قال تعالى: ﴿وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾[7].

والنشوز، والإنشاز لغة[8] الارتفاع، والعلو، والنهوض، والتركيب وخلص الباحث إلى أن ذلك يقترب من معنى الزيادة والكثرة، فهو إذن مع ما مضى يكون مرادفاً للتنمية.

وتاسع هذه المرادفات هو «البناء» قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾[9].

---

(1) سورة المؤمنون، آية ١٩.
(2) سورة المؤمنون، آية ٤٢.
(3) نشأ، المعجم الوسيط، الجزء الثاني.ص ٩٢٠.
(4) سورة الزخرف، آية ١١.
(5) سورة الدخان، آية ٣٥.
(6) انظر: نشر، المعجم الوسيط، الجزء الثاني، ص ٩٢١.
(7) سورة البقرة، آيه ٢٥٩.
(8) انظر: نشز، المعجم الوسيط، الجزء الثاني، ص٩٢٢.
(9) سورة الصف، آيه ٤.

والبناء لغة[1] التأسيس، والتنمية، والاكتناز، والامتلاء، وبذلك أوضح الباحث أن هذا اللفظ مرادف للتنمية.

أما عاشر هذه المرادفات فهو «الزيادة» قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ﴾[3] الزيادة لغة النماء، والكثرة، أو التنمية.

ويقال نما المال نمواً، ويقال: نما الشيء نماء ونمواً: أي زاد وكثر، ويقال: نما الزرع، ونما الولد، ونما المال[4]، ويخلص الباحث إلى أن ذلك أيضاً من مرادفات التنمية.

وأما آخر هذه المرادفات فهو «البركة» أو «التبريك» قال تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾[5]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾﴾[6]، والبركة أو التبريك لغة[7] النماء، الزيادة، السعادة، الخير، وبذلك خرج الباحث إلى أن البركة كذلك من مرادفات التنمية.

ومن خلال ما مضى ذكره تبين للباحث: بأنه وإن لم يرد لفظ التنمية في المنهج الإسلامي، فإن ورود هذه المرادفات السابقة الذكر تغني إن شاء الله تعالى، لأنها تركز على نواح متعددة في التنمية من حيث نوعياتها، ومجالاتها المتعددة والمختلفة، والله أعلم.

---

(١) انظر: بنى، المعجم الوسيط، الجزء الأول، ص٧٢.
(٢) سورة الإسراء، آية ٨٢.
(٣) سورة الأعراف، آية ٦٩.
(٤) انظر (نما) المصدر السابق، الجزء الثاني، ص٩٥٦.
(٥) الأعراف، آية ١٣٦.
(٦) سورة فصلت، آية ١٠.
(٧) انظر «برك» المصدر السابق، الجزء الأول، ص٥٢.

وأما التنمية اصطلاحاً:

وإذا كان الأمر كذلك فيما سبق من أن مادة التنمية من النماء والزيادة؛ لذا يرى الباحث قبل الدخول للتعريف المختار للتنمية لابد من ذكر **التطور التاريخي لمفهوم التنمية البشرية** باختصار شديد.

أن البلدان النامية حاولت الخروج من دائرة التخلف معتمدةً الكثير من النماذج المرسومة أصلاً في مدارس الفكر الغربية، على الرغم من اختلاف المناهج إلا أنها اعتمدت الجانب المادي أساساً لتحقيق ـ النمو الاقتصادي ـ وخصوصا ـ عنصر رأس المال ـ إلى أن جاء ماركس الذي أحدث انقلاباً في منحى الفكر الاقتصادي، وعزا عوامل التغيير إلى الجوانب الاقتصادية فقط، إلا أن شومبيتر عندما تأثر بالنظرية الماركسية وذكر أن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية تؤثر في نموه الاقتصادي[1]، وبهذا يكون هو أول من أكد أهمية الجانب الاجتماعي وأثره في التنمية بينما ذهب أوسكار لانكه مؤكداً على أهمية زيادة إنتاجية العمل في تحقيق التنمية، إلا أنه أهمل دور العنصر البشري في تحقيق هذه الزيادة.

هذا وقد ذهب روزنشتين عام ١٩٥٧م في نظريته (الدفعة القوية) إلى أن التنمية عملية مضنية تدعو إلى إجراء تغييرات شاملة في المجتمع المتخلف، وذلك بنقله من مستوى معيشي منخفض إلى مستوى معيشي متقدم مع إحداث تغيير قوي وجارف في عقلية الإنسان نفسه وفي تفكيره وثقافته ووضعه الحضاري[2].

من هنا تم تأكيد أهمية العنصر البشري صراحة، مع فشل النماذج المستوردة في تحقيق تنمية العالم الثالث فكان لابد من ردود فعل على النتائج المشوهة التي أحدثتها تلك النماذج، بطرح إستراتيجية من أجل إشباع الحاجات الأساسية التي تهدف إلى رفع مستوى معيشة الفرد تدهورت بسبب

---

(١) التنمية الاقتصاد"، محمد فاضل عزيز قفطان، بغداد، مطبعة الحوادث، ١، ص ٢٥٨.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٨٧.

النماذج السابقة، إذ أثبتت أن التنمية تنهض على أكتاف الفقراء وهم آخر من يستفيد منها[1].

وبعد أن اعترفت الأمم المتحدة بكون السبعينيات والثمانينيات عقوداً ضائعة للتنمية فإن ذلك لم يؤد إلى انتشال البلدان النامية من دائرة التخلف، من هنا كانت الحاجة إلى تبني مفهوم جديد للتنمية يعطي الإنسان الدور الأهم والقدرة على النهوض بالتنمية.

وكان المفهوم الشائع في ذلك الوقت هو مفهوم تنمية الموارد البشرية الذي ورد في قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٦٢م حول دور الأمم المتحدة في تدريب الكوادر الوطنية المؤهلة يشكل جزءاً مهماً لا ينفصل عن تنمية الموارد البشرية[2].

وقد ظل التركيز على تنمية الموارد البشرية على حاله طوال الستينيات والسبعينيات إلا أنه صار أكثر توسعاً خلال الثمانينيات، وتزايد هذا الاهتمام عندما وضع الجزء وهو تنمية الموارد البشرية ضمن الكل وهو التنمية البشرية، هذا وقد حصلت قفزة نوعية مع صدور تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٠م، حيث أكد هذا التقرير أن مفهوم التنمية البشرية، هو عملية تهدف إلى زيادة القدرات المتاحة أمام الناس، وقد اشتمل هذا التقرير على جانبين:

الأول: هو تشكيل القدرات البشرية مثل تحسين مستوى الصحة والمعرفة والمهارات.

الثاني: هو انتفاع الناس بقدراتهم المكتسبة، إما للتمتع وقت الفراغ، أو في الأغراض الإنتاجية أو غيرها.

وأخذت تقارير التنمية تصدر تباعاً إلا أن الأمم المتحدة تؤكد بان

---

(١) إشباع الحاجات الأساسية كمعيار في تقويم التجارب التنموية، جلال محمد أمين، المستقبل العربي، السنة ٢٢، العدد ٥، بيروت، ١٩٧٩، ص٤.

(٢) التنمية البشرية، مراجعة نقدية للمفهوم والمضمون، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٥، ص ٨٦.

الأسباب الحقيقية للفقر والحرمان البشري تكمن في إجراءات السياسة الوطنية في الدول النامية نفسها كما ورد في تقريري عامي ١٩٩٠[١]، ١٩٩١؛ وفي عام ١٩٩٢ أكد التقرير على ضرورة تمييز مفهوم التنمية البشرية عن غيره من المفاهيم، كما تم تأكيد الطابع الأممي، إذ ذكر التقرير أن التنمية البشرية فكرة أوسع وأشمل فهي تغطي جميع اختيارات الإنسان في كل المجتمعات وفي جميع مراحل التنمية[٢].

ويخلص تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٢ إلى أن الدول النامية ستحتاج إلى استثمارات ضخمة في رأس المال البشري[٣]، إلا أن تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٣ وسع مفهوم التنمية بالمشاركة الجماهيرية فعرف التنمية البشرية بأنها (تنمية الناس من أجل الناس بواسطة الناس)، وعليه فإن الإنسان هو الوسيلة وهو الهدف والغاية، ويرى تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٤، أن وراء صراعات العالم أزمات كثيرة ومتعددة، هذه الأزمات تتطلب عملية صادقة وطويلة من التنمية البشرية المستدامة التي لا تولد نمواً اقتصادياً فحسب، بل توزع فوائده - زيعاً منصفاً، وأما تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٦ فقد ركز على الإجراءات الذاتية التي يمكن أن تتبعها الأقطار النامية لتحقيق تنميتها البشرية[٤].

أما تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٨ فقد بحث الاستهلاك والدور الذي يمكن أن يؤديه في التنمية البشرية[٥]، وبعد ثبوت الوجه البغيض للعولمة دعا

(١) تقرير التنمية البشرية في العراق عام ١٩٩٥، جمعية الاقتصاديين العراقيين، عام ١٩٩٥، بغداد ص٥.

(٢) تقرير التنمية البشرية لعام، ١٩٩٢، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٢، ص٢.

(٣) جمعية الاقتصاديين العراقيين، مرجع سابق، ص ٣.

(٤) تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٦، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، نيويورك، جامعة اكسفورد، ١٩٩٦ وص٣.

(٥) تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٨، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي ومرجع سابق، ص١.

تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٩ إلى عولمة ذات وجه إنساني فقد جاء التقرير تحت عنوان (البشر وليس الأرباح) فقط ليكشف عن دور العولمة في تعميق الفواصل الموجودة أساساً بين البشر، أما تقرير التنمية البشرية لعام ٢٠٠٠ فقد هدف إلى تأمين ما أطلق عليه بالحريات السبع:

١ - التحرر من التمييز حسب الجنس أو العنصر أو الأصل العرقي أو القومي أو الدين.

التحرر من الخوف من التهديدات المتعلقة بالأمن الشخصي والتعذيب والاعتقال التعسفي.

٣ - حرية الفكر والكلام والاشتراك في صنع القرار.

٤ - التحرر من الفاقة.

٥ - حرية تنمية إمكانات البشر وتحقيقها.

٦ - التحرر من الظلم ومن انتهاكات سيادة القانون.

٧ - حرية مزاولة عمل كريم دون استغلال.

هذا وقد تغير مفهوم التنمية عبر الزمن، وأصبح هناك العديد من التعريفات حسب الجانب الذي تمسه عملية التنمية، لذلك تعددت الآراء و تباينت حول مدلول التنمية إلا أنها تجمع جميعاً على أن التنمية ليست غاية في حد ذاتها ولكنها وسيلة للوصول إلى غايات وأهداف أساسية تتمثل في مجموعة من المطامح والآمال المستمدة من تطلعات المجتمع إلى حياة أفضل.

وفيما يلي نتعرض لمجموعة من المفاهيم والتعاريف لمصطلح التنمية:

نعرّف التنمية بأنها عملية معقدة شاملة تضم جوانب الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية[1].

---

(١) التنمية والتخلف، السيد الحسيني، دراسات تاريخية بنائية، ار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٨٠، ص٥ - ٦.

٢ - كما تعرّف بأنها ذلك الشكل المعقد من الإجراءات أو العمليات المتتالية والمستمرة التي يقوم بها الإنسان للتحكم بقدر ما في مضمون واتجاه وسرعة التغير الثقافي والحضاري في مجتمع من المجتمعات بهدف إشباع حاجاته[١].

٣ - وتعرّف كذلك بأنها عملية معقدة و مركبة، وشاملة، تضم جوانب اقتصاد˝، وسياسية، واجتماعية، وثقافية، من دون إهمال الجوانب النفسية، والبيولوجية، ليتسنى فهم السلوك الإنساني بالدرجة الأولى، والدوافع التي تحرك الأفراد، وما يقوم بينهم من علاقات، وما يترتب على ذلك من أنظمة تتداخل في تفاعلات وتأثيراتها في جوانب المجتمع المختلفة، وهي بهذا المنظور تتصف بخاصيتي الشمولية والتكامل[٢].

٤ - وتعرّف كذلك بأنها: ظاهرة اجتماعية نشأت مع نشأة البشر المستقرة فزاد الإنتاج وتطورات التجارة وظهرت الحضارات المختلفة على أرض المعمورة[٣].

تعرّف بأنها: نشاط مخطط يهدف إلى إحداث تغيير في الفرد والجماعة والتنظيم من حيث المعلومات والخبرات، ومن ناحية الأداء وطرق العمل، و من ناحية الاتجاهات والسلوك مما يجعل الفرد والجماعة صالحين لشغل وظائفهم بكفاءة وإنتاجية عالية[٤].

---

(١) التنمية الاجتماعية، مفاهيم أساسية، رؤية واقعية، سميرة كامل محمد، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ١٩٨٨، ص١٤.

(٢) واقع التنمية في الجزائر، على غربي، سلسلة كتب المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٢، أوت، ١٩٩٩، ص٣٢٣.

(٣) دورة المواصلات ووسائل الاتصال في تحقيق التنمية والتكامل الاقتصادية العربي، عبدالحميد أحمد أبو طالب، رسالة ماجستير، معهد الاقتصاد، الجزائر، ١٩٨٦، ص٥٩.

(٤) المشاكل والصعوبات التي تواجه التنمية البشرية وأهميتها في صناعة السيارات العربية، أحمد عبدالسلام رمضان، الرباط، العدد ٤٧ مايو ٢٠٠٢ ص ٨٥.

- «التنمية هي عملية شاملة ومستمرة وموجهة وواعية تمس جميع جوانب المجتمع، وتحدث تغيرات كمية وكيفية وتحولات هيكلية تستهدف الارتقاء بمستوى المعيشة لكل أفراد المجتمع والتحسن المستمر لنوعية الحياة منه بالاستخدام الأمثل للموارد والإمكانات المتاحة»[1].

٧ - وقد عرّفها المعاصرون الاقتصاديون بأن «التنمية عملية شاملة متكاملة، تتضمن كافة الجوانب الاقتصادية، والاجتماعية، البشرية، والقانونية، والتعليمية، والسياسية، والأخلاقية[2]».

ويُعرّف بعض العلماء التنمية بأنها: إحداث تغيير اجتماعي، وقد يكون هذا التغيير مادياً يسعى إلى رفع المستوى الاقتصادي والتقني للمجتمع، وقد يكون معنوياً يستهدف تغيير اتجاهات الناس وتقاليدهم وميولهم.

٩ - ويُعرّف بعضهم الآخر التنمية بأنها: مجموعة تغييرات اقتصادية، واجتماعية، يتم حدوثها في دولة حال انتقالها من صورة المجتمع التقليدي إلى آخره، وتلك التغييرات يجب أن ترتبط بتنمية الصناعة وزيادة دخل الفرد، وإدخال الطرق الحديثة، وأساليبها في الزراعة.

ومن خلال استعراضنا لهذه التعاريف نجد أنها تشترك جميعها في مجموعة من السمات العامة للتنمية البشرية، أهمها:

١ - أن التنمية عملية شاملة ومستمرة.

٢ - عملية تغير ونقل للمجتمع نحو الأحسن مع الانتفاع من التغير.

٣ - عملية تطوير حضاري شامل بمعنى أننا إذا أردنا تصحيح آية وضع سواء كان على المستوى الثقافي، السياسي، الاقتصادي، الاجتماعي،

---

(١) تمويل التنمية المحلية، السبتي وسيلة، إيتراك للطباعة، ٢٠٠٩، ص١٧.

(٢) التنمية بين المفاهيم الاجتماعية والقيم الأخلاقية للدكتور/ زكي محمد إسماعيل، مجلة كلية العلوم العربية، العدد الرابع.

فلا بد أن نعمل على تطويره ضمن أهداف وآليات ومتطلبات التنمية.

عملية هجوم على الفقر في أخطر مظاهره من سوء تغذية، وسوء صحة، والجهل، والأمية والعمل على تحفيز الإنسان بالمشاركة في الحياة المنتجة للمجتمع، وتهيئة الجو.

لذلك أن التنمية تعني في رأي الباحث: تحرر العقل العربي من التبعية أو التبعية المرتبطة بالتخلف لذلك يجب التعاون والتكاتف وإنكار الذات للخروج من دائرة التبعية بكل آليانها، ويخطىء من يظن أن التحرر من التبعية هو تحقيق الاستقلال السياسي فقط، لكن الأمر يقتضي القضاء على التبعية بكل صورها، وأشكالها، وآلياتها.

وأن التنمية عملية ليست سهلة ميسورة، ولكنها تحتاج إلى أن نتعاون ونتكاتف جميعاً من أجل رفع هذه التبعية، وتصحيح التشوهات على مستوى كافة الأصعدة، وهذا يتطلب منا النظر، و إ دة هيكلة الثقافة العربية والقومية الأصيلة، مما يستلزم تحرير العقل العربي من السيطرة الثقافية الغربية عليه، ومن الذوبان الكامل في الحضارة الغربية مع الاستفادة من جميع التيارات الفكرية، إلى أقصى حد ممكن، وأيضاً يجب العمل على احترام الثقافة العربية والعمل على تطويرها بما يزيد من خصوبتها.

وكذلك يجب علينا أن نواجه التنمية بكفاءة عالية وجهود مخلصة كي تستمر عوامل الاستقرار الخاصة بالتنمية، بمعني أنه ينبغي الوفاء بالحاجات الأساسية للفرد ومن ناحية أخرى ضرورة غرس مبدأ الاعتماد على النفس للمواطن العربي، والسعي ولو على المدى الطويل للاكتفاء ذاتياً، كذلك ينبغي أن يفهم أن مبدأ الاعتماد على النفس، يقتضي العمل بروح الجماعة، والتفاني بها والذوبان فيها وتلاشي ال (أنا).

كما ينبغي أن يعلم المواطن البسيط أن التنمية له وبه، وأن عليه أ' يبذل الجهد كل الجهد لإنجاح برامج التنمية.

ومن خلال ما مضى من التعريفات: أن التنمية هي وسيلة وأداة من أجل التغيير الشامل لكافة مجالات الحياة، من خلال الأطر الشرعية المنظمة، أملاً في الوصول إلى التقدم، والله أعلم.



المحور الثاني
مفهوم الذاتية

الذاتية لغة: يقال ذات الشيء بمعنى حقيقته وماهيته[1].

أما الذاتية في الاصطلاح: فأعني بالتنمية الذاتية: هي الارتقاء بالإنسان والوصول به إلى أعلى درجات الرقي والكمال الأخلاقي.

وهذا الارتقاء لا يكون إلا بتحصيل معارف يكتسبها الإنسان، ودون أن تتوفر هذه المعارف لا يمكن أن يحرز الإنسان أي تقدم ونمو وزيادة معرفة، فبمقدار ما يكون حرص الإنسان على المعرفة بمقدار ما يكون النمو المعرفي والرقي الأخلاقي لدى الإنسان.

وكلما نمت معرفة الإنسان وكبرت كلما نمت قدرته على المعرفة.



(١) انظر: المصباح المنير، للعلامة أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ، ط مكتبة لبنان، ١٩٨٧، ص ٨١.



المحور الثالث
مفهوم السنة النبوية

السنة في اللغة: تأتي بمعنى العادة والطريقة والسيرة المتبعة، وقد صرح القرآن بكل هذه المعاني، السنة بمعنى العادة والعذاب الذي يرسله ا على الكافرين قال تعالى: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾[1]، وقال تعالى: ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾﴾[2]، والمعنى هكذا عادتنا في الذين كفروا برسلنا.

وتأتي السنة بمعنى الطريقة قال تعالى﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾[3]، والمعنى يبين لكم طرق الذين من قبلكم، ومنه قوله ﷺ: «فمن رغب عن سنتي فليس مني»[4] أي طريقتي، ومنه كذلك قوله ﷺ: «لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع...» الحديث[5]، وقوله ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة

(١) الفتح، آية ٢٣.

(٢) الإسراء، آية ٧٧.

(٣) النساء، آية ٢٦.

(٤) خرجه البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، برقم (٥٠٦٣)، من حديث أنس بن مالك ﷺ.

(٥) خرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، برقم ٣٤٥٦، من حديث أبي سعيد الخدري.

الخلفاء من بعدي»[1].

أما السنة بمعنى السيرة سواء كانت محمودة أو مذمومة، فقد جاء استعمالها في حديث النبي ﷺ في قوله: **«من سنَّ في الإسلام سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها بعده إلى يوم القيامة لا ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده إلى يوم القيامة لا ينقص من أوزارهم شيء»**[2].

أما السنة اصطلاحاً: عند المحدثين: ما أثر عن النبي ﷺ من قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ أو صفةٍ خَلقية أو خُلُقية سواء كانت قبل البعثة أم بعدها، أثبتَ حكماً شرعياً أم لا»[3].

مثال القول: قوله ﷺ: **«إنما الأعمال بالنيات»**[4].

ومثال الفعل: قوله ﷺ: **«صلوا كما رأيتموني أصلي»**[5].

ومثال التقرير: كإقراره ﷺ: **«لأكل الضب»**[6].

---

(١) خرجه ابن ماجه، المقدمة، باب إتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، برقم ٤٣، من حديث العرباض بن سارية ﷺ.

(٢) خرجه مسلم، كتاب العلم باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى برقم ٤٩٥٩ من حديث جرير ابن عبدالله.

(٣) السنة في الاصطلاح يختلف مدلولها حسب اختلاف الفنون والعلوم الشرعية، والذي ذكره المحدثون هو أوسع وأشمل تعريفات السنة، وزيادة «أثبت حكماً شرعياً أم لا» من إضافة شيخنا العلامة الدكتور/ الفاتح حفظه الله ونفع به.

(٤) خرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي، برقم ١، من حديث عمر بن الخطاب.

(٥) خرجه البخاري، كتاب الأذان، باب الأذان للمسافر، برقم ٦١٣، من حديث مالك بن الحويرث.

(٦) خرجه البخاري، كتاب الأطعمة، باب الإقط، برقم ٥١١٠، من حديث ابن عباس ﷺ؛ والضب: حيوان من جنس الزواحف، غليظ الجسم، له ذنب عريض، انظر: معجم لغة الفقهاء، وضع: محمد رواس قلعه جي، حامد صادق قنيبي، ط.دار النفائس، بيروت، ط. الأولى ١٩٨٥، ص ٢٨٢.

ومثال الصفة الخَلْقية: مثل كونه أبيض اللون مشرَّباً بحمرة ليس بالطويل البائن ولا بالقصير.

وأما الصفة الخُلُقية: مثل كونه أشجع الناس وأشدهم حياء وتواضعاً[1].

وأما قولنا النبوية: فالمقصود بها كل ما صدر عن رسول الله، من قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ يخص زيادة الإيمان من قول أو فعل، والعمل على نمائه في النفس البشرية.

وعلى ذلك يكون المعنى الإجمالي:

وسائل التنمية الذاتية على ضوء ما ورد في السنة النبوية.

□□□□□□

(١) مصطلح الحديث ورجاله د.حسن محمد مقبول الأهدل مؤسسة الريان ص ١٧، ١٩.



المحور الرابع
عناصر التنمية

يمكن للباحث تحديد عناصر هذه التنمية، بدراسة عنصر مرادف لها من المرادفات التي ذكرناها آنفاً ألا وهو الإنبات أو التنبيت، وفيما يختص بإنبات النبات دون سواه، وذلك على سبيل المثال، وتتمثل هذه العناصر فيما يلي:

جهات التغذية، قال تعالى: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ﴾[1]، فالله ﷻ لحالة هو الذي ينبت وينمي هذه الحدائق والنباتات والأشجار.

وسائل التنمية وأساليبها، قال تعالى: ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ﴿٢٨﴾ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ﴿٣٢﴾﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡمُعۡصِرَٰتِ مَآءٗ ثَجَّاجٗا ﴿١٤﴾ لِّنُخۡرِجَ بِهِۦ حَبّٗا وَنَبَاتٗا ﴿١٥﴾﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ﴾[4].

---

(١) سورة النمل، آ : ٦٠.
(٢) سورة عبس، الآيات: ٢٤ ـ ٣٢.
(٣) سورة النبأ، الآيتان: ١٤، ١.
(٤) سورة ، الآية: ٥٣.

وبذلك فالمعصرات هي (الغيوم)، أو السماء بتعبير آخر هي من الوسائل المستخدمة في التنمية، كما أن هناك أسلوباً لعملية تنمية أو إنبات مواد الأكل المذكورة في الآية السابقة؛ إذ يبدأ بصب الماء، ثم بحراثة أو شق الأرض، ثم الزرع، فالإخراج للنبات بأنواعه المختلفة.

أغذية موضوع التنمية (مواد التنمية، أ المدخلات)، قال تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾(1).

وبذلك فإن أغذية التنمية أو مادتها هي الماء، والأرض بعناصرها المختلفة، فالماء والتراب هو غذاء النبات الضروري تنميته أو تنبيته.

وسوف يذكر الباحث هذا تفصيلاً إن شاء الله عند حديثه عن التنمية في مجال الزراعة.

جوانب موضوع التنمية: أما من ناحية موضوع التنمية فقد قال تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ﴾(2)، وقال تعالى: ﴿فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾(3)، وقال تعالى: ﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾(4).

وبذلك فموضوع التنمية هو النبات عامة، وهو الذي ستنصب عليه كل عمليات التنمية.

وأما من ناحية جوانب موضوع التنمية فهي واحدة لا تعدد فيها، والتي تتمثل في الجسم المادي وهذا ما ستتحدث عنه تفصيلاً في الفصل الثالث والرابع والخامس إن شاء الله تعالى.

٥ - هدف التنمية المباشر: يقول الله تعالى: ﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝٢٧ وَعِنَبًا وَقَضْبًا

---

(١) سورة الكهف، آية : ٤٥.
(٢) سورة الأنعام، آية : ٩٩.
(٣) سورة النمل، آية : ٦٠.
(٤) سورة لقمان، آية : ١٠.

﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۝ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ۝ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ۝﴾[1].

وبذلك فالهدف المباشر هي الزيادة النفعية (متاعاً لكم) الكمية (كميات مختلفة من أنواع النباتات المختلفة) والنوعية (أنواع مختلفة من النباتات المذكورة في الآية).

هدف التنمية غير المباشر: قال تعالى: ﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾[3]، فالهدف غير المباشر والذي يكمن وراء إنبات النبات من قبل الله تعالى، هو تغذية الإنسان بها أي لتحقيق فائدة الإنسان، وهذا بالطبع لا يمنع وجود أهداف أخرى كتغذية النبات، فتكون هناك أهداف نهائية، وأخرى فرعية، والتغذية كهدف نهائي، قد تشمل الاستفادة الفعلية والنفسية بجانب الجسمية، والله أعلم.

□□□□□□

(١) سورة عبس، الآيات: ٢٧ ـ ٣٢.
(٢) سورة النحل، آية: ١١.
(٣) سورة طه، آية: ٢٠.



خلاصة التمهيد

ناقش الباحث في هذا التمهيد محاورالتنمية الذاتية، من خلال نصوص السنة النبوية، فكان المحور الأول وهو التنمية لغة، وقد انتهى الباحث فيه إلى أن هناك مرادفات كثيرة لمفهوم التنمية، موجودة في المنهج الإسلامي.

أما بالنسبة للمحور الثاني، فقد انتهى فيه الباحث إلى عرض تعريفات التنمية، وبيان علة الاختلاف بين التعريفات.

أما بالنسبة للمحورين الثالث والرابع، فقد تعرض فيهما الباحث لبيان معنى الذاتية، وعرّج على تعريف السنة النبوية.

ومن خلال عرض المرادفات في المحور الأول، فقد انتهى الباحث إلى تحديد مفهوم لها من الوجهة الإسلامية هو:

استخدام جهات التغذية، وسائل وأساليب مناسبة، إدخال أغذية مناسبة، لجوانب موضوع التنمية المختلفة، لأجل زيادته نفعياً، كماً و[illegible]، لتحقيق أهداف المجتمع النهائية (الهدف من وجود الإنسان).

وبذلك تكون عناصر التنمية هي هدفها، موضوعها، مادتها، وسائلها، أساليبها، وهذا ما يكشف الباحث عنه الغطاء من ثنايا الرسالة إن شاء الله تعالى.

□□□□□□

الفصل الأول

أسس التنمية الذاتية ومجالاتها

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التنمية الذاتية ومجالاتها في السنة النبوية، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تنمية المعارف، وتحته ثلاثةُ فروع:

* الفرع الأول: نشر المعرفة والاستفادة من الآخر.
* الفرع الثاني: توظيف المعرفة الوافدة.
* الفرع الثالث: تنمية لغة المعرفة الذاتية.

المطلب الثاني: الارتقاء الذاتي.

المطلب الثالث: الانفتاح المعرفي، ووسائله، وتحته ثلاثة فروع:

* الفرع الأول: الإنترنت، ودوره في التنمية.
* الفرع الثاني: وسائل الإعلام، ودورها في التنمية.
* الفرع الثالث: الفضائيات، ودورها في التنمية.

المبحث الثاني: أسس التنمية من خلال السنة النبوية، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الحاجة إلى التنمية.

المطلب الثاني: الزواج أساس تنمية المجتمع.

المطلب الثالث: توافر العنصر البشري المدرب.

المطلب الرابع: استخدام الوسائل الحديثة.



المبحث الأول:
التنمية الذاتية ومجالاتها في السنة النبوية

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تنمية المعارف، وتحته ثلاثة فروع:

الفرع الأول: نشر المعرفة والاستفادة من الآخر.

الفرع الثاني: توظيف المعرفة الوافدة.

الفرع الثالث: تنمية لغة المعرفة الذاتية.

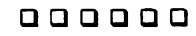
المطلب الثاني: الارتقاء الذاتي.

المطلب الثالث: الانفتاح المعرفي، ووسائله، وتحته ثلاثة فروع:

الفرع الأول: الإنترنت، ودوره في التنمية.

الفرع الثاني: وسائل الإعلام، ودورها في التنمية.

الفرع الثالث: الفضائيات، ودورها في التنمية.



مدخل

التنمية هي كلٌ متكامل، تهدف إلى تقوية وتعزيز حرية الفرد، والقضاء على التحديات التي تواجهه، وتسهِّل الحصول على الحاجيات الأساسية، وفق خطط جادة، ومشاريع مبرمجة واقعية، تعمل على استشارته أو مشاركته في الإنجاز، ومن هذا المنطلق فإن التنمية تمس كل القطاعات والمجالات، وتمس الإنسان بكل مكوناته المادية والروحية، أما بالنسبة لمجالات التنمية فنميز بين العديد من المجالات حسب الجانب الذي تمسه عملية التنمية سواء كان اقتصاديًا، ثقافيًا، إداريًا... إلخ حيث نميز المجالات التالية:

١ ـ **التنمية الاقتصادية**: وقد تناولها الاقتصاديون كمسألة اقتصادية بحتة، ويعبرون عن ذلك بمصطلحي النمو والتنمية الاقتصاديين.

٢ ـ **التنمية الاجتماعية**: ونعرف بأنها أسلوب حديث في العمل الاجتماعي، يقوم على إحداث تغير حضاري في طريقة التفكير والعمل والحياة عن طريق إثارة وعي الناس بالبيئة من أجل المشاركة في تنفيذ برامج التنمية لمنظور المجتمع.

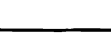
٣ ـ **التنمية السياسية**: وتعرف بأنها مجموعة الأفكار التي يمكن أن يدلى بها للمساهمة في تكوين رأي عام للتأثير به لدى القرار السياسي، فهي ببساطة المشاركة في صنع القرار السياسي، عن طريق مجموعة من الوسائل كالأحزاب والجمعيات والنقابات.

٤ ـ **التنمية الإدارية**: تعرف بأنها تطوير قدرات الإداريين، وتحسين أدائهم، والتأثير على البيئة التي يعملون فيها عن طريق دراسة الهياكل التنظيمية واللوائح المعمول بها، وتطوير وتنمية معلومات ومهارات واتجاهات وسلوك أفراد التنظيم، وتحسين البيئة للعمل الإداري من أجل تحقيق أهداف خطط التنمية الشاملة بأقصى درجة من الكفاءة والفعالية،

بعد أن تعرّف الباحث على مستويات ومجالات التنمية توصل إلى أن التنمية أسلوب عمل من خلال برامج وخطط لكننا هنا في هذا البحث نلقي الضوء على مجال آخر من مجالات التنمية، وهو التنمية الذاتية «إعداد الفرد» وذلك من خلال النصوص النبوية الشريفة، من خلال ثلاثة مطالب وضّح الباحث خلالها كيف يمكن تنمية المعارف لدى الفرد والارتقاء به، من خلال انفتاح معرفي منضبط بالكتاب والسنة.

وهذا ما سنتناوله بشيء من التفصيل في المباحث التالية، إن شاء الله تعالى.

* * *



المطلب الأول
تنمية المعارف

من المعروف أن العطاء العلمي والمعرفي الإنساني لا يتوقف، ففي كل يوم تَبْرُز علوم جديدة في الشرق والغرب، وفي كل يوم تُخْتَرع تطبيقات تكنولوجية جديدة للعلوم التي برزت، والمعلومات على مختلف نوعياتها أخذت تتدفق بسهولة ويسر عبر عديد من القنوات المعرفية، وفي سرعة لحظية، حتى شاع التعبير «العالم قرية معلوماتية صغيرة»، وما من علوم استجدت ولا تطبيقات ابتدعت سواء في الزراعة أو الصناعة أو الإدارة أو الاتصالات والمواصلات... إلخ إلا ولها أهميتها في النهوض بحياة الإنسان وترقيتها، الأمر الذي يوجب على كل عالِمٍ، أن ينمّي معارفه باستمرار للإفادة منها.

وغني عن البيان أن التوقف عن طلب العلم وتنمية المعارف، يضع العالم على منزلق خطر، ينزلق به إلى الجهل، ذلك لأن الإضافات العلمية

تصبح الكم العلمي المقدر بسرعة، وما أن تمضي فترات من الوقت حتى يصبح المتوقف عن التعلم جاهلاً بالجديد الذي يغدو الكم العلمي الرئيس، حيث تتجمد معارفه عند مستوى معين يتعداه التسارع العلمي ونتاج المعرفة المتقدمة، فيُحكم على معارفه بالتخلف، الأمر الذي حدا بمجتمعات اليوم - وبخاصة المتقدمة منها - إلى الأخذ بمفهوم «المجتمع دائم التعلم» وأبدعت في إعداد مراكز متطورة لمصادر التعلم لبواكب علماؤها كل جديد ويفيدوا مجتمعاتهم به.

ولعلنا ندرك عظمة موضوعية فكر الرسول الكريم ﷺ الذي أكد قبل ثلاثة عشر قرناً من الزمان ونيِّف على استمرار التعلم لتنمية المعارف والعلوم وفي ذلك يقول الرسول ﷺ: «منهومان لا يشبعان، منهومٌ في علم لا يشبع، ومنهومٌ في دنيا لا يشبع»[1].

ويعني ذلك أن الإنسان الذي يُقْنِع نفسه بأنه أصبح عالماً، ولا يطلب العلم ولا ينمي معارفه أصبح بالحتمية جاهلاً، ولذلك يقول سفيان بن عيينة[2] ﷺ: «لا يزال المرء عالماً ما طلب العلم، حتى إذا ظنَّ أنه قد علم فقد جهل».

وهو صاحب القول المشهور الذي يحسبه بعض الناس حديثاً وليس كذلك: «اطلب العلم من المهد إلى اللحد».

وسأله أحدهم: من أحوج الناس إلى العلم؟ قال: أعلمهم، لأن الخطأ منه أقبح.

---

(1) خرجه الحاكم في المستدرك، واللفظ له، وقال: صحيح على شرط الشيخين برقم ٣١٩، من حديث أنس بن مالك ﷺ.

(2) هو سفيان بن عيينة الهلالي، حافظ ثقة، واسع العلم، كبير القدر، ولد سنة ١٠٧ ، قال فيه الشافعي: لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز، حج سبعين سنة توفي ١٩٨هـ، انظر: أعلام النبلاء ٤٥٤/٨، والأعلام ١٠٥/٣.

وسئل عبدالله بن المبارك[1]: إلى متى تطلب العلم؟ قال: حتى الموت.

وسُئِلَ الحسن البصري[2]: هناك رجل بلغ الثمانين أيحسن به أن يتعلم؟ قال: نعم إذا كان يحسن به أن يعيش[3].

وإذا أراد الإنسان أن ينمي معارفه فلا بد أن يضبط ما يريد معرفته، فمثلاً إذا أراد الإنسان أن يتقن أو يتعلم علماً معيناً حتى يصل فيه إلى غايته، لا يكون له ذلك إلا بسؤال أهل الذكر المتخصصين، فإن لكل علم مداخل ومخارج، وليس الأمر على إطلاقه، فمن المعارف ما هو ضار، ومنها ما هو نافع، يقول الدكتور/ مقداد يالجن: لقد قسّم الإسلام المعارف والفنون إلى قسمين:

قسم مفسد مضل، وقسم آخر نافع هادٍ مرشد، فمنع الأول في مجال التعليم وشجّع على الثاني، وقد عدّ الإسلام من الأول السحر، وبيّن أنه باطل مفسد، ولا يفلح من يمارسه قال تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ﴾[4]، وقال الرسول ﷺ ناهياً عن السحر: «**اجتنبوا السبع الموبقات، الشرك با ، والسحر، وقتل النفس، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات**»[5]، ومما منعه الإسلام وحرمه، الكهانة والادعاء بمعرفة المستقبل والغيب.

---

(1) عبدالله بن المبارك هو: شيخ الإسلام، علم الأتقياء في وقته أبو عبدالرحمن عبدالله بن المبارك المروزي، الحافظ، الغازي، أحد الأعلام، ولد سنة ١١٨هـ توفي سنة ١ ١هـ، سير أعلام النبلاء ٣٧٨/٨.

(2) هو: الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد، تابعي، إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه ولد في المدينة سنة ٢١هـ توفي سنة ١١٠هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء ٥٦٣,٤، الأعلام ٢٦/٢.

(3) النبي المربي، د. أحمد رجب الأسمر، عمان، دار الفرقان، ط١، م٢٢ ١٤٢٢هـ، ص٣٤٠ ـ ٣٤١.

(4) سورة يونس، : ٧٧.

(5) خرجه البخاري، كتاب الوصايا، باب ٢٣، برقم ٢٧٦٦، من حديث أبي هريرة ﷺ.

وحرّم كذلك العرافة، أي: الادعاء بمعرفة الغيب، عن طريق الاتصال بالجن، وحرّم كذلك كل الأمور الأخرى غير الموضوعية التي لا تقوم على أسس علمية، ذلك أنها تسوق الناس إلى الشعوذة والتخيلات فقال رسول الله ﷺ: **«لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل»** قالوا: وما الفأل؟ قال: **«كلمة طيبة»**[1].

كما نهى ﷺ عن العرافة، فقال: **«من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة»**[2]، وكذلك أبطل التنجيم.

وبعد أن حرم الإسلام كل هذه الأمور الباطلة، التي تفسد ولا تصلح، وتؤخر الأمة ولا تقدمها فقد طلب الإسلام من كل فرد أن يقول كلمة الحق، ولا يخطو خطوة بدون علم ومعرفة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾[3].

وقال قتادة[4] في تفسير هذه الآية: (لا تقل رأيت وأنت لم تره، وسمعت وأنت لم تسمع، وعلمت وأنت لم تعلم)[5]، ولما كان مفتاح العلم والمعرفة القراءة والكتابة أمر الإسلام بتعلم القراءة والكتابة أولاً وقبل كل شيء ونزلت أول سورة بادئة بقوله: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾[6]، لأن القراءة مفتاح العلم والمعرفة، وشجّع الرسول ﷺ كذلك

---

(١) خرجه البخاري، كتاب الطب، باب لا عدوى، برقم ٥٧٧٦، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) خرجه مسلم، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، برقم ٥٧١٣، من حديث صفية عن بعض أزواج النبي ﷺ.

(٣) سورة الإسراء، آ: ٣٦.

(٤) هو قتادة بن دعامة السدوسي، أبو الخطاب، مفسر حافظ، رأساً في التفسير والحديث، ومفردات اللغة العربية، مات بواسط بالطاعون عام ١١٨، ينظر: سير أعلام النبلاء ٢٦٩/٥ وتهذيب التهذيب ٣٥١/٨، الأعلام ١٨٩/٥.

(٥) تفسير القرطبي، ج١٠/٢٥٧.

(٦) سورة العلق، الآيات: ١ ـ ٥.

على تعلم الكتابة في بداية عهده، وعين له كتبة خاصة، و ن يشترط لفداء الأسرى، أن يعلموا أولاد المسلمين الكتابة، وأمر بعض أصحابه أن يتعلموا بعض اللغات الأجنبية منها اللغة السريانية، وأمر كذلك لبعض أصحابه أن يتعلموا كيفية مخاطبتهم، فروي عن زيد بن ثابت[1] أنه قال: (أمرني رسول الله ﷺ أن أتعلم له كتاب يهود، فلما تعلمته كان إذا كتب إلى اليهود كتبتُ إليهم وإذا كتبوا إليه قرأت له كتابتهم)[2][3]، والذي ينبغي أن يَعلمه كل مسلم أن الإسلام لم يأت ليعلم كل العلوم جملة وتفصيلاً وإنما جاء ليوجه إليها توجيهاً عامًا، وكذلك إذا أراد المرء أن تنمى معارفه فلا بد من وجود الدافعية للتعلم أولاً، وإلا كان ما يتعلمه الإنسان عبثاً، فكم من رجل تعلم دون وجود دافعية فخرج كما دخل، فإذا توافرت لديه الدافعية والجدية اختار نوع العلم الذي يريد دراسته فإذا تم له الاختيار، فعليه أن يسأل أهل العلم والتخصص بماذا يبدأ؟ وبماذا ينتهي؟

ثم عليه بعد ذلك تنمية ميوله في هذا، بقراءة المتون الصغيرة ثم شروحها المناسبة لها ثم المتون الكبيرة مع شروحها ثم كتب الخلاف في المذهب المختار مع المذاهب الأخرى، ثم لا بد لمن يريد التعلم واختار العلم الذي يريد النبوغ فيه، عليه أن ينمي الوقت ويحسن استغلاله، فما حقق الأولون ممن سَبَق في المعارف إلا بالبركة في أوقاتهم، وتوفيق الله تبارك وتعالى لهم، ثم حسن استغلالهم للوقت، فإن مشكلة الأجيال الجديدة الآن أنها لا تشعر بقيمة الوقت، فترى الساعات الطوال تمر ثم تمر دون جدوى وفائدة وللعلماء كتابات في قيمة الزمن وحسن استغلال الوقت، ثم

---

(١) هو: زيد بن ثابت الضحاك الأنصاري، أبو خارجة، صحابي من أكابر الصحابة، كاتب الوحي، كان رأساً في القضاء والفتوى، استخلفه عمر على المدينة، انظر: سير أعلام النبلاء ٤٢٦/٢، الإصابة (٤١/٤)، الأعلام ٥٧/٣.

(٢) خرجه الترمذي، كتاب الاستئذان، باب ما جاء في تعليم السريانية، برقم ٢٧١٥، ومن حديث زيد بن ثابت، وهو حديث حسن صحيح.

(٣) توجيه المتعلم إلى منهاج التعلم في ضوء التفكير التربوي والإسلامي، مقداد يالجن، الرياض، دار عالم الكتب، ط١، عام ١٤١٦هـ، ص٢٠٧.

بعد ذلك ينبغي أن يكون المتعلم له غاية وهدف، ويا حبذا لو كانت الأهداف عملية كأن يضع هدفه لخدمة أمته، لكن لا ينبغي أن تكون أهداف الإنسان أكبر من حجمه ووقته، لأنه إن كانت كذلك عاش دائماً في ضيق وحرج، وتسبب له متاعب نفسية وجسمية ولم يحقق التنمية المطلوبة لمجتمعه، والله أعلم وعلى ذلك تتحقق تنمية المعارف بما يلي:

○ الفرع الأول: نشر المعرفة والاستفادة من الآخر:

مما لا شك فيه أن كل أمر من الأمور، لا مسؤولية عليه ـ أدبية أو مادـ ـ أمام الله ﷻ أو أمام الناس أو الأجهزة المعنية، مصيره، ولا شك الضياع، فالإنسان بطبيعته حريص على حقوقه فقط، في حين يسعى جاهداً للتخفف أو التخلص والتنصُّل من مسؤولياته، وما ترتبه عليه من واجبات والتزامات، لذلك فإن الاجتهاد البشري آل إلى تحديد المسؤوليات، لكل أمر من أمور الحياة بعامة، يكافأ من ينهض بها ـ ماديًا وأدبيًا ـ ويعاقب من يهملها.

والإسلام كما هو معلوم يضع لكل شأن من شؤون الحياة مسؤوليات أدبية و ـ ـ، يحاسب عليها أمام الله ﷻ في الآخرة، وفي الدنيا أمام أولي الأمر، والسلطات بأنواعها، ومن هذه المسؤوليات الأدبية، ما يقوم به العلماء والعارفون مسؤولية نشر المعرفة، فقد ينبغ بعض الناس فيرتقي مدارج العلم والمعرفة وربما يتفرغ لذلك، في حين لا تصل قدرات آخرين أو ظروفهم إلى هذا المستوى، والنتيجة المتوقعة أن تصبح لدى الصنف الأول حصيلة معرفية كبيرة، قد لا يتوافر قدر كبير منها للفئة الثانية، ولكن هذه الحصيلة تبقى بدون جدوى إذا بقيت داخل جدران ذاكرة صاحبها لأنه يبقى عالماً بين جهال، لذلك فإن الإسلام يؤكد على نشر المعرفة، ليتحقق بذلك الارتقاء الذاتي المعرفي للمجتمع ككل، وذلك بالفوائد الآتية:

الفائدة الأولى: تحقيق اهتمام واع بالمعرفة، وبذلك يجد العلماء أنفسهم يتحدثون مع الناس بلغة علمية مشتركة، يفهمها الناس فلا يقفون منهم موقف السخرية واللامبالاة أو موقف العداء، وإنما موقف التقدير

والتكريم والاحترام لعلمهم بما يدفعهم في طريق الإثراء المتواصل لمعارفهم.

الفائدة الثانية: استقطاب عناصر جديدة ممن لديهم استعدادات ومواهب وملكات مبدعة للاهتمام بالمجالات المعرفية التي تستحوذ على اهتماماتهم، وبذلك تتنامى فئة العارفين، مما يسهم في النبوغ العلمي والمعرفي في مجالات واسعة.

الفائدة الثالثة: تكوين رأي عام مهتم بالمعرفة بحيث يدفع إلى مساندتها وتدعيمها ومؤازرتها وإمدادها بمتطلبات تطورها، لا سيما بالمتطلبات المادية.

الفائدة الرابعة: الاندفاع في تنمية أي مجال من مجالات حياة المجتمع، على أساس علمي واع مدروس، بناءً على تعميم المعرفة، الأمر الذي يؤمن له النجاح.

من أجل هذا نجد الدول الحديثة تهتم أول ما تهتم بوسائل الإعلام الجماهيرية، التي تعتبر مهمتها الأولى في الدول المتقدمة، نشر المعرفة، وتنمية الوعي الثقافي، والعلمي، لدى المواطنين، وليس الدعاية للنظام وسلطانه كما في العالم الثالث.

لذلك نرى أن الإسلام يؤكد تأكيداً شديداً على نشر المعرفة، ويجعل ثوابها كبيراً عند الخالق ﷻ إضافة إلى ما يلقاه العالم الذي ينشر معرفته من تكريم من الناس، والرسول ﷺ يربي المسلمين على أساس من إيجابية المعرفة، بالتأكيد على نشرها[1].

وفي الوقت نفسه، يحذّر من كتمان العلم يقول ﷺ: **«من سئل عن علم علمه، ثم كتمه، أُلجم يوم القيامة بلجام من نار»**[2]، وكذلك حث علىَ نشر المعرفة والفضيلة والخير بين الناس يقول ﷺ من حديث معاذ بن

---

(١) النبي العربي، سبق، ص١٣٧ ـ ١٣٨.

(٢) خرجه الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في كتمان العلم، برقم ٢٦٤٩، من حديث أبي هريرة ﷺ، وقال: حديث حسن.

أنس[1] ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**من علَّم علماً فلهُ أجرُ من عمل به لا ينتقص من أجر العامل**»[2]، وكذلك عن أبي أمامة[3] ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «**من غدا إلى المسجد لا يريد إلا ليتعلَّم خيراً أو يُعلِّمهُ كان له أجر معتمر تام العمرة**»[4].

وعن أبي هريرة[5] ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من جاء مسجدي هذا لم يأته إلا لخير يتعلمهُ أو يُعلمه فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله، ومن جاء لغير ذلك فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره**»[6]، وقد دعا النبي ﷺ لمن ينشر المعرفة ويبلغها للناس فقال: «**نضر الله امرأً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه فرب مبلغ أوعى من سامع**»[7]، وكذلك يقول ﷺ: «**إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته، علماً علّمه ونشره**»[8]، وقد اهتم زعماء الإصلاح جميعاً في كل عصر ومصر، بالتعلم

---

(١) معاذ بن أنس الجهني حليف الأنصار صحابي كان بمصر والشام بقي إلى خلافة عبدالملك بن مروان.

(٢) خرجه ابن ماجه، المقدمة، باب في فضائل أصحاب رسول الله، باب ثواب معلم الناس الخير، برقم ٢٤٢، من حديث سهل بن معاذ.

(٣) هو: أبو أمامة صدى بن عجلان الباهلي، صحابي، توفي في أرض حمص، آخر من مات من الصحابة بالشام، له في الصحيحين ٢٥٠حديثاً. انظر: تهذيب التهذيب (٤٢/٤)، الأعلام (٢٠٣/٣).

(٤) خرجه الحاكم في المستدرك، كتاب العلم، برقم ٢٨٥، من حديث أبي أمامة ﷺ وقال الهيثمي: رجاله موثقون كلهم، انظر: مجمع الزوائد ١٢٣/١.

(٥) هو: عبدالرحمن بن صخر الدوسي، اختلف في اسمه على أقوال هذه أرجحها، صحابي قدم المدينة عام خيبر فأسلم ولزم النبي، ولي المدينة، توفي بها عام ٥٩هـ.

(٦) خرجه ابن ماجه، المقدمة، باب فضل العلم والحث على طلب العلم، برقم ٢٢٧، من حديث أبي هريرة ﷺ. وقال في الزوائد: إسناده صحيح على شرط مسلم، انظر: تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي.

(٧) خرجه الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع ٢٦٥٦، من حديث زيد بن ثابت ﷺ. وقال: حسن صحيح.

(٨) خرجه ابن ماجه، المقدمة، باب في فضائل أصحاب النبي، باب ثواب معلم الناس الخير، برقم ٢٢٤ ومن حديث أبي هريرة ﷺ، وقال ابن المنذر: إسناده حسن.

ونشر المعرفة، على اعتبار أنه مفتاح التنمية ولا عجب فإن التعلم هو المحور الأساس في بناء الحضارة الإسلامية، وللعلم والتعليم تاريخ طويل، قد بدأ منذ وجد الإنسان على هذه الأرض، متمثلاً في آدم عليه السلام، وذريته من بعده، فالله عز وجل كرّم آدم عليه السلام، وأسجد له ملائكته، وجعله خليفة له، في الأرض بفضيلة العلم، التي خصّه بها من بين سائر مخلوقاته، إذ أن قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾[1]، محض إخبار جعل وسيلة لما صدر من الملائكة من التعجب الذي جرّ إلى إظهار آدم بالعلم والتعليم الذي صدر منه للملائكة حتى استحق أن يسجدوا له[2].

ولما كان التعلم هو مفتاح التنمية، وهو كذلك من أهم وسائل نشر المعرفة، فإننا نتحدث عن مكانة التعليم عند العرب، فلقد كان العرب قبل الإسلام أمة أمية، كما ورد وصفهم في القرآن لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾[3].

لكن هذه الأمية لم تصدهم عن أن يكونوا من ذوي العلم، الحريصين على العلم والتعليم، وكان العلم علامة الشرف والسيادة في القبيلة، وكان العرب أحرص الناس على تلقين وتعليم أولادهم الفصاحة والبيان إذ كان العرب في الجاهلية يلقنون أبناءهم وبناتهم ما هم في احتياج إليه من المعارف يعدونهم بها إلى الكمال المعروف عندهم، فيردونهم عن الخطأ ويعصمونهم من اللكنة، كما كان العرب يهتمون بالشعر، وهو عندهم قسطاط العلوم كلها.

---

(١) سورة البقرة، آية: ٣٠.

(٢) التعليم وإشكالية التنمية، د. حسن بن إبراهيم الهنداوي، دولة قطر، وزارة الأوقاف، سلسلة ك الأمة، العدد ٩٨.

(٣) سورة الجمعة، آية: ٢.

وكذلك اهتمام العرب بعلم اللغة من شعر وخطابة فإنهم كانوا يهتمون بتعليم مكارم الأخلاق[1] عن طريق أسواق:

١ ـ سوق عكاظ، حيث كانوا ينشدون فيه الأشعار ومكانه قرب الطائف.

٢ ـ سوق مجنة، ومكانه قرب مكة.

٣ ـ سوق ذي المجاز، ومكانه جهة عرفة[2].

ولما جاء الإسلام ومع بدأ التنزيل بظهور الدعوة إلى التعليم وأساس ذلك قوله تعالى: ـ ﴿اقْرَأْ﴾ ـ وهي بداية التعليم في عصر الرسول ﷺ وأصحابه ففي اقرأ دعوة صريحة إلى القراءة وحث على التعلم، إذ بدأ الوحي بالدعوة إلى القراءة باسم الله، وذكر القلم لأهميته في العلم والتعليم، وأن الله تعالى بفضل منه وكرم علّم الإنسان ما لم يعلم، وبناءً على ذلك فإن مسيرة الرسول ﷺ هي بذاتها مسيرة التعليم الإسلامي، وبعد وفاته ﷺ تصدى الصحابة الكرام، لمواصلة التعليم على شاكلة مسيرة التعليم النبوي فكانوا حريصين على ملازمة النبي ﷺ ليلاً ونهاراً، لطلب العلم، بل كان بعضهم يلازم الرسول ملازمة دائمة مثل الصحابي الجليل أبي هريرة.

ومن لم يتمكن من ملازمة الرسول ﷺ كأبي هريرة فقد كان يتناوب مع خليل له على ملازمة الرسول ﷺ والسماع منه، والتعلم حرصاً على ألا يضيع شيء مما أمر الرسول ﷺ بتبليغه للمؤمنين.

وإذا انتقلنا إلى التعليم في عصر الصحابة نجد أن المسيرة من لدن رسول الله ﷺ إلى عهد الصحابة تسير على نسق واحد، لكن لما توسع الصحابة ﷺ في فتح البلدان، شرقاً وغرباً، ودخل في الإسلام أمم لا عهد

---

(١) التعليم وإشكالية التنمية، سبق ص٥٧، ٥٨ مختصراً.

(٢) مقدمة ابن خلدون، أبو زيد عبدالرحمن بن محمد بن خلدون، تحقيق درويش الجويدي، بيروت المكتبة العصرية، والدار النموذجية، ط٢، عام ١٩٩٦ م، ص٥٨٤ وما بعدها.

لها باللغة العربية كان من الواجب على هذه الأمم تعلم من العربية يمكنهم من قراءة القرآن الكريم في الصلاة، وفهم الخطاب الشرعي، وما تضمنه من أمر ونهي، وأصبح اللسان العربي يكتسب بطريق التعلم والتعليم، بعد أن كان سليقة في المسلم العربي آنذاك، وتعددت أماكن المعرفة والعلم، ومن ذلك المسجد وهو أول مكان سنه النبي مكاناً للتعليم كما هو مكان للعبادة وهذه السنة الحميدة الحسنة كان لها أثر عظيم في الأجيال الإسلامية[1]، حيث «إن المسلمين في عصرهم الأول توسعوا في فهم مهمة المسجد، فاتخذوه مكاناً للعبادة ومعهداً للتعليم»[2].

وأما أسلوب التعليم ونطاقه في المسجد، فهو أن يجلس الشيخ غالباً ما يكون بجانب أسطوانة في المسجد، ويتحلق الطلبة من حوله، فيلقي الشيخ درسه إما حفظاً أو من كتاب ويعقبه بالشرح، والتفسير، والتوضيح، لما فيه من غموض أو التباس، ويدون الطلبة ذلك كلّه أو بعضاً منه، وبمرور الزمن، وكثرة الصبيان وعجز الآباء عن أداء مهمة التعليم الأولى لسبب أو لآخر، رأى أولو النهي ضرورة الاهتمام بتعليم الصبيان القراءة والكتابة، وتحفيظ القرآن الكريم، فتم تحديد موضع معيَّن لذلك، واشتق له اسم من وظيفته الأساس فسمي بالكُتّاب ويجمع على كتاتيب، ولذلك فـ«الكُتّاب موضع تعليم الكتاب»[3].

وما سبق يسمى بالكُتّاب العمومي، الذي يتعلم فيه عموم أبناء المسلمين؛ أما هناك الكُتّاب القصوري، وهو موضع لتعليم أبناء الخلفاء والأمراء وصبيانهم، فهو كُتّاب قصوري، مقصور على فئة معينة من الصبيان، وسبب اتخاذ هذا النوع من الكُتّاب حرص الخلفاء والأمراء على تعليم صبيانهم وتأديبهم وتربيتهم، حتى لا يفوتون عليهم هذه المرحلة

---

(1) التعليم وإشكالية التنمية، سبق ص٥٧، ٥٨ مختصراً.

(2) التربية الإسلامية نظمها، فلسفتها، تاريخها، أحمد شلبي، مصر، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٨م، ط٦، ص١٠٢.

(3) لسان العرب، سبق، ٤٢٥/٢.

المهمة في التعليم، ويسمى المشرف على هذا الكُتاب باسم المؤدب، أما الكُتاب العمومي فيطلق على القائم عليه باسم (معلم الصبيان).

وهناك مكان آخر يسمى بمنازل العلماء فعلى الرغم من وفرة المساجد وانتشارها وكثرة الكتاتيب وشيوعها، فإن قلة من العلماء اتخذوا منازلهم موضعاً لنشر العلم وتعليمه، وهذه القلة سببها: أن الله تعالى جعل البيوت سكناً وموضعاً للاستراحة كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾﴾[1].

غير أنه يبقى أن «أفضل مواضع التدريس هو المسجد، لأن الجلوس للتدريس إنما فائدته أن تظهر به سنة أو تخمد به بدعة، أو يتعلم به حكماً من أحكام الله تعالى، والمسجد يحصل فيه هذا الغرض متوافراً، لأنه موضع لاجتماع الناس رفيعهم ووضيعهم، وعالمهم وجاهلهم بخلاف البيت فإنه محجور على الناس إلا من أبيح له، والبيوت تحترم وتهاب حتى لو أبيحت للجميع»[2]، ومن أماكن المعرفة كذلك حوانيت الوراقين والعلماء، حيث كان الوراقون يقومون بعملية مهمة في نشر العلم والمعرفة والتعليم وهي «الانتساخ والتصحيح والتجليد وسائر الأمور الكتبية والدواوين»[3]. ولا شك أن تصحيح الكتب وانتساخها ثم تقديمها وعرضها للراغبين فيها مساهمة ذات أهمية كبيرة في تنمية مسيرة العلم والتعليم، زد على ذلك أن الوراقين أنفسهم كانوا من كبار العلماء في الغالب، ثم إنَّ حوانيت الوراقين لم تكن مجرد دكاكين لبيع الكتب كما هو حال معظم المكتبات التجارية اليوم، بل كانت موضعاً للتعليم أيضاً حيث إنها كانت ملتقى مفتوحاً ومجلساً محبباً

---

(١) سورة النحل، آية: ٨٠.

(٢) التربية الإسلامية، سبق، ص٨٧.

(٣) مقدمة ابن خلدون، مرجع سابق، ص٣٩٢، وقد أفرد ابن خلدون الفصل (الحادي والعشرون) من مقدمته للحديث عن صناعة الورا¨، وما لها من أثر كبير في انتشار العلوم والمعارف.

للعلماء، والمطالعة فيها ليلاً، لما حوته من كتب ومصادر لا توجد في غيرها من أشهر هؤلاء الأديب الضارب في كل فن بطرف عمرو بن بحر الجاحظ[1]، صاحب التصانيف المختلفة والمشاركات المتنوعة.

كذلك من دور نشر المعرفة ـ المكتبات ـ فقد اهتم العلماء بجمع الكتب، سواء أكان ذلك عن طريق الابتياع من الوراقين والنُسّاخ الذين كانوا بمثابة دور النشر، والمطابع الحديثة، أم عن طريق تقييد ما يسمعونه في مجالس العلم ومواضع التعليم المختلفة.

ولما لم يكن من اليسير على الطلبة كلهم استخدام هذه المكتبات، فقد أُنشِئت مكتبات عمومية، بحيث يتمكن الجميع من استخدامها، وهذه المكتبات غالباً ما تكون تابعة للمساجد، أو المدارس، ووقفاً عليها فلا يكاد يخلو مسجد من مكتبة تابعة له، هذه هي أهم مواضع نشر المعرفة، والتعليم، والتعلم، وهي أكثر من ذلك حيث كانت البادية في وقت ما كانت إحدى مواضع التعليم المهمة بالنسبة للغة العربية، وذلك أثناء اختلاط العرب بالعجم وما تبعه من فساد اللسان العربي فلم يكن أمام من أراد أن يكون منطقه سليماً إلا الذهاب إلى البادية لسلامة لسان أهلها من العجمة وقد اتخذها موضعاً للتعليم أئمة أعلام مثل الإمام الشافعي[2]، الخليل بن أحمد الفراهيدي[3]، والكسائي[4].

---

(١) الجاحظ هو أبو عثمان عمرو بن بحر محبوب الكناني البصري، أديب عربي، من أكابر أئمة الأدب في العصر العباسي، توفي ٢٥٥ هـ. انظر: تاريخ بغداد ٢١٢/٤.

(٢) هو الإمام محمد بن إدريس بن العباس الهاشمي القرشي، أبو عبدالله أحد أئمة أهل السنة والجماعة، ولد في غزة سنة ١٥٠هـ، أفتى وهو ابن عشرين سنة، له مصنفات الأم، الرسالة ينظر: سير أعلام النبلاء ٥/١٠، وتهذيب التهذيب ٢٥/٩، الأعلام ٢٦/٦.

(٣) هو الخليل بن أحمد بن تميم الفراهيدي الأزدي من أئمة الأدب ومن أذكياء العرب، واضع علم العروض، ولد بالبصرة سنة ١٠٠هـ، وتوفي بها عام ١٧٠هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء ٤٢٩/٧، والأعلام ٤١٣/٢.

(٤) الكسائي، علي بن حمزة بن عبدالله الكوفي، أبو الحسن، إمام في اللغة، والنحو، والقراءة، توفي ١٨٩ (الأعلام، للزركلي ٢٨٣/٤).

○ الفرع الثاني: توظيف المعرفة الوافدة:

عندما يحصل الإنسان على المعرفة، وترتقي علومه في مجال ما، فإن المطلوب منه أن يعمل بما علم مستمراً كل ما توصل إليه من علم في تنمية مقومات الحياة - وفق اختصاصه - في مجتمعه، بما يحقق أمنه ورخاءه، ورفاهيته، ويبني له مكانة لائقة بين أمم الأرض، ولا جدوى من علم مهما ارتقى إذا لم يوظف لتحقيق خيرية الحياة والأحياء[1]، وأن ما خلّفه لنا علماء سلفنا الصالح، من علوم ومصنفات، في شتى العلوم والفنون، ما هو إلا توظيف لهذه العلوم والمعارف، في تطوير النواحي الإيجابية القويمة للحياة، حتى وصل توظيف العلم والمعرفة بالإنسان في زمننا الحاضر إلى أنه جعل الحياة أكثر أمناً وطمأنينة، عما تركه الأئمة العظام أمثال الإمام أبي حنيفة[2]، والإمام مالك[3]، والإمام الشافعي، والإمام أحمد[4]، لهو أعظم شاهد على هذا التوظيف المعرفي الذي ظلّ وسيظل حيًا بيننا منيراً لنا ضروب الحياة بأسرها إلى أن تقوم الساعة وفي المقابل هناك من وظّف العلم والمعرفة لإفساد مقومات الحياة، وهذا ما يرفضه كل إنسان سوي سليم، الإسلام يجزي العالم بما عمل به في علمه من ناحية، والنبي ﷺ يؤاخذ المسلم على عدم العمل بعلمه أو توظيف العلم في الاتجاهات السلبية من ناحية ثانية ولهذا حذر النبي ﷺ من علم لا ينفع ولا يوظف ولهذا كان

---

(١) النبي العربي، سبق ص٣٣٩.

(٢) هو النعمان بن ثابت، أحد الأئمة الأربعة، ولد بالكوفة سنة ٨٠هـ وبها نشأ وطلب العلم، توفي ببغداد سنة ١٥٠هـ ألف في ترجمته مؤلفات عدة، ينظر: سير أعلام النبلاء (٦/٣٩٠).

(٣) مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي، أبو عبدالله المدني، الفقيه إمام دار الهجرة، ولد سنة ٩٣هـ وتوفي سنة ١٧٩هـ، انظر: التقريب ٥١٦ برقم ٦٤٢٥.

(٤) هو الإمام أحمد بن محمد الشيباني، أبو عبدالله، ولد سنة ١٦٤هـ، من أئمة أهل السنة والجماعة، ونصر الله ﷻ به الحق يوم فتنة خلق القرآن، توفي سنة ٢٤١هـ (انظر: سير أعلام النبلاء ١١/١٧٧).

من دعائه ﷺ: «اللهمّ إني أعوذ بك من علم لا ينفع»[1].

وقوله كذلك: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه ما فعل فيه وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه»[2].

○ الفرع الثالث: تنمية لغة المعرفة الذاتية:

مما لا يخفى على عاقل أن اللغة وعاء المعرفة، يحفظ عطاء الأمة المعرفي، ويضم كل جديد، ليتم تمريره لأجيال الأمة المتتابعة جيلاً بعد جيل، فتتواصل الأجيال عبر نتاج فكرها، لذلك تولي أمم الأرض تنمية لغتها باستمرار لتستوعب كل المستجدات، وتفاعل اللغة مع المعرفة تبادلي العطاء، فالمعرفة تزيد من قدرات اللغة الاستيعابية بما ترفدها به من مستجدات، واللغة تيسّر استيعاب المعرفة التي تتم بها، لكون هذه اللغة العربية الأصيلة هي لغة وأداة التواصل بين المعلم والمتعلّم.

وهذه اللغة العربية الرصينة الجميلة المطواعة نهضت بنهضة الأمة إثر نزول دستورها الخالد «القرآن الكريم» وأخذت تستوعب كل عطاء حضاري، وإنجاز علمي ومعرفي، عندما كنا وبالإسلام انطلقت من الإقليمية الضيقة إلى العالمية الواسعة، ومن محدودية المضمون إلى سعته.

ويقول الأستاذ/ أنور الجندي نقلاً عن أحد الغربيين وهو «أرنست رينان» يقول: من أغرب ما وقع في تاريخ البشر وصعب حل سره هو انتشار اللغة العربية، لقد كانت هذه اللغة غير معروفة، فبرزت فجأة في غاية الكمال، لغة سلسة أي سلاسة، غنية أي غنى، كاملة أي كمال، بحيث لم يدخل عليها حتى يومنا هذا أي تعديل مهم، ليس لها طفولة، أو شيخوخة،

---

(1) خرجه مسلم، كتاب الدعوات، باب التعوذ من شر ما عمل، برقم ٦٧٧٥ من حديث زيد بن أرقم ﷺ.

(2) خرجه الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب في القيامة، برقم ٢٤١٦، قال: وهو حديث حسن صحيح.

وإنما شباب فقط بحيث ظهرت تامة محكمة، لم يمض على فتح المسلمين للأندلس أكثر من خمسين عاماً، حتى اضطر رجال الكنيسة أن يترجموا صلواتهم إلى اللغة العربية حتى يفهمها النصارى، ومن أغرب المدهشات أن تنبت هذه اللغة وتصل إلى درجة الكمال وسط الصحارى لدى أمة من الرُّحل، تلك اللغة العربية التي فاقت أخواتها، بكمال مفرداتها، ودقة معانيها، وحسن تنظيمها[1].

والواضح أن «أرنست رينان» جهل أن الفضل في ذلك كله راجع إلى الرسالة الإسلامية وبصفة خاصة إلى القرآن الكريم، وهنا يقول الأستاذ/ مصطفى صادق الرافعي[2] كما نقل عنه الأستاذ / أنور الجندي[3] يقول: إن العربية لغة دين قائم، على أصل خالد هو القرآن الكريم، فأصبحت لغة دين، ولغة أمة ولغة عبادة، ولغة فكر وعلم وثقافة[4] أما اليوم كما يقول الدكتور/ أحمد رجب الأسمر: «قد أصبحت أسرى الإرساليات الثقافية الوافدة الحاقدة المعادية، فنجد من لا يتورعون عن القول «العربية غير قادرة على استيعاب الإنجاز العلمي والحضاري»، والعيب ـ لو أنصفوا ـ فيهم لا فيها، وهم بذلك يحققون أهداف الحملة ضد أمتهم، حيث لم يبق من مجال تواصل بين الأمة سوى اللغة العربية الأصيلة، إن تنمية لغة المعرفة تحتاج إلى وعي طليق غير مأسور، وفكر قحّام غير متردد ولا وجل، فالأمر

(١) صفحات مضيئة من تاريخ الإسلام، أنور الجندي، تونس، دار سلامة، عام ١٩٨٣م، ط٢، ص٩١ ـ ٩٢.

(٢) هو: مصطفى صادق الرافعي، ولد في يناير سنة ١٨٨٠، بلغ مكانة عالية في الأدب، من مؤلفاته: السحاب الأحمر، حديث القمر، وحي القلم، توفي عام ١٩٧٣، الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) الالكترونية.

(٣) هو أنور الجندي، ولد عام ١٩١٧، بقرية ديروط التابعة لمركز أسيوط بصعيد مصر، أسهم بالكتابة الأدبية في مرحلة مبكرة في مجلة أبولو الأدبية، صنف ما يربو من مائتي كتاب وأكثر من ثلاثمائة رسالة في مختلف قضايا المعرفة والثقافة الإسلامية، توفي سنة ٢٠٠٢م، انظر: الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) الالكترونية.

(٤) المرجع السابق، ص٥٩.

جد ويجب أن نجد، ويسدد عمر رمي قوم بالسهام فيتكلم أحدهم فيلحن، فيقول سيدنا عمر ﷺ: (والله لخطأكم في لسانكم، أشد علي من خطئكم في رميكم)[1].

* * *

المطلب الثاني
الارتقاء الذاتي

تؤكد التربية في أي بلد على بناء مواطن لديه اعتزاز بذاته وثقة بنفسه، ومثل هذا الإنسان هو الذي يقدّم خيراً لمجتمعه، يتخذ مواقفه في الحياة بحكمة وموضوعية، يُقْدِم ولا يحجم، ويمضي ولا يتردد، متى اقتنع بخيرية الموقف وصوابيته، لا يتردد فالتردد مضياع للفرص التي تمر مرَّ السحاب، ولا يشكو فالشكوى إعلان عن الضعف والقصور وعدم الاستقرار، يؤول إلى إصابة العزائم والعقول والهمم بالشلل، أما الواثق بنفسه المعتز بذاته فلا يتردد ولا يشكو إذا تبين له الحق والعدل والخير، فالذين يرتقون بمجتمعاتهم فعلاً، هم الذين يعملون ولا يشكون، ويفكرون ولا يتذمرون، وينطلقون ولا يتوقفون حتى بلوغ الهدف وتحقيق الغاية.

«وما من إنسان سويّ يولد بلا إرادة، ولكن نوعية التربية هي التي تعزز إرادته وثقته بنفسه واعتزازه بذاته أو تسلبها، والإنسان السوي لا يقبل - بفطرته - أن يكون هملاً في مجتمعه، لا رأي له ولا تأثير فيما يدور حوله أو ما يُبْرم من أمره، وإنما يود أن تكون له مكانته في مجتمعه، وأن يعيش فيه مقدَّر الفكر، موفور الكرامة، يُحترم رأيه ويقدر فكره ويعرف مكانه، وينتفع بوجوده فقد أصبح كل إنسان يودّ أن يكون له رأيه فيها - حسب

---

(١) النبي المربي، سبق، ص٣٢٤ والأثر: انظر: التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي ٢ /٦٠.

موقعه ـ سواء أكان ذلك مباشرة أو عن طريق ممثليه، الأمر الذي يشعره بثقته بنفسه ووجوده واعتزازه بذاته وكفاياته وقدراته.

والتربية السياسية تعمل في الاتجاهين: يأخذ سلطات القرار بالاهتمام باستقطاب أفكار الناس ورؤاهم، وأخذ كل مواطن بممارسة حقه والقيام بواجبه، مما يجعل كل موقف من الفئتين يصدر عن فهم وينطلق من علم، ويتوخّى الأمانة والنزاهة والإخلاص، ويستهدف الصلاح والإصلاح.

وإذا تحققت للفرد هذه التربية السياسية الموضوعية، ومارس حقوقه وواجباته السياسية بعقلانية، تبلورت شخصيته الإيجابية التي يعتز بها، فيشعر بذاته ويحترم نفسه، ويقدر مواهبه وملكاته وقدراته، ويضعها حيث يجب أن تكون، بكامل حريته، ولا شك أن أي أمة تنشد تقدمها، في حاجة إلى هذه النوعية من الأحرار، الذين يدافعون عن حقوقهم، وينهضون بواجباتهم، يتنافسون في الفضائل ويسارعون في الخيرات لقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾[١].

أما أولئك الذين يسيرون مع كل تيار، ويلتحفون كل دثار، لا رأي لهم ولا موقف ولا مبدأ، فهم كم ملغى من أي مجتمع، لا يحقون حقًا ولا يبطلون باطلاً»[٢].

لذا فإننا في حاجة إلى تحقيق الذات الناضجة وهذا يتطلب عمل كل فرد وفق احتياجاته، وهذا الجانب يمثل البعد السيكولوجي (النفسي) لعملية التعلم الذاتي، لأنها تتضمن تحديد الفرد لقدراته وإعمال فهمه، وتوجيه ذاته، وأن وراء كل سلوك إنساني حاجة، ينشأ عن توفرها وانعدام توازنها هدف، هذا الهدف يتطلب منا نشاطاً، فإذا تحقق هذا النشاط انخفض التوتر ثم إشباع الحاجة، لأن داخل النفس الإنسانية، طموح وتطلعات وميول وقيم

---

(١) سورة الأنبياء، آ: ٩٠.

(٢) النبي المربي، سبق، ص٣٥٨ ـ ٣٦٠.

كلها ولا شك أنماط سلوكية، وأسلوب حياة الإنسان ما هو إلا نهج سلوكي متعلم، سواء كان في التعلم الذاتي، أو في التوجيه الذاتي، أو التنمية الذاتية، والسلوك الإنساني ضرب من الفعل، والعمل، والنشاط، يعمل في حركة دؤوب وتغير مستمر، والحاجة التي تبعث على التعلم الذاتي، هي نفس الحاجة إلى تأكيد وجود الذات وتحقيقها، ولذا نلمس هذا المنهج في أمر النبي ﷺ للأسرى بتعليم المسلمين القراءة والكتابة، وذلك لتحقيق الارتقاء الذاتي للمسلم، وكذا أراد النبي ﷺ للصحابي أن يتعلم لغة يهود وهو أيضاً نوع من الارتقاء الذاتي.

وبالنظر إلى الواقع نلمس أنه من الصعوبة بمكان أن يصل الإنسان إلى الارتقاء الذاتي المنشود إلا بعد تحقيق حقيقة هامة وهي أنه لا يصل المرء إلى الارتقاء الذاتي وهو لا يدرك أهمية وحقيقة التعلم!!! من أجل ذلك نحن في حاجة ماسة لبناء وتعزيز السلسلة المنتظمة من الدوافع الذاتية في النفوس، وكذلك كي يتحقق الارتقاء الذاتي، فلا بد من تحقيق الأسباب التالية:

١ - ضرورة التعريف بفضل العلم وأنه عبادة من أفضل العبادات التي يتقرب بها العبد إلى الله.

الاطلاع على سير الناجحين في الحياة ودور العلم في هذا النجاح.

استعراض النماذج السلبية وبيان أثر غياب العلم عليها.

تعزيز الإيجابية نحو التعلم.

العمل على كشف وتوصيف المواهب الخاصة، والتأكيد على ضرورة تنمية المواهب.

الأخذ بأسباب تنمية الدافعية نحو التعلم.

كما أن من تمام تحقيق الارتقاء الذاتي أن ينفتح الإنسان على عالمه الجديد فيأخذ بكل تقنية معاصرة ليرقى بذاته إلى القرب من الكمال الإنساني، بالقراءة، ومواكبة كل جديد.

وهنا يلفت الدكتور/ الفقي النظر إلى ضرورة القراءة في مجال التخصص فيقول حفظه الله: «اقرأ في مجالك أو المجالات التي تفضلها تشعر أنها من الممكن أن تساعدك في عملية النمو الإيجابي، والتقدم المتزن الذي تريده في حياتك، اقرأ يوميًا على الأقل عشرين دقيقة، وسترى بنفسك الفرق الكبير الذي ستجده في أسلوب تفكيرك وسلوكك»[1]، إذ أن ديننا هو دين اقرأ، والعجب أن تكون كذلك، ونحن في ذيل قائمة الأمم، لأننا تخلينا عن غذاء عقولنا فأصبحت عقولنا فارغة، فصار الرأس مستجيباً لكل ما يأتي إليه من مدمرات وشهوات، ونحن هنا نبين ما للقراءة من أثر كبير في تنمية وبناء الإنسان والله أعلم.

١ ـ القراءة تنمي لدى الإنسان قوة التفكير:

يواصل الدكتور الفقي الحديث بسؤال يقول: لو أحسست بالجوع ووجدت أمامك ثلاثة خيارات، الأول طعام من بيت العائلة، والثاني من فندق خمسة نجوم، والثالث من سلة المهملات، ماذا يكون اختيارك؟عندما أسأل هذا السؤال في أمسياتي ودوراتي حول العالم لم أجد من قال: «والله أنا أفضل الأكل من سلة الفضلات والمهملات!» بل على العكس البعض اختار طعام البيت والبعض الآخر اختار طعام الفندق، لماذا؟ لأن كلاً منا حريص على حياته فلن يختار أي شيء يؤثر على بقائه أو على حياته. . . أليس كذلك؟لو كان ذلك فعلاً صحيحاً، ولو كان الإنسان حريصاً ألا يضع في جسمه شيئاً يؤذ ، فلماذا إذن يضع في ذهنه أفكاراً قد تؤثر على كل أر ن حياته بما في ذلك صحته النفسية والجسمانية؟ لماذا يضع غذاءً فكريًا في ذهنه من سلة المهملات؟ ويرجع ذلك إلى البرمجة السابقة التي تبرمجنا بها من الوالدين، ثم من المحيط العائلي، ثم المحيط الاجتماعي، ثم المدرسة، ثم الأصدقاء، ثم وسائل الإعلام، وبذلك لم يكن لنا في الحقيقة اختيار لأسلوب تفكيرنا ولا برمجتنا، لذلك قد حان الوقت كلما نختار

(١) قوة التفكير، سبق، ص١٧.

أفكارنا كما نختار الطعام الذي نأكله والثياب التي نلبسها، ولكي يحدث ذلك يجب أن نتوكل على الله ﷺ، ثم نبدأ بمعرفة كل ما نستطيع أن نعرفه من الأفكار وقوتها، لأن المعرفة قوة، وقد فرّق الله ﷺ بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون في كتابه الكريم ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1].

٢ ـ القراءة تنمي في الإنسان الثقة في النفس:

فالإنسان مدني بطبعه، يحب الاختلاط بالمجتمع، والغوص في تحليلات أمورهم ومشاكلهم، من خلال المعايشات اليومية مع البيت، والشارع، والمدرسة، والأصدقاء، ووسائل الإعلام...إلخ، فتخيل نفسك وأنت تجلس جلسة رفاق ودار الحديث حول موضوع ليس عندك فيه أية خلفية البتة، ثم دار النقاش وطلب منك إ. اء الرأي مما لا شك أنك تعرض رأيك بصورة هزيلة، لأن الأساس كذلك، ولا شك في المقابل لو دار الحوار في موضوع أنت تجيد الحديث فيه وطُلب منك الرأي لا شك أنك ستعرض الموضوع من أساسه وفروعه وجزئياته حتى لو عارضك أحد، تكافح وتنافح من أجل الانتصار لرأيك، وما ذهبت إليه، وهنا تظهر ثمرة الثقة بالنفس واضحة جلية في إدارة الحوار والتعبير عن الذات، في ثقة واقتدار، وعلى ذلك فالقراءة تمنح الإنسان قوة في العرض، والوصول إلى تحديد الهدف وبسرعة، وهي سبيل جيد لنماء الحوار، وتجديد الفكر، القراءة مفتاح للتفكير الإيجابي، القراءة تقوي التقدير الذاتي، وتعيد بناة الإنسان من جديد، القراءة لها دور كبير في التأثير على الصورة الذاتية، ومن ثَمّ القدرة على التغير.

٣ ـ القراءة ثورة على الجهل:

مشكلتنا في بلادنا العربية أننا لا نقرأ، إنسان لا يقرأ، لا ينمو، و

---

(١) سورة الزمر، آية: ٩.

دام لا ينمو يعني أنه آلة خاملة في المجتمع، بل يعد من معوقات التنمية، كثير من شبابنا الآن الذين يتخرجون من الجامعات، لا يقرؤون شيئاً البتة في تخصصاتهم، فانخفض فينا داعي الإبداع والابتكار، حيث المكث على المعطيات القديمة، إذا لم تدعمه مدخلات جديدة يصاب الإنسان بالتلف الفكري - إن صح التعبير -، لذلك فإننا نرى الآن ركودًا في الفكر ليس له نظير، وأداء تقليدي بأسلوب بالٍ، أكل عليه الدهر وشرب، فنحن في حاجة ماسة كي نقرأ، لنحيي أمة اقرأ من جديد، ومن وسائل الارتقاء الذاتي كما يقول الدكتور/ الفقي سماع الأشرطة بنوعيها السمعية والبصرية، أما الأشرطة السمعية فيقول: إذا كنت تفضل السمع على القراءة مثل بعض الناس، فاستمع إلى أشرطة في التنمية البشرية، والأشرطة السمعية متوفرة بكثرة وبلغات مختلفة، وفي رأيي الشخصي من الأفضل أن تقرأ، وأيضا تسمع إلى الأشرطة، لأنك بذلك تقوي حواسك وتملأ حياتك بالأفكار الإيجابية، من الأماكن المفضلة لسماع الأشرطة هي السيارة، لأنك بذلك تستغل هذا الوقت أيضاً في السواقة، وتحول سيارتك إلى جامعة متنقلة[1].

وأما الأشرطة البصرية: فهناك من يفضل الأشرطة البصرية، لكي يرى بنفسه الكاتب أو المدرب فيشعر أنه معه شخصيًا فتكون إفادته أكبر، والأشخاص الذين يمثلون حياتهم بنظام تمثيلي بصري يفضلون أن يروا الشيء على أن يسمعوه أو يقرؤوا عنه[2]، ونختم الحديث هنا بالحديث عن دور المكتبة في التنمية، حيث تلعب دوراً هامًا في المجتمعات المعاصرة، لما تقدمه من معلومات ودراسات وأبحاث تخدم قضايا المجتمع في كافة جوانبه الاجتماعيه والثقافية والاقتصادية وغيرها، ومن هذا المنطلق، عملت الدول المتقدمة على إثراء هذا الكيان الهام، بما يخدم أهداف الأمة، واليوم نجد المكتبة المتخصصة في كل فرع من فروع المعرفة، تقوم بحوثها ودراساتها على عاتق المكتبة المتخصصة، ونجد الباحثين في مختلف

---

(١) قوة التفكير، سبق، ص٣٧٦.

(٢) نفسه، ٣٧٧.

التخصصات يقضون الساعات الطويلة داخل أركان المكتبة عن العلم والمعرفة من أجل النهوض والوصول بمشروعاتهم المختلفة إلى الطريق الصحيح.

إن المكتبة المتخصصة، هي الركيزة الأساسية في مشروعات التنمية الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، وأنها الوسيلة الوحيدة التي يسير من خلالها البحث العلمي الصحيح، حيث المعلومات السليمة والحديثة.

إن مشكلة تفجر المعلومات، أصبحت ظاهرة في المجتمع الدولي بشكل عام وذلك نتيجة للتدفق المستمر والمتزايد للمعلومات بأوعيتها وأشكالها المختلفة، فضلاً عن التطورات التكنولوجية لوسائل الاتصال، وظهور استخدامات جديدة للحاسبات الالكترونية، وأجهزة الميكروفيلم في مجال تخزين المعلومات.

إن حاجة الباحثين إلى المعلومات التي تتطلبها مشروعات التنمية والتخطيط، لهي من أهم مقومات المكتبة المتخصصة، ومراكز المعلومات، بما تقدمه من معلومات وأبحاث، تعتمد اعتماداً كليًا على الأساليب العلمية الحديثة، إن المكتبة المتخصصة هي روح البحث العلمي المتطور الذي يدفع بمشروعات التنمية نحو التقدم والازدهار[1].



المطلب الثالث
الانفتاح المعرفي ووسائله

كم من العلماء أبدع علماً منذ بدأت الحياة على الأرض؟ لا يستطيع أحد إحصاءهم على مستوى البلدة الواحدة، أو المنطقة الواحدة، فكيف

(١) المكتبات المتخصصة ودورها في التنمية، سعيد أحمد حسن، قطر، دار الضياء، عام ١٩٨٤ م، ص٢١ وما بعدها مختصراً.

بكل مكان على الأرض؟ وكل من اللاحقين بنى على ما أبدع السابقون، ولم يبدأ من الصفر، ولولا جهود السابقين لما حقق المعاصرون إنجازاً يذكر، لأنه كان عليهم أن يبدأوا من لا شيء، لذلك فإن الإنجاز العلمي المعاصر، بل كل المنجزات الحضارية، ليست ملكاً لأمة من الأمم، وإنما لبني الإنسان جميعاً، فما من أمة إلا وكان لها دور فيها، ولم يكن دور أمتنا بالذات مما يمكن نكرانه أو الاستهانة به، لذلك فإن احتكار المعارف وحجبها عن الآخرين، لا يتوافق مع الحق ولا الخلق الكريم، وإنما يجب أن يكون كل إنجاز مشاعاً بين بني البشر، فيتحقق الإقلاع الحضاري الشمولي المتكامل لبني الإنسان، وإنه لمن سبيل النكوص المعرفي والاستكانة العلمية أن تدّعي أمة بأنها لا تستطيع حيازة المعرفة المتقدمة، فليس هناك حجب كامل على المنجزات العلمية، وحتى بالرغم من الحجر الرسمي على بعض العلوم كالعلوم العسكرية وبخاصة النووية والهيدروجينية والكيماوية والبيولوجية منها، إلا أننا نعلم أن كثيراً من الدول قد اخترقت هذا الحجر وأصبحت قوى نووية، لذلك فإن كل أمة جادة يمكنها ـ ولو بصعوبة ـ الإفادة من كل إنجاز يتم على الأرض، والانفتاح المطلوب قد يكون محليًا بانفتاح العلماء على عطاء وإنجاز بعضهم البعض، وقد يكون خارجيًا بالانفتاح على عطاء الشعوب الأخرى، وهذا ما قام به المسلمون في عصر الترجمة والنقل في العهد العباسي[1]، ولعل أقوى شاهد على هذا الانفتاح المعرفي اهتمام النبي ﷺ بتعلم المسلمين للغات، حيث يقول زيد بن ثابت رضي الله عنه[2]: أمرني رسول الله، فتعلمت له كتاب يهود بالسريانية[3]، إن الاتجاه إلى التخصص الدقيق فالأدق، جعل الاعتماد على مصدر واحد للعلوم ضرباً من الجهالة، فقد عمدتْ دول كاملة إلى تركيز اهتمامها على مجال دقيق كصناعة الساعات أو الالكترونيات أو السيارات، الأمر الذي

(١) النبي العربي، سبق، ص٣٤١، ٣٤٢.

(٢) سبق ترجمته ص٥٥.

(٣) سبق تخريجه ص٥٥.

يوجب على طالبي الإقلاع الحضاري والتطور الصناعي أو الزراعي أن يوسعوا دائرة الانفتاح المعرفي، لا أن يعتمدوا فقط على علوم الأقوياء، الذين خططوا لعدم غناء علوم من سواهم، والله أعلم.

كما أن الانفتاح المعرفي يتطلب تحصيناً حضاريًا للأبناء الذين يزجُّ بهم في مجالات المعرفة المفتوحة، وإقدارهم على التفكير النقدي الذي يمكنهم من تركيز اهتمامهم على ما ينفع شعوبهم، وتلافي ما لا يتلاءم مع اهتماماتها أو ما يضر بها، كما يتطلب الاهتمام بما يمكن توطينه والبناء عليه مما يتعلمونه، ويشحذ روح التحدي الحضاري إثباتاً لكفايتهم.

والناظر المتأمل المدقق للواقع المعاش يجد أن كثيراً من أبنائنا عندما يَصِلون إلى الثانوية العامة، ويحصلون على أعلى الدرجات يظن الآباء أن ولده بهذا المجموع الكبير الذي حصل عليه يكون مؤهلاً للطب مثلاً دون أن ينظر إلى إمكاناته وقدراته، ونظرته للمستقبل إن هذا شيء نتغافله في كثير من الأحيان، ونحن كذلك نخطئ كثيراً إذ نعتبر أبناءنا أقل ذكاء أو موهبة أو تفتحاً من غيرهم، وهم ليسوا كذلك واقعاً، وإنما الظروف التي وضعوا فيها هي التي تدنت بكل مقوماتهم[1].

ويقول سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ[2]: «أدبوا أولادكم وربوهم فإنهم ولدوا في زمان غير زمانكم»[3] نعم إن الزمان قد تغير والمعطيات كذلك تغيرت، لكن يبقى أن يعلم المسلم كيف يتعامل مع واقعه المعاصر الحديث؟ بل ويتفاعل معه ويذوب فيه، خاصة وأن العالم كله الآن عبارة عن قرية صغيرة تشاهدها في التلفاز والانترنت بين يديك، لذا ينبغي على المسلم أن يخرج لـيواجه زمانه بعقلية واعية متحضرة تستوعب كل

---

(١) النبي العربي، سبق، ص٣٤٨.

(٢) هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، أمير المؤمنين، رابع الخلفاء الراشدين، أول من أسلم من الشباب، ولد بمكة، قتل بالكوفة عام ٤٠هـ، انظر: الأعلام ٢٩٥/٤.

(٣) انظر: شرح نهج البلاغة، ص٢٦٨ الحكمة، برقم ١٠٢.

المستجدات ومتطلبات الانفتاح المعرفي الحاصل في هذا العصر.

إن هذا الانفتاح المعرفي ليشمل ما استجد من معارف حديثة تستوجب أن يتعامل معها المسلم من خلال الضوابط الشرعية حتى لا يساء استخدامها والمسلم الواعي اليقظ في هذا الزمان، هو الذي يستطيع أن يتعامل مع المستجدات بالضوابط الشرعية، وكيف يوظف هذه المستجدات، لخدمة دينه ونشر الدعوة الإسلامية في أرجاء الأرض، ومن هذه المستجدات: ١ ـ الإنترنت، ٢ ـ التلفاز٣ ـ الفضائيات؛ وغير ذلك من وسائل الإعلام، وسنتحدث إن شاء الله تعالى عن كلٍّ بشيء من الإيضاح والتفصيل، فنقول وبالله التوفيق والسداد طالبين منه العون والرشاد.

○ الفرع الأول: الإنترنت، ودوره في التنمية:

نتحدث عن هذا الموضوع من خلال عدة نقاط:

١ ـ تعريف الإنترنت. ٢ ـ كيف نشأت شبكة الإنترنت. ٣ ـ وظائف وخدمات الإنترنت وما يقدمه للإنسانية. ٤ ـ محاسنه. ٥ ـ مخاطره.

أولاً: تعريف الإنترنت:

الإنترنت كلمة غير عربية، وهي مصطلح علمي ظهر في أواخر القرن العشرين للميلاد، وأصل الكلمة هي (International Network) شبكة المعلومات الدولية واختصرت في كلمة Internet لتدل على مدلولها ومعناها.

ثانياً: كيف نشأت شبكة الإنترنت؟:

شبكة الإنترنت هي: ثمرة ونتاج ما يعرف بالثورة المعلوماتية والحركة الإعلامية والاتصالية، نشأت الشبكة سنة ١٩٦٩م في الولايات المتحدة الأمريكية، عندما قرر مجموعة من العلماء إقامة نظام حاسوبي داخل وزارة الدفاع الأمريكية لتمكين العسكريين من متابعة عمل الحكومة، ومن تطوير خدماتهم ونشاطاتهم العسكرية، ومِنْ تحسب نشوب الحرب النووية، ولا سيما عند ظهور التهديدات الفردية في إطلاق الصواريخ النووية، والحرب الباردة بين أمريكا والاتحاد السوفيتي.

ثالثاً: وظائف وخدمات الإنترنت:

تتنوع وظائف الإنترنت وخدماتها بتنوع مجالات الحياة الإنسانية، غير أن الهدف العام لكل هذه المجالات هو تيسير الاتصالات وتبادل المعلومات بين الناس، من وظائف وخدمات الإنترنت كما تقول الأستاذة الدكتورة/ شذى سلمان الدركزي:

«١ ـ تيسير الاتصالات وتبادل المعلومات.

٢ ـ توسيع الثقافات وتلاقح الأفكار.

٣ ـ التعليم والبحث والتحقيق والنشر.

٤ ـ بناء قواعد البيانات والفهارس.

٥ ـ إقامة المبادلات التجارية والاقتصادية، وتحويل الأموال.

٦ ـ إقامة الألعاب الفكرية والترفيهية.

٧ ـ إقامة الحوار والمشاورات والمناقشات العلمية والفكرية والاجتماعية والدينية والإعلامية وغيرها.

والحاصل أن الإنترنت أصبح مكتب بريد وسوقاً تجاريًا ومكتبة ومخزن برمجيات ووسيلة تعليم وثقافة وقراءة صحف، ومجلات، ومراكز حوار فكري وعلمي بين الفئات المختلفة من العالم بالنص الكتابي والصوتي والصوري أو ما يسمى بالوسائط المتعددة»[1].

رابعاً: محاسنه:

١ ـ محاسن دعوية إفتائية، ومنها:

- بث القرآن الكريم وبث المحاضرات والندوات.

---

(١) الإنترنت ثروة الثقافة والتعليم، د. شذى سلمان الدركزي، المملكة المتحدة، جامعة درم، مقال، مجلة آفاق الثقافة والتراث، السنة الرابعة، العدد السادس عشر، شوال ١٤١٧هـ، مارس، ١٩٩٧م، ص٣٥.

- توضيح المبادئ الاعتقادية، والأهداف الإسلامية، وأحكام الحلال والحرام، وجملة الفضائل والأخلاق والقيم، وبيان كيفية أداء العبادات والمعاملات الشرعية بلغات مختلفة.

إنشاء مواقع للفتوى مباشرة وتكاليف هذه المواقع الإفتائية بسيطة وزهيدة إذا ما قورنت بالنفقات التي تتحملها مؤسسات الإفتاء والدعوة والإرشاد وفق الطرق القديمة والتقليدية[1].

٢ ـ محاسن علمية وبحثية للإنترنت، ومنها:

- الفهرسة والتصنيف وترتيب الملفات وأبجديات الكتب والمؤلفات وتخزينها في عرض السجلات.
- اختيار الموضوعات والتزود بالمعلومات.
- التعرف على المخطوطات الموجودة في مكتبات العالم، ثم تحقيقها ودراستها.
- تحقيق التعليم الفردي والتكوين الذاتي، أو تحقيق ما يعرف بالتعليم عن بعد[2].

٣ ـ محاسن تجارية واقتصادية، ومنها:

ـ البيع والشراء والرهن، من خلال استخدام شبكة الإنترنت، وعن طريق ما يسمى بالبطاقات المصرفية التي تحول الأموال[3].

---

(١) الإنترنت في خدمة الإسلام، عبدالمنعم حسن الفهري، السعود ، جدة، المحمدي، عام ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ط١، ص١١، ١٢.

(٢) الإنترنت وآفاق البحث العلمي العربي، مفيد الزيدي، جامعة بغداد، كلية الآداب، مجلة الأمن والحياة، العدد ١٩٨، السنة الثامنة عشرة، ذو القعدة ١٤١٩هـ/ فبراير ـ مارس عام١٩٩٩م، ص٥٤٥.

(٣) الإنترنت الشبكة الدولية للمعلومات، فاروق سيد حسين، بيروت، دار الراتب الجامعية، عام ١٩٩٧م، ص٥، ٦.

٤ ـ محاسن ثقافية وحضارية، ومنها:

ـ التواصل مع الشعوب والجماعات متعددة الألوان والأشكال ومتعددة الآراء والأجواء.

٥ ـ محاسن إعلامية وتعبدية ضد العدو ومنها:

أن المعارك والحروب تقوم في السابق إلى الآن على الأسلحة الرشاشة، والدبابات، والمروحيات، والصواريخ، والقذائف وغيرها، أما في العصر الحالي فإنها أصبحت تستند إلى وسائل أخرى أيسر وأهون في تكاليفها المادية، وتتمثل هذه الوسائل مجتمعة بما يسمى ثورة الإعلام والاتصال، وهذه الثورة لا يمكن احتكار جلّها أو أغلبها من قبل جهة معينة، كما كان الحال في احتكار الهيمنة الإعلامية من قِبل اليهود والصهاينة، لكن الاستعمال الحالي للشبكة قد ألغى هيمنة الإعلام اليهودي على العالم وعلى دوائر صنع القرار، وقد ساعد المسلمون في أمريكا على سبيل المثال على توضيح صورتهم ومواقفهم، والمتأمل في نشأة الإنترنت يلاحظ أن من بين أسبابها خدمة أهداف وزارة الدفاع الأمريكية، أي: تحقيق الأهداف العسكرية والقتالية للولايات المتحدة الأمريكية، فإذا كان الأمر كذلك، فلا يعد عجيباً أن تتخذ الدول الإسلامية هذه الشبكة لتحقيق أغراضها العسكرية والقتالية، بل إن ذلك يصبح متعيناً وأكيداً ولازماً، عملاً بالمثلية وتجسيماً لقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾[1].

خامسًا: مخاطر الإنترنت:

تتنوع هذه المخاطر بتنوع المجالات الحياتية للإنسان وميادينها، من هذه المخاطر:

١ ـ مخاطر عقدية وإيمانية للإنترنت منها:

الموقع الذي يعظم البهائية ويقدسها، والذي يدعو إلى العمل بجميع

---

(١) سورة التوبة، آ: ٣٦، انظر: الإنترنت ومقاصد الشريعة وأصولها وقواعدها، أ. د. الدين مختار الخادمي، السعودية، الرياض، مكتبة الرشد، عام ١٤٢٧هـ، ص٦٧.

العقائد والأديان السماوية والأرضية، والاستفادة من كل المذاهب والأفكار والتيارات الصحيحة والفاسدة[1].

والملاحظ أن الهدف من هذا الموقع هو التشكيك في أهم خاصية من خاصيات الإسلام، ألا وهي خاصية الخاتمية والصلاحية.

٢ ـ المخاطر الأخلاقية للإنترنت، ومنها:

- الدعوة والدعاية للمسكرات والمخدرات والمفترات[2].
- إقامة ما يعرف بالمقامرة أو القمار عبر الإنترنت.
- نشر الشذوذ الجنسي، والدعوة إلى الانحراف السلوكي بممارسة الزنا واللواط والسحاق وانتهاك الأعراض والعفة والكرامة، وهتك حجاب الحياء والحشمة والاحترام.
- عرض الأفلام والمشاهد الخليعة، والأجسام العارية، ومظاهر ممارسة الزنا واللواط والسحاق وإتيان البهائم.
- طرح عبارات العشق والمصاحبة واتخاذ الخليل أو الخليلة، والخلوة، والقُبْلة، والتحرش.

٣ ـ المخاطر المالية للإنترنت، ومنها:

- أخذ أموال الناس بالباطل، وذلك من خلال معرفة أرقام الحسابات المصرفية والتصرف فيها بالسحب والتحويل.
- القيام بالسرقات الأدبية والعلمية للأبحاث والدراسات.
- إحداث مواقع للقمار.
- تحطيم وإفساد وتدمير الذاكرات والبرامج والأنظمة، بسبب الهجوم على الشبكات، ونشر الفيروسات.

---

(١) نفسه، ص٧١.

(٢) الإنترنت الشبكة الدولية للمعلومات، سبق، ص٥، ٦.

٤ ـ المخاطر الصحية للإنترنت، ومنها:

- مخاطر على النظر أو البصر، ذلك لأن المسافة الفاصلة بين الجهاز والإنسان لا تزيد على ٣٠ أو ٤٠سم، وهذا يؤثر كثيراً على سلامة البصر في عاجل الأمر وآجله.
- مخاطر على فقرات الظهر وعلى الرقبة والرأس، بسبب كثرة الجلوس على الطاولة.
- ولذلك ينصح المستعمل للإنترنت أن لا يطيل في جلوسه، وأن يجعل أمره في هذا الصدد مراوحة بين الجلوس والقيام والتحرك والمشي.
- التعرض إلى جرعات من الأشعة المنبعثة من الجهاز، ولا سيما إن كانت مدة الجلوس طويلة، وينصح المستخدم بأن لا يطيل الجلوس كما ذكرنا، وبأن يستخدم ما يعرف بالمصفى، وهو المرآة البلورية التي توضع على وجه الشاشة، وينصح كذلك بأن تكون المرآة أصلية ذات جودة عالية، وليست مرآة تقليدية ومغشوشة[1].

والسؤال الآن: كيف نتعامل مع الإنترنت على ضوء المحاسن والمخاطر؟

فالجواب: أن نتعامل معه مع مراعاة الضوابط الشرعية في كل ما يحدث وما يستجد، وذلك بالمحافظة على المقاصد والمصالح المشروعة لنفع العباد في العاجل والآجل ومعاملة الإنترنت وفق قاعدة المصلحة الشرعية معناها: القبول بالاستخدامات والمواقع الحسنة والمفيدة وتشجيعها ودعمها وتطويرها، حتى نحقق المزيد من الخير والنفع والنماء والازدهار لشعوب العالم الإسلامي ولكافة الإنسانية، ومعناها التصدي للجانب السلبي والخطير لاستخداماتها ولمواقعها بإيجاد الصيغ والأساليب والآليات اللازمة

(١) الإنترنت ومقاصد الشريعة، سبق، ص٨٤.

فنيًا ومعرفيًا، شكلاً ومضموناً لاستبعاد ذلك الجانب وإبداله بالذي هو خير ونافع، والله أعلم.

○ الفرع الثاني: وسائل الإعلام، ودورها في التنمية:

إن وسائل الإعلام تعتبر من أهم وسائل الربط بين المرسل والمستقبل، فهي الأداة التي توصل صاحب الرسالة إلى جمهور الناس، ليطلعهم على رسالته، ويوصل إليهم فكرته، ولهذا تنوعت وسائل الإعلام على مدار التاريخ، وتطورت وفقاً لتطور البشر واختلاف إمكاناتهم المادية والعلمية.

ولا يخفى على أحد من المسلمين أهمية وسائل الإعلام في تبليغ الرسالة السماوية التي حملها الإنسان، وكلف بالدعوة إليها، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝﴾[1].

وقد تنوعت وسائل الإعلام في عصرنا تنوعاً كبيراً، ومن أهم تلك الوسائل الحديثة:

١ ـ الصحافة. ٢ ـ الإذاعة. ٣ ـ التلفاز. ٤ ـ الشبكة الالكترونية، وغيرها من وسائل. . .، كما تعددت هذه الوسائل في برامجها وأهدافها بحيث تخصص كثير منها في مجالات محددة، وبث رسائل خاصة بمجموعات بشرية مستقلة، فأصبح من تلك الوسائل ما هو دولي رسمي، ومنها الفردي وغير الرسمي، ومنها ما هو علمي تجريبي، ومنها ما هو ثقافي منوع، ومنها ما هو للتسلية وملء الفراغ، ومنها ما هو خاص بفئة من الناس، نساءً أو رجالاً، أطفالاً أو كباراً، ومنها ما هو أخلاقي، أو غير أخلاقي، ومنها ما هو إسلامي أو غير إسلامي[2]، إن انتشار وسائل

---

(١) فقه الموازنات الدعوية، معالمه وضوابطه، معاذ محمد أبو الفتح البيانوني، الكويت، دار اقرأ للنشر والتوزيع، عام ٢٠٠٦م، ص٤١٠، والآية من سورة آل عمران آ: ١٠٤.

(٢) نفسه، ص٤١٥.

الإعلام في المجتمعات البشرية اليوم له أثر عظيم في التنمية ونمو المجتمعات لذا يصعب الامتناع عنها، لما في ذلك من انقطاع عن أخبار العالم ومستجداته وتطوراً العلمية والثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، بل أصبحت غالب بيوت الناس تحتوي على كل تلك الوسائل أو بعضها.

حتى أصبح النداء بعدم جواز اقتناء هذا الوسائل اليوم مستغرباً، لما فيه من بُعْدٍ عن واقع الناس، ومتطلبات حياتهم المختلفة، وما يترتب على ذلك من حرج كبير حيث يعيش المجتمع عن تلك الوسائل منقطعاً عن المجتمعات البشرية التي أصبحت كأهل قرية واحدة.

وإن كثيراً من التجارب السابقة التي منعت من اقتناء تلك الوسائل كانت لها آثار سلبية على الأسر التي أخذت بالرأي القائل بتحريم اقتنائها، مما جعل بعض من منع من اقتنائها سابقاً يتوجه إلى القول بجواز استخدامها بضوابط شرعية كثيرة، تضمن الحصول على ما في تلك الوسائل من خير، وتدرأ ما فيها من شر، إن تنوع وسائل الاتصال المعاصرة، ووجود وسائل إسلامية خاصة من إذاعات وقنوات ومواقع، مما جعل مجال الاختيار والفائدة واسعاً جدًا، فلم يعد القول بخطورة اقتناء بعض هذه الوسائل اليوم واقعياً، لإمكانية السيطرة عليها بنسبة كبيرة في اختيار المناسب منها، وحجب غير المناسب، ولذلك فإن المسلم في حاجة إلى الوعي العام ثقافيًا وسياسيًا واجتماعيًا وحضاريًا، وخطورة الانغلاق على الذات، والعيش بعيداً عن المجتمع البشري الكبير الذي أصبح مجتمعاً متواصلاً مترابطاً، وهذه الحاجة عظيمة لما للأثر الكبير الذي تخلفه وسائل الإعلام المختلفة في المجتمعات البشرية سلباً أو إيجاباً، مما يجعل المسؤولية على القائمين بالدعوة إلى الله أشد وأكبر، لحاجتهم إلى تبليغ رسالتهم صافية كما بلغها ﷺ وصحابته ﷺ والتابعون من بعدهم والسائرون على طريقهم المستقيم، ولحاجتهم إلى الدفاع عن الشبه والتهم الموجهة للمسلمين، والوقوف على الوسائل التي تشوه الصورة الإسلامية عند بعض المجتمعات البشرية حتى أصبحت هذه الوسائل الإعلامية باباً من أبواب الجهاد في سبيل الله، فمن

طريقها ترفع را- الإسلام، وعن طريقها تواجه الاعتداءات على المسلمين[1].

وعلى الرغم من تعدد وسائل الإعلام، إلا أنها لم تؤد الدور المرتقب فيها لتحقيق التنمية المرجوة في المجتمع، وذلك لغياب المرجعية الإسلامية الصافية، وذلك لاستغلال البشرية باسم الإسلام والمسلمين، وتصدي بعض المشاركين في تلك الوسائل للفتوى، والإرشاد والتوجيه، من غير اعتبار للمؤهلات الشرعية اللازمة لمن تصدى للفتوى والإرشاد والتوجيه وبعد بيان ما سبق من ضرورة استخدام وسائل الإعلام.

والسؤال الآن: ما الأسباب التي تمكّن وسائل الإعلام من تحقيق التنمية في المجتمع؟

الجواب أسباب كثيرة، منها:

ضرورة وأهمية مراعاة الأهلية لمن يشارك في هذه الوسائل، وعدم السماح لغير المؤهلين بالتصدر للفتوى والتوجيه أو الحديث عن الإسلام بوسائل الإعلام على مختلف صورها.

بدلاً من أن تتحول ساحات منابر وسائل الإعلام إلى سباب وشتم في أشخاص، في جماعات، في دول، ينبغي مراعاة الإخوة الإسلامية بين الإعلاميين من جهة وبين الدعاة إلى الله من جهة أخرى والظهور في وسائل الإعلام على أننا أبناء أمة واحدة.

٣ - ينبغي مراعاة أدب الاختلاف، وتعدد الاتجاهات الإسلامية والانصهار في بوتقة الإسلام الكبيرة وفي جماعة الإسلام العظمى.

- مراعاة الضوابط الشرعية، في استخدام وسائل الإعلام، وعدم تجاوز الحدود الشرعية.

ضرورة التعاون والتكاتف بين العاملين في وسائل الإعلام المختلفة.

---

(١) فقه الموازنات الدعوية، سبق، ص٤١٦.

الإخلاص والتجرد في إظهار قضايا الأمة الإسلامية في كل بقاعها، وعدم التأثر بالأهواء والتحمس للأشخاص أو غير ذلك.

لا بد من إعادة النظر في إعداد الإعلاميين في كل المجالات.

إن تحققت هذه الوسائل فإنها ولا شك تعمل على تنمية المجتمع ونمائه وتقدمه والوصول به إلى الطريق المنشود بإذن الله، وإذا كانت هذه الوسائل السابقة الذكر من أبرز وسائل المعرفة في هذا العصر، فإننا يجب علينا ونحن أصحاب دين جاء باقرأ ـ والقراءة رأس المعرفة ـ ألا نكون أتباعاً لإعلام أو فكر جاء من الغرب، وليس كل ما جاء من الغرب مرفوضاً، فلا مانع البتة من الاستفادة مما وصل إليه الغرب من تقنيات معاصرة، وإنما علينا إبراز هويتنا الإسلامية في السياق الإعلامي في أخبارنا، في تحليلاتنا في قضايانا، في نشراتنا، علينا أن نحوز معرفةً من صنعنا نحن، ولدينا في مجتمعاتنا الإسلامية عقول قادرة على صناعة معارف إسلامية من خلال الضوابط الشرعية، ولا سيما بعد أن وضع العلماء العارفون في ظروف أجبرتهم على تسطيح المعرفة، مما يتطلب أن تركز برامج التوعية قبل الابتعاث على الأهداف المتوخاة والغايات المعتمدة، وتشريب الأبناء تزكية روح العمل والجد والمثابرة، وشحذ عقولهم وضمائرهم بالإحساس بالمسؤولية تجاه وطنهم وأمتهم، مما يوطد نفوسهم على استمرار العلم الجاد، والسهر الطويل، واليقظة الدائمة، في الإفادة من المواطن التي يقصدونها.

ولا يخفى أن فقدان الأمة الآن للإتقان قد كلفها الكثير والكثير من مقدراتها، إن تخريج مهندس واحد يحل مشكلة الإسكان، ويتصدى بموضوعية للتحديات التي تواجهها، أفضل من تخريج ألف مهندس، يستهلكون في العمل الروتيني، وهكذا بالنسبة للصناعة والزراعة وغيرهما.

وإتقان المعرفة ذو مردود أوفى بكثير من أي مخصصات تشجيعية تبذل لتحقيقه وربط المكافأة بالجهد المتقن خير وسيلة لدفع الإتقان قُدُماً.

يضاف إلى ذلك تكريم العلماء والمبدعين والمتقنين تكريماً مادياً

وأدبياً، كما أكد الرسول ﷺ ليغدو منارات علم للأجيال المتتابعة، رواد المعرفة المتقدمة، وغير مجهول أن الأمم التي نهضت حضارياً، أولت علماؤها من التقدير، ما جعلهم يبذلون أعلى وأحكم جهد ممكن لنهضة شعوبهم، وما الجوائز الكبيرة التي تخصص للمبدعين إلا نزر يسير من هذا التكريم[1].

وأنه إذا حازت الأمة المعرفة بالعمل الجاد المثمر والتخطيط العلمي الموضوعي لزمها إتقانها والعمل بها ومن ثمَّ نشرها وتوظيفها، وهذا ما سيأتي إن شاء الله تعالى.

إن حيازة المعرفة المتقدمة لا تتحقق بمجرد المنى والأماني، وإنما بالعمل الجاد المثمر البناء، والتفكير الموضوعي الواعي، الذي يقوم على نبذ التفكير العفوي والتخطيط الآني، وإنما اعتماد التخطيط العلمي الموضوعي، طويل الأمد للنهوض العلمي والمعرفي للأجيال، الذي يبنى عليه النهوض الشامل، وأن نستلهم هدي الرسول ﷺ في ذلك من حيث:

السعي لحيازة المعرفة المتقدمة والإنجازات العلمية وتطبيقاتها التقنية من كل مظانها في أي أرض وفي أي موطن، انطلاقاً من قائمة حصرية تحدد هذه الاحتياجات، حسب أولوياتها الملحة.

إفراز العناصر المتميزة بالذكاء والميول والمواهب العلمية والقادرة على الاستيعاب في المجالات المحددة، لابتعاثها للحصول على المعرفة من مواطنها، بعد إخضاعها لبرامج توعية دينية ووطنية مكثفة، وتيسير جميع الظروف التي تحقق لها الإبداع.

عدم التركيز على حصد الشهادات العلمية كهدف رئيس وأساسي، وإنما التركيز على استيعاب المعرفة، والمهارات العالية في التعامل مع تطبيقاتها.

---

(١) النبي العربي، سبق، ٣٤٦.

تنظيم العائدين من هؤلاء في فرق عمل وفق التخطيط المعتمد، للنهوض الشامل والبرمجة المعدة له، وربط هذه الفرق بمراكز البحوث المتخصصة في المجالات التي تخصصوا فيها، لإقدارهم على متابعة كل جديد واستيعابه واستثماره وتوظيفه للارتقاء بالمجالات الموكولة إليهم، وتزويدهم بالإمكانات المادية التي تساند إبداعهم، ثم تأتي المرحلة الثانية بعد حيازة المعرفة، إتقان المعرفة وهذا الإتقان ليس بالأمر اليسير، وقد أكد الرسول ﷺ على إتقان المعرفة والعمل بها.

○ **الفرع الثالث: الفضائيات، ودورها في التنمية:**

قناة الرحمة (نموذجاً)

«الإعلام في حقيقة أمره لا يخدم قطاعاً واحداً، بل يخدم الثقافة ويعمل على تنمية المجتمع، وهو من أكبر الداعمين وأخطرهم للتربية، وذلك من خلال مَدِّنا بالمعلومات والبيانات، وكذلك فهو يعلم الكبير والصغير والمرأة والرجل، على هذا الأساس وثيق الصلة بالتربية، فلم تعد الأسرة والمدرسة هي المؤثر الوحيد في سلوك الأفراد والمجتمعات، فقد أصبح الإعلام قسيماً خطيراً في التوجيه والإرشاد فهو سلاح ذو حدين يستخدم للخير والشر، ويمكن أن يكون أداة شر وهدم، ولخطورة الإعلام أن تعددت وسائله، ومن أخطر هذه الوسائل: الوسائل البصرية السمعية وسميت بذلك لاعتمادها على حاستي السمع والبصر في وقت واحد»[1].

وتتمثل ذلك في التلفاز والفضائيات التي أضحت هي الأخرى قسيماً ثالثاً لا يمكن إغفاله بحال، وقد انتشرت الفضائيات في الآونة الأخيرة وكثرت حتى أصبح الأمر أكثر من أن ينضبط، ومن هذه الفضائيات «قناة

---

(١) التدابير الواقية من انتكاسة المسلم، سارة بنت عبدالرحمن الفارس، السعودية، كنوز أشبيليا، عام ٢٠٠٨ م، ط١، ص٢٢٩ مختصراً.

الرحمة» تأسست هذه القناة عام ٢٠٠٧م، ويتولى الإشراف عليها أحد الدعاة المعاصرين الذين عرفوا بالوسطية والاعتدال، والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة قولاً وواقعاً، إنه فضيلة الشيخ/ محمد حسان، وعلى هذا الفكر قامت قناة الرحمة فكتب الله تعالى لها الأثر والقبول في الأرض، حتى وصلت إلى بلاد الغرب، فكان لها من التأثير في قلوب مشاهديها الشيء الكبير، والمتتبع لهذه القناة يجد أن كل برنامج من برامجها له أثر عظيم وفاعل في تنمية المستمع حسب الموضوع المطروح والمعالج.

لذا نحاول بعون الله تعالى في هذه السطور، إلقاء الضوء على برامج القناة، تهتم القناة اهتماماً كبيراً وخاصًا بنشر العقيدة السليمة الصافية من خلال الوحيين الكتاب والسنة، وبأسلوب معاصر لا لَبْس فيه ولا غُمُوض، بعيداً عن الحشو والخلافات، مما كان لها الأثر الكبير في تنمية الانتماء لهذا الدين وتنمية عقيدة الولاء والبراء في نفس المسلم المعاصر.

كذلك في هذا الجانب تهتم القناة بتقديم العقيدة بأسلوب منهجي رفيع يقبله القاصي والداني دون اختلاف عليه، ومن هذا الجانب أيضاً اهتمام القناة ببث برامج تبين سيرة أمهات المؤمنين، وبيان فضائل الصحابة، ومناقبهم، وذلك لتنمية الاقتداء بهم والتأسي بهم وكما قال الشاعر/ أحمد شوقي:

إذا فاتك التفات من الماضي فقد غاب عنك وجه التأسي[1]

وعلى الجانب الآخر تهتم القناة بجانب التصحيح في العقائد والعبادات والمعاملات فهناك برامج تعالج تصحيح البدعة المستحدثة ومعالجتها والرد عليها بالكتاب والسنة، وكذلك تصحيح ما علق في أذهان الناس، من عبادات خاطئة، ومعاملات مخالفة للكتاب والسنة، يقع فيها كثير من الناس، وتصحيح أعراف درج عليها الناس، منذ أمدٍ بعيد، ومثل هذه البرامج تنمي في الناس حب عقيدتهم، والتمسك بما عليه أسلافهم.

---

(١) من قصيدة سينية لأمير الشعراء، البيت الأخير، رقم القصيدة ٧١٥٤٢، الموسوعة العالمية للشعر العربي.

وكذلك تهتم القناة اهتماماً خاصًا بالقرآن وعلومه ودراساته، فهناك برامج تعالج تصحيح التلاوة، والاتصال بالمشاهدين لسماع قراءاتهم وتصحيحها، والتركيز على التجويد وأحكامه، من خلال استضافة المتخصصين في هذا المجال، وكذلك إبراز الحفاظ الصغار وتقديمهم للمشاهدين، وهم يحفظون كثيراً من متون العلم، وتحفيز الناس على حفظ القرآن، وهذا بدوره ينمي عند الناس حب التعلق بالكتاب حفظاً ودراسة وأحكاماً.

وهناك دراسات قرآنية كثيرة تعالج قضايا القرآن بأسلوب هادئ ورزين والذي ينمي في الناس التعلق بكتاب الله، وما فيه من قصص وعبر، وتوجيهات للبشرية جمعاء في حاجة إليها، ومن ذلك دروس التفسير بالقناة، وهذه الدروس تجلي معاني القرآن، وتخرج للناس درر القرآن وكنوزه، وبيان قدرة القرآن على حل مشاكل البشرية، إن تمسكت به وعملت به وحكمته، كل هذا ينمي في قلب المسلم التمسك بهذا الكتاب، وينمي فيه كذلك الإقبال على الله، وعلى كتابه من جديد.

وتهتم القناة بمشاكل المجتمع، ومعايشتها، وطرح قضاياه من خلال برامج يستضاف فيها المسؤولون، لوضع أنجح الحلول لمشاكل الناس، وهذا بدوره ينمي في نفس المواطن حب بلاده، والارتباط بالمسؤولين، والأخذ على أيدي الجادين منهم الذين يحبون أوطانهم، ويعملون من أجل خدمتها.

كما لا تغفل القناة الجانب العريض من الشباب فهناك برامج للخطباء الصغار، الذي يتبوؤون المنابر مستقبلاً، على اختلاف أعمارهم يحفظون القرآن والأحاديث والمتون العلمية، وهذا بدوره ينمي في نفوس الشباب الصغار حب دينهم وحب الدعوة إلى الله، والإقبال عليه، والظهور للمجتمع بمظهر القدوة، ومثل هذه البرامج لها بعدان:

البعد الأول: إبراز ما في الأمة من خير.

والبعد الثاني: دعوة للشباب الآخرين ممن لم يوفقوا للهداية والطاعة،

أن أقبلوا وعودوا إلى الله من جديد، كما تبرز القناة الإسلام بمفاهيمه الصافية، ومناهجه القويمة من خلال برامج تُفند الشبهات المثارة على الإسلام، والرد عليها بهدوء علمي متقن وبأدب جم مع المخالف، وهذا في حد ذاته يعمق روح الأدب مع المخالفين والآخر، وينمي التواضع كقيمة إسلامية، نحن في حاجة ماسة إلى هذا الخلق الآن، فتنمي هذه البرامج في نفوس المسلمين غياب الأنا والذوبان للدعوة إلى الدين، والأخذ من منابعه الصافية، كما لا تنفك القناة عن الواقع فهناك خطبة الجمعة للشيخ/ محمد حسان التي تعالج أبرز قضايا المجتمع ومعالجتها بالعلم والدليل حيث تؤمن القناة أنه لا ينبغي البتة أن يكون الدعاة إلى الله في جانب، وقضايا الأمة في جانب آخر، بل حديث الساعة لا يُترك ويعالج معالجة علمية دقيقة من خلال نصوص الوحيين من الكتاب والسنة، وهذا أيضاً ينمي في المستمع البحث عن الداعية المعاصر الذي يعيش بروح عصره، وواقعه، ويعمل على حل مشاكله بأسلوب مهذب علمي.

ولم تنس القناة الأطفال، فهناك برامج الترفيه والسلوك للأطفال حيث تركز القناة على السلوكيات الهامة مثل: غرس وتنمية القيم في نفوس الأطفال بأسلوب مناسب لعقولهم.

وكذلك لا يخفى دور الإفتاء في الإسلام وخطورته، وكيف أن المفتي موقع عن الله ورسوله، ودأبت قناة الرحمة على تقديم برامج للفتوى، وأسندت ذلك لعلماء مؤهلين لذلك يفتون الناس بالأدلة الشرعية وأقوال الفقهاء ويردون الناس إلى مواطن الحق والعدل والهدى.

وكذلك برامج تعالج الآداب الإسلامية لغرسها وتنميتها في قلوب المشاهدين تعديلاً لسلوكياتهم.

وتبرز القناة كذلك الحديث عن السنة النبوية في صدارة برامجها بقسميها، القسم الأول: الحديث عن السنة، والرد على الشبهات المثارة حولها بأسلوب مؤدب بعيداً عن المهاترات، والقسم الثاني: إبراز الجانب الإعجازي العلمي في القرآن والسنة من خلال برامج لمتخصصين في ذلك،

وهذا بدوره أيضاً ينمي ويُعمق الإيمان بالسنة.

وكذلك البرامج الحوار- المهمة التي تنمي روح الحوار المهذب الهادف المتميز، وتعمل القناة على تنمية المعنى الديني في نفوس المسلمين.

وكذلك تعمل على تنمية الثقافة الصحية، والحفاظ على بنية المسلم الجسدية والروحية والعقلية من خلال برامج لأطباء مهرة يطالعون كل جديد في تخصصاتهم.

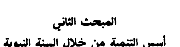
ومما يسجل للقناة تعاونها مع علماء الأزهر الشريف والاستفادة منهم، وهذا بشكل في حد ذاته تنمية وتغذية لعقول المسلمين لأخذ العلم من منابعه الأصيلة. وانطلاقاً من معاناة المواطن مع أولاده في التعليم، فقد أخذت القناة على عاتقها تخفيف هذه المعاناة بتقديم برامج تعليمية جيدة يستفيد منها الدارس وغير الدارس.

ومن المعلوم أن أمة بلا تاريخ أمة بلا ماضٍ، عملت القناة على مكافحة كل دخيل على تاريخنا الإسلامي، وإعادة خيوطه على الناس بثوب جديد ومعاصر يسُر السامعين.

وتهتم القناة بالجانب التربوي الإسلامي، وإبراز القضايا الهامة في هذا المضمار، من ذلك تربية الأطفال في مراحلهم الأولى، وإبراز الجانب التربوي الإسلامي، والله أعلم.

❑❑❑❑❑❑





المبحث الثاني
أسس التنمية من خلال السنة النبوية

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الحاجة إلى التنمية.

المطلب الثاني: الزواج أساس تنمية المجتمع.

المطلب الثالث: توافر العنصر البشري المدرب.

المطلب الرابع: استخدام الوسائل الحديثة.

* * *

مدخل

تقوم التنمية في البلاد النامية على أسس تكون ركيزتها في الانطلاق نحو التقدم المنشود، وهي الأسس الرئيسة الواجب توافرها للتنمية الاجتماعية والاقتصادية.

وقد تختلف طرق التطبيق بين دولة وأخرى تبعاً للنظم السياسية والاقتصادية القائمة ولكن اختلاف الوسائل والطرق لا يعني اختلاف الأسس والمبادئ العامة، التي سنذكرها في المطالب التالية إن شاء الله تعالى.

* * *

المطلب الأول
الحاجة إلى التنمية

الحاجة إلى التنمية ضرورة ملحة للشعوب وعلى مستوى الفرد الذي يسهم بفعالية كبيرة وإيجابية، محافظاً على المقدرات والنتائج.

ولذلك لا بد من إثارة الإحساس والوعي بين الجماهير، وذلك لمحو السلبية الناجمة عن الجهل والأمية والتخلف، وهي من معوقات التنمية في أية دولة، ويتم هذا الإحساس وذلك الوعي عن طريق الإعلام المخطط والتدريب المستمر وتضافر الجهود، وتولد الحاجة إلى التنمية والرغبة في حياة أفضل، ويتزايد هذا الإحساس وإنمائه تزداد فرص التنمية.

إن حاجتنا إلى التنمية ضرورية وعظيمة، ولا غنى لأي مجتمع عنها البتة ولعل سائلاً يسأل: ما الأسباب التي تدعو إلى الحاجة للتنمية؟

الجواب وبا؛ التوفيق: نحن بحاجة ماسة إلى التنمية لأنها تعطي الإنسان قيمته وهذا هدف رئيس من أهداف التنمية في إعادة الإنسان إلى موقع الصدارة، على أن الإنسان هو مصدر العطاء، هو التجربة، هو الخبرة.

حاجتنا إلى التنمية الذاتية تعني الاهتمام بالذات الإنسانية، والوصول بها إلى مرتبة العطاء المستمر والإبداع الراقي.

حاجتنا إلى التنمية تعني إيجاد توازن بين رفاهية الفرد ورفاهية المجموع، لأن إطلاق الحريات الفردية دون حدود من شأنه انتهاك حرية الآخرين، ذلك الأمر الذي يتطلب زيادة التوعية بالمسؤولية تجاه المجتمع، فالرفاهية الفردية والرفاهية الاجتماعية مترابطتان، من هنا كان لا بد لتحقيق التنمية من تماسك اجتماعي وعدالة في توزيع ثمرات التقدم.

وحاجتنا للتنمية تعني اتباع وتحقيق مبدأ الاعتماد على الذات، وذلك لمواجهة التحديات التي تواجهنا من قبل العولمة، والواقع المعاصر يفسّر ذلك بأن دول الغرب أثقلت كواهل الدول النامية بالديون والقروض والمساعدات الخارجية، وهدفهم من ذلك واضح ومعلوم وهو: تكريس التبعية لهذه الدول وتعميق التخلف في المنطقة العربية، من أجل ذلك ينبغي النهوض بالاعتماد على القدرات الذاتية في توفير الموارد البشرية، والخروج من تبعية الغرب هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لا بد من تلبية الحاجات الأساسية للأجيال الحالية حتى لا تتعرض هذه الأجيال لخطر التبعية، ومن ثمّ تقع فريسة سهلة الهضم تحت فكر الغرب.

ويؤكد مفهوم التنمية على الإنصاف في بناء القدرات وإتاحة الفرص المتكافئة للجميع.

لذا كان إشباع الحاجات الأساس هدفاً أساسيًا للتنمية تتغير فيه الأولويات التنموية، كما أن السعي إلى الوفاء بالحاجات يؤدي إلى توجه السياسة الإنمائية إلى الداخل، وليس إلى الخارج، وعليه فإن برامج الاستثمار والإنتاج سوف تصاغ لغرض توسيع السوق المحلية للإيفاء بحاجات الإنسان المتعددة، وهنا يتجسد جوهر التنمية الحقيقي في تنمية الفرد هدفاً ووسيلة وغاية، وبالتأكيد فإن مستوى هذا الإشباع سيكون نسبيًا من قُطرٍ إلى آخر وستثار جدالات واسعة حوله، إلا أن توفير هذه الحاجيات بالمستوى الذي من شأنه تخفيض نسبة الأمية ونسبة الوفيات أو زيادة عدد السعرات الحرارية قد يكون كافياً لكل بلد حسب ظرفه وحسب إمكانياته المتاحة[1].

* * *

---

(١) إحياء دور الوقف لتحقيق التنمية، أسامة عبدالمجيد العاني، قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، سلسلة كتاب الأمة، العدد ١٣٥، المحرم عام ١٤٣١هـ، ص٨٥.

المطلب الثاني
الزواج أساس تنمية المجتمع

ما زالت الحياة الاجتماعية تكتسب فضاءات ومعاني جديدة، فالتقدم الحضاري يقتضي المزيد من التداخل والتشابك في علاقات الأفراد والأمم، ويمنح تلك العلاقات المزيد من الحساسية والأهمية، وكلما ارتقى الإنسان في مدارج الكمال: زادت حاجته إلى الآخرين - على خلاف ما يتوهم - وصار المزيد من اكتماله ونموه مرتبطاً بالمزيد من العلاقات الجيدة مع أسرته، وزملائه، وعملائه، والناس أجمعين.

إن ظهور شخصية ال (أنا) تدمر التنمية، والذي يعمل ضمن الفريق يقول نحن، ففي زمننا باتت القدرة على العمل ضمن فريق شرطاً ضروريًا للإنجازات العملاقة، وبات من الواجب على كل واحد منا أن يشذّب من شخصيته كل الزوائد التي تمنعه من الاندماج والالتحام بالآخرين، كما بات عليه أن يتعلم كيف يجعل سلوكه منسجماً مع النظم السائدة.

إن اجتماع الناس بطبيعته يولد بينهم توترات ومشاكسات، حيث إ' معقد الابتلاء في الحياة الاجتماعية يتمحور حول عدم تطابق طبائع البشر، وحول عدم تطابق مصالح الأفراد مع مصالح المجتمع؛ ولا تنهض المجتمعات، إلا إذا ارتفعت نسبة المهتمين بالشأن العام إلى الحد المقبول[1].

بل إن المجتمع لا يكون مجتمعاً إلا إذا سَرَتْ فيه روح التفاني والقدرة على النمو على كافة الأصعدة، ولما كانت الأسرة هي أساس المجتمع ونواته، كان من اللازم العمل على تنمية الأسرة.

إن الإسلام له أسلوب متميز في تنمية الأسرة، فقد أباح الإسلام

(١) اكتشاف الذات، عبدالكريم بكار، إصدارا - الإسلام اليوم، عام ١٤٣٠هـ، ص١٦٠، ١٦١.

طيبات الكسب وحرّم الكسب غير الطيب على المستوى الفردي، أو على المستوى الاجتماعي.

أساس الكسب الطيب أن يكون من طريق أباحه الشارع، فلا يكون آكلاً لمال الناس بالباطل إن ن من معاملة بين الناس كالتجارة مثلاً، ولا يكون محرماً لعلة ظاهرة أو خفية، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾﴾[1].

. فإذا تجرد أكل المال من طيب نفس المتعاملين ورضاهما كان أكلاً لمال الناس بالباطل فهو محرم كأكل أموال اليتامى، وتطفيف الكيل والميزان، والرشوة وغير ذلك، وإذا تجرد من المشروعية وإباحة الإسلام له كان كسباً محرماً ولو تم برضا المتعاقدين كتجارة الجسد، سواء بممارسة الجنس، أو بعرضه أو عرض مقدماته أو مثيراته، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾[2]، وكتجارة المخدرات والخمور وكالسرقة والغصب، وكل ما يضير الأسرة من قريب أو من بعيد، فالشارع لم يحرم شيئاً من غير حكمة، وإنما حرم ما حرم لإصلاح حال الجماعة البشرية كما هو ظاهر، وأباح ما أباح لنفس السبب، بل أمر بإنماء المال وتنميته واستغلاله، وحرم تعطيله ووقف نموه، وهكذا ينظم الإسلام علائق المال بالحياة على نحو عادل مستقيم يخدم نموهما معاً، ويحول دون انحلال الأسرة أو تدهور سعادتها ولا شك أن ذلك يحتاج إلى التزامات أخلاقية، وسياسية وتربوية حرص الإسلام على إقرارها أشد الحرص، حين استجاب لتلبية حاجات الأسرة المحققة لرشدها الثقافي، بعد استجابته لتلبية حاجات الأسرة المحققة لرشدها المادي[3].

---

(١) سورة النساء، آية: ٢٩.

(٢) سورة النور، آ.: ١٩.

(٣) الأسرة المثلى في ضوء القرآن والسنة، عمارة نجيب، الرياض، مكتبة المعارف، عام ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م، ط١، ص٢١٠.

إن سرَّ نماء المجتمعات، هو بناءُ الأسرة، فإذا أحجم أفراد مجتمع ما، في زمن ما، عن تكوين الأسرة والإنجاب، فقد حكموا على مجتمعهم بالفناء، لأن أفراد هذا المجتمع سينقرضون بعد فترة محدودة من الزمن، ومن يُفْقد بالموت أو بالحرب أو بغير ذلك، ليس هناك ما يعوض المجتمع، وبذلك يتناقص المجتمع تدريجيًا حتى يتلاشى بالكلية، من هنا كان للأسرة والزواج والإنجاب دور كبير في تنمية المجتمعات وبقائها والحفاظ على النوع الإنساني.

ومن هنا نجد الرسول ﷺ قد أعطى اهتماماً كبيراً لبناء الأسرة المسلمة، والذي تتضح معالمه فيما يأتي إن شاء الله تعالى.

١ ـ مقومات بناءِ الأسرة المسلمة:

كانت المجتمعات قد عمتها الفوضى في إنشاء، وتركيز الاهتمام بإشباع الغريزة الجنسية للرجل والمرأة، ففي المجتمع الجاهلي كان نكاح الرهط[(١)] والاستبضاع[(٢)] ونكاح البغايا.

بل وجرت وراثة النساء، ولما جاء الإسلام أوقف هذه الفوضى، ووضع نظاماً لتكوين الأسرة على أسس نفسية وفسيولوجية، وصحية، وعاطفية للزوجين، ومن ثمَّ للأبناء بعدهما من هذه الأسس:

---

(١) من أنكحة الجاهلية، وهو أن يجتمع الرهط ما دون العشرة، فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها، فإذا حملت ووضعت ومر ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم، فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها، تقول لهم: قد عرفتم الذي كان من أمركم، وقد ولدت، فهو ابنك يا فلان، تسمي من أحبت باسمه، فيلحق به ولدها، ولا يستطيع أن يمتنع به الرجل، انظر: البخاري مع الفتح ٢٢٩/١٠ برقم ٥١٢٧، حديث (النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء).

(٢) وصورته: كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها: أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه، ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبداً حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه، فإذا تبين حملها، أصابها زوجها إذا أحب، وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد، انظر: البخاري مع الفتح، وسبق برقم ٥١٢٧.

١) شرعية الزواج:

أباح الإسلام إشباع العلاقة الجنسية عن طريق زواج شرعي، يقوم على الاختيار الحر المباشر من كل من الزوجين، وقد وضع الشارع شروطاً لهذا الزواج، حفاظاً على المجتمع المسلم من اختلاط الأنساب، وضياع الأبناء، ومن هذه الشروط:

- **اجتناب المحرمات، وهن أربع فئات هي:**

أ ـ تحريم المشركات: لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ وَيُبَيِّنُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[١].

ب ـ تحريم المقيمات على الزنا: لقوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٣﴾[٢].

ج ـ تحريم قرابة النسب: لقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّـٰتُكُمْ وَخَـٰلَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَـٰتُكُمُ ٱلَّـٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَـٰعَةِ وَأُمَّهَـٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَـٰٓئِبُكُمُ ٱلَّـٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّـٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَـٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَـٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٢٣﴾[٣].

د ـ تحريم قرابة الرضاعة: فالإسلام يحرم بسبب الرضاعة ما يحرم بالنسب.

كما أنه من عظمة الإسلام وجود أركان لانعقاد الزواج بين الرجل والمرأة من أجل أن يثمر الزواج وتنمو الأسرة نمواً طبيعيًا فاعلاً، أنه لا

(١) سورة البقرة، آية: ٢٢١.
(٢) سورة النور، آية: ٣.
(٣) سورة النساء، آية: ٢٣.

يصح عقد النكاح إلا بولي وشاهدي عدل[1].

وكذلك الذي ينظر إلى الزواج يجد أن الإسلام وضع نظاماً دقيقاً محكماً مرناً فجعل للزوج فرصة اختيار زوجه، كما يريد دون إجبار أو تدخل أجنبي ليسود الحب والتفاهم بين الزوجين، هذه الحرية في الاختيار توجد جوّاً من التفاهم ويمكّن الزوجين بعد ذلك من القيام بواجبهما، وهذا يدل على احترام الإسلام لشخصية البنت، ويدل على احترام الإرادة الشخصية، وأن لكل إنسان الحق في التخطيط لمستقبله، وبالرؤية والمنظار الذي أراد، ويؤكد ذلك من السنة النبوية:

ـ حديث خنساء بنت خذام الأنصارية، أن أباها زوجها، وهي ثيب، فكرهت ذلك، فأتت رسول الله، فردَّ نكاحها[2]، وإذا كان الإسلام يركز على الرضا والقبول بين الطرفين، فقد يأتي هذا لإتاحة الفرصة للحياة الزوجية للديمومة والاستمرار، فلا يجوز ضرب الأجل في الزواج طالت المدة أو قصرت، وإنما الهدف من الزواج هو بقاء الحياة الأسرية ودبموميتها، وليتم بتنمية المجتمع تنمية طبيعية لا زيف فيها ولا افتراء.

٢) الطلاق:

والأصل فيه أنه آخر العلاجات، . استفحل الخلاف بين الزوجين، وتعسرت الحياة بينهما، ففي هذه الحالة شرع الطلاق وقد قال الله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾[3].

والناظر لأسباب الطلاق يجد غالبية الخلافات الزوجية، إنما نشأت من تجاوز الرجل للأصول الإسلامية في معاملته للزوجة، لذلك نرى الرسول ﷺ

(١) الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع، لشمس الدين محمد بن محمد الخطيب الشربيني، ٢٤١/٢، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

(٢) خرجه البخاري، كتاب النكاح، باب إذا زوج الرجل ابنته وهي كارهة فنكاحه مردود، برقم ٥١٣٨، من حديث خنساء بنت خذام الأنصارية.

( ) سورة البقرة، ۔: ٢٢٩.

يؤكد على حسن معاملة الزوجة وعدم اتخاذ دعوى الحب وضموره أو فقدا سبباً للفراق وضياع الأولاد، لذلك يقول ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم خُلقاً**»[1] وقال ﷺ: «**لا يفرك - يكره - مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقاً، رضي منها آخر، أو قال: غيره**»[2].

وقال عمر[3] لرجل همّ بطلاق امرأته: لم تطلقها؟ قال: لا أحبّها، قال: أوكل البيوت بنيت على الحب، وأين الرعاية والتذمّم[4][5].

٣) مقاصد الزواج في الإسلام:

للزواج مقاصد واقعية في الإسلام، يضعها كل مسلم في اعتباره، عندما ينوي الزواج، من هذه المقاصد:

أ - تهذيب الغريزة:

وهي من أقوى الغرائز وأشدها واقعية لبني الإنسان، فإذا ثارت لا تهدأ إلا بالإشباع، وإذا لم تُشبّع بالحلال فقد يسعى الإنسان إلى الحرام، والحرام يأخذ طريقاً نحو الفسق والفجور والانحراف، وهتك الأعراض ونشر الأمراض؛ لذا لم يُبح الإسلام إشباع غرائز الإنسان إلا بالحلال للحفاظ على تنمية المجتمع ونمائه.

---

(١) خرجه الترمذي، كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها برقم ١١٦٢، من حديث أبي هريرة ﷺ. وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) خرجه مسلم، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، برقم ٢٧٦٤، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٣) عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى، ثاني الخلفاء الراشدين، يضرب به المثل في عدله، أول من وضع التاريخ الهجري، قتله أبو لؤلؤة المجوسي، ينظر: الأعلام ٤٦/٥.

(٤) عيون الأخبار لابن قتيبة، كتاب الإخوان، ما يجب للصديق على صديقه (٢٨٤/١)؛ وأورد الهندي في (كنز العمال) قصة بنحوها وعزاها لابن جرير؛ فقال - من قول عمر ﷺ - «...فليس كل البيوت تبنى على الحب، ولكن معاشرة على الأحساب والإسلام»، انظر: كنز العمال (٥٥٤/١٦، رقم ٤٥٨٥٩).

(٥) النبي المربي، سبق، ص١٨٤.

ب ـ الإنجاب:

وهو من أهم مقاصد الزواج الشرعي ومن وسائل تنمية المجتمع المسلم فالعنصر البشري لا يتولد ذاتياً أو تلقائياً، وإنما عبر زواج شرعي صحيح، من هنا يؤكد الرسول ﷺ على أهمية الإنجاب لتحقيق نمو مستمر لمجتمعهم، وتأمين تكاثره التدريجي، وعدم تعريض النوع الإنساني للانقراض.

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: (إني أصبت امرأة ذات حسب وجمال وأنها لا تلد، أفأتزوجُها قال: **«لا»**، ثم أتاه الثانية، فنهاه، ثم أتاه الثالثة فقال: **«تزوجوا الودود الولود، فإني مُكاثر بكم الأمم»**)[1].

ت ـ السكن النفسي:

يهدف الزواج من ساعاته الأولى إلى خلط نفس الرجل بنفس المرأة، ويبذر بذور ثقة كل منهما بالآخر حيث تنبت الثقة وسط بيئة محاطة بالحب والود، لذلك تسكن كل نفس إلى نفس الآخر قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾[2].

والرسول ﷺ يعتبر الزواج بالمرأة الصالحة من أهم مكاسب الدنيا، لأن بها يتحقق الاستقرار النفسي والوجداني، فيقول ﷺ: **«ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله ﷻ خيراً له من زوجة صالحة، إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرّته، وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله»**[3].

---

(١) خرجه أبو داود، كتاب النكاح، باب النهي عن تزويج من لم يلد من النساء، برقم ٢٠٥٠، من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه. وحسنه ابن الصلاح.

(٢) سورة الروم، آية: ٢١.

(٣) خرجه ابن ماجه، كتاب النكاح، باب أفضل النساء، برقم ١٨٥٧، من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، قال في الزوائد: في إسناده علي بن يزيد، قال البخاري: منكر الحديث، =

ث ـ حفظ الأنساب:

إذا اطمأن الإنسان إلى أن ابنه من صلبه حقاً، تجسد في أعماقه دافع الأبوة بأسمى معانيها، يترجمه حباً وودا وعطفاً وبذلاً وتضحية، والابن كذلك لا يعدل بحب والديه حباً آخر، فالنسب خلط بين النفوس، ووصل بين العواطف والمشاعر والأحاسيس جميعاً، وكذلك الأم فإن ابنها يستقطب كل عواطفها وأمومتها، في حين أن ابن السّفاح يذكرها دوماً بجريمتها، ويحرمها أمنها النفسي واستقرار [1].

إن مما يقوي التنمية الاجتماعية، ويربط أواصر المجتمع، ويقويها وتجعل المجتمع أكثر استقراراً أن جعل لكل من الزوجين حقاً على الآخر، وكل حق لأي منهما يعتبر واجباً لازماً الأداء على الآخر، من هذه الحقوق باختصار:

حقوق الزوج على الزوجة:

١ ـ حق الطاعة:

والطاعة هنا ليست انتقاصاً للزوجة، إنما الطاعة في المعروف فقط، وإذا أرادها الزوج على معصية، في أكل أو شرب أو لباس فلا طاعة له عليها.

وإذا أصرت الزوجة على موقفها ورفضت طاعة زوجها تعنتاً، فله إزاء ذلك حقوق، منها:

حق التوجيه: بالوعظ والتوجيه والإرشاد، وبيان مواطن الخطأ.

حق الهجران: في حالة عدم الاستجابة، له هجرها، لعل الأمور تهدأ.

= وعثمان بن أبي العاتكة مختلف فيه، والحديث رواه النسائي من حديث أبي هريرة وسكت عليه، وله شاهد من حديث عبدالله بن عمر ﷺ.

(١) النبي المربي، سبق، ١٨٥، ١٨٦.

حق التأديب: فإذا لم ينفع الوعظ والهجر، فللزوج أن يضرب زوجته ـ ضرباً غير مبرِّح لا يؤذي ـ، وكذلك الزوجة إذا تضررت من زوجها، رفعت أمرها إلى القضاء كي يحكم بينهما.

ويؤكد النبي ﷺ على ضرورة هذه الطاعة لإقامة جسر المحبة والمودة بين الزوجين حيث قال: «**إذا صلَّت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت**»[1].

٢ ـ حق النيابة:

فهي تنوب عن الزوج عند عدم وجوده، ونيابة في المسؤولية عند الإنفاق، ولها من مال زوجها باعتدال، والرسول ﷺ يؤكد هذه النيابة ليستقيم البناء الأسري، ولتحصل التنمية الصحيحة في المجتمع الإسلامي فيقول: «**المرأة راعية على بيت زوجها، وهي مسؤولة**»[2].

٣ ـ حق العفاف:

كل كريم يرفض أن تكون زوجته مشاعة للآخرين، لذلك تعتبر الخيانة الزوجية من أكبر الجرائم، لذا يجب على الزوجة ألا تورد نفسها موارد الشبهة والريبة، حتى لا تلوكها الألسنة فتختلي بالرجال الأجانب، وتُدْخل الغرباء إلى منزلها، ويؤكد الرسول ﷺ على ذلك فقال: «**فأما حقكم على نسائكم فلا يوطئن فُرُشكم مَن تكرهون، ولا يأذنَّ في بيوتكم مَن تكرهون**»[3].

---

(١) خرجه أحمد، مسند عبدالرحمن بن عوف، برقم ١٦١٧، من حديث عبدالرحمن بن عوف ﷺ. وقال الهيثمي في المجمع ٣٠٦/٤: فيه ابن لهيعة وهو ضعيف وحديثه حسن بالمتابعات وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٢) خرجه البخاري، كتاب النكاح، باب قوله: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ برقم ٥١٨٨، من رواية عبدالله بن مسعود.

(٣) خرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب (ومن سورة التوبة)، برقم ٣٠٨٧، من حديث سليمان بن عمرو الأحوص عن أبيه، وقال: حسن صحيح.

٤ ـ حق القرار:

أن تَقَر الزوجة في بيت الزوجية، ولا تخرج منه حيثما شاءت وفي أي وقت شاءت، حيث يفرض الإسلام على الزوجة ألا تخرج من بيت الزوجية بدون إذن زوجها.

والله تعالى يؤكد على هذا الحق، حماية للأسرة والأبناء، إذ في قرارها في البيت بركة وقيمة تربوية، يقول الله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾[1].

حقوق الزوجة على زوجها:

كما أن للزوج حقوقاً على زوجته تعتبر واجبات عليها، فللزوجة حقوق على زوجها من هذه الحقوق:

١ ـ الحقوق المادية:

منح الإسلام الزوج حق القوامة، لكونه أقدر على الكسب، ورعاية للأسرة وحمايتها، وتتعدد الحقوق المادية من المهر وكسوة الزواج، وإشهار الزواج، وتوفير المسكن، وتجهيزه، ثم الإنفاق اليومي من غذاء، وعلاج، وكساء.

ويؤكد الرسول ﷺ على ذلك فيقول: **«كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»**[2].

٢ ـ حق الإعفاف:

يجب على الرجل إعفاف الزوجة بإشباع غريزتها الجنسية، حسب وسعه والرسول ﷺ يؤكد هذا المعنى، والحرص على إعفاف زوجاتهم، حيث قال: **«وفي بُضع أحدكم صدقة»**، قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٣٣.

(٢) خرجه البخاري، كتاب النكاح، باب المرأة راعية في بيت زوجها، برقم ٤٩٠٤، من حديث ابن عمر رضي الله عنه.

شهوته ويكون له فيها أجر؟، قال: «أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟!، فكذلك إذا وضعها في الحلال: كان له أجر»[1].

٣ ـ حق العدل:

بعض المتزوجين بأكثر من زوجة يعطون إحداهن أكثر مما تستحق، ويحابون أبناءها، ويخصونهم بكل جميل، ويُحرمون الأخريات ما يستحققن، فقد اشترط في إباحة التعدد العدل.

قال تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾[2]، وقوله ﷺ: «إذا كان عند الرجل امرأتان، فلم يعدل بينهما، جاء يوم القيامة وشقه ساقط»[3].

٤ ـ حق الرعاية:

إن الزوجة ليست مملوكة للرجل، وإنما هي أمانة عنده، لذلك فإن الإسلام يوجب على الزوج أن يرعى زوجته رعاية عامة شاملة كاملة، ومن الرعاية: المعاملة الكريمة الطيبة، ومن الرعاية: القيام بتذكير الزوجة، وتوجيهها.

والرسول ﷺ يؤكد على خيرية التعامل واللطف فيه بين الزوج وزوجته قائلاً: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم خلقاً»[4]، وقال: «ألا واستوصوا بالنساء خيراً، فإنما هن عوان عندكم»[5].

---

(١) خرجه مسلم، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، برقم ١٧٤٨، من حديث أبي ذر ﷺ.

(٢) سورة النساء، ﴿﴾: ٣.

(٣) خرجه الترمذي، كتاب النكاح، باب ما جاء في التسوية بين الضرائر، برقم ١١٤١، من حديث أبي هريرة ﷺ. وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) خرجه الترمذي، كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، برقم ١١٦٢، من حديث أبي هريرة ﷺ. وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٥) خرجه الترمذي، كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، برقم ١١٦٣، من حديث سليمان بن عمرو بن الأحوص عن أبيه وقال: هذا حديث حسن صحيح.

والحاصل: أن الارتباط الأُسري يؤدي وبصورة فاعلة وجيدة إلى تنمية المجتمع الإسلامي وزيادته ورخائه ونمائه، لذلك ينبغي العودة بالأسرة إلى النموذج الأول، الذي أرشدنا إليه الرسول ﷺ، والحرص على التمسك بهذا النموذج، حتى يتحقق النماء المطلوب في المجتمع الإسلامي.

وما يسعى إليه الغرب هو تدمير وتفكيك عرى الأسرة المسلمة، وإذا تفككت الأسرة، أدى ذلك إلى ضياع المجتمع وضياع حقوقه كذلك، ومجتمع تضيع فيه الحقوق وتغيب فيه الواجبات بلا شك سيكون مجتمعاً متخلفاً عن ركب التنمية، ا المستعان.



المطلب الثالث
توافر العنصر البشري المدرب

من أهم دعامات الإنتاج في دول العالم وفرة العنصر البشري المدرب، وبوجود هذا العنصر ووفرته يتم التغيير الاجتماعي المطلوب حيث تمثل القوة العددية لهذا العنصر، أهمية لا تقل عن المميزات، والمهارات والقدرات، وتنوع الأعمال والخبرات الفنية والعلمية والعملية التي يتصف بها السكان، ولولا توافر العنصر البشري، لبقيت موارد الإنتاج خبيئة الأرض أو الجبال أو الغابات ولتوقفت العديد من برامج التنمية.

إن تنمية الموارد البشرية في البلاد النامية ضرورة تتطلبها عوامل التنمية حيث تقوم الموارد المتخصصة العاملة المدر اجبها في تغطية احتياجات التنمية في مجالات العمل المتشعبة.

وسنبين في هذا المطلب الدور الذي تقوم به التنمية في بناء هذا العنصر البشري، حيث تهدف التنمية الارتقاء بالإنسان ضمن خطوات وآليات منها:

١ ـ بناءُ القدرة البشرية صحياً: وبناء هذا العنصر البشري يحتاج عدداً من الإجراءات مثل:

١) إصلاح القطاع الصحي:

تتكامل برامج إصلاح القطاع الصحي في العالم العربي، كما هو الحال في أماكن أخرى، هدفاً مشتركاً يتمثل في احتواء التكاليف وزيادة الكفاءة، ولتحقيق ذلك يتعين على صانعي السياسة الصحية، التدقيق بعناية في خطط إصلاح القطاع الصحي، واختيار السياسات والاستراتيجيات التي تلائم وضع واحتياجات بلدانهم على أفضل وجه[١].

٢) الارتقاء بالثقافة الصحية:

من خلال برامج للتوعية والصحة الوقائية وقد اهتم فقهاؤنا القدامى بهذا الجانب أمثال الإمام ابن القيم[٢]، وابن مفلح[٣]، عليهما رحمة الله عند حديثهم في كتبهم عن الأغذية الصالح منها والضار، ذلك لأجل أن يكون هناك توعية غذائية صحية للعنصر البشري الذي كرّمه الله تعالى في القرآن الكريم لذا ينبغي على المسلم أن يُلم بالنافع والضار من الأغذية والمأكولات، ليتكون لديه الثقافة الصحية، وهذا أراه من باب الواجب خاصة في هذا الزمان الذي تسمت فيه بعض المأكولات بغير اسمها فليحذر المسلم ولينتبه، والله أعلم.

---

(١) برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي، تقرير التنمية الإنسانية العربية، الأردن ٢٠٠٢م، ص٣٨.

(٢) هو: الإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي، من العلماء والجهابذة، ولد عام ٦٩١هـ، بدمشق، تتلمذ على ابن تيمية، من دعاة الإصلاح، له تأليف كثيرة نافعة منها إعلام الموقعين، الصواعق المرسلة، ينظر: الأعلام ٥٦/٦.

(٣) هو: محمد بن مفلح بن مفرج المقدسي ثم الصالحي، أبو عبدالله الراميني، صاحب الفروع، الشيخ الإمام، العالم العلامة، أقضى القضاة، شيخ الحنابلة، ولد في سنة ٧١٠هـ وتوفي ٧٦٣هـ، انظر: الدرر الكامنة لابن حجر (٢٦١/٤).

٣) توفير المياه الصالحة للشرب وشبكات الصرف الصحي:

أما المياه الصالحة للشرب: فقد أمر الإسلام بالحفاظ على المياه وحرمة الإسراف فيه، لأن ذلك خلاف السنة، لعموم قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوٓا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[(١)]، والإسراف هو التجاوز عن الاعتدال المعروف والمألوف ولحديث: «إنه سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الطُّهُورِ والدعاء»[(٢)]، أي: يفرطون فيهما، والإفراط في الدعاء: أن يسأل أشياء مخصوصة وبصفة معينة، والرسول ﷺ كان معتدلاً في استعمال الماء دون سرف أو تقتير، وعن أنس ﷺ[(٣)]: (كان النبي ﷺ يتوضأ بالمُد ويغتسل بالصاع)[(٤)].

وأما الصرف الصحي: فقد سبق الإسلام إليه منذ أمدٍ بعيد، حفاظاً على الصحة وتلوث البيئة كما جاء في حديث أبي هريرة قال: «نهى رسول الله ﷺ أن يمتشط أحدُنا كل يوم، أو يبول في مغتسله»[(٥)]، وقد بين الرسول ﷺ حرمة البول في الماء الراكد، ففي حديث جابر ﷺ[(٦)]: «أن رسول الله ﷺ نهى أن يُبال في الماء الراكد»[(٧)] قال النووي: والمختار أنه

---

(١) سورة الأعراف، آ: ٣١.

(٢) خرجه أبو داود، كتاب الطهارة، باب الإسراف في الماء، من حديث عبدالله بن مغفل ﷺ، برقم ٩٦. قال في تلخيص الحبير: هو صحيح.

(٣) هو: أنس بن مالك بن النضر، صحب النبي ﷺ أتم الصحبة وغزا معه، وبايع تحت الشجرة، آخر من مات من الصحابة بالبصرة سنة٩١هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء ٣/٣٩٥.

(٤) إناء يساوي مكعباً طول حرفه ١٠سم تقريباً (الفقه المنهجي ١/٦٠) سبق١، والحديث خرجه مسلم، كتاب الحيض، باب القدر المستحب من الماء في غسل الجنابة وغسل الرجل، من حديث أنس بن مالك ﷺ، برقم ٥٢٥، والمد: مكيال وهو رطل وثلث عند الأئمة الثلاثة، معجم لغة الفقهاء، ص٤١٧.

(٥) خرجه أحمد في مسنده ٤/١١١، بإسناد صحيح.

(٦) جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام الأنصاري الخزرجي، من المكثرين للرواية عن رسول الله ﷺ، غزا تسع عشرة غزوة، توفي عام ٧٨هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء ٣/١٨٩.

(٧) خرجه أبو داود، كتاب الطهارة، باب النهي عن البول في الماء الراكد، من حديث جابر ﷺ، برقم ٤٥٦، قال في تلخيص الحبير: وهو صحيح.

يحرم، لأنه يقذره وينجسه على المشهور من مذهب الشافعي[1].

ـ ومن باب توفير المياه للشرب والحفاظ عليها فقد أفتى الفقهاء بحرمة استعمال الماء المسبَّل للشرب حيث لا يجوز استعمال الموقوف لغير ما وقف له، ومما يجدر الإشارة به هنا، هو ما يرتكبه كثير من الناس في قرى ومدن مصر من الإساءة البالغة لنهر النيل برمي المخلفات فيه بصرف مجاري المنازل والمساجد فيه فهذا حرام شرعاً لا يجوز في دين الله تعالى، فقد رأى النبي ﷺ: **«نهران باطنان، ونهران ظاهران، فقلت: ما هذان يا جبريل؟ قال: أما الباطنان فنهران في الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات»**[2]، فإذا كان النيل والفرات أصلهما من الجنة فمن الحماقة والجهل أن ندنسهما.

٤) المحافظة على البيئة وحمايتها:

وبيئة الأرض هي الوطن الطبيعي للإنسان، عليها يعيش، يستنشق هواءها ويشرب ماءها، ويمشي في طرقاتها، وينعم بخيراتها، لذلك فإن صحة هذه البيئة وصلاحها صحة وصلاح له، كما أن فسادها يفسد عليه حياته، وقد وَعَى بنو الإنسان أهمية البيئة وتأثيرها على النبات والطير والحيوان ومِنْ ثمَّ على الإنسان في عصرنا الحديث، فأخذت الصيحات تتعالى بضرورة صيانة البيئة وحمايتها، بعد أن أوغل الناس في إطلاق الملوثات في الهواء أو إلقاؤها في الماء أو دفن الخطير منها كالنفايات النووية في باطن الأرض وأعماق البحار، أو في إهلاك الغطاء النباتي الذي أثَّر سلباً على مناخ الأرض، وثقب طبقة الأوزون في الجو إلى غير ذلك، والرسول ﷺ يوجه المسلمين توجيهاً عامًا للمحافظة على بيئة الأرض نقية ونظيفة طيبة، وعدم إهدار بعض مقوماتها الأساسية كالماء أو تلويث بعضها كالهواء، أو الإخلال بالانتفاع ببعضها كالطرقات ليعيش الإنسان في بيئة مريحة.

---

(١) انظر: شرح النووي، ١٢٧٢/٢.

(٢) خرجه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج، من حديث مالك بن صعصعة، برقم ٣٨٨٧.

١ ـ الإسراف في الماء وعدم تلويثه، ومن ذلك قوله ﷺ في عدم إهدار الماء، فقد بين الله تعالى أنه لا يحب المسرفين فقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾[(١)].

وفي عدم تلويث المياه كما مر بنا من الحديث، وكذلك في عدم تلويث الهواء، لحديث «**إن هذه النار، إنما هي عدو لكم فإذا نمتم فأطفئوها عنكم**»[(٢)]، ولحديث: «أن النبي ﷺ كان إذا عطس غطى وجهه بيده أو بثوبه وغض بها صوته»[(٣)].

٢ ـ وفي عدم تلويث الأماكن العامة لحديث: «**اتقوا اللعانين**» قالوا، وما اللعانان يا رسول الله؟ قال: **الذي يتخلى في طريق الناس أو في ظلهم**»[(٤)]، وفي نظافة الطرقات، لحديث: «**ويميط الأذى عن الطريق صدقة**»[(٥)].

٣ ـ وفي حماية الغطاء النباتي لحديث: «**من قطع سدرة صوّب الله رأسه في النار**»[(٦)].

هذا وقد دعا الإسلام إلى العناية بالبيئة فقد نهى الإسلام عن تبوير الأرض بلا زراعة، بل دعا للاهتمام بالزراعة وبيان الغاية منها بالنفع على

---

(١) سورة الأنعام، آية: ١٤١.

(٢) خرجه البخاري، كتاب الاستئذان، باب لا تترك النار في البيت عند النوم، برقم ٥٩٦١، من حديث أبي موسى ﷺ.

(٣) خرجه الترمذي، كتاب الأدب، باب ما جاء في خفض الصوت وتخمير الوجه عند العطاس، برقم ٢٧٤٥، من حديث أبي هريرة ﷺ وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) خرجه مسلم، كتاب الطهارة، باب النهي عن التخلي في الطرق والظلال، برقم ٦٤١، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٥) خرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من أخذ بالركاب، برقم ٢٩٨٩، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٦) خرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في قطع السدر، برقم ٥٢٣٩، من حديث عبدالله بن حبشي ﷺ وسكت عنه هو والمنذري ولا بأس بإسناده وقال في مجمع الزوائد: رجاله ثقات.

الإنسان والحيوان ولذا قال ﷺ: «ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة»[1]. بل يرشد الرسول ﷺ لاستمرار- التنمية في المجتمع بطريقة صحيحة، إن أهم ما يتميز به المنهج الإسلامي في الحفاظ على البيئة هو إبراز قيم الترشيد في الاستهلاك بالتوسط والاعتدال في كل تصرفات الإنسان، والتنمية البشرية هدفها: الارتقاء بالعنصر البشري، وتدريبه التدريب الجيد فَذَكَرنا أن ذلك يتم من خلال استراتيجية عمل لتدريب هذا العنصر البشري، وبنائه البناء الذي يجعله قادراً على تحقيق التنمية بيد أنه لا بد من بناءِ العنصر البشري صحيًا وكذلك بناءُ العنصر البشري تعليميًا.

ومن ثمّ توظيف هذه الكوادر البشرية، وكيفية ذلك، وكي ندرّب العنصر البشري تدريباً جيداً تتحقق من خلاله التنمية البشرية فلا بد من بنائه تعليميًا حيث تعد عملية اكتساب المعرفة حجر الزاوية في تحقيق التنمية البشرية، والتي يمكن اكتسابها عن طريق التعليم، والله أعلم.

ومن جهة أخرى فإن عدم الاتساق بين مخرجات النظام التعليمي ومتطلبات سوق العمل والتنمية يؤدي إلى الانعزال عن المعرفة والمعلومات في الوقت الذي أضحى فيه سرعة اكتساب المعرفة وتكوين المهارات الأساس المتقدمة شرطين أساسيين لإحراز التقدم وكي نرتقي بالقدرة البشرية تعليميًا وتنمويًا لا بد من:

١ ـ تعزيز العلاقة بين المجتمع المدرسي والمجتمعات المحلية:

لتعزيز العلاقة بين المدارس والمجتمعات دور مهم في إصلاح التعليم، ويتطلب ذلك أن تتعدد قنوات تفاعل المدرسة مع المجتمع المحلي، بحيث لا تقتصر على الآباء، كذلك هناك ضرورة لفهم جانب الطلب على التعليم من قبل الأسر والمشروعات، خاصة في سياق تعاظم دور آليات السوق

---

(١) خرجه البخاري، كتاب المزارعة، باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه، برقم ٢٢٢٣، من حديث أنس بن مالك ﷺ.

والإقرار بأن الخطط والإصلاحات التي تتجاهله كثيراً ما تبوء بالفشل، دون أن يعني ذلك التخلي عن دور التعليم كقاطرة لتأسيس التقدم في المجتمع[1].

٢ ـ ضرورة وضع سياسات لنشر التعليم والارتقاء به من خلال الاستراتيجية الآتية:

١ ـ تنويع التعليم وتجديد إطاره:

ولا يفهم من تجديد إطار التعليم وتنوعه أن تصير اللغة الإنجليزية مثلاً هي اللغة الأساس على حساب اللغة العربية خاصة في المراحل الابتدائية، فإن ذلك بالتجربة والخبرة الطويلة والمعايشة من أخطر مدمرات اللغة العربية وحل عراها، وهذا للأسف ما تسابق عليه بعض الدول الآن وإنما يمكن أن يفهم تحديد إطار التعلم وتنوعه بإعادة النظر إلى المناهج الحالية في البلدان العربية، ومدى مواكبة المناهج لروح العصر ومتطلباته وتجنب ما بها من حشوٍ غير نافع، والله أعلم.

٢ ـ استغلال التقنيات الحديثة:

مثل: شاشات العرض، المسرح التعليمي، الإنترنت.

٣ ـ المتابعة المستمرة للتعليم[2]:

وهذا يعني أن العلم لا نهاية له ولا حد، وعليه لا ينبغي لمسلم يمتلك القدرة على مواصلة العلم أن يتقاعس عن الطلب والنبوغ ممن كانت لديه آلة النبوغ ويملك أدوات ذلك فعلى مجموع الأمة أن يعينوه وجوباً ونعني بالمتابعة المستمرة، أ : يتعلم ويتابع ويبحث ويناقش ويكتب ويتدارس، وتلك هي سُنّة الأولين في العلم والتعلم.

فكان من مخرجات ذلك أن تركوا للأمة تراثاً حري أن يكتب بماء الذهب، فقد رحل أصحابه وبقي علمهم وسيبقى إلى يوم القيامة يتداوله

---

(١) إحياء دور الوقف لتحقيق التنمية، ص٨٨ باختصار، سبق.

(٢) سبق، ٨٨.

جيل بعد جيل، كما كان الأوائل من الصحابة والتابعين يتنقلون في الطلب، من شيخ إلى شيخ، ومن حلقة إلى أخرى، ومنهم من كان يرحل، ويقطع المسافات الطوال من أجل التثبت من رواية الحديث، وكُتُب العلماء طافحة بتلك الأخبار، ومن ذلك ما كتبه العلامة الخطيب البغدادي في كتابه الرحلة في طلب الحديث وغيره.

وإنما ما نراه على عَالمنا المعاصر يقف العلم عند الكثيرين في زماننا عند الانتهاء من المرحلة الجامعية، ويخرُج ممارساً للحياة العملية فيلقى صراعاً عنيفاً ومجتمعاً لا يلتمس عذراً، فلم يقدم جديداً، بل يقف حائلاً في وجه أية تطور أو تقنية، لذلك فإن التنمية في بلادنا العربية، تسير بخطى ضعيفة مربضة، وهذا أحد أسباب ضعفها، ونشير هنا إلى نقطة هامة هي أن بقاء واستمرار العلم أنه لا يقف عند حد أو عند شيخ، ويؤكد هذا الواقع المعاش من خلال الدعوة الإسلامية، يموت الشيخ ولم يكن حريصاً على أن يكون هناك صفٌ آخر يحمل الدعوة من بعده، هذا خلل خطير يُحدث انتكاسة في الصف، ولم يكن هذا هو هديه ﷺ في الدعوة، وقد أخرج جيلاً كاملاً من صحابته رضوان الله عليهم جميعاً، ومن ثَمَّ نشروا المنهج النبوي الدعوي في أرجاء العالم كله، وفتحوا الفتوحات، وكان لهم من الفضل ما ليس لغيرهم، لذلك استحقوا الشهادة العليا والرضا من الله تبارك وتعالى، فقد زكاهم ورضي عنهم، حيث قال تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾[1].

والقارئ للسيرة النبوية وأحداثها يلمس بصدق حرص النبي ﷺ على إعداد جيل مسلم قادر على تحمل المسؤولية والتبعات ومواجهة الصعاب التي تواجهه في سبيل نشر الدين الحق، ليعم أرجاء المعمورة فلم تمت الدعوة بموت النبي ﷺ وإنما ما ازداد الصحابة الكرام بعد وفاته إلا صلابة، وقوة تَصدٍّ للباطل لأنهم علموا أن هذا واجب وفريضة شرعية على كواهلهم، فلا بد من القيام بواجبهم تجاه دينهم، لذا ينبغي على العلماء

---

(١) سورة البينة، آية: ٨.

والدعاة تكوين وتأسيس جيل يحمل هم الدين والدعوة من بعدهم، فقد مضى زمن الداعية الأوحد والعالم الأوحد.

كما لا ينبغي البتة أن يحرص بعض العلماء والدعاة على أماكنهم الدعوية فلا يقدمون وجوهاً جديدة للمجتمع على الإطلاق حرصاً منهم على المكانة الدعوية أو خوفاً منهم أن يسلب الأضواء منهم، وكلاهما مذموم، ومنافٍ للإخلاص، ومن عمل الشيطان، والله المستعان.

نحن في حاجة ماسة الآن إلى الصف الثاني من العلماء والدعاة، وغياب هذا الواجب يؤدي إلى نتائج عكسية تماماً منها على سبيل المثال:

ظهور جيل أو عناصر تحمل هم الدعوة، تحركها الغيرة لدين الله تعالى فقط، فتمارس الدعوة بمختلف وسائلها (الخطابة ـ المحاضرة ـ الدرس. . .إلخ)، لكن بدون أساس أو علم شرعي مؤصّل، فتراه خطيباً منذ عشرات السنين لكن في الحقيقة لا يعرف من العلوم الشرعية إلا اسمها فقط، وهذا أمر من الخطورة بمكان، ينبغي الالتفات والتنبه إليه، والله أعلم.

٣ ـ الارتقاء بالكادر التعليمي:

والمعلوم أن المعلم هو حجر الزاوية في العملية التعليمية، وهو صانع الأجيال، وقائد السفينة، وإذا كان يستحيل سير السفينة بدون قائد، فكذلك يستحيل وجود متعلم بلا معلم، ولا غنى لأحد عن العلم، وكفاه شرفاً وعزاً وفخراً، في قوله: **«إن ا ملائكته وأهل السماوات والأرضين، حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير»**[1].

ولما كان هو القائد والمربي ومعلم الناس الخير كان لزاماً أن يتحلى بصفات تؤهله لحمل تلك القيادة وذلك الشرف، **من هذه الصفات:**

---

(١) خرجه الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، برقم ٢٦٨٥، من حديث أ أ الباهلي. و : حديث حسن صحيح غريب.

١ ـ الإخلاص:

أن ينوي المعلم بمهنته وجه الله تعالى، فإن صلاح الأعمال مبنيٌ على حسن القصد وسلامة النية قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾[1]، وقال النبي ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى»[2].

٢ ـ تحديد الهدف:

لا بد للمعلم أن يكون دقيقاً في تحديد هدفه الأعلى والأسمى، وهو أن يهدف من تعليم هذا الجيل أن يكونوا مسلمين يرفعون راية الإسلام، ويدافعون عن حياضه، هدفه الأسمى: المشاركة في بناءِ جيل مسلم، هدفه: المشاركة في تشكيل وصناعة العقلية الإسلامية والرؤية البعيدة، هدفه: هو أن يترسم هذا الجيل خطى النبي ﷺ وأصحابه الكرام.

٣ ـ القناعة بالمهنة:

بعض الناس لظروف ما، تتحول حياته، وأهدافه، إلى التعليم، ولم يكن يوماً ما أن يفكر أن يكون معلماً، هنا يأتي دور التوجيه وأهميته في حصول التنمية في المجتمع، فترى هؤلاء لا يعطون عن قناعة، بل يتحول دوره إلى دورٍ تقليديٍ جدًا جدًا، ولا تكاد أن تنتهي الحصة إلا ويتنفس الصعداء، وأمثال هؤلاء تعج بهم الأمة الآن للأسف الشديد.

٤ ـ الصبر:

لا بد لمن كان هذا شأنه أن يتحلى بالصبر على المتعلم، فأمامه أنماط شتى من السلوك، ويصبر هو كذلك على مسؤوليات المهنة، وعليه أن يحتسب الأجر عند الله، بصبر وثبات ويقين.

---

(١) سورة البينة، آية: ٥.

(٢) خرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، برقم ١، من حديث عمر بن الخطاب ﷺ.

٥ ـ الكفاءة العلمية:

وأقصد بها الإلمام بالمادة العلمية التي يقوم على تدريسها، مطالعةً، بحثاً، وكتابةً، والوقوف على أسرار تخصصه، والجُرم الذي يرتكبه الكثيرون من المعلمين وغيرهم في المواقع الأخرى، أننا لا نملك من العلم إلا ورقة الشهادة فقط، فلم يقرأ ولم يطلع على كل جديد نافع، ولم ينمّ نفسه باستمرار.

٤ ـ استخدام التقنيات الحديثة:

أصبحت هذه الوسائل الحديثة لها دورها الفاعل في إثراء العملية التربوية، وتنميتها لخدمة وتعزيز المجتمع المحلي، بأن يكون المعلم على دراية كافية باستعمال الحاسوب، كي يستطيع مواكبة روح عصره.

٥ ـ تعليم الكبار:

الوالد ـ رحمه الله ـ[1] افتتح مدرسة تسمى مدرسة ذات الفصل الواحد، لتعليم الكبار، وكانت المدرسة ليلية، ويتوارد عليها التوجيه والتفتيش من قبل وزارة التربية والتعليم، وكان طلاب المدرسة من كبار السن فاتهم قطار التعليم منذ زمن بعيد، لكنهم لديهم رغبة مُلحة في أن يتعلموا الحروف ومن ثمّ القراءة والكتابة، ومن كان يجيدهما في ذلك الوقت كانت فرص العمل له مواتية في بعض الوزارات، أقبل الناس على المدرسة ما يقرب من عشرين متعلماً في خلال عام دراسي، بل أقول أجادوا الحروف قراءة وكتابة، وقد أخبرني والدي رحمه الله أنه يجد متعة ولذّة غريبة في تعليم الكبار فتلك تجربة في قرية، نجحت وآتت ثمارها بفضل الله تعالى.

---

(١) هو فضيلة الشيخ/ محمد السعيد بن محمد خليل، ولد سنة ١٩٢٧م، حفظ القرآن في كتاب القرية، وتعلم القراءة والكتابة والحساب، واللغة العربية، والفقه الشافعي، خطيب وداعية إلى الله، له جهودٌ واضحة مشرقة، في بناء المدارس، والمعاهد الدينية، والمساجد، ورياض الأطفال، والتي لا تزال حتى الآن، توفي سنة ١٩٩٢م، رحمه الله رحمةً واسعة، وأسكنه فسيح جناته.

لذا نقول: إن تعليم الكبار، له ثمرة يانعة في المجتمع، وسبب من أسباب تنميته ونمائه ورقيه، ويحضرني حرص الرسول المعلم الأول ﷺ على تعليم من لم يتعلم وفاته العلم، ما صنعه مع أسرى بدر شرط فدائهم تعليم عشرة من المسلمين، وهذا من فقه النبي ﷺ للواقع، ولم لا وأول ما نزل من ديننا ﴿ٱقْرَأْ﴾، فلا يليق بأمة اقرأ أن يكون بها من لا يقرأ، والله أعلم.

٦ ـ التعليم قبل المدرسة:

ويقصد بذلك الحضانة ورياض الأطفال، تلك المرحلة الأولية التأسيسية الخطيرة، حيث تستقبل أذن الطفل لأول مرة أوامر ونواهي، وحساسية المرحلة تكمن في كيفية غرس حب التعليم والارتباط بالروضة، حيث خروج الطفل في تلك المرحلة الحرجة من حضانة الأم إلى عالم آخر، فيه الثواب والعقاب والمساءلة، لذلك ينبغي النظر بدقة في طريقة العرض، وتنمية حب الدراسة والعلم في نفس الطفل منذ صغره، كي تنمي عند أطفال الروضة الحس الإسلامي، وربط الطفل بدينه منذ هذا السن، والله أعلم.

* * *

المطلب الرابع
استخدام الوسائل الحديثة

لا شك أن التقدم العلمي قد ساهم مساهمة فاعلة في إرساء قواعد التنمية، فلقد أحدثت الثورة الصناعية في أوروبا نقطة تحول هائلة في تاريخ البشرية، وعلى الأمم النامية أن تخطط جدياً كي تتطور في مجال الصناعة، والزراعة، والمواصلات، لتحقق ما تصبو إليه.

ولا شك أن العالم المعاصر يأخذ بأسباب التقدم في استخدام الوسائل الحديثة المتجددة، والمخترعات التي تسهل حياة الإنسان، وتيسر سبل النقل والصناعة، وتنهج منهجاً حديثاً في استخدام (الالكترونيات) لتقديم الخدمات.

وما لم تسارع الدول النامية للأخذ بوسائل العصر الحديثة لزادت الهوة اتساعاً بينها وبين الدول المتقدمة[1]، ولا شك أن الدول المستقلة أقدر على تحقيق التنمية من الدول التي تدور في فلك دولة أجنبية سواء كانت تبعيتها سياسية، أو اقتصادية؛ والتبعية الاقتصادية خطورتها أعظم، حيث أنها تحد من تقدم وتنمية تلك الدول، وتقف الدول التي اتخذت من الاستعمار الاقتصادي شكلاً جديداً حائلاً يربط اقتصاد الدول النامية باقتصادها عن طريق المساعدات المشروطة.

ويدخل في الوسائل الحديثة استخدام وسائل الإعلام في تنمية الفرد المعاصر، ولا شك أن توعية المواطن بالصورة واللقطة من وسائل الإعلام في المجالات الثقافية والعلمية والفكرية ضرورة تنموية، حتى يؤدي المواطن واجبه في خدمة أمته وتنهض بلاده في ضوء عقيدة الإسلام ومبادئه، وحتى يستطيع أن يعبر عن أفكاره بالمنطق السليم، وأن يتفهم مشكلات المجتمع وتحديات العصر الذي نعيش فيه[2].

والناظر إلى الواقع الآن يجد تخلف الدول العربية في مجال العلوم، والتقنية وإعداد الكوادر العلمية، وتوظيفها في عملية التنمية، إلا أن هناك مشكلات تواجه خطط التنمية، وهذا ما نكشف النقاب عنه من خلال آراء المختصين، والله أعلم.

ويرى الدكتور/ أحمد المراكشي ـ عميد كلية التكنولوجيا بجامعة قطر ـ في سؤال وجه إليه عن متطلبات نقل التكنولوجيا المتقدمة، واستيعابها، وتوطينها، وتطويرها في البلاد العربية، فكان جوا : إن الاهتمام بالنظم التربوية في بلادنا، وتوظيف العلم والمعرفة لخدمة التكنولوجيا هو الخطوة الأولى لتهيئة المناخ اللازم لنقل واستيعاب التكنولوجيا المتقدمة، فعندما

---

(١) التليفزيون الإسلامي ودوره في التنمية، يحيى بسيرني مصطفى، د. عادل الصيرفي، ط١، عام ١٩٨٥ م، ص٧١.

(٢) التنمية الاجتماعية، عبدالباسط محمد حسن، القاهرة، مكتبة وهبة، عام ١٩٧٩، ص١٧.

تتحول الفكرة في ذهن الطالب من مجرد فكرة إلى خدمة أو إنتاج ملموس ومتداول، فإن ذلك يعمل على تهيئة الأجيال للتعامل مع الميدان التكنولوجي.

كما يجب علينا أن ننظر بعين الدراسة والتحليل، الأسس التي تعمل على إقامة التكنولوجيا المتقدمة، لمحاولة الاستفادة منها، والعمل على تطويرها في بلادنا؛ ولدول جنوب شرق آسيا تجربة رائدة في دراسة التكنولوجيا المتقدمة والاستفادة ممن سبقوهم في هذا المجال ثم الانطلاق بتقنية جديدة، وبسمات وخصائص متطورة[1].

وأما متطلبات نقل التكنولوجيا واستيعابها وركائز النجاح في ذلك فقد أفاد الأستاذ/ توفيق القيسي أن ركائز نجاح نقل التكنولوجيا واستيعابها فيما يلي:

١ - نظام حديث للتعليم قادر على توفير جمهرة عريضة مسلحة بمتطلبات العصر، ومستويات أعلى عدداً ولكن أكثر علماً ودرا-.

بحث علمي قادر على الابتكار والتجديد، وعلى تشخيص المشاكل، وإيجاد الحلول لها.

٣ - وجود نظام كفء لنقل المعلومات.

٤ - وجود شبكة للطرق ووسائل النقل.

٥ - تأمين مصادر للطاقة وفيرة ورخيصة.

٦ - التعزيز بصناعات، وأنشطة مساندة.

٧ - تبادل الخبرات بين البلاد العربية[2].

---

(١) مشارك بندوة بعنوان العلم والتكنولوجيا من أجل التنمية مجلة التربية، اللجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والفنون بدولة قطر عدد ١٠٩، ص٧٦.

(٢) التنمية الاجتماعية سبق، ص٧٧.

بينما يؤكد المهندس/ ماجد عبدالله المالكي ـ مدير إدارتي التنمية الصناعية والتراخيص والرقابة الصناعية بوزارة الطاقة والصناعة بدولة قطر ـ، على أهمية توفير جو من الاستقرار للأفراد في جميع الاتجاهات، وخاصة فيما يصدر من تشريعات قانونية، الأمر الذي يعطي المؤشر المباشر بالشعور بالاستقرار، والأمن، والاطمئنان، إلى الجدية في تطبيق العدالة، والمساواة، والإحساس باحترام القانون، وهذا ما يدفع الأفراد إلى العمل والإنتاج والتوجيه بالجهود إلى الإبداع العلمي، والبحث والتطوير والتخطيط للتنمية، وبذل الجهد والوقت والتشجيع على إنفاق الاستثمارات الكبيرة في إنشاء المؤسسات وتجهيزها بالآلات والمعدات الدقيقة، إضافة إلى إنشاء نماذج المعدات التجريبية لتطبيق النتائج العلمية التي تتناسق مع واقع المكان الذي ستطبق فيه.

لكن كيف نتعامل مع التكنولوجيا المتقدمة؟ يقول الأستاذ الدكتور/ محمد عمر عبدالرحمن :إ· التعامل مع التكنولوجيا المتقدمة والمستجدة في الوطن العربي على المستويين القطري والقومي يقتضي توافر عدد من العوامل الأساسية لتحقيقه نذكر من بينها:

أ ـ ضرورة توافر الحد الأدنى من الإمكانات المادية والبشرية والمؤسسية اللازمة لهذا الهدف، وأن يتم اجتياز هذه التكنولوجيا واستيعابها وتطويرها لأغراض الإنماء والأمن القومي، وذلك: وفق سياسة عربية للعلم والتكنولوجيا يمكن ترجمتها إلى خطط للتنمية التكنولوجية على المدى البعيد القريب.

ب ـ التعاون الوثيق على مستوى العالم الإسلامي: سيكون له فوائد قصوى في هذا المضمار، خاصة بعد أن وافق المؤتمر الإسلامي عام ١٩٨٦م على إنشاء ست شبكات إسلامية في مجالات التكنولوجيا المتقدمة والمستجدة، ويجري العمل على إنشائها في عدد من الدول الإسلامية، ومن بينها الأردن، مصر، باكستان، تركيا، ماليزيا.

ت ـ الحاجة الملحة إلى دعم نمو البيئة التكنولوجية المحلية، والقائمة على

المبادئ الإسلامية، حيث أن ذلك يعد أمراً لازماً لتعميق قيم البحث العلمي والتكنولوجي في نفوس مواطني الشعوب العربية والإسلامية، وتربيتها جماهيرياً تربية علمية، وتقنية أصيلة، تقوم على الإيمان بأن العلوم التجريبية هي قرآنية المنهج، وأن الأسلوب العلمي في التفكير ودوره في تطوير الحياة هو ضرورة إسلامية، ذلك: أن الإسلام دين العقل والعلم، وأن الحضارة الإسلامية قامت على أسس علمية وتقنية صحيحة، وأنه لا سبيل إلى النهوض إلا بتطور علمي وتقني يصاحبه التزام أخلاقي، والعمل على التغلب على المعوقات الداخلية والخارجية التي تواجه التنمية العلمية والتكنولوجية في الدول العربية[1].

ويشير الدكتور/ مسعد الحاروني إلى أن من ركائز نقل التكنولوجيا وتوطينها وتطويرها أنه في مجال الثقافة والتعليم والتدريب، لا بد من ضرورة القضاء على الأمية بوضع برنامج زمني محدد وتكثف له كل الجهود، والصرف على إنشاء المدارس ومراكز التدريب وإعداد المعلمين والمدربين.

أ - ضرورة مساهمة الجامعة في التطور العلمي، والتطبيقي، والنهضة الإنسانية في كل الاتجاهات.

ب - إنشاء مختبرات للبحث والتطوير ودعمها دعماً قويًا بكل الوسائل التي تجعلها ندًا لمثيلاتها بالخارج.

ت - إعادة النظر في سياسة استيراد العمالة بحيث يكون التوطين هو الهدف الأساسي لهذه السياسة وضرورة وضع حوافز لتوطين الفنيين الذين تثبت صلاحيتهم ليكونوا نواة نمو، بغير ذلك ستبقى التكنولوجيا المستوردة غريبة في أرضنا لا جذور لها.

ث - التعاون والتكامل ويتمثل في دعم المنظمات الصناعية القائمة، بحيث

(١) وة حول العلم والتكنولوجيا من أجل التنمية، سبق، ص٨٠.

تتكامل لديها الكفاءات العربية المؤهلة للمفاضلة بين التكنولوجيا المتاحة، واختيار المناسب منها.

ج - دعم وترشيد المكاتب والشركات والإدارات الاستشارية العربية المتخصصة في شؤون الدراسات الفنية والاقتصادية[1].

ويرى الدكتور/ محمد الديك ضرورة الاعتماد على الذات في العالم العربي، بمعنى خلق تكنولوجيا محلية، وهذا أمر مهم وبالغ في الأهمية لسببين:

الأول: هو أن اختيار نوع التصنيع الملائم، والذي يعتمد على السوق المحلية يستدعي إبداع تكنولوجيا ملائمة تأخذ بعين الاعتبار توافر اليد العاملة مع ندرة رأس المال، وكذلك تبسيط العملية الإنتاجية وتخفيض تكلفة الإنتاج لتكون المنتجات في متناول محدودي الدخل.

أما الدول المتقدمة فإنها تطور التكنولوجيا في اتجاه مخالف تماماً: زيادة الاعتماد على المعدات، تكثيف رأس المال، إنتاج السلع المعقدة غالية الثمن.

والثاني: هو التصنيع الذي يجب ألا يلهينا عن أهمية التنمية الزراعية لتوفير الغذاء الذي بدونه لا يمكن ضمان الاستقلال الاقتصادي[2].

أما الأستاذ الدكتور/ إسماعيل عبدالرحمن تاج - عميد كلية الهندسة جامعة قطر - فيرى أن المتطلبات الإنسانية للتكنولوجيا تتمثل في:

١ - تطوير الشخصية العربية وبناء الثقة فيها.

٢ - تهيئة الأجيال الجديدة لمواجهة العصر الذي نعيشه بكل معطياته.

٣ - التخلص من المشاكل الاجتماعية التي تعوق تقدم أوطاننا العربية[3].

---

(١) نفسه، ص٨١.

(٢) نفسه، ص٨٨.

(٣) نفسه، ص٨٩.

وإذا كان الدكتور محمد الديك يرى ضرورة الاعتماد على الذات في إيجاد تكنولوجيا محلية فإن الدكتور إسماعيل عبدالرحمن تاج، بين كيف نؤسس تكنوجيا محلية، حيث قال: فلا بد من:

١ - التركيز على مشكلاتنا المحلية وكيفية علاجها، مع وضع خطة أولويات لهذه المشاكل.

تخطيط شامل على مستوى الدول العربية، بحيث يكون هناك تعاون بين كافة الأفكار، على أن تساهم كل دولة بإمكاناتها وحسب طاقتها.

توظيف رؤوس الأموال العربية واستثمارها محلياً بدلاً من استثمارها بالخارج، مع إيجاد وتوفير المناخ الاقتصادي المناسب الذي يساعد على الاستثمار.

الاهتمام بطرق التعليم، والعمل على تطويرها لخدمة مشاكل المجتمعات والتركيز على الكيف والتخصصات المطلوبة لسوق العمل[١].

ويختم الدكتور، عبدالباسط محمد عبدالمعطي - الأستاذ بكلية الإنسانيات، جامعة قطر -، قائلاً: بلا شك أن التكنولوجيا الوافدة تتطلب مهارات وخبرات، قد لا يوفرها النظام التعليمي، ومنْ ثم نجد الكثير من الخريجين بلا عمل أو يعملون عملاً شكلياً يدخل ضمن البطالة المقنعة.

أضف إلى ذلك أن بعض أنواع التكنولوجيا كثيفة رأس المال تحتاج إلى أعداد محدودة من الأيدي العاملة، مما قد يتسبب في زيادة عدد البطالة، لدى البلدان كثيفة السكان، وهذا إلى جانب بعض المشاكل الأخرى كالاغتراب النفسي والاجتماعي، وتكريس بعض القيم الفردية والقيم الاستهلاكية، والخلل الذي قد يحدث في سوق العمل[٢].

ولما كانت التنمية العلمية والتكنولوجية تمثل في الوقت الراهن مدخلاً

---

(١) سبق، ص٨٥.
(٢) نفسه، ص٩٧.

أساسياً في تحقيق التنمية، فإن من خلال الحوارات السابقة الذكر وهي لأساتذة مختصين في التنمية، فإننا نرى ضرورة ملحة لمواجهة مشكلات التخلف وإعادة بناءِ القدرات الإنمائية للفرد العربي هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى وقف هجرة العقول المتخصصة والاستفادة منها لتحقيق القدر الأكبر من التنمية، وعلى ذلك لا بد من تحقيق:

١ - تشجيع البحث العلمي، ورصد المكافآت المالية المجزية لكل باحث متميز، كلٌّ في مجال عمله وتخصصه، وذلك بإقرار لجنة من العلماء المختصين في كافة المجالات، وتوفير كافة الإمكانات اللازمة لذلك.

فتح نوادي رسمية للبحث العلمي للمطارحات العلمية، وتبادل الخبرات، وعقد مسابقات محلية للبحث العلمي، وتُرصد لذلك جوائز مالية ضخمة.

٣ - تشجيع العمالة العربية بزيادة دخلها، ورفع مستوى المعيشة وسنّ قوانين تضمن وتؤمن لها الحياة الكريمة له ولأسرته.

الإسراع والجدية في تنفذ خطط محو الأمية وتعليم الكبار، فإنها من أخطر الوسائل التي تعمل على وقف التنمية.

ضرورة إعداد الكوادر العلمية المتميزة، والقادرة على التعامل مع تكنولوجيا العصر.

- التشجيع وإيجاد الجو المناسب لابتكار تكنولوجيا محلية للاستفادة منها.

- الاستفادة من تكنولوجيا الغرب، وتطبيق ما يمكن تطبيقه في بلادنا ما لم يخرق قانوناً أخلاقياً في مجتمعنا.

الاعتماد على الذات، وتشجيع الصناعات الصغيرة، وإيجاد السوق المناسب والملائم لرواجها.

كل هذه الأسباب مجتمعة لا شك أنها تعمل على رفع الكفاءة التنموية في بلادنا العربية، ولهذه الأسباب مجتمعة أيضاً نكون قد استفدنا وبطريقة جادة من استخدام الوسائل الحديثة، في إرساء ودعم قواعد التنمية وتقدم المجتمع، والله أعلم.



خلاصة الفصل الأول

هذا الفصل يلمس أعماق واقعنا المؤلم، ويلقي شعاعاً من نور على مستقبل نرجوه لأجيالنا التي نأمل وندعو الله ﷻ أن يجنبها مواطن الإخفاق، ومكامن الفشل، التي منينا بها في حاضرنا.

ولا يجهل أحد البتة أن المعرفة بعامة على مستوياتها المتنوعة هي الأساس القوي المتين لكل نهوض حضاري، فما نهضت أمة يوماً بجهل وإنما بالعلم وتفعيل العقل.

ولما كان ديننا هو دين اقرأ، فقد أكد على العلم، ولذا حرص الرسول ﷺ على تربية المسلمين، مركزاً على العلم والمعرفة، وإرشاد المسلم إلى تنمية معارفه، والارتقاء بذاته، من خلال هذا الانفتاح المعرفي بكافة وسائله، والمسلم لا يقف مكتوف الأيدي أمام أي انفتاح يأتيه من خارج أرضه، وإنما يتفاعل معه بأطرٍ شرعية ثابتة لا تعرف التبعية ولا الخنوع.

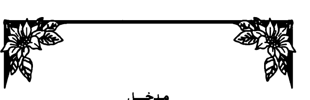
إن المجتمع الإسلامي بحاجة ماسة إلى التنمية، وحاجته للتنمية لا تقل شأناً على الإطلاق من حاجته إلى الطعام والشراب، لذلك كان لا بد من وضع أسس لهذه التنمية حتى تؤتي أكلها كل حين، باستخدامها لأحدث التقنيات الحديثة مع وجود العنصر البشري المدرب الذي يقوم بكفاءة عالية، وبقدرة فائقة بنشر المعرفة بأرجاء المعمورة، دون أن تطمس هويته، ومن ثم إتقان المعرفة، وتوظيفها التوظيف الأمثل من خلال الوسائل التكنولوجية الحديثة، والله أعلم.

الفصل الثاني

أهداف التنمية كما وردت في السنة النبوية

وبه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: تنمية الولاء لله.
- المطلب الثاني: تنمية ثروة اللغة العربية.
- المطلب الثالث: تنمية الإرادة القوية.



مدخـــل

هناك أهداف يجب أن يراعيها المسلم المعاصر حتى يُجسد التطور والتقدم والتنمية في صورتها العامة الشاملة، وأن يتخذ من الوسائل ما يُكلل مَساعيه بالنجاح، وذلك من خلال أهداف واضحة تتلخص في تنمية الولاء لله ﷻ، واستشعار رقابة الله له، مما له الأثر البالغ في تحسين وإتقان الخدمات، والإنتاج والنماء وكذلك ما يقوم به الإعلام المعاصر من نشر لغة المعرفة ـ اللغة العربية ـ وتنمية الثروة اللغوية لدى المشاهدين، ولا يتحقق إتقان العمل وتنمية لغة المعرفة لديه إلا بإرادة قوية صامدة، لأن الإرادة هي التي تدمع النفس إلى تبني معالي الأمور واحترام الذات وتقديرها.

* * *

المطلب الأول
تنميـة الولاء لله

الولاء لله ﷻ عقيدة راسخة في النفوس عند أهل السنة والجماعة، ويتحقق هذا الولاء باستمداده من المصادر الشرعية، من كتاب وسنة، ويتجلى الولاء بشعور الإنسان بمسؤوليته أمام الله عن أمة الإسلام، واستشعار رقابة الله ومحاسبته في كل أمر من أموره في مجال الخدمات والإنتاج، وفي مجال العبادة والعقيدة والمعاملات، وهو بالتالي يُكرس كل وقته وإمكاناته

المهنية والعلمية والثقافية في خدمة الناس وعونهم بقدرة وكفاءة وإخلاص من خلال ضمير إسلامي حي، وتلك هي عقيدة الولاء لله.

والولاء لغة: مصدره والى تُوالي وهو مأخوذ من مادة (وَ ل يَ) التي تدل على القرب، يقال: تباعد بَعْدَ وَلْيٍ، أي: قُرْبٍ وجلس مما يليني، أي: يقاربني[1].

وقال الراغب[2]: الولاء والتوالي أن يَحْصُل شيئان فصاعِداً ليس بينهما ما ليس منهما، ويستعار ذلك للقرب من حيث المكان، ومن حيث الشبه، ومن حيث الدين والموالاة ضد المعاداة، والولي ضد العدو قال تعالى: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ۝٤٥﴾[3].

أما الموالاة أو الولاء اصطلاحاً: هي التقرب وإظهار الوُد بالأقوال والأفعال والنوايا، لمن يتخذه الإنسان ولياً، فإن كان هذا التقرب والود مقصوداً . ا- ورسوله والمؤمنون، فهي الموالاة الشرعية الواجبة على كل مسلم[4].

والذي أقصده في هذا الباب هو الولاء بمعنى المحبة لله، ومحبة دينه، وكما هو معلوم أن من علامات المحبة الاتباع، فإن شأن الأمة التي تتبع دينها وتجعله نصب عينيها ويكون الدين هو المرجع في كل أمورها لهي أمة نامية منتجة متميزة والمقصود بتنمية الولاء لله، أننا لا نكتفي بأننا من أتباع محمد ﷺ وأن ديننا الإسلام وفقط، وهذا في حد ذاته شرف وغاية عظمى، نحن نحب الله ونحب دينه ونحب نبيه ﷺ وآل بيته الطاهرين، فقط، إن

(١) مقاييس اللغة، ١٤١/٦.

(٢) الراغب الأصفهاني: الحسين بن محمد بن المفضل أبو القاسم الأصفهاني، المعروف بالراغب، أديب من الحكماء العلماء، سكن بغداد، صاحب المفردات في غريب القرآن توفي سنة (٥٠٢)، انظر: الأعلام ٢٥٥/٢.

(٣) سورة مريم، آ-: ٤٥.

(٤) الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية، حماس بن عبدالله الجلعود، ص٢٨، وا- من سورة المائدة، رقم ٣.

هذا الحب لا يكفي ما لم يكن هناك ترجمة لهذا الحب للدين، والعمل على نشره، ونمائه في كل بقاع الأرض، وإلا كيف ينمو الإسلام في ربوع المعمورة ما لم نتحرك ونتعلم ونعلّم ونَعْمَلْ ونبلّغ دين الله على بصيرة كما أراد الله ورسوله.

إن الولاء لله يعني أن يقدم المسلمون أروع النماذج في شتى المجالات، فإن الإسلام جاء ليحكم حركة الحياة بأسرها قال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

فالله تعالى أكمل لنا الدين، دين يشمل جميع نواحي الحياة، إننا الآن بحاجة ماسة ومُلحة أن نحول هذا الحب والولاء لله إلى واقع عملي، يشهد لهذا الدين بالكمال، والتميز، والعظمة، والشمولية، وتنمية هذا الولاء لله يكون كذلك أن نقدم أروع النماذج في المجال الثقافي، والسياسي، والاجتماعي، والديني إذ لا بد من إدخال الفكر الديني النقي المستنير في كل المجالات، وأن نقدم البديل الإسلامي على كل الأصعدة.

إن تنمية الولاء لله تعني أن نثبت على دين الله تبارك وتعالى، قال تعالى حكاية عن قول يعقوب لبنيه: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾[2]، وهذا هو رأس المال الذي لا يحتمل الخسارة وهو وصية الأولين والآخرين من النبيين والصالحين، فالولاء يعني الثبات على الالتزام بدين الله تعالى وهذا جانب مهم يدل على سلامة إيمان الشخص، وصحة تصوره لهذه الدار، وللدار الآخرة، أما إن كان له في كل وقت حال، وفي كل يوم تفلتٌ ومآب فهذا يحتاج إلى مراجعة أمره، والاهتمام بشأنه.

ويكفي أمثال هؤلاء نفور الناس منهم، وعدمُ الاعتداد بشيء مما يظهر

---

(١) سورة المائدة، آية: ٣.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٣٢.

عليهم من الصلاح والالتزام لأنه كسحابة صيف لا تلبث أن تزول، ولهذا قال رسول الله ﷺ ليعمق فينا روح الانتماء لله ﷻ: «**إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب الخلق**[1]**، فاسألوا الله يجدد الإيمان في قلوبكم**»[2].

وقال ﷺ ـ موضحاً صعوبة الثبات على الدين في هذا الزمان الذي نعيشه وضرورة المجاهدة والمدافعة للنفس والعدو ـ: «**يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر**»[3]، وهذا تصوير فريد لما يجري اليوم في دنيا الناس، من تفلت من شعائر الدين وواجباته، ومن مجاهدة آخرين للبقاء على ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه والسلف الصالح، ومن الولاء لله تعالى كذلك الثبات على المبدأ الإسلامي الصحيح، إذ قد يتساهل في شأنه بعض الناس فيبرم ميثاقاً وعهداً، ثم يسوغ له نقضه، بحجة أنه ليس بواجب شرعي.

ومثال ذلك اتفاق أشخاص على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو الدعوة إلى دين الله تعالى، ثم يتنصل واحد أو أكثر من هذا الاتفاق، ففي هذه الحالة ألا يُعد هذا التنصل من هذا الاتفاق على نقص المروءة وهو عمل قبيح يدل على تذبذب فاعله، وعدم ثباته، ويدل أيضاً على سوء في التربية الإسلامية الصحيحة، ولذلك كانت العرب تذم من ليس ثابتاً فتقول: «فلان لا ثبات لوده، ولا دوام لعهده، ولا بقاء لوصله، ولا وفاء لعقده»[4].

ويرى الدكتور أحمد رجب الأسمر أن أكثر ما أصيب به شعوب العالم

---

(١) الخلق: البالي.

(٢) خرجه الحاكم في مستدركه، كتاب الإيمان، رقم (٥) من حديث عبدالله بن عمرو ﷺ، وقال: هذا حديث لم يخرج في الصحيحين ورواته مصريون ثقات.

(٣) خرجه الترمذي، كتاب الفتن، برقم ٢٤٢٨، من حديث أنس بن مالك ﷺ، وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه (نسخة المكنز الإسلامي).

(٤) الألفاظ الكتابية، عبدالرحمن بن عيسى الهمداني، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٩، ص١٩٠.

الثالث، هو فقدان أبنائها روح الولاء والانتماء لأوطانهم، لذلك ما أن تتاح لأحدهم فرصة الهروب من وطنه ـ الذي يفترض أنه من أعز ما يعتز به ـ نجده يترحّل عنه ويهجره إلى ما سواه ولا يُفكر في مجرد زيارته وليس العودة إليه.

والسبب الواضح لذلك هو أن الولاء أو الانتماء شعور وجداني، لا يمكن أن يَتأتى للإنسان تجاه قوم أو وطن أو أمة حيث يسام الخسف والقهر والإذلال وطمس الذات، ويطارد فيها فكره وتعتقل حرّيته ويعدم شخصه، ويعيش فريسة للخوف والجذع والهلع والتوجس والترقّب، إرادته مقهورة، وعزيمته مبتورة، وكرامته مهدورة، وبعد ذلك نجد من يتساءل لماذا ينبغ أبناؤنا في الخارج ولا يتأتى لهم النبوغ في الداخل؟!

إن التربية السياسية الأمنية، من شأنها أن تتلافى ذلك كله، فلا تركب سلطات القرار مركب الاستبداد، والبطش، والإرهاب، ومطاردة الفكر والرأي الآخر ودكتاتورية المواقف، كما تحول دون ركوب الأفراد مراكب العنف والتشنج والتوتر والصدامية، وإنما يلتزم كل من الطرفين الحق والحقيقة والعدل والإنصاف والخير والصلاح، وأدب النقد وأدب الحوار وأدب الخلاف، وإذا توافرت مثل هذه الأجواء للمواطن العاقل السّوي، أصبح ولاؤه لدينه ووطنه وأمته ثابتاً راسخاً لا يتزعزع، لا تصرفه عاتيات المحن ولا عوادي الزمن، يتعشق العيش في هذه الأجواء، ولا يهجرها لغيرها مهما كانت مميزات هذا الغير.

والمواطن الذي يشعر بعمق الولاء والانتماء لوطنه وأمته، تتوافر له تلقائياً مقومات الرضا والطمأنينة والاستقرار، وهو الذي يستطيع أن يعمل ويتقن وينجز وينتج وينبغ ويبدع، والذي يستطيع الإسهام في وقف التآكل الداخلي والتصدي للتآمر الخارجي[1].

إن انحسار الشعور بالانتماء والولاء للمجتمع الإسلامي يحل محله

---

(١) النبي العربي، سبق ص٣٦٠.

الأنانية والولاءات الإقليمية، وهذا أمر ملاحظ عند الأجيال الجديدة، مما يقلل فعالية الهوية الإسلامية، وفيما يبدو لي ومن خلال معايشتي في مجال التربية والتعليم ما يقرب من ثلاثين عاماً، نستطيع القول بأننا نستطيع غرس الولاء والانتماء في نفوس الأجيال الجديدة عندما نهتم بأمرين لا ثالث لهما:

الأمر الأول: أن الولاء والانتماء وليس معناه أنه مجرد مشاعر وأمنيات، وإنما يعني الثبات على الدين، والمبدأ، والتضحية، والمشاركة العملية كي ننهض بهذا المجتمع الذي نعيش على أرضه كما أسلفنا.

الأمر الثاني: أنه يجب علينا كمربين العمل على تنمية الولاء والانتماء في نفوس هذا الجيل الجديد من خلال جوانب ثلاث:

- **الجانب المعرفي:** وهذا الجانب يتمثل في إعطاء هذا الجيل معلومات كافية عن وطنه ونبين له بطولات أجداده وتذكيره بقضايا أمته وتاريخها.

الجانب الوجداني: وهذا الجانب يتمثل في تنمية الشعور بالفخر والاعتزاز بالوطن وحبه والعمل على رفعته وقد أشار رسول الله ﷺ إلى هذا الجانب عندما أخرجه المشركون من مكة قال ﷺ كلمته المشهورة: **«والله لولا أنك أحب البلاد إليّ لولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت»**، وهذا يبين لنا مدى حب النبي ﷺ لوطنه واعتزازه به.

الجانب النـزوعي: وهو يتمثل في إظهار ثمرة الولاء والانتماء بالمشاركة والتضحية وبذل الجهد لبناء المجتمع.

ومن ناحية أخرى يمكننا تحقيق الولاء والانتماء كذلك من خلال:

- إعادة النظر في المناهج والمقررات الدراسية خاصة في المراحل الأولى التي تعمل على تنمية روح الانتماء والولاء والمنافسة بين الأفراد مما ينجم عن ذلك حب الوطن والإخلاص له.

إعداد الكوادر التربوية من المعلمين المخلصين والقادرين من خلال التدريس على تنمية روح الولاء والانتماء.

- للإعلام دور لا يمكن إغفاله على الإطلاق عن طريق عرض حوارات عن قضايا الوطن المصيرية ومشكلاته ودور الجيل الجديد في حلها، ويمكن للإعلام والمدرسة أن يتعاونا لأجل غرس هذه الروح في نفوس الأبناء من خلال مسابقات تحمل شعار أعلام وطننا، يعرض تاريخ الأوطان والأعلام التي شاركت في رفعة هذا الوطن وعملت على شموخه ورفع رايته.
- دور الأسرة، وثقافة الأبوين في بيان الحقوق والواجبات التي ينبغي على الأبناء أن يعرفوها.
- دور المسجد وهو من أعظم الأدوار من خلال ما يقوم به الدعاة المخلصون ومعالجة موضوع الولاء والانتماء من الناحية الشرعية كي نغرس في نفوس الأبناء شرعية الانتماء للوطن، والله أعلم.

* * *

المطلب الثاني
تنمية ثروة اللغة العربية

«لا تنمية إلا بلغة، وليس هناك لغة على وجه الأرض تحتفظ بقوتها وعراقتها ولها أصول وجذور كاللغة العربية، فحسبُها أنها لغة القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف.

واللغة: هي الثقافة، وهي الحضارة، وهي العلم، وهي التنمية، وهي التفكير، وهي التعبير؛ وهي الشخصية بكل قسماتها، وسمتها، وذاكرتها، وفلسفتها، ورؤيتها، وهي تمثل أرقى أنواع القدرة على الاختبار والانتقاء، وتشكل الأداة الأوسع والأرحب لممارسة عمليات التفكير والتعبير والتفاهم،

في فضاءات كبرى تتجاوز عالم المحسوسات، هي مرآة الأمة، تعكس حركتها وتاريخها وحاجزها وقيمها ووجهتها المستقبلية، وهي حركاتها في الوقت نفسه، لأنها المحرك الأساسي للانبعاث والتجديد والاجتهاد، والتغيير، والتأثير، والتعلم، والتبادل المعرفي، والكسب العلمي، وبناء الذوق الفني، واللغة تضعف وتتراجع بضعف الأمة، والأمم تقهقر وتتأهل للعمالة الثقافية والعلمية بتراجع اللغة وعزلها عن العقل والكتاب والمنهج والجامعة والمدرسة والأسرة، والإذاعة والتليفزيون وسائر وسائل الإعلام والإعلان»[1].

وإذا كنا نتحدث عن كيفية تنمية ثروة اللغة العربية وكيفية العمل على تنميتها وعلى كيفية الرجوع بهذه اللغة إلى مكانتها اللائقة بها، فقد تحدث من قديم شيخ الإسلام ابن تيمية منذ وقت مبكر لأثر اللغة ودورها في التفكير وصياغة الشخصية، حيث يقول رحمه الله: «إن اعتياد اللغة يؤثر في العقل، والخُلق والدين، تأثيراً قويًا بيناً ويؤثر أيضاً في مشابهة صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين، ومشابهتهم تزيد العقل والدين والخُلُق»، مؤكداً أن نفس اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ومن قبل شيخ الإسلام نبه فاروق الأمة عمر بن الخطاب لخطورة الأمر فقال: تعلموا العربية وحسن العبارة وتفقهوا في الدين»[2][3].

واللغة بما تمتلك من ألفاظ وثروات في معانيها تمكن العالم والمتعلم من التعرف على الآخر ومشاركته في الإحساس والإدراك ويؤيد هذا ويقويه أنه إذا كانت اللغة العربية من اجتهاد الإنسان وتعلمه، فقد عبّر القرآن أن الله أنزله بلسان عربي مبين فقال تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ۝﴾[4]، ...

---

(1) مختصر من تقديم أ/ عمر عبيد حسنة على كتاب اللغة وبناء الذات، ص٩، ١٠.

(2) اقتضاء الصراط المستقيم، شيخ الإسلام ابن تيمية، ت د. ناصر العقل، ٥٢٨/١.

(3) الأثر خرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ١١١/٦، برقم ٢٩٩٢٢.

(4) سورة الشعراء، آية: ١٩٥.

تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝﴾[1].

ومع أن القرآن نزل بلغة العرب، إلا أن غير العرب قد حققوا نبوغاً نادراً في اللغة العربية كتابةً وتعلماً إلى درجة تكاد تتجاوز فعل العرب أنفسهم، وهذا يعني أن لغتنا العربية إنما تملك بين دفتيها ثروة لغوية مرنة يتعامل معها العربي وغير العربي لذا كانت لغة تستحق أن تبقى وأن تنمو.

ولما كان اللسان العربي هو شعار الإسلام وأهله فقد كره الإمام الشافعي رحمه الله لمن يعرف العربية أن يتكلم بغيرها.

وتقول الدكتورة عائشة بنت عبدالرحمن: «ليست عقدةُ الأمة في اللغة ذاتها، إنما العقدةُ - فيما أتصور - هي أن أبناءنا لا يتعلمون العربية لسان أمة، ولغة حياة، وإنما يتعلمونها بمعزل عن سليقتهم اللغوية قواعد صنعة، وقوالب صمّاء، تجهد المعلم تلقيناً والتلميذ حفظاً، دون أن تكسبه ذوق العربية ومنطقها وبيانها»[2].

وما ذهبت إليه الدكتورة عائشة بنت عبدالرحمن يشهد له الواقع ويؤيده، والذي نتج عن هذه الصعوبة التي أشارت إليها الدكتورة هو العامية التي أصبحت لها مدارس تدافع عنها، فقد تجاوزت للأسف الحد الذي يجب أن تقف عنده، ولكن الإشكالية هو أن تزاحم العاميات اللغة الفصحى على ألسنة الناطقين، وفي وسائل الإعلام واستمر الأمر كذلك حتى أصبحنا نسمع دفاعاً عن العاميات، والدوارج، واللهجات المحلية، بدعوى أنها اللغة المحلية ولغة الخطاب اليومي ولغة الواقع وأن العربية لغة لم تعد تفي بمطالب الواقع المتطور.

لكن الاستعمار استغل هذه الظاهرة كي يحارب العربية الفصحى بلهجاتها الشعبية للوصول إلى تمزيق نسيج الأمة، وفك وحدة اللغة كي يجعل من الأمة الإسلامية عقليات متضاربة بدلاً من عقلية واحدة.

---

(١) سورة يوسف، آية: ٢.

(٢) لغتنا والحياة، عائشة بنت عبدالرحمن، مصر، دار المعارف، ١٩٦٩م، ص١٨٧.

وهذه الظاهرة - أقصد ظاهرة العامية - إحدى الأسباب التي حالت دون تنمية اللغة وتنمية ثروتها، لذلك استطاع الاستعمار بكل ما أوتي من قوى أن يَستحوذ على البلدان المغلوبة على أمرها، وأن يُنشئ خطاباً لغويًا استعمارياً حول اللغة والثقافة يَقْدَح في ثقافة تلك البلدان ويغُض من شأنها الحضاري والتاريخي، زاعماً أن اللغات الأوروبية هي اللغات الحقيقية التي تحمل العلم والحضارة والثقافة.

فهل تمتلك العامية قواعد ونظم كما تمتلكه اللغة العربية الفصحى؟

بالطبع لا تمتلك القواعد النظامية التي تنظم الأبنية والأصوات والتراكيب والمعاني.

ورغم ما أصاب الفصحى من الركاكة والضعف في التركيب والأبنية والعجم والدلالة باللحن والإحالة في النطق وتعثر اللسان في التلفظ، وما ذلك إلا لأن الطفل يصدر في الكلام عن مخزون لغوي مشوَّه لا يستقيم له نسق في التركيب، لأن كلما همَّ بالأداء اللُّغوي الفصيح اعترضته طريقة اللكنة العامية والعجمة واللهجات فيتكلم ببعض العبارات الفصيحة التي هي عبارة عن جُزر متباعدة في نفسه، يتخللها كل ما ليس بفصيح، ويملأ الفراغات التعبيرية والقوالب اللغوية الفارغة بالكثرة الكاثرة من الألفاظ العامية التي أُغرق في خِضمها وهو ينمو، ويتلقى لغته، وا[illegible] أعلم.

«ويشير ميخائيل نعيمة إلى وجود إشكالية أخرى تقف حائلاً دون تنمية ثروة اللغة العربية فيقول: انتشار الدعوة إلى اتخاذ اللهجات الدارجة والعاميات في الوطن العربي بدلاً من العربية الفصحى، وذلك قياساً على الأوروبيين الذين يتخذون اللغة المنطوقة بدلاً من اللغة التقليدية المكتوبة، وتقليداً لهم، والدعاةُ إلى هذا التقليد يقولون: يجب أن تكون لدينا لغة منطوقة محكية بدلاً من المكتوبة الفصيحة، كما لغيرنا في ديار الغرب، وما أشبه هؤلاء بقوم موسى إذ قالوا لنبيهم: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾[1].

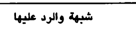
---

(1) الأعراف، آ: ١٣٨.

ويقولون: إن العربية الفصحى أصيبت بشيء من العقم»[1]، بعد أن انقطعت الصلة بينها وبين الشعوب العربية، في حين أن العامية بقيت نُولّد لذلك يليق بالفصحى - في نظرهم - أن تبني بعض مولدات العامية، كالأفعال الرباعية، على وزن «فعلل» التي يكثر استعمالها في العاميات والدوارج العربية[2].

ولست مع القائلين بأن العربية الفصحى أصيبت بالعقم لأن اللغة العربية لغة كتاب سماوي متعبد بتلاوته، ثم مرونتها جعلت العربي والعجمي يتعامل معها على حد سواء، ثم إنها أيضاً تمتلك آليات توليد الألفاظ والمصطلحات كما أن اللغة العربية تتضمن أدوات الاشتقاق فليس العيب في اللغة العربية حتى تهمل وتهمش، وإنما العيب في إهمال هذه الآليات وعدم استعمالها الاستعمال اللائق بمكانة هذه اللغة.

* * *



شبهة والرد عليها

وهناك شبهة أخرى، وهي الدعوة إلى تيسير العربية وتبسيطها وتسهيلها، واختيار لغة وسطى وإلغاء الإعراب، والدافع إلى هذه الدّعوة هو ادُّعاءُ وجود صعوبة في تعلم العربية الفصيحة.

ويرد الدكتور/ عبدالرحمن بودرع[3] على هذه الشبهة قائلاً: وعندي أن ادعاء الصعوبة افتراء على الفصحى، لأن اللغات الأجنبية نفسها لا تقل عن العربية صعوبة في التعلم، والمواد الملقنة للتلميذ كالرياضيات وغيرها أشد

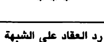
(1) ميخائيل نعيمة، الأعمال الكاملة بين العامية والفصحى، ٣٥٩/٧.

(2) اللغة وبناء الذات، عبدالرحمن بودرع، أحمد شوقي الخطيب، عبدالله آيت الأعشير ضمن سلسلة كتاب الأمة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، عدد ١٠١، جمادى الأولى ١٤٢٥هـ، السنة الرابعة والعشرون، ص٧٣، ٧٤.

(3) اللغة وبناء الذات، سبق، ص٧٦، ٧٧.

صعوبة، ومع ذلك يكثر مجيدوها؛ إن الزعم بوجود صعوبة تعلم الفصحى افتراءٌ لا مسوغ له، لأنه ليس المراد عند دعاة تيسير العربية وتبسيطها البحث عن منزلة وسطى ميسرة، ولكن المراد عندهم إقصاء الفصحى وزحزحتها عن مكانها، ليخلو المكان للعامية والأعجمية.

* * *



رد العقاد على الشبهة

قال رحمه الله تعالى: (وعندنا ـ وعند أنصار الفصحى أجمعين ـ أن مسألة القواعد قد فُرِغ منها في عصرنا، فلا يجوز لنا أن نُلغيها ولا أن نستحدث بديلاً يناقِضُها، وكل ما يحوز لنا أن نتوسع في تطبيقها، وأن نقيس عليها ما يُماثِلُها، وأن نحرص على بقاء نحوها وصرفها، لأن لغتنا خاصة لا تبقى بغير الإعراب، ولا تصحُ المشابهةُ بينها وبين اللغات التي لا إعراب فيها ولا اشتقاق، لأن قوام اللغات القائمة على النحت ولصق المفردات، غير قوام اللغة التي تختلف بالحركة في كل موقع من مواقع الحروف، ولا سيما الحروف التي يقع عليها الإعراب)[1].

والرد على هذه الشبهة وبا التوفيق، إننا معكم في دعوى التيسير ولا حرج البتة في ذلك لكن ليس معنًى تيسير علم أو تيسير لغة وَضْعَ قواعدها وأسسها أسلافنا أن نلغي أساسها، إذ الإعراب روح اللغة العربية، وقالوا: الإعراب فرع المعنى، فلنا أن نتصور أن يُقرأ القرآن وهو المنزل باللغة العربية بمعزل عن النحو كيف يكون الحال؟

لا شك أن نظم القراءة سيضطرب، ويتغير المعنى من معنى مراد إلى آخر مؤول، لم يقل به أحد لا من علماء اللغة ولا من علماء التفسير المعتبرين، أمر آخر لدفع هذه الشبهة وهو أن الواقع يشهد أننا رأينا أناساً من

(١) الزحف على لغة القرآن، أحمد عبدالغفور عطّار، ص٢٢٥.

العوام لا يقرؤون ولا يكتبون وإذا قرأوا في المصحف رأيت جمال القراءة، وعذوبة الألفاظ، وحسن الأداء، ورأينا من إخواننا العجم من الهنود وغيرهم من يحفظ القرآن حفظاً متقناً يجري على لسانه كالسلسبيل وعنده من الهمة العالية لمراجعته وتثبيته ما ليس عند العرب الأُصَّل فأين صعوبة هذه اللغة إذن.؟ والله تعالى يقول: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝﴾[1]، وبهذا تندفع الشبهة لتبقى اللغة العربية هي لغة الروح، هي لغة العقل والثقافة والحوار، والله أعلم.

ولعل من المفيد هنا أن نذكر أن بذور الدعوة إلى العامية هذه . أت مع القرن التاسع عشر عندما كان المستشرق الألماني «ولهلم سبيتا» مديراً لدار الكتب المصرية سنة - ١٨٨٠ - كتب كتاباً باللغة الألمانية في (قواعد اللغة العامية بمصر) وقد دافع في هذا الكتاب عن ضرورة قيام اللهجة العامية بمهام التعبير عن الحياة المعاصرة بمرافقها المختلفة، إذ أن التزام الكتابة العربية الفصحى يحول دون نمو الأدب وتطوره، وانضم إلى معسكره في الحرب على الفصحى مستشرقون آخرون مثل: «كارلو لندبرج» و«كارل فولرس» و«الكوكس» فيما بعد.

وقد تنبأ «ولهلم سبيتا» بمصير الفصحى إلى الموت! كما ماتت اللاتينية، فلا بد من إحياء الدَّوارج والعاميَّات ووأد الفصحى، وقد ذكر «سبيتا» في مقدمة كتابه: «إن الصراع بين العامية والفصحى مسألة حياة أو موت. . .»[2].

ومطلوب منا نحن المسلمين أن نكون على يقظة ووعي وفهم لما يحاك بلغتنا بل بديننا لنعد العدة، ومن ثم نطلق أهدافنا على بصيرة، فنحن نعلم علم اليقين نوايا هؤلاء المستشرقين ومدى حقدهم وكراهيتهم للإسلام والقرآن وإنما غلّفوا هذه الكراهية بإسقاطهم ووأدهم للغة العربية وقياس اللغة

---

(١) سورة القمر، آية: ١٧.

(٢) اللغة وبناء الذات، سبق، ص٧٧.

العربية على لغة أخرى قياس جائر، لأن لغتنا لها تاريخ ولها من الخصائص والقواعد مما يضمن لها البقاء والخلود، وحسبها أنها لغة القرآن الكريم، كما أن هذا القياس لا يُراد منه إلا تقسيم العالم الإسلامي بحسب لهجاته، كيف هذا وهو عالم واحد، وأمة واحدة، ولها من مقوّمات التوحيد ما ليس لغيرها من اللغات، والله أعلم.

ثم إن اللغة العربية الفصحى هي الوشيجة الرابطة بين اللهجات، وإلى هذا المعنى أشار الأستاذ/ عبدالقادر الفاسي الفهري[1] قائلاً: «وينتصور أن يستمر خط التقارب بين اللهجات مع مستقبل الأيام، فتختفي كثيراً من الألفاظ والتراكيب العامية، يحل محلها ـ بكثرة الاستعمال والتداول ـ ألفاظ وتراكيب عربية، ولكن شيوع العربية وانتشارها وحلولها محل الدّوارج واللهجات على مدى واسع، لا يُعطي المؤسسات الرسمية والاجتماعية والمجامع العلمية من دورها في نشر هذا التداول العريض، فهي مكلفة بتطويع الأوضاع اللغوية وتقويمها، واقتراح خطط علمية، وواقعية للتعريب الشامل، تقوم على تنمية اللغة داخلياً، وتهيّئ الأدوات والوسائل التقنية التي تؤهّلها لمهمة التعريب والتمكين للعربية بين اللغات الأخرى، وتحسين وضعها التعبيري والتداولي»[2].

ومما سبق يفصح لنا عن نوايا خبيثة وماكرة لبست ثوب النصح، هدفها في المقام الأول النيل من الإسلام، وسقوط لغته، وعدم التمكين لها، ومن ثمَّ الوقوف لمجابهة نمو اللغة والقضاء على ركائزها من أجل بوار ثروتها اللغوية المعطاءة لذلك فإن التمكين للغة العربية لا يكون له ثمرة على أرض الواقع إلا باتخاذ قرار سياسي يجعل من اللغة العربية هي اللغة الأساس في المحيط الإعلامي والتعليمي والثقافي والاقتصادي والديني على

---

(١) انظر، التفصيل في: الزحف على لغة العربية، ص٤٧ وما بعدها، واللغة وبناء سبق ص٧٨.

(٢) المقارنة والتخطيط في البحث اللساني العربي، عبدالقادر الفهري، ص١٠٧ وما بعدها؛ وانظر: اللغة وبناء الذات، سبق، ص٨٤.

كافة الأصعدة، ولا شك أن هذا التمكين سيؤدي في النهاية إلى نمو داخلي وتقوية ذاتية وتطوير لوسائل مواكبة العصر واستيعاب المستجدات.

ونحن نؤيد هذا تماماً فإن الله يزع بالسلطان ما لم يزع بالقرآن ويؤيد ذلك من الواقع ما تفردت به الجمهورية السورية من تدريس الطب في جامعاتها باللغة العربية منذ أمد بعيد جيلاً بعد جيل، دون نكير، ولله الحمد.

ثم يختم الأستاذ / عبدالرحمن بودرع حديثه عن غربة العربية قائلاً:

إن الخصم يبذل الوقت والنفس والمال وينفق الرَّخيص والنفيس لمحو مقوّمات الأمة واستئصالها، وفي مقابل ذلك لا نكاد نبذل شيئاً يُذكر لمواجهة حرب الاجتثاث، ولا نأخذ أهبةً ولا نفاجئ خصماً بضربة أو بصمة عن هجمة، مع العلم أننا محاسبون على التقصير في حق هذه الأمة، بالقدر الذي نحن محاسبون به على التفريط في حق هذا اللسان الكريم.



المطلب الثالث
تنمية الإرادة القوية

الإرادة لغة: أصل الكلمة رَوَدَ بمعنى المشيئة والطلب والاختيار.

والإرادة في الأصل: قوة مركبة من شهوة وحاجة وأمل[1].

وفي الاصطلاح: قال الجرجاني: الإرادة: صفة توجب للحيِّ حالاً يقع منه الفعلُ على وجه دون وجه ولا تتعلق إلا بمعدوم فإنها صفة تخصص أمراً بحصولِهِ ووجوده وقيل:

الإرادة: مَيلٌ يعقب اعتقاد النَّفع[2].

(١) الصحاح (٤٧٨/٢)، اللسان (١٧٧١/٣ ـ ١٧٧٤)، والمصباح المنير (٢٤٥).

(٢) التعريفات، سبق، ص١٥.

وقوة الإرادة تحتل المرتبة العليا في سُلّم مستويات توجُه النفس إلى الأعمال الإرادية ويسبقها درجات هي:

١ ـ توجه النفس نحو الشيء المراد.

٢ ـ الرغبة في حصول هذا الشيء.

٣ ـ الهم بالتنفيذ.

٤ ـ الإرادة الجازمة.

٥ ـ تعقُلُ الشيء المراد.

٦ ـ العزمُ أو الإرادةُ القوية(١).

وتشكل الإرادة القوية عنصراً مهمًا من عناصر الإلزام الخلقي، ذلك لأنها تعبر عن بواعث نفسية هي الحب أو البغض، وعلى أساس هذين الأمرين تكون خُلُقيةُ السلوكِ قولاً كان أو فعلاً، وتمتد جذور هذه الإرا - في أعماق النفس، ومن هنا يكون «فعل المأمور به صادراً عن هذه القوة الإرادية»(٢).

إن الوصول بهذه المجتمعات المعاصرة (على حالتها الراهنة) إلى حالة راقية، عالية المستوى والرقي يحتاج إلى إرادة قوية، وخطط تنموية مدروسة، واستنفار لجميع القوى، حتى يتم التغيير، ولا يتم ذلك إلا بإرادة قوية عالية، إذ أن الإرادة مقوِّم إنساني يتولد من جميع القوى المتوافرة للإنسان.

فالإرادة القوية هي التي تدفع النفس إلى تبني معالي الأمور واحترام الذات وتقديرها، وتتصدى لنزوات النفس وشطحات الهوى وهبوط

---

(١) الأخلاق الإسلامية، حسن حبنكة الميداني، ١١٦/١.

(٢) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول ﷺ، سبق ٨/٦

النزعات، حتى يلتزم هذا المجتمع الذي تسري فيه روح التغيير وقوة الإرادة بالحق والعدل والخير والصلاح في كل منحى من مناحي حياته، لا تزعزعه التحديات، ولا تحركه الصعوبات وهذا هو الحاصل في مجتمعاتنا المعاصرة التي لم تقو على مواجهة التحديات على صعيد كل المستويات سواء المستوى الاجتماعي، السياسي، الديني، الثقافي، وسبب ذلك الإرادة الضعيفة، لذا سقطت مجتمعاتنا قاطبة في مهب رياح هوى النفس ونزواتها ونزعاتها، فلا نرى هذه المجتمعات تنهض بالمكرمات، ولا تسارع في الخيرات، وإنما تستجيب لضغط النزوات، فتارةً تحارب الفئات المتقيات، وتارةً أهل الالتزام والتقى، وما هذا إلا لضعف إرادتها وغياب نموها.

ولذلك فإن الإرادة هي التي تسمو بالسعي الإنساني أو تهبط به، وسبيل الإرادة يمر بالفهم فالاستيعاب فالإدراك فالعمل، بخطى واثقة، وبصيرة متفتحة، لذا فإننا بحاجة إلى إرادة قوية نافذة، لا تعرف التردد والتوجس والخور، لا تتهاوى أمام أي ضغط ولا تصرفها عن غاياتها أي صعوبة، والله أعلم، **والسؤال الآن كيف ننمي هذه الإرادة ونقويها؟**

الجواب:

- تقوية عناصر الإيمان بالله، وبصفاته العظيمة، وبقضائه وقدره، وبحكمته العالية، وتقوية ما يقتضيه الإيمان من الثقة بالله، وصدق التوكل عليه، وحسن الظن به فتقوية هذه العناصر من الوسائل الجذرية لاكتساب قوة الإرادة، لأن ضعف الإرادة ناتج من عدم الثقة بالنفس، والثقة بالله مع صدق التوكل عليه وحسن الظن ينمي ويمنح الإنسان ثقة بسداد ما هو عليه، وما هو ماض فيه، في تحقيق النتائج التي يرجوها التدريب على مقاومة أهواء النفس ومخالفتها ينمي عند الإنسان قوة الإرادة.

لأن الإنسان إذا تحرر من سلطان الشهوة والنزوة قويت إرادته، وإذا صار عبداً لشهواته وغرائزه ضعفت قواه وخارت، وهكذا الشعوب والمجتمعات، عندما تُحكَمُ بأهواء وتعاليم بشرية فإنه لا إرادة لها ولا قرار،

وكما قال الشيخ العلامة محمد متولي الشعراو [(1)]: لن يكون قرار الأمة من رأسها ما لم يكن طعامها من فأسها.

- تنمية الإرادة بممارسة العبادات، فإن ممارسة العبادة بأنواعها من أقوى الوسائل المعينة على تقوية الإرادة؛ فتأدية عبادة الصلاة بالتزام وانتظام وسيلة تقوي الإرادة وتنصرها على أهوائها وكذلك تأدية عبادة الصوم بالتزام هو وسيلة أخرى تقوي وتنمي الإرا - الإنسانية ضد هوى النفس وهكذا سائر العبادات.
- الالتزام بطاعة الله تعالى في المأمور واجتناب المحظور، من الوسائل الناجعة في تقوية الإرادة.
- تنمية الإرادة بوسائل منها: الذكر والاستعانة والاستخارة وتلاوة القرآن والتوكل على الله، فإن هذا كله من الوسائل القوية والمعينة على تقوية الإرادة، فكل ما يخالف هوى النفس والمألوف، يعد وسيلة لتقوية الإرادة.
- تنمية الإرادة بعمل الخير، إذ لا يصبر على فعل الخير إلا من كانت له إرادة قوية وهدف واضح جلي، وهو دخول الجنة، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝﴾[(2)].

ومما يزيد قوة الإرادة وينميها صرف النفس عن التشاؤم والتفاؤل بالخير، لأن المتشائم يصرف إرادته لغير الله، ومن تعلق بغير الله ضعفت إرادته وخارت قواه، لأن هذا شأن من تعلّق بمخلوق.

---

(1) هو محمد متولي الشعراوي، ولد سنة ١١ ، بقرية دقادوس، مركز ميت غمر، محافظة الدقهلية، جمهورية مصر، حفظ القرآن وهو في الحادية عشر من عمره، أحب العربية، وفسر القرآن الكريم وتوفي سنة ١٩٩٨م، انظر: موقع الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) الالكترونية.

(2) سورة النازعات، الآيتان:

- ومما ينمي قوة الإرادة السيطرة على النفس الأمارة بالسوء، فمن لم يستطع كبح جماح نفسه فلا إرادة له، ويصبح فريسة للشيطان.

- «ومما ينمي قوة الإرادة كذلك الجد في الأمور، والابتعاد عن الفوضى، وهذا هو رسول الله ﷺ محل الدعوة ووقف في وجه قريش وقد قال له ربه: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝﴾[1]، وبإرادة قوية وعزيمة صادقة استطاع ﷺ أن يغير وجه قريش قاطبة بعد أن منّ الله تعالى عليه بفتح مكة في السنة الثامنة من الهجرة.

- ومما ينمي قوة الإرادة التحكم في النفس عند الغضب وكبح جماحها عند اشتداده في معاملة الغير»[2].

ومن السنة النبوية ما يؤيد قوة الإرادة أحاديث كثيرة وردت في هذا الباب منها:

ـ ما ورد عن زيد بن ثابت رضي الله عنه[3] قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أعلم له كتاب يهود قال: «إني والله ما آمنُ يهودَ على كتاب» قال: فما مر بي نصف شهر حتى تعلمتهُ له، قال: «فلمَّا تعلمته كان إذا كتب إلى يهود كتبتُ إليهم وإذا كتبوا إليه قرأت له كتابهُم»[4].

وفي الحديث ما يدل على إرادة زيد بن ثابت القوية في التعلم، وبيان نهمه في التعلم والإقبال عليه في مدة وجيزة نصف شهر، وفيه كذلك انصياعه لأمر النبي ﷺ وفيه كذلك تعلم لغة اليهود لأجل معرفة غدرهم ومكرهم، والله أعلم.

وكذلك أراد الإسلام من المسلم أن يكون قوي العزيمة، قوي

---

(١) سورة المزمل، آية: ٥.

(٢) نضرة النعيم، سبق، ٨/

(٣) سبق ترجمته ص٥٥.

(٤) خرجه الترمذي، كتاب الاستئذان، باب ما جاء في تعلم السريانية، برقم ٢٧١٥، من حديث زيد بن حارثة رضي الله عنه، وقال: حسن صحيح.

الإرادة، متطلعاً إلى الأمام، ولا مانع من المغامرة في سبيل الشرف، والعزة، والكرامة.

وأمره بالمثابرة، ومن قوة الإرادة والصبر حتى النهاية، ومن قوة الإرادة والصبر على البلاء.

يقول الله تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾[1].

ويقول تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾[2].

ويقول الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾[3].

وقد يبتلي الله تعالى المؤمن، ليمحصه، ويختبره، وليعلم مدى صبره على المكاره، والشدائد بقول تعالى ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾﴾[4].

ويقول ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾[5].

ولحديث النبي ﷺ: «ما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر»[6].

وقال الحسن البصري[7]: الصبر كنز من كنوز الخير، لا يعطيه الله ﷻ إلا لعبد كريم عنده.

---

(١) سورة النحل، آية: ٩٦.
(٢) سورة الزمر، آية: ١٠.
(٣) سورة آل عمران، آية: ١٤٢.
(٤) سورة آل عمران، آية: ١٤١.
(٥) سورة البقرة، الآيتان: ١٥٥، ١٥٦.
(٦) خرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة، برقم ١٤٦٩، من حديث أبي سعيد الخدري.
(٧) سبقت ترجمته ص٥٣.

والصبر ضربان:

أحدهما: بدني، كتحمل المشاق بالبدن كالأعمال الشاقة من العبادات، وغيرها.

الثاني: الصبر النفساني عن مشتهيات الطبع ومقتضيات الهوى.

وقد اجتمع لسيدنا يوسف عليه السلام في محنته أنواع الصبر، ولا ينال المؤمن ما يتمناه بدنيا وأخرى، إلا بعد الامتحان والفحص، والتمحيص، والمثابرة والاعتماد على الله ﷻ بالصبر وبخاصة النصر، فإن الانتصار يحتاج إلى جهاد طويل، وصبر عظيم، حتى يتحقق لصاحبه[1].

وفي هذا المعنى يقول الدكتور/ مقداد يالجن ـ حفظه الله ـ متحدثاً عن أساليب تنمية الإرادة القوية على مستوى الفرد فيقول:

وتتم بالأساليب الآتية:

ـ أن يحسب حساباً دقيقاً ما يترتب من المنافع على تنمية إرادته، وما يترتب من الأضرار على إهمالها في العاجل أو الآجل لأن الإنسان بطبيعته يميل إلى تحقيق المنافع والابتعاد عن الأضرار، وبذلك يغذي إرادته فتدفعه إلى الاندفاع وتردعه عن الإهمال.

ـ وجود أداء كل الواجبات في زمانها ومكانها أداءً كاملاً.

ـ ترك كل ما يجب تركه من المحرمات وما يضره من الأغذية والابتعاد عنها تماماً بقدر الإمكان.

لأن الاقتراب من المحرمات أحياناً يكون سبباً للوقوع فيها ولو لم يرد الإنسان الوقوع فيها، إذ أن هناك محرمات لها جاذبية مثل جاذبية المغناطيس، فإذا وقع في دائرة جاذبيتها لا يستطيع الابتعاد عنها بل ينجذب إليها بقوة ويقع فريسة فيها من غير شعور أو من غير إرادة، ولهذا قال بعض

(١) التنمية بالمفهوم الشامل في الإسلام، د. عبدالله عبدالرحيم العبادي، ط دار الثقافة، قطر، ص١٣١.

الذين وقعوا فيها ما كنا نريد الوقوع ووقعنا فيها من غير شعور أو من غير إرادة أو أننا لم نملك أنفسنا تنفيذ العهود والوعود والمواثيق والانتظام بالنظام المطلوب.

- كما ينبغي ويجب دون الإهمال عن زمانها ومكانها دائماً وأبداً عدم التهرب من المسؤوليات ومواجهة المشكلات، لأنه بقدر ما يتهرب الإنسان منها بقدر ما تضعف إرادته الثقة بأن يستطيع تنمية إراد- ويبني لنفسه شخصية قوية، وأن يوحي إلى نفسه بذلك دائماً أو أن يستشعر ذلك ويحدث به نفسه[1].



(١) تربية الأجيال على أخلاقيات وآدا المناقشة والمحاورة والمناظرة العلمية، مقداد بالجن ط١، دار عالم الكتب، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ص٦٣.





خلاصة الفصل الثاني

يلمس هذا الفصل أكثر الأوتار حساسية لدى كل مسلم، يعيش على هذه البسيطة، فإذا كانت الأمة قد أصيبت إصابات بالغة في كل منحى من مناحي حياتها، فإصابتها في ولائها لدينها وأمتها، ولغتها، وإرادتها، قد عمقت الجراح حيث استأسدت عليها القوى الغاشمة حتى غدتْ أمتنا ـ صاحبة الخيرية والسيادة والريادة ـ للأسف لا ترد كف لامس، ولا ركلة راكل، ولعل ما يحدث الآن ونشاهده من حرب شعواء على المناهج الإسلامية لمصاب يدمي القلب، ولا يحتاج إلى دليل.

ولعل المعنيين في هذه الأمة، يعيدون تقويم الأوضاع، ملتمسين الهدي من تراثهم الخالد التليد، وسيرة نبيهم الكريم سيدنا محمد ﷺ، الذي قاد هذه الأمة إلى شرف الغاية، وأصَّل لها في سفر الخلود أروع مكانة.

نعم، إن الأزمان تتغير ولا شك في هذا ولكن يبقى الولاء والانتماء وتبقى الثوابت، تبقى لغتنا وأداتنا، تبقى إرادتنا قوية تستنهض العزائم والهمم العالية وهذا ما أصَّلناه فيما سبق، مستلهمين ومستبشرين بتباشير الأمل التي تشرق يوماً بعد يوم في شباب هذه الأمة، الذين يضحون بأرواحهم الغالية من أجل عزة وكرامة أمتهم وصدق الله العظيم حين قال: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾[1].

---

(1) الرعد، آية: ١١.

الفصل الثالث

في أنواع التنمية الذاتية
من خلال السنة النبوية

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التنمية الفكرية، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التنمية في شخصية المسلم.

المطلب الثاني: التنمية في مجال العلم والاختراع.

المطلب الثالث: التنمية في مجال المعارف.

المبحث الثاني: التنمية الروحية، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التنمية في مجال الإيمان.

المطلب الثاني: التنمية في مجال العبادات.

المطلب الثالث: التنمية بالتوبة والاستغفار والدعاء والذكر.

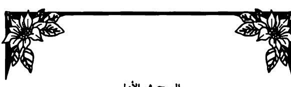
المبحث الثالث: التنمية الاجتماعية والسلوكية، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: التنمية في مجال الأخلاق.

المطلب الثاني: التنمية في مجال الآداب.

المطلب الثالث: التنمية في مجال الأخوة والمحبة في الله.

المطلب الرابع: التنمية في مجال النصح والإرشاد.



المبحث الأول
التنمية الفكرية

مدخل

لقد أرسى الرسول ﷺ أسس التنمية الفكرية، من خلال تأكيده ﷺ على تربية المسلمين، وعلى حفز الجهد العلمي، والمعرفي، منطلقاً من فضل العلم، دون تحديد لنوعية العلم، فالإنسان في حياته الدنيا بحاجة إلى كل أنواع العلوم، التي تنمو وتتطور.

* * *

المطلب الأول
التنمية في شخصية المسلم

الدين الإسلامي، دين العزة والكرامة، لا يرضى للمسلم بالخضوع ولا بالذل مهما كان، ومهما كانت منزلته وشخصيته.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾[1].

---

(١) سورة آل عمران، آ: ١٣٩.

والمسلم دوماً يتطلع إلى العلو انطلاقاً من الخيرية التي بوأ الله الأمة إياها، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[1].

ولقد أراد الإسلام العظيم من المسلم أن ينمي شخصيته، وذلك باتباع أساليب متنوعة تؤهله لذلك، منها:

أن تحقيق التوحيد لله ﷻ يقتضي ألا يسجد المسلم لمخلوق مثله كالإنسان وأمره الله ﷻ أن يكون السجود له سبحانه وتعالى قال الله تعالى ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۩ ﴿١٥﴾﴾[2].

كما أمره الله تعالى بألا يدعو إلا هو قال تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾[3].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾[4]، وفي هذا المعنى يقول النبي ﷺ: «الدعاء هو العبادة»[5]، وما دام الدعاء هو العبادة، فإن العبادة لا تصرف إلا لله سبحانه وتعالى لأنه سبحانه وتعالى هو الذي يملك النفع، والضر وحده.

وكذلك مما ينمي شخصية المسلم، الإيمان بالله سبحانه وتعالى: (الإيمان بالقدر) وما أجمل ما قاله الإمام العلامة الطحاوي[6] في عقيدته:

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١١٠.
(٢) سورة الرعد، آية: ١٥.
(٣) سورة البقرة، آية: ١٨٦.
(٤) سورة غافر، آية: ٦٠.
(٥) خرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب من سورة المؤمن، رقم ٣٢٤٧، من حديث النعمان بن بشير، وقال: هذا حديث حسن صحيح.
(٦) تيسير العقيدة الطحاوية، عبدالباسط محمد خليل، قطر، ١٩٩٩م، ص٤٣ ـ ٤٧.

«ذلك بأنه على كل شيء قدير، وكل شيء إليه فقير، وكل أمر عليه يسير، لا يحتاج إلى شيء، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1] خلق الخلق بعلمه، وقدر لهم أقداراً، وضرب لهم أجالاً».

وعندما يؤمن المسلم بذلك كله تنمو شخصيته ويرقى عقله ويرق قلبه، وعندما يؤمن بأن الله على كل شيء قدير فلا يلتمس قضاء الحاجات عند غيره، وعندما يعترف العبد بأنه فقير إلى ا ، فلا يلتمس الغنى عند غيره، قال تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ۝﴾[2].

والله تعالى لا يعجزه شيء في السماوات أو في الأرض وهو سبحانه وتعالى لا يحتاج إلى شيء بل العباد جميعاً محتاجون إليه قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝﴾[3]، أ : الذي يصمد إليه الناس في قضاء حوائجهم.

ومن الأساليب كذلك أن الإسلام حرّم على المسلم السحر والشعوذة، كل ذلك من أجل صيانة كرامة المسلم، ليبقى مرفوع الهامة دائماً وأبداً، أما السحر ففيه ذوبان لشخصية المسلم، وغياب لها، حيث يستسلم المسلم لساحر ليفعل به ما يشاء، ويطلب منه ما يشاء، ولا يُرَدُّ طلبه فهو المنقذ والمخرج من المحن... إلخ جاء الإسلام ليبطل ذلك كله مراعاة لحرمة جناب التوحيد، وصيانة لعقل المسلم من الانصياع لغير الله سبحانه وتعالى، والسحر في اللغة: عبارة عما خفي ولطف سببه، ولهذا جاء في الحديث: «إن من البيان لسحراً»[4]، سمي السحور سحوراً، لأنه يقع خفياً آخر الليل، ولولا أن للسحر حقيقة لم يأمر الله تعالى بالاستعاذة به، قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝

(١) سورة الشورى، ، : ١١.

(٢) سورة فاطر، آية: ١.

(٣) سورة الإخلاص، آية: ٢.

(٤) خرجه البخاري، كتاب النكاح، باب الخطبة، رقم ٥١٤٦، من حديث عبدالله بن عمر ﷺ.

﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾[1][2].

وتروي أم المؤمنين عائشة[3] ﵂: أن النبي ﷺ سُحِرَ حتى إنه ليخيل إليه أنه كان يفعل الشيء وما فعله، حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة وهو عندي لكنه دعا ودعا، ثم قال: «يا عائشة، أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه؟ أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ فقال: مطبوب، قال: من طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم قال: في أي شيء؟، قال: في مشط ومشاطة وجف طلع نخلة ذكر، قال: فأين هو؟ قال: في بئر ذروان»[4].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾[5].

قال قتادة[6]: وقد علم أهل الكتاب فيما عهد الله إليهم أن الساحر لا خلاق له في الآخرة.

وقال الحسن[7]: ليس له دين فدلت الآية الكريمة على تحريم السحر، بل هو محرم في جميع أديان الرسل عليهم السلام[8].

---

(١) سورة الفلق.
(٢) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، المتوفى سنة ١٢٣٣هـ، ط المكتب الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٥، ص٣٨٣.
(٣) عائشة ﵂ أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق، والأخت الصغرى للسيدة أسماء، روت ٢١١٠ حديثاً، عرفت بالكرم والثقة بالله تعالى، توفيت بالمدينة سنة بضع وخمسين، وصلى عليها أبو هريرة، سير أعلام النبلاء ١٣٥/٢.
(٤) خرجه البخاري، كتاب الطب، باب السحر، برقم ٥٧٦٣، من رواية عائشة ﵂.
(٥) سورة البقرة، آ: ١٠٢.
(٦) سبق ترجمته ص٥٤.
(٧) سبق ترجمته ص٥٣.
(٨) تيسير العزيز الحميد، سبق، ص٣٨٤.

ولما كان الإسلام حريصاً على حفظ العقل والنفس والمال والعرض والدين وهي المسماة (بالكليات الخمس) فقد بين الرسول ﷺ أن عقوبة الساحر هي القتل حفاظاً على الكليات الخمس جميعاً.

والدليل على ذلك: عن بجالة بن عبدة قال: «كتب عمر بن الخطاب: أن اقتلوا كل ساحر وساحرة، قال: فقتلنا ثلاث سواحر»[1].

ومن الوسائل الرقى وهي التي تسمى بالعزائم فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ: **«إن الرقى والتمائم والتولة شرك»**[2] والرقى التي نعنيه وحذر الرسول ﷺ من ذلك عن عوف بن مالك[3] قال: كنا نرقي في الجاهلية فقلنا: يا رسول الله، كيف ترى في ذلك فقال: **«أعرضوا عليَّ رقاكم، لا بأس بالرقى، ما لم يكن فيه شرك»**[4].

وقال السيوطي[5]: قد أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط:

- أن يكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته.
- وباللسان العربي وبما يعرف معناه.

---

(1) خرجه أبو داود، كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في أخذ الدية من المجوس، برقم ٢٦٩٤، من حديث بجالة بن عبدة رضي الله عنه، وإسناده صحيح على شرط البخاري ورجاله ثقات.

(2) خرجه أبو داود، كتاب الطب، باب تعليق التمائم، برقم ٣٤٤٠، من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

( ) هو: عوف بن مالك الأشجعي الغطفاني، صحابي، أول مشاهده خيبر، نزل حمص، وسكن دمشق، وتوفي٧٣هـ، وله ٦٧ حديثاً، ينظر: سير أعلام النبلاء ٤٨٧/٢، الإصابة ١٧٩/٧، الأعلام ٩٦/٥.

(4) خرجه مسلم، كتاب السلام، باب لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك، برقم ١٩٦ من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه.

(5) هو عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، جلال الدين، إمام حافظ مؤرخ أديب، موسوعي مكثر من التأليف له نحو ألف كتاب، نشأ في القاهرة، توفي سنة ٩١١، ينظر: الأعلام (٣ /٣٠٢).

• وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بتقدير الله تعالى[1].

وأما التمائم: شيء يعلق على الأولاد من العين، وهو منهي عنه، لأنه لا دافع إلا الله، لحديث: «إن الرقى والتمائم والتولة شرك»[2]، والتعلق يكون بالقلب ويكون بالفعل، ويكون بهما جميعاً، ومعنى الحديث من تعلق بغيره أو سكن إلى علمه وعقله ودوائه ونمائه، واعتمد على حوله وقوته، وكله الله إلى ذلك وخذله، وهذا معروف بالنصوص والتجارب قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾[3].

وأما التولة: شيء كانت المرأة تجلب به محبة زوجها، وهو ضرب من السحر، وإنما كان ذلك من الشرك، لأنهم أرادوا دفع المضار وجلب المنافع من عند غير الله[4].

قال الشيخ سليمان بن عبدالله[5] رحمه الله، ولما كانت الطيرة باباً من الشرك منافياً للتوحيد أو لكماله، لأنه من إلقاء الشيطان وتخويفه ووسوسته،... ثم قال رحمه الله فالواجب على العبد التوكل على الله، ومتابعة رسول الله ﷺ، وأن يمضي لشأنه لا يرده شيء من الطيرة عن حاجته فيدخل في الشرك، فإذا أرادوا أمراً، فإن رأوا الطير مثلاً طار يمنة، تيمنوا به، وإن طار يسرة، تشاءموا به، فنفاه الشرع وأبطله ونهى عنه وأخبر أنه ليس له تأثير في جلب نفع أو دفع ضر[6].

---

(١) تيسير العزيز الحميد، سبق، ١٦٠.
(٢) سبق تخريجه.
(٣) سورة الطلاق، ۤ: ٣.
(٤) التولة: بكسر المثناة وفتح الواو واللام مخففاً، تيسير العزيز الحميد بشرح كتاب التوحيد ص١٦٢.
(٥) هو: سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، ولد سنة ١٢٠٠هـ، الحافظ المحدث الفقيه المجتهد الثقة مات شهيداً برصاص جند إبراهيم بن محمد علي باشا بأمر منه، فمزقوا جسده سنة ١٢٣٣ هـ، راجع مقدمة كتابه، تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد ص٩.
(٦) تيسير العزيز الحميد سبق، ص٤٢٩.

قال الله تعالى: ﴿قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾﴾[1]، وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لا عدوى ولا طيرة»[2].

وأما النذر فالأصل في هذا الباب قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾[3].

والمعنى الظاهر من الآية أ- أعمالنا كلها لله ﷻ الواحد الأحد فلا ينبغي صرف شيء منها لغير الله ومن ذلك الذبح لغير الله، وقد شدّ النبي ﷺ على من فعل هذا الفعل إلا أن فاعل ذلك ملعون من قبل الله ﷻ وهذا بيان ودليل لشدة الأمر وخطورته، إذ يقول الله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾﴾[4].

وعن علي ﷺ قال: حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات: «لعن ا- من ذبح لغير الله، ولعن الله من لعن والديه، ولعن الله من آوى محدثاً، ولعن الله من غيَّر منار الأرض»[5].

واللعن: الابتعاد عن رحمة الله تعالى وعن نطاقها ومواطنها والملعون: من حقت عليه اللعنة وأصل اللعنة: الطرد والإبعاد من الله، وفي قوله: «لعن الله من لعن والديه» فيه إشارة إلى هبوط المسلم إلى الدركات السفلى بهذا الفعل الشنيع، والنزول بشخصيته إلى الحضيض، وكذلك في قوله

---

(١) سورة يس، آ-: ١٩.

(٢) خرجه البخاري، كتاب الطب، باب لا عدوى، برقم ٥٧٥١، من حديث أنس بن مالك ﷺ.

(٣) سورة الأنعام، الآيتان: ١٦٢،

(٤) سورة الكوثر، آية: ٢.

(٥) خرجه مسلم، كتاب الأضاحي، باب تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله، برقم ٣٧٧٢، من حديث علي بن أبي طالب.

«لعن الله من آوى محدثاً»، والمحدث هو المبتدع في الدين، الذي يزيد في دين الله تعالى ما ليس منه، فالرضى بالبدعة والرضى بالزيادة في الدين، هدم لشخصية المسلم، حيث لا مرجعية له ولا شريعة مقدسة، يرجع إليها فكل شيء عنده قابل للزيادة حتى الدين.

وهذا ما يؤكده أمير المؤمنين عمر ﷺ عندما سمع قوله تعالى: ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾[1]، قال: «والله ما بعد الكمال إلا النقصان»[2].

وقوله كذلك «ولعن الله من غير منار الأرض» أي يقوم الإنسان المتعدي بتغيير الحدود الفاصلة بينه وبين جاره.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: منار الأرض ـ بفتح الميم ـ علامات حدودها وهذا مشاهد في القرى حيث الأراضي الزراعية ملتصقة بعضها ببعض بقوم المزارع والفلاح بتغيير الحدود من الطريق العام كل هذا يؤدي إلى ذبول شخصية المسلم وانطفاء بصيرته، وأن الذبح لله والتقرب إليه سبحانه وتعالى، وحب الوالدين وطاعتهما وخفض الجناح لهما وحب السنة والدين وعدم الزيادة فيها واحترام الحدود الفاصلة بيني وبين جاري كل هذا يؤدي إلى نماء شخصية المسلم والله أعلم.

ومن الوسائل التي تؤدي إلى تنمية شخصية المسلم أن يكون عضواً في صفوف المجاهدين، ليجاهدوا أعداء الإسلام، قال تعالى: ﴿وَجَـٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾[3].

وقد أمرنا الله تعالى بالأخذ بأسباب القوة والتهيؤ لملاقاة العدو، قال تعالى:

﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾[4].

---

(١) سورة المائدة، آية ٣.
(٢) خرجه الخطيب البغدادي في موضح أوهام الجمع والتفريق ١٩،٢.
(٣) سورة الحج، آية: ٧٨.
(٤) سورة الأنفال، آية: ٦٠.

وبين ﷺ فضل الرمي في سبيل الله فعن أبي نَجيح السُلَمي[1] وهو عمرو بن عبسة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من رَمَى بسهم في سبيل الله فبَلَغَ العدو كتب له به حسنة»**[2].

وبيّن كذلك ﷺ فضل الحرس في سبيل الله ﷺ فعن أبي رَيْحانة ﷺ ـ وهو الأزْدِ ـ[3] عن رسول الله ﷺ قال: **«حُرِمت عينٌ على النار سَهِرَتْ في سبيل الله»**[4]، حتى غبار قدمك في سبيل الله له فضل عظيم، فعن أبي عبس عبدالرحمن بن جبر ﷺ[5] أن النبي ﷺ قال: **«من أغبرت قدماه في سبيل الله، حرّمه الله على النار»**[6].

وبيّن كذلك فضل الرباط في سبيل الله ومن مات مرابطاً، فعن سلمانَ الفارسي ﷺ[7] عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جَرى عليه عَمَلُهُ الذي كان يعمله وأُجري عليه رزقه**

---

(١) عمرو بن عنبسة بن خالد بن عامر بن عاضرة السلمي، أبو نجيح، أسلم قديماً بمكة، ثم رجع إلى بلاده، هاجر إلى المدينة، نزل حمص وتوفي بها في خلافة عثمان، انظر: الإصابة ٣/ ٥، ٦ ترجمة ٥٩٠٣.٦.

(٢) خرجه الترمذي، كتاب الجهاد، باب من شاب شيبة في سبيل الله، برقم ٢٢٤٧، من حديث معاذ بن جبل ﷺ.

( ) أبو ريحانة: شمعون بن يزيد بن خناقة، أبو ريحانة الأزدي، وقيل: الأنصاري، شهد فتح دمشق، وروى عن النبي ﷺ وروى عنه مجاهد بن جبر وشهر بن حوشب، انظر: الإصابة (٢/ ١٥٦)، أسد الغابة (٣٧٧/٢).

(٤) صحيح النسائي، السنن الكبرى، كتاب الجهاد، ثواب عين سهرت في سبيل الله، برقم ٣٢٣٧، من حديث أبي ريحانة الترغيب، برقم (١٢٣٤، ٣٣٢١).

(٥) عبدالرحمن بن جبر أبو عبس، في الكنى عبدالرحمن بن جبير ـ بجيم وموحدة ـ ثقة من الرابعة، مات سنة ثماني عشرة.

(٦) خرجه البخاري، كتاب الجمعة وباب المشي إلى الجمعة، برقم ٩٠٧، من حديث أبي عبس ﷺ. تقريب التهذيب ج١، ص٥٦٤.

(٧) سلمان الفارسي، صحابي، عمر طويلاً، تنقل من المجوسية إلى النصرانية ثم إلى الإسلام، ولي إمارة المدائن، توفي بالمدائن، سنة ٣٦ هجرية، ينظر: أعلام النبلاء (٥٠٥/١).

وأمِنَ الفَتَّانَ»[1].

وقد جعل النبي ﷺ الجهاد أفضل الأعمال بل على رأس الأعمال، فعن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: سألت النبي ﷺ: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «**الصلاة على وقتها**، قال: ثم أي؟، قال: «**بر الوالدين**»، قال: ثم أي؟، قال: «**الجهاد في سبيل الله**»[2].

«وأن كل ما يؤدي إلى هدر شخصية المسلم وعدم إنمائها فإن الإسلام لا يقبله فالمسلم عندما يرى نفسه ذليلاً في أرض، أو مظلوماً، فإن الإسلام في هذه الحالة، يحتم عليه حفاظاً عليه، وصيانة لكرامة المسلم، وطهارة لنفسه، أن يهاجر إلى أرض أخرى، ليعيش فيها، رافعاً رأسه، سعيداً كريماً حيث لا ذل، ولا هوان.

ومن وسائل تنمية شخصية المسلم أن الإسلام يريد من المسلم أن يكون قوي الشخصية، قوي التفكير، قوي الجسم والبنيان، قوي العقيدة، لا يخاف إلا الله ﷻ وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا المعنى بقوله: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز، وإن أصابك شيء، فلا تقل لو أني فعلت كذا وكذا، لكان كذا، ولكن قل: قدر الله، وما شاء فعل، فإنّ «لو» تفتح عمل الشيطان**»[3].

فكما أن الإسلام أمر المسلم أن يكون قوياً في جسمه كذلك أمر المسلم أن يحافظ على صحته، وذلك باختيار الأكل واختيار الشراب، وكذلك المحافظة على النظافة العامة، فلقد حرّم الإسلام للمسلم أن يأكل ما نهاه الله تعالى عن أكله، قال الله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ

---

(1) بضم الفاء، جمع فاتن، وهما منكر ونكير اللذان يفتنان القبور؛ والحديث خرجه مسلم، برقم (١٩١٣).

(2) خرجه البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل الصلاة لوقتها، برقم ٥٢٧، من حديث عبدالله بن مسعود ﷺ.

(3) خرجه مسلم، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة با ٤٩٤٥، من حديث أبي هريرة.

﴿الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾[1].

والأصل في اختيار الطعام تلك القاعدة التي أصّلها الفقهاء، وهي كل حيوان استطابته العرب في حال الخصب والرفاهية، ويدخل في هذا الباب على سبيل المثال لا الحصر: كل حيوان لا يعيش إلا في البحر، وهو السمك بكل أنواعه، فهو حلال لأن العرب استطابته[2].

ودليل ذلك من السنة: ما ورد عن أبي هريرة ﷺ يقول: سأل رجل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إنا نركب البحر، ونحمل معنا القليل من الماء، فإن توضأنا عطشنا، أفنتوضأ من ماء البحر؟ فقال رسول الله ﷺ: «هو الطهور ماؤه الحل ميتته»[3].

وأما اختيار الأشربة فقد قرر الفقهاء أن ألبان الحيوانات المأكولة اللحم، أ ألبان غير مأكول اللحم فحرام، إلا لبن الإنسان فطاهر ويحل أكله وشربه.

فالأصل في الأشربة الحل لعموم قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾[4]، فكل ما نزل من السماء، أو نبع من الأرض، فهو حلال.

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ

---

(١) من سورة المائدة، آ: ٣.

(٢) الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي، د. مصطفى الخن، د. مصطفى البغا، علي الشربجي ط دار القلم، دمشق، ج٣، ص٦٩.

(٣) خرجه الترمذي، كتاب أ ا الطهارة، باب ما جاء في ماء البحر أنه طهور، برقم ٦٩، من حديث أبي هريرة ﷺ، وهو حديث حسن صحيح وهو قول أكثر الفقهاء من أصحاب النبي ﷺ.

(٤) سورة البقرة، آ: ٢٩.

﴿كَبِيرًا ۝﴾[1].

ومن الأشربة ما هو حرام وما هو حلال، أما ما يحرم من الأشربة ما كان ضاراً منها كالسم، وغيره قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾[2].

ومنها النجس كالدم المسفوح والبول قال الله تعالى في ذكر المحرمات: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝﴾[3].

وأما البول فعن أنس بن مالك[4] أن النبي ﷺ رأى أعرابياً يبول في المسجد، فقال: «دعوه» حتى إذا فرغ دعا بماء فصبه عليه[5].

والحاصل: من هذا الباب أنه يجب على المسلم البحث عما يحل ويحرم من المأكولات والمشروبات، ليبقى المسلم عزيزاً، تقياً، نقياً، متميزاً على غيره وبهذا البحث عن حكم المأكل والمشرب، وبتلك التميز الذي يتميز به المسلم عن غيره، فلا يذهب عقله بسكر أو هذيان وتلك هي تنمية شخصية المسلم.

ومن وسائل تنمية شخصية المسلم: ألا يتظاهر بالخضوع والتماوت، والاستكانة والذل في غير محلها، فقد رأى عمر ﷺ[6] رجلاً يظهر النسك،

---

(١) سورة الفرقان، الآيتان: ٤٨، ٤٩.

(٢) سورة النساء، آ: ٢٩.

(٣) سورة الأنعام، آ: ١٤٥.

(٤) هو: ابن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار، الإمام، المحدث، راوية الإسلام، خادم رسول الله، آخر الصحابة موتاً، توفي بالبصرة عن أكثر من مائة، انظر: سير أعلام النبلاء ٤٠٣/٣.

(٥) خرجه البخاري، كتاب الوضوء، باب ترك النبي ﷺ والناس الأعرابي حتى فرغ برقم ٢١٩ من حديث أنس بن مالك.

(٦) سبق ترجمته ص١٠٠.

والتماوت، فخفقه بالدرة، وقال: لا تمت علينا ديننا، أماتك الله[1].

ومن وسائل تنمية شخصية المسلم: أن الإسلام أراد من الرجل أن يكون رجلاً، بمعنى أن يظهر رجولته، وقوته التي خلقه الله عليها فلا يخرج عن طور رجولته فلا يتحدث بلغة النساء، ولا يتصرف تصرف النساء، ومن كانت هذه حالته فيجب على ولي أمره أن يغرس في نفسه الثقة بالنفس، والاحتكاك بالآخرين والاستفادة من تجاربهم وحياتهم، وأن يصحبه والده معه في زياراته للآخرين ليتعرف ويتدرب على كيفية مخاطبة الآخر.

وفي زماننا هذا للأسف ما يعين الشباب على الخروج والانسلاخ من الرجولة، بأن فتحت محلات لبيع اكسسوارات للرجال، وما هذا إلا لهدم الرجولة وتحمل المسؤولية في نفوس شبابنا وظهور ما يسمون بالجنس الثالث يضعون المساحيق ويرتدون وصلات الشعر المختلفة، والملابس الضيقة وسلاسل العنق وربّاطات اليد والنظارات السوداء، والعطور النسائية، والتكسر في المشية، وكذلك الأنثى لا تخرج عن طور أنوثتها فلا تترجل فإن ترجلها خروج عن فطرتها، وانتكاسة عن الفطرة التي خلقها الله عليها، ولهذا حذّر الرسول ﷺ من هذا الفعل فقال: «**لعن رسول الله المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال**»[2].

ومن وسائل تنمية شخصية المسلم: أن الإسلام دعاه إلى لم الشمل ووحدة الكلمة، وجمع الصفوف وفي المقابل حذّر الإسلام أشد التحذير من الفرقة وشتات الكلمة وتمزيق الصف شريطة أن يكون هذا الجمع للكلمة وتوحيد الصف تحت مظلة الإسلام الكبرى وباسم الدين الذي انتسبنا إليه وتسمينا به قال تعالى: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾[3].

---

(١) التنمية بالمفهوم الشامل في الإسلام، د. عبدالله عبدالرحيم العبادي، دار الثقافة، قطر، ٢٠٠٨، ص١٢٥.

(٢) خرجه البخاري، كتاب اللباس، باب المتشبهون بالنساء والمتشبهات بالرجال، برقم ٥٨٨٥، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) سورة الحج، آية: ٧٨.

فلا يجوز لنا أن نوحد رايتنا وكلمتنا إلا تحت هذه الراية وذلك المسمى، فكم من وحدة قامت على العنصرية، أو اجتمعت على الظلم، أو على الهدم، والتخريب، أو أغراض شخصية حزبية والحق أنها كلها باءت بالفشل، ولم يكتب لها النجاح، فمن لم يقم على الدين لا فائدة منه ولا لزوم له، وأجله قصير، ومداه قريب، وتعود على صاحبها بالفشل الذريع، والله تعالى ينادي هذه الأمة التي كتب لها الخيرية أن تعتصم به سبحانه وتعالى ولا تفرق، فقال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾[2].

وقال ﷺ: **«إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»**[3].

ويقول ﷺ: **«مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم، مثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»**[4].

وقد أمر الله سبحانه وتعالى بإصلاح ذات البين، والمسارعة إلى ذلك، قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾[5].

وقد بيّن الله تعالى في كتابه العزيز فضل الإصلاح بين الناس في موضع آخر فقال تعالى: ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾[6].

---

(١) سورة آل عمران، آ: ١٠٣.

(٢) سورة الأنفال، آ: ٤٦.

(٣) خرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، برقم ٤٨١، من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

(٤) خرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم، برقم ٤١١٣، من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٥) سورة الحجرات، آ: ٩.

(٦) سورة النساء، آ: ١١.

وعن أبي الدرداء ﷺ[1] قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام، والصلاة، والصدقة؟**» قالوا: بلَى يا رسول الله، قال: **إصلاح ذات البين، وفسادُ ذات البين الحالقة**»[2].

وكان النبي ﷺ حريصاً أشد الحرص على إصلاح ذات البين فعن سهل بن سعد الساعدي ﷺ[3]: «أن رسول الله ﷺ بلغه أن بني عمرو بن عوف كان بينهم شيء، فخرج رسول الله ﷺ ليصلح بينهم - في أناس معه - فحبس رسول الله ﷺ وحانت الصلاة، فجاء بلال إلى أبي بكر ﷺ فقال: يا أبا بكر! إ` رسول الله ﷺ قد حبس، وحانت الصلاة، فهل لك أن تؤمَّ الناس؟ قال: نعم، إن شئت»[4].

وما جاء عن سهل بن سعد أيضاً في هذا الباب أنه ﷺ قال: أهل قباء اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة، فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال: «**اذهبوا بنا نصلح بينهم**»[5].

وقد عدَّ النبي ﷺ الإصلاح بين الناس صدقة، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كل سُلامى من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس يعدل بين الاثنين[6] صدقة، ويعين الرجل على دابته، فيحمل عليها أو يرفع عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة**

---

(١) هو: عويمر بن مالك بن قيس بن أمية الأنصاري الخزرجي، أبو الدرداء، صحابي، ولي القضاء بدمشق، أحد الذين جمعوا القرآن حفظاً، مات بالشام، سنة ٣٢هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء (٢/٣٣٥).

(٢) خرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في إصلاح ذات البين، برقم ٤٩١٩، من حديث أبي الدرداء ﷺ.

(٣) سهل بن سعد بن مالك الأنصاري الساعدي، صحابي جليل، آخر من مات بالمدينة من الصحابة، سنة ٩١، انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٣/٢٠٠).

(٤) خرجه البخاري، كتاب العمل في الصلاة، باب رفع الأيدي في الصلاة، برقم ١٢١٨، من حديث سهل بن سعد ﷺ.

(٥) خرجه البخاري، كتاب الصلح، باب قول الإمام لأصحابه: اذهبوا بنا نصلح برقم ٢٦٩٣ من حديث سهل بن سعد.

(٦) أي: يصلح بينهما بالعدل.

يخطوها إلى الصلاة صدقة، ويميط الأذى عن الطريق صدقة»[1].

وقال ﷺ: «**ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس، فينمي[2] خيراً، أو يقول خيراً**»[3].

والحاصل: أن التزام الجماعة والحرص عليها، إنما هو تنمية الجماعة المسلمة وتنمية للمجتمع الإسلامي بأسره، والله أعلم.

* * *

المطلب الثاني
التنمية في مجال العلم والمعرفة والاختراع

لقد أولى القرآن الكريم التنمية في مجال العلم والمعرفة اهتماماً عظيماً وتأخذ قسطاً كبيراً من التوجيهات النبوية التي تدور حول فضله والرحلة فيه.

أما فضله قال الله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[4]، الزيادة في طلب العلم وتنميته شيء اهتم به الشرع الحنيف اهتماماً بالغاً وقال الله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِالْقِسْطِ﴾[5]، فانظر كيف بدأ ا[illegible]، وثنى الملائكة وثلث بأهل العلم، وناهيك بهذا شرفاً وفضلاً، وقد رفع الله مكانة أهل العلم وبوأهم منزلة عظيمة، فقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ

---

(١) خرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من أخذ بالركاب ونحوه، برقم ٢٩٨٩، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) يقال: نميت الحديث أنميه: إذا بلغته على الإصلاح، وطلب الخير، فإذا بلغته على وجه الفساد والنميمة قلت: نميته بالتشديد.

(٣) خرجه البخاري، كتاب الصلح، باب ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس، برقم ٢٦٩٢، من حديث أم كلثوم بنت عقبة.

(٤) سورة طه، [illegible]: ١١.

(٥) سورة آل عمران، [illegible]:

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ﴾[1].

ولما كان للعلم فضل كبير وعظيم جعل الاستواء بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون من الصعوبة بمكان، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾[2]، وقد علّمنا الله تبارك تعالى أن نرد الحكم في الوقائع إلى الاستنباط وأهله هم العلماء، فقال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾[3].

ولفضل العلم وعلو منزلته فإن العلماء افتتحوا مصنفاتهم بكتاب العلم لشرفه ومن هؤلاء العلامة محمد جمال الدين القاسمي الدمشقي[4]، في كتابه «موعظة المؤمنين»، وكذلك فعل حجة الإسلام[5]، صاحب الإحياء صدّر كتابه وجعل الباب الأول في العلم والتعلم ويكفي العلم شرفاً: أن أول سورة نزلت في مكة تدعو إلى العلم، والقراءة، والمعرفة، والإمساك بالعلم، قال تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ① خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ② ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ③﴾[6].

فينمي المسلم العلم، وينميه إلى ما شاء الله تعالى، فلا يقف العلم عند حد معين، والسنة النبوية شاهدة على ذلك بنصوص كثيرة، منها:

أن النبي ﷺ بيّن فضل من خرج في طلب العلم فقال: «من سلك

---

(١) سورة المجادلة، آ: ١١.

(٢) سورة الزمر، آ: ٩.

(٣) سورة النساء، آ: ٨٣.

(٤) هو: جمال الدين أو محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، ولد سنة ١٢٨٣هـ بدمشق، له تصانيف عدة نافعة منها قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، إصلاح المساجد من البدع والعوائد، انظر: كتاب الأعلام للزركلي ١٣٥/٢.

(٥) الإمام زين الدين، حجة الإسلام، أبو حامد، محمد بن محمد بن محمد الغزالي، الطوسي، النيسابوري، الفقيه الصوفي، الشافعي، ت٥٠٥هـ، وله مصنفات عديدة، الوسيط في الفقه الشافعي، المستصفى في علم الأصول، المقصد الأسنى في شرح أسماء ا الحسنى، الوجيز، إحياء علوم الدين... إلخ، انظر: طبقات الشافعيه ١٠١/٤، وفيات الأعيان ٤٦٣/١.

(٦) سورة العلق، الآيات: (١ ـ ٣).

طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة»[1]، كما أوضح رسول الله ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم، والله معطي، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله»[2].

قال ابن حجر في الفتح: «ومفهوم الحديث أن من لم يتفقه في الدين - أي: يتعلم قواعد الإسلام وما يتصل بها من الفروع - فقد حرم الخير»[3].

ومن خلال ما تقدم من الأحاديث تبرز لنا حقيقة هامة، وهي أن التنمية في مجال العلم وطلبه والحث على تعلمه، وتعليمه، قد شغلت مساحة كبيرة من توجيهات الشرع الحكيم، وذلك لأن العلم وتنميته في النفس البشرية يهدي إلى الإيمان وكذلك الرسوخ في العلم، بتنميته يهدي إلى الإيمان قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[4].

ومن الأدلة القوية على استمرار العمل وتنميته حتى بعد رحيل الإنسان من الدنيا حديث النبي ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[5].

قال النووي في شرح مسلم: «قال العلماء: معنى الحديث أن عمل الميت ينقطع بموته، وينقطع تجدد الثواب له إلا في هذه الأشياء الثلاثة لكونه كان سببها، فإن الولد من كسبه، وكذلك العلم الذي علّمه من تعليم

---

(١) خرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، برقم (٤٩٩٦) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) خرجه البخاري، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، برقم ٧١، من حديث معاوية ﷺ.

(٣) فتح الباري، ٢٢٢/١، ط دار الفكر.

(٤) سورة آل عمران، آية: ٧.

(٥) خرجه مسلم، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، برقم ٣١٨٥، من حديث أبي هريرة ﷺ.

أو تصنيف وكذلك الصدقة الجارية وهي الوقف قال: وفيه دليل لصحة أصل الوقف وعظيم ثوابه»[1].

ومن عظمة هذا الدين أنه أمر بتعلم الدين، وتعليمه للغير، فلم يكتف بتنمية نفسه بالعلم بل تعدى التنمية إلى تنمية غيره، وتعدي النفع والخير إليه.

وقد حرص سلفنا الصالح على تنمية أنفسهم، والحرص على تنمية غيرهم ببذل المعرفة إليهم ودوام تلك التنمية إلى نهاية حياتهم.

فسئل أبو عمرو بن العلاء[2] حتى متى يحسن بالمرء أن يتعلم؟ فقال: ما دامت تحسن به الحياة.

وقيل لابن المبارك[3]: إلى متى تطلب العلم؟ قال: حتى الممات إن شاء الله.

ومن وصايا لقمان[4] لابنه: «يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك، فإن الله سبحانه يحيي القلوب بنور الحكمة، كما يحيي الأرض بوابل السماء»[5].

قال القاسمي رحمه الله: فمنه ما يدرك به التوحيد، ويعلم به ذات الله تعالى وصفاته، ومنه ما تعرف به العبادات والحلال والحرام، وما يحرم من

---

(١) شرح مسلم (١١/٨٥).

(٢) هو ابن عمار، بن العريان التميمي، ثم المازني المصري، شيخ القراء والعربية، عاش ستاً وثمانين عاماً، مات سنة ١٥٧، انظر: سير أعلام النبلاء ٦/٤١٠.

(٣) عبدالله بن المبارك بن واضح الحنظلي بالولاء، أبو عبدالرحمن، حافظ، مجاهد، تاجر، مات وهو عائد من غزو الروم سنة ١٨١هـ، له كتاب الجهاد، وهو أول من ألف فيه، سير أعلام النبلاء ٨/٣٧٨.

(٤) قال ابن عباس: كان لقمان عبداً حبشياً نجاراً، وقال سعيد بن المسيب: لقمان من سودان مصر، ذا مشافر، أعطاه الله الحكمة، ومنعه النبوة، انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ٣٣٣ ـ ٣٣٤) ط٢، دار طيبة للنشر.

(٥) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين، سبق، ص١٤.

المعاملات، وما يحلّ، ومنه ما تعلم به أحوال القلب ما يحمد منها كالصبر والشكر والسخاء وحسن الخلق وحسن المعاشرة والصدق، والإخلاص، وما يذم كالحقد والحسد والغش والكبر والرياء والغضب، والعداوة، والبغضاء، والبخل، فمعرفة ما تكتسب به الأولى، وما تجتنب به الثانية، فرض عين كتصحيح المعتقدات، والعبادات، والمعاملات[1].

وهذا بالنسبة لتنمية الإنسان دينياً، وهذا جزء ما تقصده بالمعرفة لكن الناظر المتأمل لواقعنا المعاش المعاصر يجد تأخراً كبيراً في المعرفة للعلوم الأخرى.

«ومن خلال ما مر معنا في دلائل تفيد صراحة فضل العلم، وأهميته في حياة الناس، فإن من الضروري هنا أن ننبه على تشجيع العلماء على كافة الأصعدة على البحث، واستخراج ما هو جديد ونافع لهذه الأمة الميمونة، كل حسب اختصاصه وأنه يجب وجوباً عينياً في هذا الزمان على الحكومات أن ترصد الميزانيات الضخمة للبحث العلمي، وتفعيل دور المراكز العلمية لاحتضان العلماء في جميع التخصصات على الأقل، أسوة بالرياضيين الذين شغلوا الأمة ردحاً من الزمان، ولم يقدموا للأمة شيئاً يذكر على الإطلاق، فلا خير في أمة لا تشجع على العلم ولا تحض عليه، ولا خير في أمة لا تعرف قيمة علمائها.

لكن واقعنا المر الأليم ليشهد تراجعاً خطيراً ملموساً في هذه القضية كان من نتيجته هجرة الكفاءات، والعقول إلى الخارج، إلى بلاد أوروبا وأمريكا حتى أصبح عددهم اليوم يقدر بعشرات الآلاف إن لم يكن بالمئات، ومنهم من بلغ في الريادة العلمية الدرجة الأولى من بين علماء العالم ومفكريه، وهم يسهمون إسهاماً فاعلاً في تقدم الحركة الحضارية في جميع وجوهها بقطع النظر عن الأسباب التي أدت إلى تفشي هذه الظاهرة وتناميها بمرور الزمن.

إن هذه العقول الإسلامية المهاجرة تعتبر رصيداً إضافياً في مجال

---

(١) سبق، ص١٨.

الريادة العلمية والفكرية، حيث تساهم إسهاماً فاعلاً في التقدم الصناعي والتكنولوجي، وتسرع من حركة التنمية الشاملة فيها، وهو أمر مشهود في تلك البلاد التي هاجر إليها هؤلاء العلماء.

ولنا أن نعقد مقارنة بين التنمية الشاملة في كل جوانبها ومناحيها في بلادنا وبلاد الغرب، نجد البون شاسعاً واسعاً، إن بلاداً هاجر علماؤها وأهل الفكر فيها لهي بلاد تقاعست كثيراً عن التنمية وركب الحضارة.

وإن هجرة هذه العقول يعتبر نقصاناً من رصيد الأمة الثقافي التي يتحرك نحو نهضتها، وذلك بما ينقص بتلك الهجرة من إمكانيات الابتكارات والكشوف العلمية والفكرية التي من شأنها أن تطور الحياة وتنميها.

ولا شك أن هذه العقول الإسلامية المهاجرة هي من صفوة الأمة في قدراتها الذاتية، ذكاء وقدرة على التحصيل والاستيعاب والتحليل، فأغلب تلك العقول ذهبت إلى الغرب ضمن بعثات علمية يُتميز فيها الأفضل فالأفضل من الخريجين، وكثير منها هاجر به طموحه إلى الأعلى في سلّم العلم، وهو ما يكون ناشئاً في الغالب عن استشعار لقدرات التحصيل المعرفي، وقد يكون هو بدوره منمياً لتلك القدرات إلى أعلى المستويات، وبذلك يتوفر في تلك العقول شرط أساسي هو الكفاءة العقلية للقيام بالأدوار المهمة من أجل تحقيق التنمية الشاملة في هذه البلاد، وقد تعززت هذه العقول المهاجرة، تلك القدرات الذاتية بالمحصول العلمي الذي تحققت به من خلال ممارستها العلمية في بلاد الغرب، إذ هي عقول في أغلبها ممارسة للعلم النظري أو التطبيقي، بالغة فيه درجات عالية، كما يتبين من محصول بعضها على أعلى الجوائز العالمية، وذلك ما يعتبر رصيداً مهماً في مؤهلاتها الذاتية، حيث تفتح الحصيلة العلمية للعقل آفاقاً بعيدة في النظر، وتنقله من ضيق الذاتية، شخصية وعرقية وإقليمية، إلى رحابة الإنسانية في أبعادها المختلفة»[1].

---

(١) البعد الحضاري، سبق، ص٥٨.

ومن خلال ما مضى نؤكد أن سرعة وسائل الاتصال ودقتها، راجع إلى الاستفادة من هذه العقول المهاجرة، وإلى احتضانها وتوفير كفايتها، حتى بذلت وقدمت وما زالت تقدم أفضل ما لديها من بحوث علمية رائدة، عملت ولا تزال تعمل على تنمية تلك المجتمعات، في الوقت الذي تشكو فيه بلادهم من تدني واضح ملموس، على كافة الأصعدة، بسبب تخلفها عن ركب التنمية، حيث شكلت هجرة هذه العقول في الحقيقة إلى تسول بلادهم على موائد الغرب وحتى صارت هذه البلاد لا نفوذ لها ولا اعتداد يذكر لأنها مسلوبة الفكر والتقدم الحضاري.

لذلك ينبغي إعادة النظر في هذا العقل الإسلامي المهاجر، وسرعة توفير جميع الإمكانات التي يحتاجها من أجل رفعة بلاده وزيادة حصة البحث العلمي والعمل على تشجيعه والتعاون والتكاتف والعمل بروح الفريق، ونبذ ال (أنا) وقيادة تربية الأجيال من جديد، وتحت إشراف هيئات متخصصة لها دور إيجابي في المجتمع، وضرورة تغيير نمط التفكير ونسق الحياة الباليين، إن وعينا الكامل بخطورة هجرة هذه العقول الإسلامية المهاجرة في ترشيد الساحة الفكرية الإسلامية، هو بدا- الانطلاق والإسهام الحضاري الفعلي للمفكر المسلم في معركة التغيير، ولأهمية الفكر في تنمية المجتمع.

يقول الدكتور/ إبراهيم الديب :"الفكر يسبق العمل، والفكر الصحيح هو أساس العمل الصحيح، وحقيقة تطور مظاهر الحياة جميعها مجموعة أفكار من نتاج العقل الإنساني، ثم ترجمتها على أرض الواقع لأشياء واختراعات محسوسة، لذلك فعالم الأفكار عالم هام وغالٍ وثمين يحتاج لمزيد من الاهتمام، وأن أغلى ما يصدره الإنسان خاصة الإنسان المبدع المفكر، هو الأفكار التي ينتجها عقله باستمرار"[1].

فليس هناك دين على وجه الأرض يأمر أتباعه بإعمال الفكر والنظر

---

(١) أسس ومهارا- الإبداع والابتكار، د. إبراهيم الديب، ط أم القرى، المنصورة، ٢٠٠٥، ص١٧٥.

مثل الإسلام، وهذا ما سنؤكد عليه في المطلب القادم عند الحديث عن التنمية في مجال المعارف بإذن الله.



المطلب الثالث
التنمية في مجال المعارف

المعارف: جمع معرفة، والمعرفة: من عرف بمعنى أحاط واستوعب، وتعني الإحاطة بمكونات شيء ما أو معنى ما، واستيعاب خصائص هذه المكونات ومميزاتها ونقائصها، فالمعرفة بهذا المعنى علاقة عقلية تفاعلية بين العارف (الإنسان) والمعروف (الأشياء والمعاني)[1].

يقول الدكتور أحمد رجب: ومن البديهي أن هذه العلاقة التبادلية ترتبط كماً ونوعاً بطبيعة العارف، قدراته الإدراكية، ومواهبه، وإمكاناته، . . . إلخ.

ولذلك نقول من حيث كم المعارف، فلان واسع المعرفة أو غزير المعرفة أو موسوعي المعرفة، وفلان ضحل المعرفة وفلان سطحي المعرفة. . . إلخ[2].

إن المعارف التي يجب على الإنسان معرفتها قد يصعب حصرها ولكننا نقول: ينبغي على المسلم أن يعرف أولاً ما لا يسعه جهله من دينه كي يعبد الله على بصيرة، ثم يتعرف بدقة على واقعه المعاش، الذي يريده الأعداء لنا أن يعيش واقعاً مراً حزيناً أليماً، لا يفكر إلا في رغيف الخبز، وتوفير الحد الأدنى من المعيشة، وعزل المسلم تماماً عن مكانته، عن

---

(١) فلسفة التربية، فيليب فينكس، مترجم، دار النهضة العربية، القاهرة، ٦٥ ١، ط١، ص٢٤٧.

(٢) النبي العربي، سبق، ٣٠٥.

ثقافته، عن حضارته، بل عن دينه، ثم في نهاية مطافه يجد المرء أنه بلغ الستين أو السبعين ومرّ قطار عمره وهو لم يحصل شيئاً له قيمة، ولم يقدم شيئاً للبشرية على الإطلاق بل كان كل همه وشغله الشاغل أن يأكل وأن يعيش ثانيًا.

إن هذه المعارف التي ينبغي على المسلم معرفتها تتنامى يومياً بالعطاء الحضاري والمعرفي المتراكم للإنسان حول الكون والإنسان والحياة، ومن هنا نؤكد أن الإحاطة الكلية ـ في ظل هذا الواقع المعاصر ـ مستحيلة، وأصبح استيعابها نسبياً يختلف من إنسان إلى آخر على ما عند الإنسان من همة وقدرات، ونحن هنا لا بد أن نفرق بين أمرين:

الأمر الأول: المعرفة العاميّة.

والأمر الثاني: المعرفة العلمية.

أما المعرفة العامية: وهي المعرفة التي تتوافر لعامة الناس بناءً على خبراتهم ومشاهداتهم اليومية دون الرجوع إلى التجريب أو التدقيق والنظر وأنا أقصد هنا أبجديات المعرفة وأولياتها، كلٌ حسب تخصصه.

والمتأمل لواقعنا يجد ان أبجديات المعرفة تكاد تكون مفقودة، يتخرج الشاب الآن من الجامعة ومعلوماته ضحلة جداً يكاد لا يستطيع أن يواجه واقعه وحياته بما لديه من خبرات، لذلك نجد شبابنا يرضى ويقنع بالدون فتسمع كثيراً الحمد لله أننا انتهينا من الجامعة «ومشاكل الامتحانات» وكأنها كانت جبلاً على كاهله.

هل الواقع المر الأليم وفقد تنمية المعارف لدى الإنسان يؤدي في نهاية المطاف إلى البطالة؟ نعم.

فتجد الكثير والكثير يتقدمون لشغل وظائف يعلن عنها ولا يقبل إلا عدد قليل جداً ومحدود بسبب إخفاق الكثيرين في تغطية أسئلة المقابلات المطروحة عليهم، وهذا الواقع الأليم لشباب أمتنا ومن هم في مقتبل

عمرهم، يحتاج منا إلى إعادة نظر وتأمل، ووضع استراتيجيات أخرى حسب معايشتي للواقع، ومن ذلك:

- ضرورة وجود اختبارات قدرات للملتحقين الجدد بالجامعة، والتركيز في هذه الاختبارات على أبجديات التخصص الذي ينوي الإنسان أن يتخصص فيه.

فمثلاً شاب يريد أن يلتحق بكلية الطب له اختبار قدراته وبه أسئلة فيقال له هل قرأت شيئاً معيناً جعلك تفكر أن تكون طبيباً.

قياس ثقافته، قراءته ومطالعته.

مدى إجادته واستخدامه للوسائل الحديثة، كتعامله مع اللغة الإنجليزية.

مدى فهمه لدينه وقضايا أمته.

وأما **المعرفة العلمية**: فأقصد بها المعرفة التي تتم وفق خطوات موضوعية موثقة تبدأ بالمشاهدة أو الملاحظة، والتأمل لإدراك أبعاد المعلومة، وهذه المعلومة تعتمد على أسلوب البحث والتجريب، كثير من الناس ممن يحصلون على شهادات علمية يظنون أن الأمر انتهى ووقفت المعرفة عند حد.

وما أجمل قول الإمام أحمد لما سئل عن العلم قال: **«من المحبرة إلى المقبرة»**[1].

وسئل آخر: ما حد العلم؟ قال: حد العلم حتى نهاية الحياة.

لذا نرى تقصيراً شديداً في مجال البحث العلمي، خاصة في مجال الطب، وحتى نؤصل هذه المعارف يلزمنا أن نصنف المعارف إلى ثلاثة أقسام: المعارف الدينية، المعارف الاجتماعية، المعارف الكونية، وسوف نتحدث عنها بشيء من التفصيل مع إيجاز مركز، إن شاء الله تعالى.

---

(١) الآداب الشرعية لابن مفلح، ٢/

أولاً: المعارف الدينية:

وهي المرتبطة منذ وجود الإنسان على هذه الأرض حيث بدأت التساؤلات أنا من أين جئت؟، ولماذا؟، ومن أنا؟! إلى آخر هذه التساؤلات، والحق أن الإنسان بلا عقيدة ضائع تائه، يفقد ذاته، ووجوده كحال هذا الشاعر البائس[1] الذي لا يدري شيئاً، فيقول:

جئت لا أعلم من أين، ولكني أتيت
ولقد أبصرت قدامي طريقاً فمشيت
وسأبقى سائراً إن شئت هذا أم أبيت
كيف جئت؟ كيف أبصرت طريقي؟

إنه لا يدري إلى أين المصير، ومصير الإنسان يهمه ويعنيه، ويريد أن يطمئن على ذاك المصير، ونحن نرى لوعة الشاعر وأساه، لأنه لا يدري إلى أين المصير؟ وماذا سيصير؟ إنه الضلال، الضلال عن الحقيقة، إ الشقاء: شقاء القلب المثقل المكدود الذي أتعبه المسير، والحق هو الذي أتعب نفسه لأنه لم يبحث عن الحقيقة، وهي عقيدة واضحة معلنة ولها وجود وكيان ظاهر، واضح وضوح الشمس في كبد السماء، تلك العقيدة هي عقيدة مستقرة في القلب استقراراً يلازمه، فلا ينفك عنه، فلا يسأل متى بدأت هذه العقيدة؟ ولا متى نشأت؟ إنها ملازمة للفطرة السوية السليمة لأنها عقيدة أرسى قواعدها وأسسها جبريل عليه السلام[2].

ولغياب العقيدة استبعد العقل أن يكون للكون كله إله واحد، ولذلك شاع الاعتقاد في الحضارات القديمة بتعدد الآلهة، فهذا إله الخير وذاك إله للشر، وهكذا...، من أجل هذا التخبط الذي تحياه البشرية التائهة نزلت الرسالات السماوية، وذلك لبيان حقيقة الخالق والخلق والحياة ثم جاء

---

(١) هو إيليا أبو ماضي من قصيدة له طويلة، من ديوانه (الجداول ص١٠٦).

(٢) عقيدة أهل السنة والجماعة، عبدالباسط محمد خليل، دار الكتاب العربي، مصر، ط١، ٢٠٠٥، ص٨.

الإسلام خاتماً للأديان كلها، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[1]، ذلك الدين الذي لبى جميع احتياجات البشر في هذه الحياة الدنيا، وأخذت المعرفة الدينية في الإسلام تأخذ بعداً شمولياً.

والمعرفة الدينية أساسية لكل فرد مسلم، هذه المعرفة منها ما هو فرض عين، ومنها ما هو فرض كفاية، أما فرض العين: وهو ما طلب الشارع حصوله من كل واحد من المكلفين كالصلاة والحج والزكاة وصلة الرحم، وترك الخمر، والكف عن المحرمات وسمي بالعيني لأن كل مكلف يتوجه إليه الخطاب بعينه ولا تبرأ ذمته إلا بفعله[2].

وأما فرض الكفاية فيتعلق بالمعرفة الدينية المتخصصة المتعمقة في فرع أو أكثر من فروع المعرفة الدينية، وهو ما طلب الشارع حصوله من مجموع المكلفين، لا من بعضهم فإذا قام البعض فقد أدى الواجب، وسقط الإثم والحرج عن الباقين مثل: الجهاد في سبيل الله، رد السلام، الصلاة على الموتى، الإفتاء والقضاء، تعلّم المهن، تعلم الهندسة، إنشاء المدارس، وإذا لم يؤده أحد أثم المكلفون جميعاً لأنه مطلوب من مجموع الأمة[3].

لذا قال الشافعي ﷺ: «ولو ضيعوه معاً خفتُ أن لا يخرج واحد منهم مطيق فيه من المأثم»[4].

والحاصل: أن المعرفة الدينية تأخذ صفة اللزوم لعموم المسلمين في المعرفة العامة، وصفة الخصوص لبعض الناس في المعرفة المرجعية المتخصصة، والله أعلم.

---

(١) سورة المائدة، آ: ٣.

(٢) تيسير الورقات في أصول الفقه لإمام الحرمين، عبدالباسط محمد خليل، الدوحة/ قطر، ط١، ٢٠٠٢، ص٥٦.

(٣) نفسه، ص٥٦.

(٤) الرسالة، للإمام الشافعي، ص٣٦٦.

ثانياً: المعرفة الاجتماعية:

وتنتظم هذه المعرفة مع كل العلوم والمعارف المتعلقة بالاجتماع البشري، وأسس قيام المجتمعات، ونهوضها ورقيها وتقدمها وازدهارها وتطورها، وعوامل تفككها وتحللها، واندحارها وتمزقها وضياعها، بحيث يفيد التنظيم الاجتماعي، بالأولى لضمان سلامة المجتمعات، وبتلافي الثانية حتى لا يصاب بالانتكاس والإخفاق.

وهذه العلوم تشمل كل ما يتعلق بعمليات التيسير الاجتماعي والضبط الاجتماعي من سياسة وتربية واقتصاد وأخلاق وتاريخ وجغرافية وإدارة وقانون وبيئة وعلم نفس وإعلام، وغير ذلك.

وجدوى المعرفة الاجتماعية بالنسبة للإنسان، تتمحور حول ضبط نوعية العلاقات المتبادلة بين أبناء المجتمع الواحد، على أساس من الحق والعدل والخير، وتكافؤ الحق مع الواجب، والجهد مع المكافأة، والإبداع مع التقدير... إلخ[1].

ثالثاً: المعرفة الكونية:

وتتعلق هذه المعرفة بالأسس البنائية لكل موجودات الكون، الحية منها وغير الحية، والتي هي بمجملها ـ كما سبق القول ـ مسخرة للإنسان لتحقيق قوامة حياته على الأرض على أفضل مستوى ممكن، سواء في مأكله، ومشربه، أو ملبسه ومسكنه وصحته وسلامته.

والعلوم الكونية تشمل جميع العلوم البحتة والحيوية، والتطبيقية على أنواعها العديدة والواسعة، من طب، وهندسة، وصيدلة، وزراعة، وتعدين، وعلوم الحياة والفضاء، والذرة، وعلوم الفلك، والرياضيات، والفيزياء، والكيمياء، والأحياء، والطيران، والاتصالات[2].

---

(١) النبي العربي، سبق، ص٣١٢.

(٢) نفسه، ص٣١٣.

وكذلك من المعارف الكونية العلم بالسنن الربانية الكونية للأمم السابقة وعصورها والمراحل التي مرت بها، وذلك من خلال البعد التاريخي والتوجيهات التاريخية على ضوء معطيات القرآن الكريم.

ومن ذلك قوله: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾[2].

وكذلك معرفة علم الفلك ونستعين بذلك بفهم آيات القرآن ذات التوجيهات الفلكية، كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾﴾[3].

وفي كتاب ربنا إشارات أخرى لعلوم مختلفة لنتعلمها مثل الطب، وعلم الأجنة، ومعرفة ذلك من خلال آيات القرآن الكريم.

من ذلك: في علم الأجنة ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾[4].

❑❑❑❑❑❑

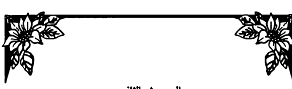
---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٣٧.

(٢) سورة الحج، آية: ٤٦.

(٣) سورة الأنعام، آية: ٩٧.

(٤) سورة غافر، آية: ٦٧.



المبحث الثاني
التنمية الروحية

مدخل

الإنسان وحدة متماسكة مترابطة لا تنفصل بعضها عن بعض، والمتأمل لنصوص القرآن والسنة، يجد أن هذه النصوص ما جاءت إلا لتغذية وتنمية الروح والوصول بها إلى مدارج عالية من الرقي، والاتصال بخالقها سبحانه وتعالى.

ولا يكون هذا الاتصال إلا بعد تنمية الروح حتى تكون على صلة بينها وبين خالقها، وهي صلة نامية مستمرة، في كل لحظة من لحظات العمر، ويتضح ذلك من خلال ما يلي:



المطلب الأول
التنمية في مجال الإيمان

الإيمان حقيقة عند أهل السنة والجماعة هو: قول اللسان، وعمل

الجوارح وتصديق بالجنان[1] ولهذا يقول العلامة السفاريني[2]:

إيـمـانـنـا قـول وقـصـد وعـمـل   تـزيـده الـتـقـوى ويـنـتـقـص بـالـزُّلـل

قال الشيخ العلامة محمد بن علي بن سلوم: والحاصل أن الإيمان عند السلف ومن وافقهم من أئمة أهل السنة والعرفان يزيد بالطاعة وينتقص بالعصيان[3].

وكون الإيمان قول اللسان، وعمل الجوارح وتصديق بالجنان، وفي هذا قول النبي ﷺ: **«إن الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها: قول: لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق، والحياءُ شعبةٌ من الإيمان»**[4].

فالقولُ: قول اللسان (لا إله إلا الله)، وعمل الجوارح وتصديق القلب، (الحياء) (وإماطة الأذى عن الطريق)، أما التصديق بالقلب: فقوله ﷺ: **«الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورُسلِهِ، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره»**[5].

---

(١) ولشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - مصنف في ذلك وهو كتاب الإيمان ضمن (مجموع الفتاوى) وقد قمت باختصاره يسر الله إخراجه، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (ص٣٧٣)، وفتح الباري لابن حجر (٦٢/١)، وتيسير العقيدة الطحاوية، عبدالباسط محمد خليل، دار الثقافة، قطر ١٩٩٩م.

(٢) هو: محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، شمس الدين، عالم بالحديث والأصول، من المحققين، وهو من متأخري الحنابلة، ولد في سفارين بنابلس عام ١١١٤هـ، ورحل إلى دمشق ثم عاد فدرس وأفتى بسفارين، وبها توفي عام ١١٨٨هـ، من مصنفاته شرح ثلاثيات المسند، انظر: الأعلام (١٤/٦).

(٣) مختصر لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، محمد بن علي بن سلوم، حققه وضبطه ونسقه وصححه محمد زهري النجار، دار الباز - مكة المكرمة، ١٩٨٣، ص٢٧٧، ومحمد بن علي، العالم المفرد، رحل إلى الإحساء لطلب العلم، من مؤلفاته، الشرح الكبير للبرهانية في الفرائض، توفي سنة ١٢٤٦هـ، انظر: (السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة).

(٤) خرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان، برقم ٩، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) خرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب الاستغفار والإكثار منه، برقم ٤٩٩٩، من حديث الأغر بن يسار المزني رضي الله عنه.

وقد دلّ القرآن على زيادة الإيمان ونقصانه، إذ لا تعقل الزيادة دون نقص، لقوله تعالى: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾[1]، ولقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾[2].

ولا شك في ذلك، ومتى قلنا: أن الإيمان قول وعمل، فإن بلا شك أن الأقوال تختلف، فليس من قال: «سبحان الله والحمد لله، والله أكبر» مرة كمن قالها أكثر! وكذلك أيضاً نقول: إن الإيمان الذي هو عقيدة القلب يختلف قوة وضعفاً، وقد قال إبراهيم ﷺ ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ فإنه ليس الخبر كالمعاينة والمشاهدة[3].

نعم ليس من قال: «سبحان الله والحمد لله والله أكبر» كمن قال: «يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث» فإن لكل ذكر وقول نماءً، ومن كان نماءً فإنه معرض للزيادة والنقصان يزيد وينمو بالقرب من الرب وينتقص بالبعد عنه، من أجل ذلك كان الإيمان يزيد وينقص وإلا كيف أتى الران الذي على القلب في قوله تعالى: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾[4] إلا من نقص الإيمان في القلب واضمحلاله والعلم عند الله.

ومن الأدلة على زيادة الإيمان ونقصانه من الكتاب، والسنة، وأقوال الأئمة ما يلي:

أولاً: من الكتاب:

- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾[5].

---

(١) سورة المدثر، آ: ٣١.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٤.

(٣) منهاج أهل السنة والجماعة في العقيدة والعمل للشيخين العثيمين والألباني - رحمهما الله - ، اعتنى بها به أبو عبدالله النعماني الأثري، مكتبة الصحابة، الإمارات - الشارقة، ٢٠٠١م، والآية من سورة البقرة، آ: ٢٦٠.

(٤) سورة المطففين، آية: ١٤.

(٥) سورة الأنفال، آ: ٢.

- وقوله تعالى: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾[1].

- وقوله تعالى: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَـٰنًا﴾[2].

- وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ﴾[3].

- وقوله تعالى: ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾[4].

- وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـٰذِهِۦٓ إِيمَـٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾[5].

- وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَـٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَـٰنًا﴾[6].

- وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَـٰهُمْ هُدًى﴾[7].

- وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾﴾[8].

ثانياً: من السنة النبوية الصحيحة:

- قوله ﷺ: «إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة»[9].

---

(١) سورة مريم، آية: ٧٦.
(٢) سورة المدثر، آ[illegible]: ١[illegible]
(٣) سورة الفتح، آ[illegible]: [illegible].
(٤) سورة آل عمران، آ[illegible]: [illegible]١.
(٥) سورة التوبة، [illegible]: ١٢٤.
(٦) سورة المدثر، [illegible]: ٣١.
(٧) سورة الكهف، آية: ١٣.
(٨) سورة محمد، آ[illegible]: ١٧.
(٩) خرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب الاستغفار برقم (٤٩٩٩). من حديث الأغر المزني ﷺ.

ـ وقوله ﷺ: «إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتةٌ سوداء، فإذا هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه، وإن عاد زيد فيه حتى تعلو قلبه، وهو الران الذي ذكره الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾»[1][2].

ـ وما روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه[3] أنه قال: إن النبي ﷺ أمر النساء بالتصدق وقال بعد ذلك: «ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن»[4].

ـ وقوله ﷺ: «الإيمان بضع وستون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»[5].

ـ وقوله ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»[6].

ـ وعن حنظلة قال: كنا عند رسول الله فوعظنا، فذكر النار، قال: ثم جئت إلى البيت فضاحكت الصبيان ولاعبت المرأة قالت: فخرجت فلقيت أبا بكر فذكرت ذلك له، فقال: وأنا قد فعلت مثل ما تذكر، فلقينا رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله نافق حنظلة، فقال: «مه» فحدثته

---

(١) خرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾﴾، برقم (٣٣٣٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) سورة المطففين، آ: ١٤.

(٣) هو: سعد بن مالك بن سنان الخدري، الأنصاري، الخزرجي، من ملازمي النبي ﷺ، وروى عنه أحاديث كثيرة، غزا اثني عشرة غزوة، توفي في المدينة عام ٧٤هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء (١٦٨/٣).

(٤) خرجه البخاري، كتاب الحيض، باب ترك الحائض الصوم، برقم ٣٠٠، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٥) خرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان، برقم (٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) خرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، برقم ٩٩ من حديث أبي سعيد الخدري.

بالحديث، فقال أبو بكر: وأنا قد فعلت مثل ما فعل، فقال: «يا حنظلة ساعة وساعة، ولو كانت تكون قلوبكم كما تكون عند الذكر، لصافحتكم الملائكة، حتى تسلم عليكم في الطرق»[1].

وقد وقفت عند هذا الحديث طويلاً لأستخرج منه بعض الفوائد النافعة لهذه الأمة المباركة، فنقول وبالله التوفيق:

١ - حرص الصحابة على حضور مجالس العلم.

٢ - جواز أن يذكر الداعية الترهيب في مجلس واحد.

٣ - جواز ملاطفة الأولاد، والأنس معهم.

٤ - جواز ملاطفة الزوجة وإدخال السرور عليها.

٥ - اتهام النفس بالتقصير مهما بلغت من التقوى.

٦ - الخوف من النفاق والحذر منه.

٧ - فضل دوام الذكر والتفكر في أمور الآخرة.

٨ - المسارعة في تصحيح المفاهيم، وعدم التأخير في ذلك.

٩ - معية الملائكة للمؤمنين.

١٠ - صفاء القلوب بالذكر وخلوها من أكدار الدنيا.

١١ - وجوب سؤال العالم عند الجهل وما يدور في النفس.

١٢ - جواز الترويح عن القلوب بالمباحات.

١٣ - خشوع القلب بدوام الذكر.

١٤ - استمرار فضل الله وعمومه على الذاكرين، والله أعلم.

- وقوله ﷺ: «يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ثم يقول الله

---

(١) خرجه مسلم، كتاب التوبة، باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة والمراقبة، برقم ٥٠٦٧، من حديث حنظلة.

تعالى: أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان»[1].

- وحديث أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: «يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير»[2].

ثالثاً: من أقوال الأئمة:

- قال ابن عبدالبر - رحمه الله -[3]: أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل، ولاعمل إلا بنية، والإيمان عندهم يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، والطاعات كلها عندهم إيمان.

- وقال: وعلى أن الإيمان يزيد وينتقص، يزيد بالطاعة، وينتقص بالمعصية، جماعة أهل الآثار والفقهاء وأهل الفتوى بالأمصار[4].

وروي القول بالزيادة والنقصان عن الصحابة والتابعين والأئمة ﷺ.

- وقال الربيع - رحمه الله -[5]: «سمعت الشافعي يقول: الإيمان قول

---

(١) خرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال، برقم ٢٢، من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٢) خرجه البخاري، كتاب الإيمان، زيادة الإيمان ونقصانه، برقم ٤٤، من حديث أنس بن مالك ﷺ.

(٣) ابن عبدالبر: يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر النمري القرطبي، أبو عمر، شيخ علماء الأندلس، وكبير محدثيها، من فقهاء المالكية، ولد بقرطبه، له: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، الاستذكار، التمهيد، توفي بشاطبة ٤٦٣هـ، انظر: معجم المفسرين ٧٤٦/٢.

(٤) التمهيد لابن عبدالبر ٢٣٨/٩ - ٢٥٢.

(٥) الربيع بن سليمان بن عبدالجبار بن كامل الإمام المحدث، الفقيه الكبير، صاحب الشافعي وناقل علمه، وشيخ المؤذنين، ولد سنة ٢٧٤هـ، انظر: سير أعلام النبلاء ٥٨٧/١٢.

وعمل يزيد وينتقص، يزيد[1] بالطاعة وينتقص بالمعصية، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾[2].

ـ وكان عمر بن الخطاب ﷺ يقول لأصحابه: «هلموا نزداد إيماناً فيذكرون الله ﷻ»[3].

ـ وقال ابن عباس[4] وأبو هريرة ﷺ: «الإيمان يزداد وينتقص»[5].

ـ وقال الحافظ أبو بكر الإسماعيلي: «ويقولون: إن الإيمان قول وعمل ومعرفة، يزيد بالطاعة وينتقص بالمعصية، من كثرت طاعته أزيد إيماناً ممن هو دونه في الطاعة».

ـ وكذا قال شيخ الإسلام أبو عثمان إسماعيل الصابوني: «ومن مذهب أهل الحديث أن الإيمان قول وعمل ومعرفة، يزيد بالطاعة وينتقص بالمعصية»[6].

ـ وقال سفيان[7]: «الإيمان قول وعمل، يزيد وينتقص، وقال له أخوه إبراهيم بن عيينة[8]: يا أبا محمد، لا تقل ينتقص فغضب، وقال: اسكت يا

---

(1) أبو نعيم في الحلية ١١٥/٩، ومنهج الإمام الشافعي في إثبات العقيدة، د. محمد بن عبدالوهاب العقيل ١٧٢/١، ط أضواء السلف ٢٠٤هـ.
(2) سورة المدثر، ا ـ : ٣١.
(3) الشريعة، ص١١٢ نفسه.
(4) عبدالله بن عباس بن عبد المطلب، ابن عم رسول الله ﷺ، حبر الأمة وترجمان القرآن، ولد بمكة، وشهد الجمل، وصفين مع علي، كف بصره في آخر عمره، وسكن الطائف، توفي عام ٦٨هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء (٣٣١/٣).
(5) الشريعة، ص١١٣ نفسه.
(6) نقلاً عن اعتقاد أهل السنة شرح أصحاب الحديث، جملة ما حكاه عنهم أبو الحسن الأشعري وقرره في مقالاته، محمد عبدالرحمن الخميس، ط وزارة الأوقاف السعودية، ١٤١٩هـ، ص١٠٢.
(7) سبق ترجمته، ص٥٢.
(8) إبراهيم بن عيينة بن أبي عمران الهلالي، مولاهم الكوفي، أخو سفيان، صدوق قبل المائتين، تقريب التهذيب، برقم ٢٢٧.

صبي بل ينتقص حتى لا يبقى منه شيء»[1].

وإذ قد ثبت أن الإيمان يزيد وينتقص، **فما هي الوسيلة إلى الزيادة والتنمية؟**

الجواب:

السبيل والوسيلة لتنمية الإيمان: زيادة الطاعات بأنواعها: من صلاة وصيام وصدقة، والزيادة والإقبال على تلاوة القرآن الكريم: والمداومة على ذكر الله سبحانه وتعالى.

فكلما ذكر الإنسان ربه، كلما ازداد يقيناً، وقرباً إلى الله ﷻ، وكلما ازداد شوقاً إلى خالقه، إ͏̈ النفوس في الدنيا تطمئن إذا ذكرت عند رئيس، أو أمير، فتراها تُسرّ، وتفرح، وتستقر، فما بالك إذا ذكرنا عند رب العالمين، وهو سبحانه القائل: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[2].

ورسول الله ﷺ يبين ويوضح لنا كيف تنمو النفس، وتعلو بذكر الله، وتقرب منه سبحانه، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«يقول الله ﷻ: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرّب إليّ شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرّب إليّ ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيتُه هرولة»**[3].

ويكشف الرسول ﷺ لنا عن قوم يسعون إلى التنمية ويحرصون إلى زيادة الإيمان قال رسول الله ﷺ: **«لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم**

---

(1) إسناده حسن، و͏̈ ذكره ابن القيم في تهذيب سنن أبي داود، انظر: كتاب الإيمان، للحافظ محمد بن يحيى بن أبي عمر، توفي سنة ٢٤٣هـ، دراسة وتحقيق حمد بن حمدي الجابري الحربي، الدار السلفية/ الكويت ط ١٩٨٦، ص٩٤.

(2) سورة البقرة، آ͏̈: ١٥٢.

(3) خرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨]، برقم ٧٤٠٥، من حديث أبي هريرة ﷺ.

الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده»[1].

فانظر لهذا الفضل العظيم ذكر الله، وتنمية النفس البشرية، وحراسة الملائكة، فأي شرف أعظم وأرقى من هذا الشرف، وهذا لسان عبد تقي نقي يخشى الله، ويتقه، ينمو لسانه دوماً بذكر الله، فعن عبدالله بن بُسر ﷺ[2] أ' رجلاً قال: يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قد كثُرتْ عليَّ، فأخبرني بشيء أتشبَّثُ به[3]، قال: «لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله ﷻ»[4].

وكذلك من سبل ووسائل تنمية الإيمان، العمل وكيف لا وهو ثمرته، فلا عمل بلا إيمان، ولا إيمان بدون عمل قال الله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦﴾[5].

وكذلك من السبل والوسائل التفكير في مخلوقات الله ﷻ، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝١٩١﴾[6].

ومن السبل كذلك تنمية الإيمان بتوحيد الله ﷻ قال رسول الله ﷺ: «إن الإيمان ليخلق[7] كما يخلق الثوب، فسلوا الله تعالى أن يجدد الإيمان

---

(١) خرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، برقم ٤٩٩٧، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) عبدالله بن بسر بن أبي بسر المازني السلمي، وله ولأبيه صحبة، مات بالشام سنة ٨٨هـ، وعمره ٩٤، وقيل: ١٠٠ سنة، آخر من مات بالشام، انظر: الإصابة ٢/٢٨١ ـ ٢٨٢.

( ) أي: أتعلق.

(٤) خرجه الترمذي، أبواب الدعوات، باب ما جاء في فضل الذكر، برقم ٣٤٤٩، من حديث عبدالله بن بسر، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ من هذا الوجه.

(٥) سورة التين، ″: ٦.

(٦) سورة آل عمران، ″: ١٩١.

(٧) يخلق: يضعف ويبلى.

في قلوبكم»، قيل: وكيف نجدد إيماننا؟ قال: أكثروا من قول لا إله إلا الله»[1]، والعلم عند الله.

يقول الدكتور/ عبدالله العبادي: «لذلك نرى أن الإسلام يوجب النية في كل عمل يعمله المسلم فيستحضر النية في قلبه وإلا فإن الله ﷻ لا يقبل منه ذلك العمل، فتكرار النية نماء لذكر الله تعالى، لئلا يشرك العبد في عبادته سبحانه معه أحداً، فيبعد عند الرياء (الشرك الأصغر) حيث يرائي العبد من عباد- ، فيجعل شريكاً لله سبحانه وتعالى في عبادته، سواء كان ذلك العمل صغيراً أم كبيراً، فالنية توقظ القلب الغافل عن ربه، وتوجهه نحو ربه، وتذكره باستمرار، فهذه هي التنمية في الإيمان.

* * *

المطلب الثاني
التنمية في مجال العبادات

١ ـ الصلاة:

المتتبع لأوامر الشرع الحنيف في العبادات، يجد أنه مطالب بالأوامر الشرعية بالتنمية في العبادة دائماً فليست العبادات مقيدة بوقت، وإنما أراد الله تعالى من العبدان يكون عابداً له باستمرار، ويؤكد ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾[2]، وبيـن الله تعالى أنه سبحانه خلق الإنسان، وأوجده على هذه المعمورة ليملأها عبادة وذكراً، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[3].

---

(١) خرجه الحاكم في المستدرك، كتاب الإيمان، برقم ٥، من حديث عبدالله بن عمرو ﷺ. وقال: هذا حديث لم يخرج في الصحيحين، ورواته مصريون -- ت.

(٢) سورة الحجر، آية: ٩٩.

(٣) سورة الذاريات، -: ٥٦.

وبما أن هذه العبادات مستمرة ونمائية على الدوام، إلا أنها متجددة ومتنوعة، وهذا نماء آخر فالمسلم يعبد ا° بالفكر، ويعبده بالقلب، ويعبده باللسان ويعبده بالسمع والبصر، وسائر حواسه لذا فإن هناك عبادات مالية، وعبادات لسانية، فمثلاً الصلاة وهي من أعظم العبادات، التي فرضها ا° تعالى، على الإنسان، وفي هذه العبادة بيان والتفات لهوية المسلم الحقيقية، وهي أنه عبد مملوك لله سبحانه وتعالى، ويظل المسلم متذكراً لها على الدوام، فكلما أنسته مشاغل الحياة القاسية علاقته بربه سبحانه وتعالى، جاءت الصلاة لتنمية هذه الصلة بين العبد وبين ربه من جديد، وتنمي علاقة المسلم بإخوانه الآخرين من خلال اللقاء في المسجد في صلاة، أو درس علم، أو اعتكاف. . . إلخ.

وكذلك الصلاة تعمل على تنمية الاستقرار في نفس الإنسان حيث لا يوجد معين ولا منعم حقيقي إلا الله ﷻ، وبهذا تستقر نفسه، ويهدأ روعه عندما يعلم العبد أن الله ﷻ هو المعين، والمنعم والمحيي والمميت، والضار والنافع.

وكذلك يتخذ الإنسان من الصلاة طريقاً لتنمية التوبة، والرجوع إلى الله والأوبة إليه، فتأتي الصلاة فتطهر الإنسان من المعاصي والأوزار، وهذا ما يشير إليه رسول الله ﷺ بقوله: **«أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمساً ما تقول ذلك يُبقي من درنه؟» قالوا: لا يُبقي من درنه شيئاً قال: «فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله به الخطايا»**[1].

ثم انظر إلى الرباط الذي يجمع بين العبادة والأخرى تنمية مستمرة وعطاء جاري، نلمس ذلك من حديث النبي ﷺ في قوله: **«الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهنّ إذا اجتنب الكبائر»**[2].

---

(١) خرجه البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلوات الخمس كفارة، برقم ٥٢٨، من حديث أبي هريرة ﷺ، والدرن: الوسخ.

(٢) خرجه مسلم، كتاب الطهارة، باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة، برقم ٣٧٦، من حديث أبي هريرة ﷺ.

وكذلك المسلم عندما يواظب على الصلاة، فإنها تنمي في نفسه الإيمان وحسن الصلة به سبحانه وتعالى، ومن ثمّ لم تعد الدنيا وملهياتها - درة على إضعاف الإيمان أو إضعاف تنميته في قلبه أو إماتته.

وتكرار حضور القلب بالنية قبل الصلاة ما هو إلا تنمية، وقبل ذلك الوضوء، في اليوم والليلة أكثر من خمس مرات التي هي الفرض، ثم صلاة الضحى، ثم صلاة الليل، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾[2].

وكذلك المواظبة على الصلاة بحضور الجماعة في المسجد والخشوع له سبحانه وتعالى قال تعالى: ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾[3]، فإن هذا دليل ساطع، وبرهان قاطع، على أن المسلم مطالب بالتنمية في الصلوات بأدائها في أوقاتها، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾[4].

كما لا يغفل دور المسجد الفاعل في تنمية المجتمع، وذلك بزيادة الألفة، والتماسك، والترابط الذي يربط المسلم بأخيه المسلم فقد كانت أخلاق السلف الصالح رضوان الله عليهم، إذا افتقدوا أخاً لهم في الصلاة سألوا عنه وهذا مفتقد في زماننا هذا ولا حول ولا قوة إلا بالله.

كذلك الصلاة في المسجد تعمل على تنمية الشعور الجماعي، والانصهار داخل الجماعة المسلمة، والذوبان فيها، فالناس يتراصون في الصف، لا فرق بين غني وفقير، ولا بين وزير وخفير، ولا أمير ولا مأمور، وتلك هي عظمة الإسلام.

وصلاة الجماعة فيها تنمية عظيمة بزيادة ومضاعفة الحسنات، ومحو

---

(١) سورة النساء، آ-: ١٠٣.
(٢) سورة المؤمنون، آ-: ٩.
(٣) سورة البقرة، آ-: ٢٣٨.
(٤) سورة المؤمنون، الأيتان: ١،

السيئات وإلى هذا يشير قول النبي ﷺ من حديث عبدالله بن عمر[1] - ﵄ - أن رسول الله ﷺ قال: **«صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة»**[2].

والمشي إلى المسجد لأداء الصلاة فيه تنمية لأجره، وزيادة في ثوا ، قال النبي ﷺ: **«أعظمُ الناس أجراً في الصلاة أبعدُهم فأبعدُهم ممشى، والذي ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الإمام أعظمُ أجراً من الذي يُصلي ثم ينام»**[3]، وفي الحديث انتظار الصلاة فيه تنمية للأجر كذلك، ويؤيد ذلك من كتاب الله ﷻ، قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾[4].

ويؤيد ذلك أيضاً تنمية أجر الماشي إلى المسجد، وإن بعدتْ دياره، فعن جابر بن عبدالله ﵁[5] قال: كانت ديارنا نائية من المسجد، فأردنا أن نبيع بيوتنا، فنقرب من المسجد، فنهانا رسول الله ﷺ فقال: **«إن لكم بكل خطوة درجة»**[6].

وحديث أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من تطهر في بيته، ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله، كانت خُطوتاه إحداهما تحط خطيئة، والأخرى ترفع درجة»**[7].

---

(١) سبق ترجمته.

(٢) خرجه البخاري، كتاب الأذان، باب فضل صلاة الجماعة، برقم ٦٤٥، من حديث عبدالله بن عمر ﵄.

(٣) خرجه البخاري، كتاب الأذان، باب فضل صلاة الفجر في جماعة، برقم ٦٥١، من حديث أبي موسى ﵁.

(٤) سورة يس، آ : ١٢.

(٥) سبق ترجمته، ص١٠٨.

(٦) خرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل كثرة الخطا إلى المساجد برقم ١١١٤، من حديث جابر.

(٧) خرجه مسلم، كتاب المساجد، ومواضع الصلاة باب المشي إلى الصلاة، برقم ١١١٧، من حديث أبي هريرة ﵁.

وكذلك تنمية أجر الساعي إلى صلاة الضحى، فعن أبي أمامة ﷺ[1] أن رسول الله ﷺ قال: «من خرج من بيته متطهراً إلى صلاة مكتوبة فأجره كأجر الحاج المحرم، ومن خرج إلى تسبيح الضحى[2]، لا ينصبه إلا إياه فأجره كأجر المعتمر، وصلاة على أثر صلاة لا لغو بينهما كتب في عليين»[3]، وفي الحديث تنمية أجر الماشي إلى بيوت الله كأجر الحاج بشرط الخروج على طهارة.

وكذلك تنمية أجر من نشأ على طاعة الله، في ظلال المسجد، كما ورد في حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم القيامة وفيه: «وشاب نشأ في عبادة ربه»[4].

وكذلك ينمي الأجر للمسلم ويزداد بكثرة السجود، فقد سأل أحد الصحابة رسول الله ﷺ مرافقته في الجنة فقال: «أعني على نفسك بكثرة السجود، فإنك لا تسجد لله سجدة، إلا رفعك الله بها درجة»[5].

وكذلك تنمية الأجر والثواب بصلاة النافلة لحديث رسول الله ﷺ قال: «ما من مسلم يصلي لله كل يوم اثنتي عشرة ركعة تطوعاً غير فريضة إلا بنى الله له بيتاً في الجنة»[6].

ومعلوم أن أحب الأعمال إلى الله في العبادة المداومة عليها، أي: تنميتها من حين لآخر، وهذا ما دعا إليه رسول الله ﷺ بقوله: «أحب

---

(١) سبق ترجمته، ص٥٨.

(٢) تسبيحة الضحى: صلاة الضحى، وقوله: «لا يُنصبه» أي: لا يتعبه ولا يزعجه.

(٣) خرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب ما جاء في فضل المشي إلى الصلاة، برقم ٥٥٨، من حديث أبي أمامة ﷺ.

(٤) خرجه البخاري، كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، برقم ٦٦٠، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٥) خرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب فضل السجود والحث عليه، برقم ٧٩٣، من حديث ربيعة بن كعب الأسلمي.

(٦) خرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل السنن الراتبة قبل الفرائض وبعدهن وبيان عددهن، برقم من حديث أم حبيبة ﷺ.

الأعمال إلى الله أدومها وإن قل»[1].

ولما سئلت عائشة ﷺ عن عمله قالت: «كان عمله ديمة»[2]، أ
دائماً بلا انقطاع، أ : ينميه دائماً، وباستمرار، والصلاة التي فرضها ا
تبارك وتعالى خمس ينميها الله تعالى، فيجعلها في الثواب والأجر، أي:
ينميها لنا خمسين صلاة، وهذه خاصية من الله تعالى لأمة محمد ﷺ.

والله تعالى ينمي لنا صلاة الليل لقرب العبد من خالقه قال تعالى:
﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾[3].

والحاصل مما تقدم أن الصلاة فيها بصفة عامة تنمية وتدريب على
الصبر، وتنمية وتدريب على الحرية، وتدريب على المساواة، وتنمية للروح
لاتصال الروح بخالقها، والعلم عند الله تعالى.

بل إنها تُرسي القواعد والنظم التي تمد جهد الفرد، ونشاطه الذاتي،
بعون يضمن له كرامة العيش، ومستوى الاكتفاء.

٢ ـ الزكاة:

الزكاة: مأخوذة من زكا الشيء يزكو، أي: زاد ونما، يقال: زكا
الزرع وزكت التجارة، إذا زاد ونما كل منهما، وتستعمل الزكاة كذلك بمعنى
الطهارة، ومنه قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾﴾[4]، أي: من طهرها ـ
يعني النفس ـ من الأخلاق الرديئة، وسمي هذا المال زكاة، لأن المال
الأصلي ينمو ببركة إخراجها ودعاء الآخذ لها[5].

---

(١) خرجه البخاري، كتاب اللباس، باب الجلوس على الحصير، برقم (٥٨٦١)، من حديث عائشة ﷺ.

(٢) خرجه البخاري، كتاب الصوم، باب هل يخص شيئاً من الأيام؟، برقم (١٩٨٧)، من حديث عائشة ﷺ.

(٣) سورة الذاريات، الآيتان: ١٧، ١٨.

(٤) سورة الشمس، ـ: ٩.

(٥) الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي، د. مصطفى البغا وآخرون، ط دار القلم، دمشق ط ٤، ٢/١٠.

الزكاة تنمي المسلم، على الكرم والبذل، وتقتلع من نفسه جذور الشح، وعوامل البخل، ويزيد ذلك أنها تزيد المال، وتنميه حيث قال ﷺ: **«ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»**[(١)] وكيف تنقصه؟! والله سبحانه وتعالى يبارك له بسبب الصدقة بدفع المضرة عنه.

والزكاة تنمي أواصر المحبة، والصلة بين الأرحام، وأن ثوابها مضاعف، وهو ما يؤكده حديث النبي ﷺ: **«إن الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم اثنتان صدقة وصلة»**[(٢)].

فالزكاة تنمي آصرة الإخوة والمحبة بينه وبين الآخرين، فلك أن تتصور أنك أعطيت الزكاة لجيرانك، من عن يمينك، ومن هم عن يسارك، ومكثت على هذا سنين عديدة، لا شك أنهم يحبونك ويزيد رصيدك عندهم، فلك أن تتصور مدى تكون الألفة التي تجمع بينك وبينهم، ولا شك أن هذا العطاء سينزع من قلوبهم الغش والحقد والحسد، فما بالك لو شاع ذلك وراج بين لبنات المجتمع، الذي من شأنه أن يكون متماسكاً قوياً كالبنيان.

وإن وظيفة الزكاة هي: مراقبة الدخل الفردي أن لا يطغى في نموه على ميزان العدالة بين الأفراد، وأن يظل نموه خاضعاً لأساس الاكتفاء الذاتي للجميع، وهذا واضح بين في قول النبي ﷺ لأصحابه الذين كان يرسلهم إلى المدن: **«ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول ا ، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فتُرد على فقرائهم»**[(٣)].

---

(١) خرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآدا ، استحباب العفو والتواضع، برقم ٤٨١٧، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) خرجه النسائي، السنن الصغرى، كتاب الزكاة، باب الصدقة على الأقارب، برقم ٢٥٦٦، من حديث سلمان بن عامر ﷺ.

(٣) خرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ إلى توحيد الله تعالى، برقم ٧٣٧١ من حديث ابن عباس ﷺ.

وهكذا الشريعة الإسلامية، لا تكل الفرد إلى جهده وطاقته الشخصية وحدها في تدبير أمر نفسه وتوفير أسباب اكتفائه، كما لا تكله إلى ضميره الإنساني وحده في مديد التعاون العادل والتناصر الإنساني إلى أيدي إخوانه.

والزكاة تعمل على تنمية وتزكية وتطهير القلوب من الأحقاد والحسد ويحل محلها الحب والتآلف والتوادد، كما قال الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[1].

والزكاة أيا كانت أنواعها من نقود، وعروض تجارة، وزراعة، وصناعة .ن مادتها تدور على التنمية والزيادة ونماء سهم الفقراء والمساكين والمحتاجين، لهو تنمية للمجتمع ورخاء له.

التنمية في مجال الزكاة، وقد خصصنا الحديث عنها بالفصل الرابع في المبحث الثاني ستتحدث عنها هناك بالتفصيل، إن شاء الله تعالى.

ـ الصوم:

الصوم لغة: الإمساك عن الشيء، كلاماً كان أو طعاماً، ودليل ذلك قوله تعالى، حكاية عن مريم عليها السلام: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾[2]، أي: إمساكاً وسكوتاً عن الكلام.

وأما شرعاً: إمساك عن المفطرات، من طلوع الفجر إلى غروب الشمس مع النية[3].

وهذه العبادة العظيمة تنمي في المسلم مراقبته لله سبحانه وتعالى ذلك لأن الصائم يحس في نهاره بالجوع والعطش وتهفو نفسه إليه لكن مراقبته لله سبحانه وتعالى تحول دون تحقيق رغبات نفسه.

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٠٣.

(٢) سورة مريم، آية: ٢٦.

(٣) كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار، للإمام تقي الدين الحصني الدمشقي، طبعة قطر، ٣٩١/١.

والصيام كذلك فيه تنمية للطاعات والقربات، حيث أن الصائم يحقق بصيامه أعلى درجات العبودية لله تبارك وتعالى، وكذلك في الصيام تنمية لتهذيب النفس بالإحساس بالجوع، وإزالة ما يعتري النفس من عوامل الطغيان بكثرة الشبع وغيره.

وكذلك في الصيام تنمية الإحساس بالآخرين، والشعور بآلامهم، و يعانون من فقر مدقع، وفي الصيام تنمية الإنسان تنمية متكاملة روحية، صحية، بدنية، نفسية، خلقية، اجتماعية، والحاصل أن الصيام كله خير، قال تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[1].

أما كون الصيام فيه تنمية روحية، فالمعلوم أن الإنسان مكون من روح، وجسد، وللجسم مطالبه، من أكل، وشرب، وشهوات، وللروح مطالبها فإذا انغمس الإنسان في متطلبات جسده، وترك متطلبات روحه، فقد خاب وخسر، والواجب على الإنسان أن يوازن بين متطلبات الجسم، وهي التحرر من سلطان الشهوة، ومتطلبات الروح، وهذا حاصل بالصيام لتحصل التنمية الروحية، وا أعلم.

وتفصيل ذلك في السنة النبوية:

فقد جمع النبي ﷺ بين ترك الطعام والشراب من أجل الله، وهو مطلب من مطالب الجسم، وبين التحرر من سلطان الغريزة، والشهوة، وترك ذلك لأجل الله، وفي هذا يقول ﷺ: **«كل عمل ابن آدم له، إلا الصيام، فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جنة، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله، فليقل إني امرؤ صائم»**[2].

وقوله **«ولخُلوفُ فيه. أطيب عند الله من ريح المسك»**، مسلم ١٥٨/٤، فيه تنمية للأجر والثواب وإبراز لفضل الصيام.

---

(١) سورة البقرة، آ: ١٨٤.

(٢) خرجه البخاري، كتاب الصوم، باب هل يقول إني صائم إذا شتم، برقم ١٨٢٠، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ومن التنمية الحاصلة بالصيام، ما يحصل عليه الصائم، من تنمية وزيادة في الأجر حديث: **«من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»**[1].

وانتقال المسلم من صيام نافلة إلى نافلة أخرى، تنمية للأجر، فقد أمر رسول الله ﷺ بصيام عاشوراء، فقال: **«أنا أحق بموسى منكم»** فصامه وأمر بصيامه، وذلك من حرصه على زيادة وتنمية الأجر.

وفي بيان فضل ستة أيام من شوال، قال ﷺ: **«من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال، كان كصيام الدهر»**[2]، ونلاحظ أن من رحمة الله سبحانه وتعالى أن تنوعتْ العبادات، ليزداد المسلم إيماناً وتقرباً إلى مولاه، وتلك هي التنمية بذاتها، والعلم عند الله.

وأما التنمية الصحية، فلقد بيَّن لنا ربنا سبحانه وتعالى، أن الصيام يعود بالخير علينا قال تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[3]، والله تعالى لم يأمرنا بأمر إلا وفيه مصلحة لنا وهو سبحانه كما قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝﴾[4].

فخيرية الصيام في أنه ينقذ الجسم، ويحميه بإذن الله تعالى من الأمراض كداء السمنة، وكذلك من مرض البول السكري، وهو ناتج غالباً عن زيادة الوزن، وكذلك في علاج اضطرابات الأمعاء المزمنة، وفي علاج آلام المفاصل، ومن مرض النقرس وسبب هذا المرض كثرة تناول اللحوم.

فالصيام علاج تربوي وأخلاقي، وسلوكي، فهو خير وسيلة لتربية النفس، وتقوية الإرادة، فهو كذلك يعود النفس على الصبر والأخلاق

---

(١) خرجه الترمذي، أبواب الجمعة، الصوم، برقم ٧٩٢ وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) خرجه مسلم، كتاب الصيام، باب استحباب صوم ستة أيام من شوال، برقم ٢٠٧٠، من حديث أ أ الأنصار .

(٣) سورة البقرة، آ : ١.

(٤) سورة الملك، آ : ١.

الحسنة، ومجاهدة النفس، لحديث النبي ﷺ: «فإذا كان صوم يوم أحدكم، فلا يرفث يومئذ، ولا يسخب فإن سابه أحد، أو قاتله، فليقل: إني امرؤٌ صائم»[1]، وكذلك قوله ﷺ: «من لم يدعْ قول الزور والعملَ به، فليس لله حاجةٌ في أن يدع طعامه وشرابه»[2].

وفي الصيام كذلك تنمية اجتماعية، فإذا صام الغني، وآلمه الجوع، .نه يتذكر إخوانه في الدين من الفقراء، والمساكين، والأيتام، والمعوزين فينفق عليهم بسخاء لذلك قال ﷺ: «من فطّر صائماً، كان له مثل أجره غير أن لا ينقص من أجر الصائم شيئاً»[3].

٤ ـ الحج:

لقد شرع الله لعباده الشرائع، وفصّل لهم الأحكام تحقيقاً لمصالحهم العاجلة، والآجلة في الدين والدنيا، قال تعالى: ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾[4].

وفي الحج تنمية للتآلف بين المسلمين قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾[5].

وفيه كذلك تنمية للإخوة الإسلامية، فالجميع أخوة مهما تباعدت

---

(١) خرجه البخاري، كتاب الصوم، باب هل يقول إني صائم إذا شتم، برقم ١٨٢٠، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) خرجه البخاري، كتاب الصوم، باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم، برقم ١٨١٩، من حديث أبي هريرة.

(٣) خرجه البخاري، كتاب الصوم، باب من صام رمضان إيماناً واحتساباً ونية، برقم ١٩٠١، من حديث أبي هريرة.

(٤) سورة الحج، آ: ٢٨.

(٥) سورة الحجرات، آ:

أماكنهم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[1].

وفيه تنمية للمساواة بين المسلمين، يستوي فيه السيِّد والمسود والخادم والمخدوم، حيث تغمر الجميع روحانية واحدة، وفيه تنمية للإيمان حيث يتذكر المسلمون لمواقف آبائهم وأسلافهم من الأنبياء والمرسلين، فكل موقف من مواقف الحج يثير في مشاعر الحجاج كثيراً من الذكريات فعند البيت ذكريات بناءِ الكعبة، وعند الحجر الأسود تتجلى صورة النبي ﷺ وهو يقبِّل الحجر الأسود، وعند الصفا والمروة ذكريات هاجر وإسماعيل، وعند الجمرات ذكريات مواقف إبراهيم ﷺ، وهو يعارض الشيطان، ويخالف أوامره[2].

وفي الحج تنمية العقيدة وإثراؤها، فالمسلم عندما يرى جميع الحجاج، قد تجردوا من ملابسهم، ولبسوا ذلك اللباس الأبيض الذي يشبه الكفن، وتركوا ذلك النعيم، والأهل، والولد، والوطن، وتجردوا من كل شيء، وفائدة ذلك الحشد الهائل من الناس في صعيد واحد على اختلاف ألوانهم، وألسنتهم، وأعمارهم، وواجباتهم لهو موقف ينمي ويزيد الإيمان في القلب، وحيث لا فرق بين غني وفقير، أو بين عزيز في قومه وذليل، ولا بين وزير، وراعي غنم، وتذكر ذلك الموقف العظيم الذي يقف جميع الناس بين يدي الله العظيم يوم القيامة: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾[3]. وفي الحج تنمية، وتربية، وتدريب على الصبر، وتحمل المشاق.

وفي الحج تنمية وتربية للضمير على الطهارة، قال تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾[4].

---

(١) سورة الحجرات، آ: ١٠.
(٢) الفقه المنهجي، سبق، ص١٢٠.
(٣) سورة الشعراء الآيتان ٨٨، ٨٩.
(٤) سورة البقرة، : ١٩٧.

وفي الحج تنمية روحية، ويؤيد ذلك قوله ﷺ: «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»[1].

وكذلك قوله ﷺ لما سئل: أيّ الأعمال أفضلُ؟ قال: «إيمان بالله ورسوله»، قيل: ثم ماذا؟ قال: «جهادٌ في سبيل الله»، قيل: ثمّ ماذا؟ قال: «حج مبرور»[2].

وفي الحج تنمية للأخلاق الكريمة، فهو يمسك نفسه عن الغضب، ولا يقابل السيئة بالسيئة، لأن خلقه يمنعه من ذلك، قال تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤٠﴾[3].

وكذلك من الأخلاق الكريمة عدم الإساءة بسب أو شتم، لقوله ﷺ: «من حج، فلم يرفث، ولم يفسق، رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه»[4].

وفي الحج تنمية الاعتماد على النفس فهذه حياة الحاج: تنقل، وحل وترحال، وبُعد عن الترف والتكلف، ولا تحصل التنمية وتؤتي ثمارها في المجتمع إلا بالاعتماد على النفس والتوكل على الله وتلك هي حياة الحاج، والله أعلم.

* * *

المطلب الثالث
التنمية بالتوبة والاستغفار والدعاء والذكر

١ ـ التنمية في مجال التوبة:

يحض عليها الإسلام في كل زمان ومكان، ورغب فيها أشد الترغيب

---

(١) خرجه البخاري، كتاب العمرة، باب العمرة، برقم ١٧٧٣، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) خرجه البخاري، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور، برقم ١٥١٩، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) سورة الشورى، آ: ٤٠.

(٤) خرجه البخاري، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور، برقم ١٥٢١، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وأن يداوم عليها الإنسان ن تعالى: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾[3].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[4].

قال الغزالي[5] رحمه الله تعالى: «اعلم أن التوبة عبارة عن معنى ينتظم من ثلاثة أمور: علم وحال وفعل، فأما العلم فهو معرفة ضرر الذنوب وكونها حجاباً بين العبد، وبين كل محجوب، فإذا وُجدتْ هذه المعرفة ثار منها حال في القلب هي التألم بخوف فوات المحبوب، وهو الندم وباستيلائه يثور إرادة التوبة وتلافي ما مضى».

وهذه الإرادة المترجمة من الندم هي تنمية للإقبال على الله تعالى طمعاً فيما عند الله ﷻ من الأجر والثواب، وتنمية للنفس بتخليتها من أدرا المعاصي والذنوب، وتنمية للروح بصفائها، وبعدها عما يصيبها من كدر، والله أعلم.

وقد حض النبي ﷺ على تنمية النفس بالتوبة والمبادرة إليها، فعن جابر بن عبدالله ﷺ قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: **«يا أيها الناس توبوا إلى الله، فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرة»**[6].

---

(١) سورة المائدة، آ-: ٧٤.
(٢) سورة النور، آية: ٣١.
(٣) سورة التحريم، -: ٨.
(٤) سورة البقرة، آ-: ٢٢٢.
(٥) سبق ترجمته.
(٦) خرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار والاستكثار منه، برقم ٠٠٠ من حديث ابن عمر ﷺ.

وهذه الوصية الجامعة لخصال الخير كلها، بيَّن فيها رسول الله ﷺ أنواعاً من التنمية منها:

١ ـ تنمية النفس بالتوبة والرجوع إلى الله.

٢ ـ التنمية بالأعمال الصالحة.

٣ ـ تنمية النفس بالذكر.

٤ ـ التنمية بالصدقة.

وأما تنمية النفس وتربيتها بالتوبة، فقد بدأ رسول الله ﷺ بالتوبة، لأنها أول الطريق إلى الله، ووسطه، وآخره، يصحبها المؤمن في حلِّه وترحاله، فهي تنمية دائمة مستديمة، يستحضرها في قلبه كلما شعر بذنبه ويتخذها سكناً له تُهدِّئ من روعه، إذا شعر بالخوف من عذاب ربه، وتبعث فيه الرجاء في رحمته، ومعنى قوله ﷺ: **«توبوا إلى الله قبل أن تموتوا»**، أ بادروا بالتنمية بالتوبة قبل أن يبادركم الموت، ولا تغفلوا عنها وأنتم تعلمون أن الفلاح فيها.

وهذا الأمر عام يشمل من تاب ومن لم يتب، فمن تاب ينبغي أن يجدد التوبة، وينميها باستمرار، ولا يركن إلى توبته السابقة، وتجديد التوبة الفينة بعد الفينة يساعد العبد على تنمية الإسراع في مرضاة الله ﷻ، والمُضي قُدُماً في الطريق الموصل إليه سبحانه وتعالى.

وتنمية النفس بالتوبة تكون بمحاسبة النفس أولاً بأول، على ما قدمت وأخرت من خير وشر، بحيث إذا رأى أنها قد فعلت خيراً لامها على عدم المزيد منه، وإذا رأى أنها قد اقترفت إثماً عاقبها على سوء صنيعها بما تستحقه من العقاب، وذلك بأن يكلفها من الأعمال الصالحة ما يكون سبباً في محو ذنوبها بعد أن يظهر الندم على ما فعل، ويبكي على خطاياه، فإن لم يسعفه البكاء تباكى فإن فعل ذلك بدل الله سيئاته حسنات كما وعد في قوله جل علاه: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ

سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾(١)(٢)، وتلك هي التنمية بالأعمال الصالحة.

وأركان التوبة خمسة:

الركن الأول: العلم بخطورة الذنب، فمن لم يعلم بخطورة الذنب لا يستعظمه، ومن لم يستعظم الذنب فكيف يتوب منه، ولو تاب منه لا تقبل توبته، لتهاونه فيه واستخفافه به.

لذلك قسّم العلماء الذنوب إلى كبائر وصغائر، لكن الراسخين في العلم يقولون: «لا تنظر إلى صغر الذنب، ولكن انظر من عصيت» فعندئذ يعظم الذنب في نفسك، فتتوب منه بقدر ما تشعر بخطره، وبقدر ما تتوقع العقوبة منه، وكي ترسخ هذا المفهوم في ذهنك، ينبغي عليك أن تتفكر في عظمة الخالق عن طريق النظر في آياته الكونية، وفي نفسك بالذات، ثم تقف عند آيات الرحمة، وآيات العذاب، لكي تتقلب بين الخوف والرجاء، فتخاف تارةً، وترجو تارةً أخرى، فتجد نفسك عند الوقوع في الذنب خائفاً من عذا. الأليم، وتجد نفسك عند التوبة منه طامعاً في رحمته، طامعاً في عفوه، فتتوب من ذنبك عن رغبة ورهبة.

الركن الثاني: المبادرة بها، وعدم الإصرار على الذنب، فمتى وقع منه وعلم به فقد وجب عليه التوبة منه، فالإصرار على الذنب الصغير يصيره كبيراً، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾(٣).

---

(١) سورة الفرقان، آ: ٧٠.

(٢) وصايا الرسول وأثرها في تقويم الفرد وإصلاح المجتمع، د. محمد بكر إسماعيل، دار المنار، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م، ج١، ص٤١٩ بتصرف.

( ) سورة آل عمران، الآيتان: ١٣٥، ١٣٦.

والركن الثالث: العزم على عدم العود إلى الذنب، فإنه من تاب وهو عازم على الوقوع فيما تاب منه كان كالمستهزئ بربه ـ والعياذ بالله ـ.

والركن الرابع: العزم على قضاء ما فات من الصلاة والصوم والزكاة وتدارك ما وقع في عبادته من تقصير، فإن مات ولم يقض كل ما فاته عفا الله عنه برحمته الواسعة.

الركن الخامس: رد المظالم إلى أصحابها إن علم بوجودهم، وإلا ردها إلى ورثتهم، فإن لم يعلم لهم ورثة تصدق بها على ذمتهم.

فإن كان فقيراً تصدق بها على نفسه، وعلى أولاده، ووهب ذلك لهم، فيقول: ما أطعم به نفسي وأولادي فهو صدقة لأصحاب الحقوق عليَّ[1].

والناس في التوبة على أربعة أقسام:

الأول: توبة أصحاب النفوس المطمئنة، وهم الذين قاموا بتنمية أنفسهم والوصول بالنفس إلى تمام الاستقامة طوال حياتهم، فلم يحدثوا أنفسهم بالعودة إلى الذنوب مرة ثانية وهؤلاء قد سبقوا إلى الخيرات بتنمية أنفسهم وتربيتها على الاستقامة هؤلاء يناديهم ربهم عند موتهم بقوله: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾[2].

الثاني: توبة أصحاب النفوس اللّوامة، وهم الذين تابوا إلى الله توبة نصوحاً، وسلكوا طريق الطاعات، وتركوا الكبائر، ولم يقعوا في الصغائر عن عمد، ووضعوا أنفسهم موضع الاختيار فحاسبوها أولاً بأول وتلك هي التنمية والنماء والزيادة شيئاً فشيئاً.

---

(١) وصايا الرسول وأثرها في تقويم الفرد وإصلاح المجتمع، سبق ج١/

(٢) سورة الفجر، الآيات: ٢٧ ـ ٣٠.

والثالث من الأقسام: أصحاب النفوس المسولة، التي تغلب صاحبها كثيراً فيكبح جماحها تارة ويعجز عن ذلك تارة أخرى.

وهؤلاء يتوبون إلى الله توبة نصوحاً، ثم تغلبهم شهواتهم فيقترفون بعض الذنوب وقد تكون من الكبائر، إلا أنهم مع ذلك يواظبون على تأد- الواجبات، فيصلون ويصومون ويزكون ويحجون، ويجاهدون في سبيل الله، ويبرون آباءهم وأمهاتهم، ويكرمون الضيف، ويحسنون إلى الجار، وما إلى ذلك من الواجبات والسنن والمستحبات.

وهؤلاء قد خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، فعسى الله أن يتوب عليهم توبة السابقين، وأمرُ هؤلاء إلى الله، فإن شاء عفا عنهم وإن شاء عاقبهم، وهم إلى العفو أقرب ـ إن شاء الله ـ لقوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾﴾[1][2].

وهذا القسم الثالث (أصحاب النفوس المسولة) هؤلاء الذين خلطوا عملاً صالحاً بآخر سيئاً، لديهم عطب في الذات، لا بد من السعي في إصلاحه ضمن ضوابط تعمل على ضبط الذات، وتنميتها وتقويتها، ضمن قانون سمَّته الكاتبة/ نسيبة عبدالعزيز العلي المطوع: بقانون «إصلاح العطب التلقائي الذاتي»، وهذا القانون تلقائياً للإصلاح في داخل الذات عند استشعار بأن هناك خللاً قد حدث مما أثر على المحصلة النهائية للإنجاز، ومن أدوات هذا القانون الإصلاحي الداخلي: محاسبة النفس، إصلاح النية، التوبة ـ كما هو معنا ـ، الإنابة، طرد الهوى والشيطان من العقل، الاستغفار، كبح جماح النفس كما يحدث مع أصحاب النفوس المسولة، وقد يعجز عن ذلك، حسن الظن، التماس العذر للآخرين، العفو، الإحسان، ومن أقوى هذه الأدوات الإصلاحية تقوى الله التي تعني مراقبة ا-

---

(١) سورة التوبة، آ-: ١٠٢.

(٢) وصايا الرسول وأثرها في تقويم الفرد وإصلاح المجتمع، سبق، ج١/

تعالى، في السر والعلن، (وبخاصة في النفوس المسولة) لتنطلق طاقات الإنسان الخيرة بدون عوائق، فتكون قدرة الإنسان على إجابة الأسئلة في سويعاته الانتخابية الدنيوية أكثر إتقاناً، مثال على ذلك: إذا أخطأ العامل أثناء مساره على الصراط المستقيم بالتعدي على أخيه الإنسان بكلام جارح، هنا يشتغل قانون الإصلاح التلقائي الذاتي بمحاسبة النفس، والتوبة إلى الله تعالى، والاستغفار، ثم الاعتذار من صاحبه مستهدفاً تصحيح المسار، والرجوع إلى حال توازن المسار على الصراط المستقيم إلى الهدف المنشود[1]. وتلك هي المسارعة إلى التنمية بإصلاح المسار المعوج، رغبة وطمعاً في الأجر والثواب الذي ينجم من تصحيح الخطأ، وعليه يمكن لصاحب النفس المسولة إعمال هذا القانون كلما أحس بالعجز عن كبح جماح شهوة نفسه بأن يفكر في عِظَم ذنبه، ويسارع إلى التوبة فإن هذا من باب الاختبار في الدنيا، قال تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[2] وقال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[3] لهذا حث الإسلام على رصد الأجر العظيم على هذه الأعمال لأنها تمثل إصلاحاً تلقائيًا ذاتيًا للإنسان تنبثق منه قوته في جهاده مع نفسه وتلك هي التنمية بالمسارعة إلى التوبة والرجوع إلى الله ومجاهدة النفس، والله أعلم.

إن صاحب المعصية قد أخفق في إدارة ذاته وبالتالي أخفق في تحديد مساره وبالتالي يحتاج إلى قانون يصلحه، لأن قوة السلب كبيرة في نفسه البشرية ويحتاج كذلك للتواصل والتواصي مع الآخرين لمعالجة الخلل الداخلي في نفسه البشرية.

والرابع من الأقسام: وهم أصحاب النفوس الأمارة بالسوء، والنفس الأمارة بالسوء ضمن أعداء الذات الداخليين، وهؤلاء يتوبون من ذنوبهم توبة

---

(١) الرياء، الجزء السادس من سلسلة رؤية تربوية (أمراض القلوب)، نسيبة عبدالعزيز العلي المطوع، ٢٠٠٢م، ص٢٩١.

(٢) سورة الملك، آ: ٢.

(٣) سورة الأنبياء، آ: ٣٥.

لا يصحبها عزم على ترك الذنب، ولا عزم على تدارك ما فات، ثم ينهمكون في الذنوب ولا يحدثون أنفسهم بعد ذلك بتوبة ويخشى على هؤلاء من سوء الخاتمة، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٥٣﴾[1][2].

وعلاج هذه النفس إعطاؤها حقوقها كاملة ومنعها من التجول خارج مساحة الحقوق.

والخلاصة: على المسلم أن يبادر بالتنمية بالتوبة والمسارعة إليها ومعالجة ذاته وتصحيح مساره بالرجوع إلى الله، والله أعلم.

٢ ـ التنمية بالاستغفار:

والاستغفار له شأن عظيم، ومكانة عالية، وهو كما قال شيخ الإسلام: «يُخرج العبد من الفعل المكروه إلى الفعل المحبوب، ومن العمل الناقص إلى العمل التام، ويرفعُ العبدَ من المقام الأدنى إلى الأعلى منه والأكمل، فإن العابد لله، والعارف بالله في كل يوم، بل في كل ساعة، بل في كل لحظة يزداد علماً بالله وبصيرة في دينه وعبوديته، بحيث يجد ذلك في طعامه وشرابه ونومه ويقظته وقوله وفعله، ويرى تقصيره في حضور قلبه في المقامات العالية، وإعطائها حقها، فهو يحتاج إلى الاستغفار آناء الليل وأطراف النهار، بل هو مضطر إليه دائماً في الأقوال والأحوال، في الغوائب والمشاهد، لما فيه من المصالح، وجلب الخيرات ودفع المضرّات، وطلب الزيادة في القوة في الأعمال القلبية والبدنية اليقينية الإيمانية»[3].

وإذا كان الاستغفار أن يتقلب العبد من حال إلى حال ومن مقام إلى مقام فتلك هي التنمية أن يصل العبد بذاته إلى المقامات العلية، والدرجات

(١) سورة يوسف، آ: ٥٣.

(٢) وصايا الرسول وأثرها في تقويم الفرد وإصلاح المجتمع، سبق، ج٤٢٥/١، ٤٢٦.

(٣) مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام، أحمد بن تيمية، ٦٩٦/١١.

السنية، فبلزوم العبد للاستغفار يزداد قلبه جلاءً يوماً بعد يوم، ليزداد علماً با- وبصيرة بعد علم، ويزداد قلبه حضوراً بين يدي ربه تعالى طلباً وزيادة وتنمية في قلبه، في إيمانه، في بدنه، فيرتفع العبد بالاستغفار ولزومه من المقام الأدنى إلى المقام الأعلى والأكمل، والله أعلم.

ولعظيم شأن الاستغفار، فقد قرنه الله تعالى بالتوبة تارةً، وبالتوحيد تارةً أخرى أما اقتران التوبة بالاستغفار، فقد قال الله تعالى: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾[1].

وقول هود لقومه: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾[2]، وقول صالح لقومه: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾[3]، وقول شعيب: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾﴾[4]؛ وفي هذا دلالة على عظم التلازم بين الاستغفار والتوبة، وشدة احتياج العبد إليهما للوقاية من شرور الذنوب وغوائلها.

قال ابن القيم والذنوب نوعان:

ذنب قد مضى، فالاستغفار منه، طلب و- ية شره، وذنب يخاف وقوعُه، فالتوبة: العزم على أن لا يفعله، والرجوع إلى الله يتناول النوعين، رجوع إليه ليقيه شر ما مضى، ورجوع إليه ليقيه شر ما يستقبل من نفسه وسيئات أعماله، وأيضاً فإنَّ المذنب بمنزلة من ركب طريقاً تؤديه إلى هلاكه، ولا توصله إلى المقصود، فهو مأمور أن يوليها ظهره، ويرجع إلى الطريق التي فيها نجاته، والتي توصله إلى مقصده، وفيها فلاحه، فهنا أمران

(١) سورة هود، -: ٣.
(٢) سورة هود، آية: ٥٢.
(٣) سورة هود، آية: ٦١.
(٤) سورة هود، -:

لا بدَّ منهما: مفارقة شيء والرجوع إلى غيره، فَخُصَّتْ التوبةُ بالرجوع، والاستغفار بالمفارقة...»[1].

ومما يبين عظم شأن الاستغفار ورفيع مكانته أنه كثيراً ما يأتي في النصوص مقروناً مع كلمة التوحيد لا إله إلا الله التي هي خير الكلمات وأفضلها وأجلُّها على الإطلاق، كقوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾[2]، وقوله: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ۝ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾[3].

وقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝﴾[4]، وقوله: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ۝﴾[5].

وكان رسول الله يكثر قبل أن يموت: **«سبحانك اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب إليك»**[6].

وكقوله ﷺ كذلك في دعائه الذي كان يختم به الصلاة: **«اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر، وأنت على كل شيء قدير»**[7]، والنصوص في هذا المعنى كثيرة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية[8] رحمه الله: «وقد ثبتت دائرة الاستغفار

---

(1) مدارج السالكين لابن القيم، دار الكتاب العربي، بيروت، تحقيق محمد حامد الفقي، ٢٠/٣.

(2) سورة محمد، آية: ١٩.

(3) سورة هود، آية، ٣.

(4) سورة فصلت، آية: ٦.

(5) سورة هود، آية: ٥٠.

(6) خرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود برقم ٧٨٦ من حديث عائشة.

(7) خرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب قول النبي: **«اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت»**، برقم ٦٣٩٨، من حديث أبي موسى عن أبيه.

(8) هو: أحمد بن عبدالله بن عبدالحليم بن عبدالسلام الحراني الحنبلي، أبو العباس تقي

بين أهل التوحيد، واقترانها بشهادة أن لا إلٰه إلا الله، من أوّلهم إلى آخرهم، ومن آخرهم إلى أولهم، ومن الأعلى إلى الأدنى، وشمول دائرة التوحيد والاستغفار للخلق كلهم، وهم فيها درجات عند الله، ولكل عامل مقام معلوم، فشهادة أن لا إلٰه إلا الله بصدق ويقين تذهب الشرك كله، دقه وجله خطأه وعمده، أوله وآخره، سره وعلانيته، وتأتي على جميع صفاته وخفاياه ودقائقه، والاستغفار يمحو ما بقي من عثراته، ويمحو الذنب الذي هو من شعب الشرك، فإن الذنوب كلها من شعب الشرك، فالتوحيد يذهب أصل الشرك، والاستغفار يمحو فروعه، فأبلغ الثناء قولُ لا إلٰه إلا الله، وأبلغ الدعاء قول أستغفر الله»[1].

وقد جمع النبي ﷺ بين التوحيد والاستغفار ففي حديث أنس بن مالك ﷺ يقول ﷺ: **«قال الله تعالى: ـ ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقُراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقُرابها مغفرة»**[2].

وهو حديث عظيم جامع لأهم وأعظم أسباب مغفرة الذنوب، حيث تضمن الحديث ثلاثة أسباب عظيمة يحصُل بها مغفرة الذنوب:

أحدها: دعاء الله مع رجائه، فمن أعظم أسباب المغفرة أن العبد إذا أذنب ذنباً لم يرج مغفرته من غير ربه، ويعلم أنه لا يغفر الذنوب إلا الله.

الثاني: الاستغفار، فإن الذنوب ولو عظمت وبلغت من الكثرة عنان السماء فإن الله يغفرها إذا طلبَ العبدُ من ربه المغفرة.

= الدين ابن تيمية، الإمام المشهور له برسوخ القدم في علوم النقل والعقل، ولد في حران عام ٦٦١هـ، نبغ واشتهر، مات في السجن، توفي عام ٧٢٨هـ، ينظر: الأعلام (١٤٤/١).

(١) مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية (٦٩٦/١١، ٦٩٧).

(٢) خرجه الترمذي، أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، باب في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله بعباده، برقم ٣٦١٧، من حديث أنس بن مالك ﷺ.

الثالث: التوحيد، وهو السببُ الأعظم للمغفرة، فمن فقده فقد المغفرة، ومن جاء به فقد أتى بأعظم أسباب المغفرة، ولهذا قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾[1]، فمن جاء يوم القيامة موحداً فقد أتى بأعظم أسباب المغفرة[2].

وعلة اقتران الاستغفار بالتوبة ـ والعلم عند الله تعالى ـ أن الاستغفار مقدمة عظيمة للتوبة والرجوع إلى الله، ويؤيد هذا ما قاله ربنا تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾[3]، لاحظ هنا الاستغفار جاء بعد حصول الفاحشة أو ظلم النفس ولا يستغفر إلا من تهيأت نفسه للرجوع إلى الله تعالى بالندم على ما وقع من مخالفات ولا يستغفر كذلك إلا من أيقن أنه ارتكب جرماً في حق ربه لهذا سارع بالاستغفار إليه سبحانه وتعالى لأنه بالاستغفار تصفو النفس فإذا صفت النفس سارعت بالتوبة إلى الله تعالى، من أجل هذا كان اقتران الاستغفار بالتوبة، والله أعلم.

وأما علة اقتران الاستغفار بالتوحيد فما أعظمه من اقتران فكلاهما يمحو ما علق بالنفس من مخالفات فالاستغفار يمحو الذنوب، لكن الذي يبدو لي والله أعلم أن المراد بالاستغفار ما اقترن به ترك الإصرار، لأنه عندئذ يعد توبة نصوحاً، لذا إذا قال شخص: أستغفر الله، أستغفر الله، دون أن يقلع عن الذنب وبات مصراً عليه يُعد لاعباً ومستهزئاً بالله تعالى، والعياذ بالله وأما التوحيد فإنه كذلك يمحو الشرك ويزيله، ألا نرى أن الإنسان إذا حلف باللات والعزى أو حلف بغير الله فإن كفارتها أن يقول لا إله إلا الله، والله أعلم.

---

(١) سورة النساء، آية: ١١٦.

(٢) فقه الأدعية والأذكار، د. عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر، وزارة الشؤون الاسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالسعودية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م، ص٤٩٨ ـ ٥٠١.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٣٥.

كذلك ومن التنمية بالاستغفار كما في قوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾[1] هذه الآيات تشير إلى ثمرات التنمية بالاستغفار.

الثمرة الأولى: من ثمرات التنمية نزول المطر لذا أكد أهل العلم أن من أسباب نزول المطر كثرة الاستغفار.

والثمرة الثانية: كثرة الأموال والبنين.

والثمرة الثالثة: أمدكم بأنواع الثمار والأنهار الجارية.

وما أعظم إرشاد فقيه القلوب الإمام الحسن البصري لهذه التنمية، فقد شكا إليه رجل الجدب فقال: استغفر الله، وشكى إليه آخر الفقر، فقال: استغفر الله، وشكى إليه آخر جفاف بستانه، فقال: استغفر الله، وشكى إليه آخر عدم الولد، فقال: استغفر الله، ثم تلا عليهم قول الله تعالى عن نوح ﷺ ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾.

وثمرات التنمية التي أشارت إليها سورة نوح هي مما يناله العبد في دنياه من الخيرات العميمة والعطايا الكريمة والثمرات المتنوعة، وأما ما يناله المستغفرون يوم القيامة من ثواب وأجر فأمر لا يحصيه إلا هو سبحانه وتعالى ومن ذلك يُعلَم أن نماء الاستغفار عظيم، روى ابن ماجه في سننه عن عبدالله بن بسر ﷺ[2] قال: قال رسول الله ﷺ: **«طوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً»**[3]، فإن الله تعالى قد نمى له هذا الاستغفار في صحيفته فوجده كثيراً فإن الله تبارك وتعالى يضاعف الحسنة بعشر بأمثالها.

---

(١) سورة نوح، الآيات ١٠ ـ ١٢.

(٢) سبق ترجمته، ص١٩٣.

(٣) خرجه ابن ماجه، كتاب الأدب، باب الاستغفار، برقم ٣٨٤١، من حديث عبدالله بن بسر ﷺ، وقال في الزوائد: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

وهذا رسول الله ﷺ ينمي نفسه بالاستغفار ويرشد أمته، لذلك روى مسلم في صحيحه عن الأغر المزني[1] ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **«إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة»**[2]، لذا كان صلوات الله وسلامه عليه يكثر في جميع أوقاته من الاستغفار.

وكان الصحابة ﷺ يحصون له في مجالسه الاستغفار الكثير، فعن عائشة قالت: (كان رسول الله ﷺ يكثر من قول: **«سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه»**[3].

وعن ابن عمر ﷺ قال: إن كنا لنعُد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة: **«رب اغفر لي، وتُب عليّ إنك أنت التواب الرحيم»**[4].

ومن صيغ الاستغفار الواردة عنه ﷺ ما روته عائشة ﷺ: أنها سمعت رسول الله ﷺ وأصغتْ إليه قبل أن يموت وهو مسنِد إليها ظهره يقول: **«اللهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق»**[5].

والخلاصة في هذا الباب: أنه ﷺ كان يلازم الاستغفار في كل أو ته وجميع أحيانه، إلى آخر لحظات عمره، وكان يختم أعماله الصالحة، كالصلاة والحج وقيام الليل وسائر مجالسه بالاستغفار، فكانت حياته كلها به، والله أعلم.

---

(١) هو الأغر بن يسار المزني، صحابي، من المهاجرين، انظر: الإصابة (٧ / ٢٤٧ - ٢٤٩).

(٢) خرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار والاستكثار منه، برقم ٤٩٩٩، من حديث الأغر المزني ﷺ.

(٣) خرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، برقم (٧٨٨)، من حديث عائشة.

(٤) خرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب تفريع أبواب الوتر، باب في الاستغفار، برقم ١٣٣٠، من حديث ابن عمر.

(٥) خرجه البخاري، كتاب المغاز ، باب مرض النبي ووفاته، برقم ٤٤٤٠، من حديث عائشة.

٣ ـ التنمية بالدعاء:

الدعاء شأنه في الإسلام عظيم، ومكانته سامية، ومنزلته عالية، وهو أجل العبادات، وأعظم الطاعات، وأنفع القربات، وقد افتتح الله سبحانه وتعالى كتابه بالدعاء واختتمه به، فسورة «الحمد» التي هي فاتحة القرآن الكريم مشتملة على دعاء الله بأجل المطالب وأكمل المقاصد، ألا وهو سؤال الله ﷻ الهداية إلى الصراط المستقيم، والإعانة على عبادته، والقيام بطاعته، وكذلك سورة «الناس» التي هي خاتمة القرآن الكريم مشتملة على دعاء الله سبحانه وتعالى، وذلك بالاستعانة به سبحانه وتعالى من شر الوسواس الخنّاس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس، وما من ريب أن افتتاح القرآن الكريم بالدعاء واختتامه به دليل على عظم شأن الدعاء، وأنه روح العبادات.

وقد سمى الله ﷻ الدعاء في القرآن عبادة، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾[1]، وكقوله سبحانه وتعالى فيما حكاه عن نبيه إبراهيم ﷺ: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾﴾[2]، وسمى الله الدعاء ديناً كما في قوله: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾﴾[3].

ومما سبق من الآيات يتبين عظم شأن الدعاء، وأنه أساس العبودية وروحها، والدعاء عنوان التذلل والخضوع والانكسار بين يدي الرب، من أجل ذلك قد رغّب الله تعالى في الدعاء، وبين أنه قريب ممن يدعوه قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾[4]، وقال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ

---

(١) سورة غافر، آية: ٦٠.

(٢) سورة مريم، آية: ٤٨.

(٣) سورة غافر، آية: ١٤.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٨٦.

ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾[1].

ولهذا فإن العبد كلما عظمت معرفته بالله وقويت صلته به، كان دعاؤه له أعظم وانكسارهُ بين يديه أشد، ولهذا كان أنبياء الله ورُسُله أعظم الناس تحقيقاً للدعاء وقياماً به في أحوالهم، وشئونهم جميعاً، وقد أثنى عليهم بذلك في القرآن الكريم، وذكر جملة من أدعيتهم في أحوال متعددة ومناسبات متنوعة، كذلك وصف الله تعالى المؤمنين، وعباده الصالحين، بتحقيق الدعاء، فقال سبحانه وتعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾[2][3].

فالدعاء هو روح هذا الدين، وزاد المؤمنين المتقين ونماؤهم عنده، فإن العبد إذا دعا الله تعالى في السراء والضراء، والرخاء والشدة، فإنما يعني بذلك أن يفرج عنه ما هو فيه من بلاء أو غيره، أو أن يدخره وينميه له في الآخرة، طلباً للرفعة، والأجر والثواب، والله أعلم.

والدعاء له منزلة عظيمة في السنة النبوية، فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: **«ليس شيء أكرم على الله من الدعاء»**[4]، وفي هذا الحديث دلالة على فضل الدعاء، وعظيم كرمه عند الله، ورفيع مكانته من العبادة.

وما ورد في فضله كذلك حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من لم يسأل الله يغضب عليه»**[5]، وهو دليل على حب الله

---

(١) سورة النمل، آ: ٦٢.

(٢) سورة السجدة، الآيتان: ١٦،

(٣) فقه الأدعية والأذكار، عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر، سبق، ص٢٧٤.

(٤) خرجه البخاري في الأدب المفرد، باب فضل الدعاء، برقم ٧٣٤، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٥) خرجه الترمذي، أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ، برقم ٣٤٤٧، من حديث أبي هريرة ﷺ.

للدعاء، وحبه سبحانه وتعالى لعبده الذي يدعوه، ولذا فإنه سبحانه يغضب من عبده إذا ترك دعاءه، ولا ريب أن هذا فيه «دليل على أن الدعاء من العبد لربه من أهم الواجبات وأعظم المفروضات، لأن تجنب ما يغضب الله منه لا خلاف في وجوبه»[1].

وكذلك ما جاء في الحديث القدسي: **«يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم»**[2]، وفي الحديث دلالة على أن الله يحب أن يسأله العباد لجميع مصالح دينهم ودنياهم من الطعام والشراب والكسوة وغير ذلك، كما يسألونه الهداية والمغفرة والتوفيق والإعانة على الطاعة، ووعدهم على ذلك كله بالإجابة.

وكما قال سفيان الثوري[3] رحمه الله: «يا من أحبُّ عبادِهِ إليه من سأله فأكثر سؤاله، ويا من أبغضُ عبادِهِ إليه مَن لم يسأله، وليس كذلك غيرُك يا رب»[4].

وكذلك عن سلمان الفارسي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«إنَّ ربكم تبارك وتعالى حييٌ كريمٌ يستحيي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردَّهما صِفْراً»**[5].

---

(١) تحفة الذاكرين، ص٢٨.

(٢) خرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم برقم ٤٨٠٢، من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٣) هو: سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبدالله، أمير المؤمنين في الحديث، ولد في الكوفة سنة ٩٧هـ، ونشأ بها، عرض عليه القضاء فامتنع وخرج فسكن مكة والمدينة، ثم انتقل إلى البصرة، ومات فيها سنة ١٦١هـ، ينظر: أعلام النبلاء ٢٢٩/٧.

(٤) انظر: تفسير ابن كثير، (٨٥/٤).

(٥) خرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب تفريع أبواب الوتر، باب الدعاء، برقم ١٣٠٨، من حديث سلمان رضي الله عنه، ومعنى صفراً: أي: خالية.

وفي حديث النزول الإلهي يقول ﷺ: **«ينـزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: مَنْ يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له»**[1]، وهو حديث متواتر خرجه عن النبي ﷺ جمع من الصحابة بلغ عددهم ثمانية وعشرين صحابيًا.

وقال النبي ﷺ: **«ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن يعجل له دعوته، وإما أن يدَّخرها له في الآخرة، وإما أن يدفع عنه من السوء مثلها»**، قال: إذاً نكثر، قال: **«الله أكثر»**[2].

وهذه الأحاديث السالفة الذكر ما جاء في معناها تدل دلالة واضحة، على أن الله تبارك وتعالى يحب من عبده أن يدعو، لينمي له ما طلب في الدنيا في الآخرة من أجر وثواب، ثم إن الله تبارك وتعالى ينـزل كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير نزولاً يليق به سبحانه من غير أن نصف الكيفية، لأن نبينا ﷺ لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا إلى سماء الدنيا، فنحن نثبت هذه الصفة، وهي صفة فعلية ومتواترة بلا تحريف، أو تشبيه أو تعطيل أو تمثيل أو تكييف بل نثبتها كما جاءت، والله أعلم[3]، ليعلم عباده الأوقات التي ينبغي للعبد أن يكون فيها قائماً بين يدي مولاه تبارك وتعالى، فهي من أفضل الأوقات التي على العبد أن يسعى لتنمية الدعاء عند الله، فما أعظمه من رب يحب الخير لعباده، وما أعظمه من خالق ينمي لهم العطاء، وقد يدعو الإنسان ربه سبحانه وتعالى، ولا يحصل

---

(1) خرجه البخاري، كتاب التهجد، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل، برقم ١١٤٥، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(2) خرجه البخاري في الأدب المفرد، باب ما يدخر للداعي من الأجر والثواب، برقم ٧٣٢، من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

(3) صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة، علوي بن عبدالقادر السقّاف، ط دار الهجرة للنشر والتوزيع، ١٩٩٤، ص٢٤٩، ٢٥٠.

شيئاً من الاستجابة في الدنيا فينعكس ذلك سلباً على ضعاف الإيمان في الدنيا بل قد يؤدي إلى انتكاسة عياذاً با ؛ رب العالمين.

والنبي ﷺ يصحح لنا ذلك فيوضح لنا أن الله تعالى إما أن يعجل للعبد الإجابة في الدنيا وإما أن ينميه له ويزيده أجراً ويدخرها له في الآخرة، ألا ترى حديث الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة وقد أواهم المبيت في الغار...، ووجدوا أنه لا ينجيهم مما هم فيه إلا أن يدعوا الله بصالح الأعمال فهرع كل واحد منهم إلى عمل صالح فعله، يتوسل به إلى الله تعالى فجاء الثالث وهو الشاهد فقال: اللهمّ إني استأجرت أجراء، وأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب فثمرت أجره[1]، حتى كثرت منه الأموال»، فهذا عبد علم أن له ربًا يحاسبه فخاف منه سبحانه وتعالى، وحرص على أداء الحقوق في الدنيا، قبل أن تؤخذ منه في الآخرة فراح ينمي أجر العامل حتى زاد وفاض، مما جعل العامل لا يصدق أن هذا كله له، فإذا كان هذا شأن نماء العبد، فما بالك بما ينميه الله تبارك وتعالى لنا في الآخرة من أجر ومثوبة وعطاء وهو الكريم الحليم، الذي لا تنفد خزائنه سبحانه وتعالى وهو القائل: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[2]، والله أعلم.

وهناك موانع وعوائق تمنع من تنمية الدعاء من العبد عند الله ﷻ، منها: أن الله تعالى لا يقبل الدعاء من عبد غائب القلب، منصرف الذهن، ويؤيد ذلك ما جاء في مستدرك الحاكم من حديث أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: **«ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاءً من قلب غافل لاهٍ»**[3]، فهذا دواء عظيم أن تدعو الله ﷻ وأنت على يقين بأنه سبحانه ينمي لك الإجابة في الآخرة، لكن غفلة القلب وتوقف

---

(١) «فثمرت أجره» من التثمير، ومعناه: التنمية والتكثير، والحديث خرجه مسلم، كتاب الرقاق، باب قصة أصحاب الغار الثلاثة، برقم ٥٠٥٥، من حديث عبدالله بن عمر ﷺ.

(٢) سورة الزمر، آية: ١٠.

(٣) خرجه الترمذي، أبواب الدعوات، باب جامع الدعوات، برقم ٣٥٥٥٩، من حديث أبي هريرة ﷺ، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

نمائه، وكذلك أكل الحرام يضعف قوة الدعاء، ويوقف نمائه كما جاء في حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس، إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[1]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[2]، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمُد يديه إلى السماء يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسُهُ حرام، وغُذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك»[3].

وفي حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يستجاب ما لم يعجل، فيقول: قد دعوت ربي فلم يستجب لي»[4]، إن استعجال الإجابة آفة من الآفات التي تمنع نماء أثر الدعاء فمن استعجل الإجابة كان كما قال ابن القيم رحمه الله: بمنزلة من بذر بذراً، أو غرس غرساً فجعل يتعهده ويسقيه، فلما استبطأ كماله وأدراكه تركه وأهمله[5]، إن شاء، من ينتظر نماء ما بذر فلما استعجل الثمرة أضاع نماء الثمرة وقد أضاع النماء بفعله.

ويؤيد هذا ما ورد عن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «لا يزال يُستجاب للعبد ما لم يدعُ بإثم أو قطيعة رحم ما لم يستعجل»، قيل: يا رسول الله، ما الاستعجال؟ قال: «يقول قد دعوتُ، وقد دعوتُ فلم أر يستجيبُ لي، فيستحسرُ عند ذلك، ويدعُ الدعاء»[6]، وفي هذا الحديث

(١) سورة المؤمنون، آية: ٥١.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٧٢.

(٣) خرجه مسلم، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب، برقم ١٧٦٠، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٤) خرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب بيان أنه يستجاب للداعي ما لم يعجل، برقم ٥٠٤٦، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٥) الجواب الكافي لابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت ٥٧.

(٦) خرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب بيان أنه يستجاب للداعي ما لم يعجل، برقم ٥٠٤٧، من حديث أبي هريرة ﷺ.

إشارة أخرى إلى ما يعيق قبول الدعاء ونماءه عند الله تعالى، وهو دعوته بإثم أو معصية، وهذا في الحقيقة من حكمة الله ﷻ، ولطفه بعباده سبحانه، والله أعلم.

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝١١﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ۝٧١﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا ۝١١﴾[3].

وفيما مضى كانت الموانع التي تحجب وتمنع نماء الإجابة، وما يلي بعون الله تعالى أسباب نماء الدعاء، والله أعلم.

سبق أن ذكرنا موانع تنمية الدعاء، وسنذكر الآن بحول الله تعالى وقوته أسباباً لتنمية الدعاء: من أعظم هذه الأسباب:

الأول: إطابة المطعم كما قال وهب بن منبه[4] رحمه الله: «من سره أن يستجيب الله دعوته فليطب طُعْمته».

ولما سئل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه تستجاب دعوتك من بين أصحاب رسول الله ﷺ؟، فقال: «ما رفعت إلى فمي لُقمة إلا وأنا عالم من أين مجيئها ومن أين خرجت»[5].

وعلى ذلك من أكل الحرام وشربه ولبسه فإن فعله يكون سبباً لعدم

---

(١) سورة يونس، آية: ١١.
(٢) سورة المؤمنون، آية: ٧١.
(٣) سورة الإسراء، آية: ١١.
(٤) وهب بن منبه: أبو عبدالله وهب بن منبه الأبناوي الصنعاني الذماري، يعد من التابعين، مؤرخ كثير الأخبار، و ٣٤هـ، ومات بصنعاء سنة ١١٤هـ، ينظر: سير الأعلام ٨/١٢٥.
(٥) أوردهما الحافظ ابن رجب، جامع العلوم والحكم، ط القاهرة، دار الحديث، ص١٣٧.

إجابة دعوته لهذا قال ﷺ: «فأنى يستجاب لذلك» أ ـ : كيف يستجاب له، وقد ضيّع على نفسه نماء الإجابة عند الله تعالى.

الثاني: إطالة السفر كما جاء في الحديث عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ: **«ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده»**[1]، ومتى طال السفر كان أقرب إلى إجابة الدعاء وتنميته، لأن مظنة حصول انكسار النفس بطول الغربة عن الأوطان، وتحمل المشاق والانكسار من أعظم أسباب إجابة الدعاء.

الثالث: أن يكون متواضعاً متذللاً مستكيناً للحديث المشهور: **«كم من أشعث أغبر ذي طمرين، لا يؤبه به، لو أقسم على الله لأبره»**[2].

فكان التواضع والتذلل سبباً لتنمية الأجر عند الله ﷻ.

الرابع: الإلحاح على الله بتكرير ذكر ربوبيته؛ وروي عن عطاء[3] أنه قال: ما قال عبد يا رب يا رب ثلاث مرات إلا نظر اللهُ إليه، فذُكر ذلك للحسن فقال: أما تقرؤون القرآن؟ ثم تلا قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾﴾[4].

وهكذا أوضحنا أن هناك أسباباً تمنع من تنمية الدعاء عند الله ﷻ يوم القيامة بأن يدخر الإجابة عنده فينميها للعبد.

---

(١) خرجه الترمذي، أبواب البر والصلة عن رسول الله، باب ما جاء في دعوة الوالدين، برقم (١٩١١)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) خرجه الترمذي، أبواب المناقب، برقم ٣٩٤٩ من حديث أنس، وقال: حديث حسن غريب من هذا الوجه.

(٣) هو: عطاء بن أبي رباح القرشي المكي، ثقة، فقيه، فاضل، توفي سنة ١١٤، انظر: التقريب، ٤٥٩١.

(٤) سورة آل عمران، ' : ١٩١ ـ ١٩٣.

٤ ـ التنمية بالذكر:

لا يخفى على المسلم أهمية الذكر وعظيم فائدته، فهو من أجل المقاصد، وأنفع ما يقرب المسلم من ربه سبحانه وتعالى، وقد أمر الله تعالى به في كتابه الكريم فقال جل شأنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝٤١﴾[١]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[٣].

ومن هذه الآيات أمر الله تعالى بكثرة الذكر، فما من عبد إلا وهو شديد الحاجة إليه ولا غنى عنه طرفة عين، فالفائز من دام ذكره لله ﷻ، والخاسر من غفل عن ذكر الله، ومن كان حاله كذلك ندم يوم القيامة ندماً شديداً عند لقاء ربه.

وقد ثبت ذلك من حديث النبي ﷺ كما جاء في شعب الإيمان للبيهقي: **«ما من ساعة تمر بابن آدم لا يذكر الله تعالى فيها إلا تحسّر عليها يوم القيامة»**[٤].

إن من شأن المؤمنين أنهم يذكرون الله على الدوام، فكلما ذكر المؤمن ربه، كلما نما أجره عند الله، وكلما ابتعد عن ذكر الله فقد هذا النماء حتى إذا لقي الله لم يجد عنده شيئاً.

والذكر له فوائد عظيمة، منها:

أولاً: أن الذكر ينمي قلب الذاكر، بالفرح والسرور والراحة والاطمئنان

---

(١) سورة الأحزاب، آ: ٤١.

(٢) سورة آل عمران، آ: ١٩١.

(٣) سورة الأحزاب، آ: ٣٥.

(٤) شعب الإيمان للبيهقي، فصل في إدامة ذكر الله، ٥٤٠، من حديث عائشة ﵂. وقال البيهقي في هذا الإسناد ضعف غير أن له شواهد من حديث معاذ.

والسكينة، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾[1].

والناظر في قوله تعالى: ﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم﴾ يجد أن الذكر ينمي الأنس والفرح، والسكينة في القلب ويزيل عنه القلق والاضطراب، ألا ترى الذين قست حياتهم، واضطربت، وخاب سعيهم، في الحياة الدنيا ازدادوا في الحياة ضيقاً وشقاءً، ويريدون التخلص من الدنيا بأية ثمن، فمنهم من انتحر، ومنهم من مات خنقاً، وهكذا وهذه نتيجة للذين ابتعدوا عن ذكر الله تعالى.

ثانياً: الذكر ينمي في القلب الحياة الحقيقية، ألا ترى أن الذكر قوت القلوب، والأرواح، ومن حيل بينه وبين الذكر، كمن حيل بين بدنه والطعام، فلا حياة للقلب إلا بالأنس بذكر الله سبحانه وتعالى، وهذا ما يشير إليه قوله في الآية السابقة: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾.

وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية[2]: «الذكر للقلب مثل الماء للسمك فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء»[3].

ثالثاً: الذكر ينمي علو منزلة الذاكر عند الله، قال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾[4]، ولحديث رسول الله ﷺ لما سئل عن أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله»[5].

فتأمل الله الخالق يذكرك، أي شرف أعظم من هذا؟ يا لها من تنمية في المكانة والشأن والمنزلة.

(١) سورة الرعد، آية: ٢٨.

(٢) سبقت ترجمته، ص٢١٥.

(٣) الوابل الصيب لابن القيم، ص٨٥.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٥٢.

(٥) خرجه ابن حبان، كتاب الرقائق، باب الأذكار، ذكر بيان بأن المداومة للمرء على ذكر الله من أحب الأعمال إلى الله، برقم ٨١٩، من حديث معاذ ﷺ.

وابعاً: الذكر ينمي العطاء للعبد والثواب والفضل، مع أن الذكر من أيسر العبادات، والأجور المترتبة على الذكر عظيمة.

فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر من ذلك»[1].

خامساً: الذكر ينمي غراسك في الجنة ويؤيد هذا ما رواه عبدالله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لقيتُ إبراهيم ليلة أُسري بي فقال: يا محمد أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»[2].

سادساً: الذكر ينمي قرب الذاكر من مذكوره، ومذكوره معه، وهذه المعية معية خاصة، وهي معية بالقرب والولاية والمحبة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ۝١٢٨﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾[4]، وقال: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[5] ويشهد لذلك ويقويه «أنا مع عبدي إذا ما ذكرني وتحركت بي شفتاه»[6].

---

(1) خرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، برقم ٣٢٩٣، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(2) خرجه الترمذي، أبوا الدعوات عن رسول الله، باب ما جاء في فضل التسبيح والتكبير والتهليل والتحميد، برقم ٣٥٣٧، من حديث ابن مسعود ﷺ. وهو حديث حسن.

(3) سورة النحل، آ: ١٢٨.

(4) سورة البقرة، آ: ٢٤٩.

(5) سورة العنكبوت، آ: ٦٩.

(6) خرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾.

سابعاً: الذكر ينمي جلب النعم، فما استجلبت نعمة إلا بذكر الله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾[1].

ثامناً: الذكر ينمي نزول السكينة، وغشيان الرحمة، وصفوف الملائكة فقد قال رسول الله ﷺ: «لا يقعد قوم يذكرون الله ﷻ إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده»[2].

تاسعاً: الذكر ينمي أجر الصائم، فعن سهل بن معاذ بن أنس الجُهني[3]، عن أبيه، عن رسول الله ﷺ أن رجلاً سأله، فقال: أيُّ الجهاد أعظمُ أجراً؟ قال: «أكثرهم لله تبارك وتعالى ذكراً»، قال: فأيُّ الصائمين أعظم أجراً؟ قال: «أكثرهم لله تبارك وتعالى ذكراً»، ثم ذكر لنا الصلاة والزكاة والحج والصدقة، كل ذلك يقول رسول الله ﷺ: «أكثرهم لله تبارك وتعالى ذكراً» فقال أبو بكر: يا أبا حفص ذهب الذاكرون بكل خير، فقال رسول الله ﷺ: «أجل»[4].

قال الهيثمي ـ رحمه الله ـ: «وفيه زَبّان بن فائد وهو ضعيف وقد وُثِّق، وكذلك ابن لهيعة»[5] اهـ.

لكن له شاهد مرسل بإسناد صحيح، خرجه ابن المبارك في الزهد قال: أخبرني حيوةُ قال: حدثني زُهْرةُ بن معبد أنه سمع أبا سعيد المقبري «وهو تابعي»، يقول: قيل: يا رسول الله أيُّ الحاج أعظم أجراً؟ فقال: «أكثرهم لله ذكراً»، قال: فأيُّ المصلين أعظم أجراً؟ قال، «أكثرهم لله

---

(١) سورة الحج، -: ٣٨.

(٢) خرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، برقم ٤٩٩٧، من حديث أبي هريرة.

(٣) سهل بن معاذ بن أنس الجهني، شامي، نزل مصر، له صحبة، روى له البخاري في الأدب، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، انظر: تهذيب الكمال ت د. بشار عواد معروف.

(٤) خرجه أحمد في مسنده، مسند المكيين، حديث معاذ بن أنس، برقم ١٥٣٧٩، من حديث سهل بن معاذ عن أبيه ﷺ.

(٥) مجمع الزوائد، ٧٤/١٠.

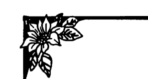
ذكراً»، قال: فأي الصائمين أعظم أجراً؟ قال: «أكثرهم لله ذكراً»، قال: فأيُّ المجاهدين أعظُم أجراً؟ فقال: «أكثرهم لله ذكراً» قال زهرة: فأخبرني أبو سعيد المقبُري: أن عمر بن الخطاب قال لأبي بكر: ذهب الذاكرون بكل خير[1]، والحديث بهذا الشاهد يصلح للاحتجاج به، إن شاء الله.

عاشراً: الذكر ينمي بآيات الله وهذا لا يكون إلا لأولي الألباب والعقول كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَٰفِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾﴾[2].



(١) الزهد لابن المبارك، باب فضل ذكر الله ﷻ، أي: الحاج أعظم أجراً، برقم ١٤٠٧، من حديث أبي سعيد المقبري.

(٢) سورة آل عمران، الآيتان: ١٩٠، ١٩١.



المبحث الثالث
التنمية الاجتماعية والسلوكية

مدخل

لما كانت الأخلاق الفاضلة، والآداب مكتسبة بواسطة الرياضة والتربية، فإن المسلم يعمل دائماً على تنمية تلك الأخلاق، والآداب لتصبح سلوكاً، فتصبح جزءاً منه لا ينفصل عنه بحيث يتعهدها بأن تزيد باستمرار ولا تنقص.

ومن ناحية أخرى يحرص المسلم على تنمية أواصر الأخوة بين المسلمين، ومحبتهم في الله تعالى، وتنمية النصيحة لهم بإتقان العمل، ليكون على الوجه الأكمل المطلوب، وهذا ما سنبينه في هذا المطلب إن شاء الله تعالى، والله أعلم.



المطلب الأول
التنمية في مجال الأخلاق

الأخلاق في اللغة جمع خُلُق، والخلق اسم لسجية الإنسان وطبيعته التي خلق عليها، وهو مأخوذ من مادة (خ ل ق) التي تدل على تقدير الشيء.

يقول ابن فارس[1]: ومن هذا المعنى (أي: تقدير الشيء) الخُلُق، وهو السجيّة لأن صاحبه قد قُدّر عليه، يقال: فلان خليق بكذا (أي قادر عليه وجدير به)[2].

قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝﴾[3]، والخلق العظيم هنا كما يقول الطبري[4]: الأدب العظيم، وإلى هذا المعنى ذهب الإمام ابن عباس[5] ـ ﵄ ـ، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝﴾ على دين عظيم، وقال مجاهد[6]: (خلق عظيم) قال: الدين، وعن عائشة[7] ـ ﵂ ـ عندما سُئلت عن خلق رسول الله ﷺ قالت: «كان خلقه القرآن»[8].

قال الإمام الماوردي[9]: وحقيقة الخلق ما يأخذ به الإنسان نفسه من الآداب، قال: في الخلق العظيم ثلاثة أوجه؛ أحدها: أدب القرآن، الثاني: دين الإسلام، الثالث: الطبع الكريم وهو الظاهر[10].

---

(١) أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، أبو الحسين، من أئمة اللغة والأدب، أصله من قزوين، انتقل الى الري وتوفي بها، وله تصانيف نافعة، منها: معجم مقاييس اللغة، ينظر: سير أعلام النبلاء ١٠٣/١٧.

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس ١٤/٢

(٣) سورة القلم، آ: ٤.

(٤) هو: محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر، المؤرخ المفسر الإمام، ولد في آمل طبرستان، واستوطن بغداد، وتوفي بها، عرض عليه القضاء فأبى، له تاريخ الطبري، توفي ٣١٠هـ، انظر: معجم المفسرين لعادل بويهب ٥٠٨/٢.

(٥) سبق ترجمته، ص١٩١.

(٦) مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكي، مولى بني مخزوم، تابعي، مفسر من أهل مكة، شيخ القراء والمفسرين، ويقال: إنه مات وهو ساجد، توفي سنة ١٠٣هـ، انظر: الأعلام للزركلي ٧٨/٥.

(٧) انظر ترجمتها، ص١٥٨.

(٨) تفسير الطبري ح١٢، جزء ٢٨، ص١٣، ط. الريان.

(٩) هو: علي بن محمد بن حبيب، أبو الحسن الماوردي، أقضى قضاة عصره، فقيه شافعي، أصولي مفسر أديب، ولد في البصرة، وسكن بغداد، نسبته إلى بيع ماء الورد، من كتبه الأحكام السلطانية، توفي ببغداد ٤٥٠هـ، انظر: معجم المفسرين ٣٧٥/١.

(١٠) تفسير الماوردي (النكت والعيون) ٦١/٦ ـ ٦٢.

وقال الفيروزأبادي: «اعلم أن الدين كله خلق، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين، وهو يقوم على أربعة أركان: الصبر والعفة والشجاعة والعدل»[1].

أما الأخلاق اصطلاحاً: فأكتفي هنا بتعريفها عند الإمامين شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم[2] رحمهما الله تعالى، أما الأخلاق عند ابن تيمية فمفهوم الأخلاق عنده مرتبط بمفهوم الإيمان، وما ينبثق عنه حيث إنه يقوم على عدة عناصر، هي:

- الإيمان بالله وحده خالقاً، ورازقاً بيده المُلك وهو توحيد الربوبية.

- معرفة الله سبحانه وتعالى، معرفة تقوم على أنه وحده سبحانه المستحق للعبادة وهو توحيد الألوهية.

وهذا التوحيد هو الذي خلق الله الجن والإنس من أجله، ومن أجله أرسل الرسل، وأنزل الكتب، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[4]، والآيات في ذلك كثيرة، بل كل آيات وسور القرآن تدل على التوحيد، لأن القرآن إما:

١ - خبر عن الله وعن أسمائه وصفاته.

٢ - دعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له.

٣ - أمر ونهي وإلزام بطاعة، وهو من لوازم التوحيد.

٤ - خبر عن أهل التوحيد وجزاؤهم في الدنيا والآخرة.

---

(١) بصائر ذوي التميز، ٢/٥٦٨.

(٢) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي، أبو عبدالله شمس الدين، المعروف بابن القيم الجوزية، من كبار فقهاء الحنابلة، محدث مفسر، ولد بدمشق ولازم ابن تيمية، ونشر علمه، توفي ٧٥١هـ معجم المفسرين ٢/٥٠٣.

(٣) سورة الذاريات، آية: ٥٦.

(٤) سورة النحل، آية: ٣٦.

خبر عن أهل الشرك وجزاؤهم في الدنيا والآخرة[1].

وهناك فرق أخرى لها تقسيمات أخرى كالمعتزلة فقد أدرجوا نفي الصفات في مسمى التوحيد وسموا أنفسهم بالموحدين وزاد عليهم غلاة الجهمية والجبرية فنفوا صفات الرب كعلمه وسمعه وبصره، وغلا قوم من الجهمية ووافقهم الفلاسفة فقالوا: التوحيد إنكار ماهية الرب، وإنكار صفات كماله، وأنه لا سمع له ولا بصر ولا قدرة ولا إرادة ولا حياة، أما التوحيد عند عامة المتكلمين فثلاثة أنواع فيقولون: هو واحد في ذاته لا قسيم له، واحد في صفاته لا شبيه له، واحد في أفعاله لا شريك له، وأشهر هذه الأنواع الثلاثة عندهم الثالث وهو توحيد الأفعال، وبعد ذكر هذه الآراء لهذه الفرق نرى أن المعتزلة وغلاة الجهمية والجبرية والفلاسفة في نفيهم للصفات قد جانبوا الصواب، وإذا كان أهل العلم يقولون إن العقل مناط التكليف فلا يعقل ولا ينبغي لعاقل أن ينكر شيئاً أثبته الله لنفسه، فالله سبحانه أثبت لنفسه صفات في القرآن وجب الإيمان بها كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[2]، فقد أثبت لنفسه صفة السمع والبصر، وهذا من أبسط الأدلة على فساد ما ذهبوا إليه، وأما ما ذهب إليه المتكلمون إنهم جعلوا من أقر بربوبية الله موحدا ولم يلتفتوا إلى حق الله على العباد، ولا إلى الحكمة التي خلق الله الجن والإنس لتحقيقها، وهذا أعظم شاهد على الانحراف الخطير الذي وقعوا فيه[3].

وأما تحديد الأخلاق عند الإمام ابن القيم فلم يضع تعريفاً أو تحديداً دقيقاً، وإنما قسمها إلى قسمين:

الأول: الأخلاق المذمومة.

الثاني: الأخلاق الفاضلة.

---

(١) شرح الطحاوية ص٨٩.
(٢) سورة الشورى، آية: ١١.
(٣) منهج الإمام الشافعي في إثبات العقيدة، للدكتور محمد بن عبدالوهاب العقيل، ص٢٣٥.

وأرجع كلا القسمين إلى أصوله، فقال: أصل الأخلاق المذمومة كلها الكبر والمهانة، والدناءة.

وأصل الأخلاق المحمودة كلها الخشوع وعلو الهمة[1]، ثم أشار رحمه الله تعالى ـ إلى أن للأخلاق حدوداً[2] متى جاوزتها صارت عدواناً، ومتى قصرت عنها كانت نقصاً ومهانة، وعلى سبيل المثال، فالشجاعة مثلاً لها حد إذا تجاوزته صارت تهوراً، ومتى نقصت عنه صارت جبناً وخوراً.

وقد اقتفى ابن القيم أثر شيخه ابن تيمية في الربط بين الإيمان والأخلاق، وأشار إلى أن النبي ﷺ قد جمع بين تقوى الله وحسن الخلق، وفسَّر ذلك بقوله: «لأن تقوى الله تصلح ما بين العبد وبين ربه، وحسن الخلق يصلح ما بينه وبين خلقه، فتقوى الله توجب له محبة ا^ـ ، وحُسن الخلق يدعو الناس إلى محبته»[3].

ويتضح من خلال تعريف ابن القيم أن الأخلاق هي جمع شامل في منظور متكامل منبثق من الكتاب والسنة النبوية.

وعلى ذلك سوف نبين إن شاء الله في هذا الفصل أربعة مسائل هامة:

المسألة الأولى: المنهج الإسلامي في تنمية الأخلاق:

علمنا فيما مضى أن الأخلاق إنما انبثقت من الوحيين الكتاب والسنة، والأمر الآخر أن الضرورة ملحة لطرح منهج الإسلام في تنمية القيم الأخلاقية عند المسلم المعاصر، يساعد على اكتساب الأخلاق الإسلامية واستمرارها وسيادتها في حركة الإنسان.

وبداية لا بد أن نقرر مجموعة من المبادئ الأساسية التالية:

١ ـ إن تنمية القيم الخلقية لدى المسلم تعتمد على فطرة الإنسان، و

---

(١) الفوائد، ابن قيم الجوزية، ص١٩٧.
(٢) المرجع نفسه، ص١٩٢ ـ ١٩٣.
(٣) المرجع نفسه، ص٧٤ ـ ٧٥.

زود به من استعدادات فطرية للتعلم والتخلق، ثم يأتي بعد ذلك عملية اكتساب الأخلاق من المجتمع المحيط في إطار التنمية المتكاملة المتوازن لكامل شخصية الإنسان من خلال الجوانب الروحية والوجدانية والعقلية للإنسان وحواسه، وعلى ذلك فإن على التعليم والتربية أن يقدما الزاد لتنمية الإنسان من كافة النواحي، على صعيدي الفرد والجماعة، وأن يحفزا هذه الجوانب كافة إلى الخير وطلب الكمال(١).

وهذا يعني أن الجهد التوجيهي التربوي ينصب على كافة جوانب الشخصية الإنسانية، وعلى التكامل بين المعرفة والسلوك، وينبغي للإنسان أن يعرف كيف يمزج بين المعرفة والعمل في إطار كلي.

وبذلك تزداد خبرته وتجربته بالممارسة التي تعدل وتنسق الكثير من خبراته(٢).

٢ ـ إن وجود القيم الخلقية والمبادئ العليا والأهداف السامية ضرور لتوجيه حياة الإنسان توجيهاً صحيحاً يضبط حركته سليمة صحيحة.

فالإنسان لكي يجعل نفسه في صورة إنسانية مرضية ينبغي أن يكون له في حياته أسلوبه الخاص الذي يميزه عن غيره، ويتمثل في مجموعة من القواعد الخلقية، والمثل العليا التي يلزم نفسه بها وهذا في الحقيقة يعطينا مؤشراً هاماً على أهمية القيم الخلقية في بناء الإنسان، وكذا أهميتها كمصدر من مصادر الأهداف التي ترتجى وتؤمل في نمو الشخصية المسلمة في المجتمع.

٣ ـ إن هذه القيم والمبادئ والأهداف تحتويها ثقافة المجتمع المسلم

---

(١) آفاق جديدة في التعليم الإسلامي، سيد علي أشرف، ترجمة أمين حسين الرباط، السعودية، عكاظ، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م، ص٢٨، ٢٩.

(٢) التعليم الإسلامي أهدافه ومقاصده، محمد النقيب عطاس، ترجمة عبدالحميد محمد الحديبي، سلسلة التعليم الإسلامي، عكاظ وجامعة الملك عبدالعزيز، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤، ص١٤.

باعتبارها الإطار المرجعي لكافة سلوكيات الفرد والجماعة، وهي التي تمثل القيم والأخلاق والمهارات والأذواق وما إلى ذلك مما يكتسبه الإنسان وتشكل شخصيته القيمية والأخلاقية، هذه الثقافة تقوم على مبدأ التوحيد حيث تشتق منه وتدور حول كافة القيم الإسلامية باعتبارها معايير واقعية توجه جميع أفعال الفرد في مختلف المواقف الفردية والاجتماعية.

٤ ـ إن تنمية القيم الأخلاقية لدى الإنسان المسلم تعتمد على تكوين الوازع الداخلي في الفرد منذ الطفولة الأولى.

حيث يؤمن الفرد بالقيم، ويكتسبها ويتشرّبُها ويضيفها إلى إطاره المرجعي للسلوك، ويتم ذلك من خلال التنشئة الاجتماعية، وعن طريق التفاعل الاجتماعي يتعلم الفرد أن مواقفه يجب أن تتسم بالخلقية وذلك حتى يشارك في حياة المجتمع بفاعلية.

وبعد، فإن منهج الإسلام في تكوين القيم الخلقية يكون باستطلاع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، تطالعنا طريقة فذة في معالجة القيم الخلقية من حيث تكوينها لدى الفرد المسلم والجماعة المسلمة، وقد أتى الإسلام لا ليصطدم مع الطبيعة البشرية بل ليضبطها ويفجر أحسن ما فيها، وقد قام السلوك على أساس خلقي ضابط بوعي واختيار واع.

ولقد اهتم القرآن في مرحلته المكية ببناء الإيمان في نفوس الناس والدعوة إليه بكافة الوسائل، وذلك بلفت النظر إلى خلق الله، والتأمل فيه، للاستدلال على الخالق ﷻ والإيمان به، والتصديق بما أنزله على رسوله.

«وقد صحح القرآن علاقة الإنسان بما حوله بأن جعلها علاقة تعاطف وتعارف، فلا عبودية لها ولا تأليه، ولا استهانة ولا إنكار، وقد ربى القرآن الإنسان على حضور واع، واتخذ في هذا السبيل طرقاً مختلفة لعملية التصحيح هذه، وهي لازمة لتكوين قيم صحيحة سليمة.

وكان أول ما قام به هو تصحيح علاقة الإنسان بالله الخالق الراعي لخلقه المعتني بهم، الرحيم، المبدع، التوّاب، وهو الواحد، غرس في نفس المسلم التوحيد، الذي دفع الإنسان إلى حب الخير وفعله، وتجنب

الشر وكراهيته، وبالتالي كانت العلاقة بين الإنسان وبين خالقه، هي طريق الإنسان إلى الكمال، وكانت طريقاً إلى امتلاء قلب الإنسان بالولاء والانتماء إلى الله وحده.

كما صحح القرآن علاقة الإنسان مع نفسه ثم مع من حوله من الناس، وذلك بعد أن ضبط حركته بقيم خلقية معينة تجاه الخالق، والآيات المدنية تأتي لبناء الإرادة الإنسانية وتكوين القيم السليمة لعلاقات الإنسان بنفسه ومجتمعه، وللجماعة كلها بعد أن قام البناء الإيماني في نفس المسلم»[1].

المسألة الثانية: وسائل تنمية الأخلاق الإسلامية:

مما لا شك فيه أن التربية الإسلامية، تقوم بدور عظيم في تغيير أنماط من السلوك، وبعض من الأخلاق التي تكبل المسيرة الصحيحة نحو أهدافها، إلى الأخلاق الإسلامية الصحيحة، وتخفيف حدة الصراع القيمي السائد، والسؤال الآن: ما الوسيلة إلى ذلك؟ وما دور الوسائط التربوية المتعددة في هذا السبيل؟.

الوسيلة: ما يتقرب به إلى الشيء، والجمع وسائل[2]، ويقصد بها ـ تربويًا ـ الإجراء المحدد لنقل المعلومات أو المعارف، والمهارات أو الاتجاهات والقيم بهدف تحقيق هدف تربوي مرغوب فيه، وعلى ذلك فالوسيلة إجراء محدد يستخدم لتحقيق هدف تربوي.

وهذه الوسيلة لا بد من ضبطها بضابط حتى لا يكون الأمر على عواهنه، أو تكون الوسيلة غير شرعية أو غير مصبوغة بروح الشرع الحنيف، إذ لا بد من التكامل بين الغايات والوسائل، إذا كانت غاية الأخلاق الإسلامية تحقيق السعادة للبشر في الدنيا والآخرة، من خلال تحقيق

---

(١) موسوعة نضرة النعيم في مكارم وأخلاق الرسول الكريم ﷺ، إعداد مجموعة من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبدالله بن حميد، عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن بن ملوح، ط. دار الوسيلة، جدة، السعودية، ٤، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٦م، ج١/١٢٩، ١٣٠، مختصراً.

(٢) المصباح المنير، الفيومي، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٧٧،

رضوان الله تبارك وتعالى، فإن للوسائل التي تستغل في تنمية هذه القيم شروطها المتمثلة فيما يأتي:

- أن تصبغ بروح الإسلام في إطار تعاليمه وأخلاقه.

- أن تكون الوسيلة مرنة، قابلة للتكييف حسب الظروف والأحوال.

- أن تربط بين الجوانب الفكرية النظرية وبين الجوانب التطبيقية العملية.

- أن تحترم الوسيلة رأي الإنسان.

- أن تؤكد الوسيلة على مبدأ القدوة الصالحة.

إن الوسيلة التي تنمي الأخلاق الإسلامية، لا بد أن تكون نابعة من الإسلام ذاته، الذي حمل إلى العالم كله رسالة المدنية والتقدم، الذي لا يعارض التقدم العلمي والتكنولوجي بل يدفع إليه، ولكي تحدث الوسيلة الأثر المطلوب فإنه من الضروري تنقية العقيدة الإسلامية مما علق بها وشابها من زيف وجهل وابتداع.

وأقصد بذلك إبراز المنهج الأصلي الذي ربى النبي ﷺ صحابته الكرام، وهو منهج أهل السنة والجماعة وبيان أنه منهج الطائفة المنصورة، وذلك بالنظر مرة ثانية إلى تنقية كتب العقيدة مما دخل بها من فلسفات عقيمة، ومقدمات منطقية لا طائل تحتها البتة، وترّهات أهل الكلام وغير ذلك من أطروحات دخلت هذا العلم مما جعلت علم العقيدة علماً لا يتمشى في سياسة المسلم العصري، وذلك لجمودها وصعوبتها، وانصراف الناس عن تعلمها، حيث يتيه عوام الناس بين أمواج الآراء المتناحرة بين فرق الجهمية والمعتزلة والأشاعرة تارةً، وبين المعطلة والنفاة تارةً أخرى، وقد خطوت بعون الله تعالى خطوة إيجابية في هذا المجال فقد قمت بحول الله تعالى بجمع مسائل معتقد أهل السنة والجماعة وعرضها من خلال القرآن والسنة وأقوال سلف الأمة فقط دون الدخول في معترك الفرق

المخالفة لمذهب أهل السنة والجماعة[1].

كذلك تنقية الثقافة الإسلامية، نظرياً واجتماعيًا مما علق بها من أوهام ما زالت مسيطرة على أفكار الناس واعتقاداتهم، وتأكيد العقائد الصحيحة القائمة على الوحدانية، والعلم، والمعرفة، والعدالة والمساواة، كذلك توفير المناخ الصحي للقدوة الإسلامية أن تنمو، وأن تدعم الشخصية المسلمة، بأسباب التفتح والعطاء لأن من المهم إطلاق طاقات المجتمع، وتحقيق إرادته وتحصينه ضد الخوف بأشكاله المختلفة[2].

إن هذا يعني أن الإسلام لا يعارض إطلاق بعض النظريات التربوية والنفسية المعاصرة، طالما لا تتضمن ما يتعارض مع تعاليمه، وأيضاً فإنه يعني توجيه العديد من الأساليب التي يمكن استخدامها لتحقيق أهداف الإسلام من تنمية الأخلاق الإسلامية.

المسألة الثالثة: وسائل تنمية القيم الإسلامية:

لتنمية القيم في المجتمع الإسلامي وسائل عديدة ومتنوعة، منها:

١ ـ العبادات:

العبادات هي الأسلوب العملي والوسيلة الأولى في التربية (أي: عبادة الله حق العبادة) إلا أ ٰ العبادات ليست من وسائل التربية الروحية فقط، ولكنها من وسائل تربية الإنسان المسلم ككل، ففي العبادات تربية جسمية وتربية اجتماعية وتربية خلقية وتربية جمالية، فالصلاة تربي الإنسان خلقيًا وعقليًا، فهي تربط الإنسان با ٰ ، كما أنها تقوي إرا ٰ الإنسان وتعوده على ضبط النفس والصبر والمثابرة[3].

---

(١) ومن ذلك ما كتبته في كتابي: عقيدة أهل السنة والجماعة، من خلال الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة، عبدالباسط محمد خليل، تقديم الشيخ/ محمد حسان ـ حفظه الله ـ

(٢) من قضايا الثقافة الإسلامية، محيي الدين صابر، الطبعة الثانية، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٨٧م، ص٨٥.

(٣) إحياء علوم الدين، أبو حامد بن محمد الغزالي، ج٨، كتاب الشعب، دار الشعب، القاهرة، ص١٤٣٠هـ، ١٤٣١.

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[1]، وكان من دعاء الرسول ﷺ في افتتاح الصلاة: **«اللهم اهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت»**[2]، كما أن تأد- الصلاة في أوقاتها تعلم النظافة والدقة في حفظ المواعيد، حتى إذا شب الطفل على إقامة الصلاة مع المحافظة عليها تعود الإقبال على العمل في الوقت المناسب والمبادرة إلى انتهاز الفرصة قبل ضياعها، وابتعد عن التثاقل، وامتنع عن التكاسل[3].

وفي الصوم، تربية خلقية، والأثر التربوي للصوم يتلخص في تربية الروح، وتربية الخلق حيث يتعود الإنسان على ضبط نفسه ومكافحة شهواته، وبذلك تتقوى الإرادة بقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾[4].

والصوم عبادة تتضمن التربية الخلقية، ولا يبلغ العبد بحسن خلقه درجة الصيام إلا بحصول وتحقيق التقوى وهي الغاية الأسمى منه. وا- أعلم.

وفي الزكاة تربية روحية وخلقية، فعن طريقها يتعلم الإنسان طاعة الأوامر الإلهية ومكافحة الأنانية والإفراط في النزعة المادية والفردية[5].

٢ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتواصي بالحق:

القرآن الكريم يوصي ويفرض ضرورة التذكير والأمر بالمعروف والنهي

---

(١) سورة العنكبوت، آ-: ٤٥.

(٢) نحو توحيد الفكر التربوي في العالم الإسلامي، محمد فاضل الجمالي، الدار التونسية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٧٢، ص١٠٥.

(٣) التربية في الإسلام، أحمد فؤاد الأهواني، ط٢، دار المعارف، بمصر، القاهرة، ١٩٦٧م، ص١١٧.

(٤) سورة البقرة، الآية ١٨٣.

(٥) تربية الإنسان الجديد، محمد فاضل الجمالي، الشركة التونسية للتوزيع، الأصول (٥،٤) إسناده صحيح، تونس، ١٩٦٧م، ص١٣٥.

عن المنكر والتواصي بالحق والصبر، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[2].

إن التذكير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع أساليب التربية الإسلامية التي بدت خلال أحاديث رسول الله ﷺ، وفي طريقة التواصي دعوة كل مسلم إلى أن يكون مربياً، يعلم أخاه المسلم، والتذكير بالخير والحق والدعوة إليهما.

٣ ـ ضرب الأمثال:

الأمثال: تبرز المعقول في صورة المحسوس الذي يلمسه الناس فيتقبله العقل لأن المعاني المعقولة لا تستقر في الذهن، إلا إذا صيغت في صورة حية قريبة الفهم، وتكشف الأمثال عن الحقائق، وتعرض الغائب في معرض الحاضر، وهي كثيرة في القرآن الكريم منها قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[4].

كما تضرب الأمثال لتربية الإنسان تربية روحية تنمو فيها الروح ففي الحديث عن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة، ريحها طيب، وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة طعمها طيب، ولا ريح لها، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل الفاجر الذي لا**

---

(١) سورة الذاريات، آية: ٥٥.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١١٠.

(٣) سورة العنكبوت، آية: ٤٣.

(٤) سورة الحشر، آية: ٢١.

يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها»[1].

وتضرب الأمثال لتربية المسلم تربية عقلية ينمو فيها العقل ويزداد علم الإنسان يقول ﷺ: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً، فكان منها نقيّة قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان فيها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء، ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه ما بعثني الله به فَعَلِم وعَلَّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدي الله الذي أرسلت به»[2].

قال الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم: في هذا الحديث أنواع من العلم منها ضرب المثال، ومنها فضل العلم وشدة الحث عليه وذم الإعراض عن العلم، والله أعلم[3].

«وكان ﷺ يستعمل ضرب المثل ليستعين على توضيح المعاني التي يريد بيانها لتيسير الفهم على المتعلم»[4].

٤ ـ الموعظة والنصح:

التربية بالوعظ لها دورها الهام في غرس القيم الإسلامية بميادينها المختلفة، وقد تكون في صورة مباشرة على شكل نصائح والقرآن الكريم زاخر بالمواعظ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾[5].

---

(١) خرجه البخاري، كتاب العلم، باب فضل القرآن، برقم ٥٠٢٠، من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ.

(٢) خرجه البخاري، كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم، برقم ٩، من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ.

(٣) شرح صحيح مسلم، (٤٨/١٥).

(٤) معالم التربية النبوية، عبدالباسط محمد خليل، تقديم الشيخ محمد حسان، ط مطابع الدوحة الحديثة، ط/ قطر، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٥، ص١٨٦.

(٥) سورة يونس، آية: ٥٧.

والموعظة المؤثرة تفتح طريقها إلى النفس مباشرة مما يؤثر في تغيير سلوك الفرد وإكسابه الصفات المرغوب فيها، وكمال الخلق، فعن ابن عباس قال: «إن رسول الله ﷺ خرج من بين صفوف الرجال إلى صفوف النساء ومعه بلال فظن أنه لم يسمع فوعظهن وأمرهن بالصدقة فجعلت المرأة تلقي القرط والخاتم»[1].

وفي المواعظ القرآنية نلحظ أسلوباً تربويًا رائعاً: يبغي كمال الإنسان، بحيث أن يتمثلها المعلم والمتعلم، إذ هي صادرة عن حكمة، وليس عن هوى[2].

٥ ـ القدوة:

ونعني بالقدوة هنا، أن يكون المربي أو الداعي مثالاً يُحتذى به في أفعاله وتصرفاته، وقد أشاد القرآن الكريم بهذه الوسيلة، فقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾[3]، والنبي ﷺ هو المثل الأعلى، والقدوة السامية الرفيعة للمسلمين جميعاً، وقد استطاع ﷺ بفضل تلك القدوة أن يُحمّل معاصريه قيم الإسلام وتعاليمه وأحكامه، لا بالأقوال فقط، وإنما بالسلوك الواقعي الحي، وقد تمثلت في الرسول ﷺ صفات جليلة أهلته وجعلته يكون قدوةً منها حلمه واحتماله، والعفو عند المقدرة، والصبر على المكروه، والجود والكرم والسخاء، والشجاعة والنجدة، والحياء، وحسن العشرة والأدب، وبسط الخُلُق مع الخَلْق والشفقة والرأفة والرحمة، والوفاء بالعهد وصلة الرحم، والتواضع، والعدل والأمانة والعفة، وصدق اللهجة، والوقار والتؤدة والمروءة والهدى والرفق، والزهد في الدنيا، والخوف من الله وطاعته، وعبادته.

---

(١) خرجه البخاري، كتاب العلم، باب عظة الإمام النساء وتعليمهن، برقم ٩٨، من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

(٢) فلسفة التربية في القرآن الكريم، علي خليل مصطفى أبو العينين، ط٣، مكتبة إبراهيم حلبي، المدينة المنورة، ١٩٨٨م.

(٣) سورة الممتحنة، آ: ٤.

والحاصل أن القدوة السلوكية أمر لازم لتنمية القيم وصبغها بالفعالية لتكون موجهاً حقيقيًا، وما امتازت التربية الإسلامية عبر جهودها التي عاشتها إلا بتلك القدوة ويوم أن فقدتْ القدوة فقدت فعاليتها في حياة الناس[1].

٦ ـ القصة:

وهي من أكثر الوسائل في تنمية الأخلاق، وقد استخدمها الرسول ﷺ وحرص على أن يضمنها الكثير من الأخلاق الإسلامية، إما من أجل توضيحها أمام المسلمين من ناحية، وإما من أجل تعميقها في نفوسهم من ناحية أخرى، وذلك من خلال جعلها موضوعات تدور حولها أو تتحدث عنها أحداث القصة ومواقفها، وهي قيم ذات جوانب متعددة[2].

وقد كانت القصة القرآنية وسيلة من وسائل التربية، وتنمية القيم الخلقية الإسلامية، وذلك باستخراج العبرة من التجربة السابقة، واستخراج المثل وشرح طرق الخير، والتحذير من الكفر والجحود، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝﴾[3].

ويقول تعالى: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا﴾[5].

والقصة القرآنية الهادفة «سلاح نفسي» في الدعوة الإسلامية إلى عقيدة التوحيد، وفي إقناع المخالفين، عن طريق الجدال والحوار بسمو هذه

---

(١) موسوعة نضرة النعيم، سبق، ص١/١٥٥.

(٢) القصص في الحديث النبوي، محمد بن حسن الزير، ط٣، بدون ناشر، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، ص٣٨٨.

(٣) سورة يوسف، الآيتان: ٢، ٣.

(٤) سورة الأعراف، آ: ١٧٦.

(٥) سورة الأعراف، آ: ١٠١.

العقيدة ونيل أهدافها[1].

والقصة القرآنية يمكن أن تكون عملاً تربويًا هامًا في نشر الاتجاهات والقيم المرغوب فيها، والدعوة إلى الإصلاح، والتحلي بكريم الأخلاق، بما لها من أثر عميق عظيم في نفوس المتعلمين، وما لها من قدرة على التأثير والتغيير والتوجيه في هذا الشأن يقول الله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾[2].

من هذه الآية الكريمة، يمكن غرس قيمة وجدانية أساسية، وهي قيمة الإيمان بالله كما تشير الآية أيضاً إلى أن الإيمان يجعل المؤمن مستجاب الدعوة، حيث ينجي الدعاء صاحبه حتى في أحرج الظروف.

ويمكن الإشارة إلى أن بعض الآيات الكريمة التي فيها دلالة صريحة على القيم الأخلاقية التي يعنى بها القصص القرآني منها على سبيل المثال:

- الرحمة: قال تعالى على لسان أيوب - عليه السلام -: ﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾[3].

- والعدل: قال جل جلاله على لسان شعيب عليه السلام: ﴿وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾﴾[4].

- والصدق: قال تعالى: ﴿ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ﴾[5].

وبالجملة فإن القصص القرآني يشتمل على كثير من القصص التربوية التي تسهم إسهاماً فعّالاً في تحقيق أهداف التربية الإسلامية، وذلك لأنها تضع المثل أمام المتعلمين، مما يساعد على غرس كثير من القيم التربوية

---

(١) سيكولوجية القصة في القرآن، التهامي نقرة، الجزائر، جامعة الجزائر، الشركة التونسية للتوزيع ١٩٧١م، ص٥٧٢.

(٢) سورة الأنبياء، آ: ٨٨.

(٣) سورة الأنبياء، آ: ٨٣.

(٤) سورة الشعراء، آ: ١٨٢.

(٥) سورة الأنبياء، آ: ٩.

السامية في نفوسهم، وتتميز القصة في القرآن بأنها تمد القرّاء والجماعات بالقيم الإسلامية الصادقة[1].

أما القصة في السنة النبوية فقد أدرك النبي ﷺ الميل الفطري إلى القصة وأدرك ما لها من تأثير ساحر على القلوب، فجعلها وسيلة من وسائل التربية والتقويم، وتستخدم القصة في السنة كوسيلة من وسائل تنمية الأخلاق الإسلامية على سبيل المثال قصة الثلاثة الذين آواهم المبيت في الغار[2].

وجاء استخدام القصة لأغراض شتى ومتنوعة وبأشكال شتى كلها تؤدي إلى تعميق القيم أو تأسيسها وتتمثل الأغراض فيما يلي:

١ ـ غرس القيم الخُلُقية:

فقد تعرضت القصة القرآنية والنبوية لقضايا ومعايير تنمية القيم الأخلاقية كالثبات على العقيدة والتمسك بها.

٢ ـ تأكيد العقيدة وتعميقها في وجدان الناس:

تهتم القصة بعرض جزئيات قيم العقيدة مثل صفات الله، والتأكيد على أنه هو المهيمن المتصرف في هذا الوجود، وأنه تعالى صاحب الشأن في هذا الكون الفعّال لما يريد، كما تؤكد أهمية الثقة في الله والكفاية به والاعتماد الدائم عليه والاعتصام به.

٣ ـ عرض حياة الرسل صلوات الله عليهم وما تضمنته من قيم خلقية:

وكذلك تعرض القصص لحياة الرسل ودعوتهم أقوامهم، ومواقف الأمم من الدعوة وانتصار الحق.

إن للقصص دوراً خطيراً في تنمية أخلاق الأطفال وغرس القيم الإسلامية في نفوس الأطفال، وقيمة القصص تكمن في مصداقيتها، وتأثيرها في النفوس، والاستفادة بما جاء فيها من دروس وعبر، وكلما كانت القصة

---

(١) نضرة النعيم في مكارم وأخلاق الرسول الكريم ﷺ، سبق، ١٥٦/١.

(٢) المرجع السابق ١٥٨/١ مختصراً.

مجانبة للمصداقية والواقع، فإن الحكايات التي كانت تحكى لنا ونحن صغار حكاية (أبو رجل مسلوخة)، (حكاية حرامي الأطفال. . .إلخ) من القصص التي تحكى من قبل الجدات، لا تنمي حسًا ولا تغذي عقلاً ولا تنهض بفكر، لذا يجب أن توضع شروطٌ للقصص كي تغرس القيم وتنميها في النفوس ويكون لها الأثر البالغ، من هذه الشروط:

- أن تكون القصة منسجمة مع أهداف الإسلام ومبادئه.
- أن تكون القصة مناسبة للسن الذي تحكى له أو تكتب له.
- اختيار الموضوعات القصصية المناسبة[1].

وينبغي استخدام التقنيات الحديثة من شاشات العرض، وغير ذلك لتقريبها إلى النفوس والخروج من الرّتابة والسآمة.

٤ ـ السؤال والحوار والمناقشة:

وهو أسلوب آخر من أساليب تنمية الأخلاق والرسول ﷺ استخدم كل هذه الطرق فكان السؤال يأتي تارةً من المسلمين للنبي ﷺ، وتارةً يسأل الرسول ﷺ لإثارة الرغبة في المعرفة لدى صحابته الكرام.

فمثال الأول: ما روي عن أبي موسى ﷺ[2] قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ما القتال في سبيل الله؟ فإن أحدنا يقاتل غضباً، ويقاتل حمية فرفع إليه رأسه، قال: وما رفع إليه رأسه إلا أنه كان قائماً، فقال: **«من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله ﷻ»**[3].

---

(١) نضرة النعيم، باختصار، ص١٥٩/١.

(٢) هو: عبدالله بن قيس، من الفاتحين، استعمله على زبيد وعدن، توفي بالكوفة عام ٤٤، انظر: سير أعلام النبلاء ٣٨٠/٢.

(٣) خرجه البخاري، كتاب العلم، باب من سأل وهو قائم عالماً جالساً، برقم ١٢٣، من حديث أبي موسى ﷺ.

ومثال الثاني: سؤال النبي ﷺ للمسلمين فأمثلة كثيرة، منها:

من ذلك ما يروى عن عبدالله بن عمر[1] أن رسول الله ﷺ قال: **«إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وهي مثل المسلم، حدثوني ما هي؟»** فوقع الناس في شجر البادية، ووقع في نفسي أنها النخلة، قال عبدالله: فاستحييت، فقالوا: يا رسول الله، أخبرنا بها: فقال رسول الله ﷺ: **«هي النخلة»** قال عبدالله: فحدثتُ أبي بما وقع في نفسي، فقال: لأن تكون قد قلتها أحب إليَّ من أن يكون لي كذا وكذا[2].

وبعد، فهذه بعض وسائل تنمية القيم الخلقية الإسلامية، ولكنها ليست كل ما كان يستخدمه ﷺ وهذه الوسائل التي ذكرناها هي أهم وسائل تنمية القيم الأخلاقية الإسلامية في الشخصية المسلمة، ومحاولة ربطها أو استنباطها من النصوص القرآنية والسنة النبوية، والله أعلم.

المسألة الرابعة: وسائط تنمية الأخلاق:

إن هذه الوسائط كثيرة ومتعددة، وعن طريقها يتم تنشئة الأفراد المسلمين على القيم الإسلامية، من هذه الوسائط:

١ ـ الأسرة:

الأسرة هي الوعاء الاجتماعي الذي يتلقى منه الطفل معلوماته، ويتفاعل مع أفرادها، ويشعر بالانتماء إليه، وبذلك يكسب الطفل أول عضوية له في جماعة، ويتعلم منها كيف يتعامل مع الآخرين في سعيه لإشباع حاجاته وتحقيق مصالحه من خلال تفاعله مع أعضائها.

وقد أراد الله للأسرة أن تقوم على الأسس الصحيحة السليمة، فأرسى الدعائم السليمة الصحيحة، والأسس القويمة لتكوينها تكويناً سليماً كحاضن

---

(١) سبق ترجمته.

(٢) خرجه البخاري، كتاب العلم، باب الحياء في العلم، برقم ١٣١، من حديث عبدالله بن عمر ﷺ.

جيد للطفل، بحيث ينشأ نشأة سوية، متمسكاً بالقيم الإسلامية، لذا فإن الأسرة تقوم على مبادئ معينة، هامة وجليلة الشأن من أجل توفير جو صحي سليم لتربية الأولاد تربية سليمة على القيم الإسلامية فهي تقوم على المودة والرحمة قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾[1].

وفي وسط هذا الجو الأليف القائم على المودة والرحمة تقوم عملية التربية للأبناء وسط جو من ضمان حقوقهم، ووسط الشعور بالمسؤولية التامة عن هذه التربية التي أكدها الشارع الحكيم، فالأسرة قائمة على قيم ومن أجل قيم يقول الرسول ﷺ: **«ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام الأعظم الذي على الناس راع، وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته، وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسؤولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»**[2].

وفي هذا المقام لا بد من التنويه بأمرين يؤثران تأثيراً واضحاً في مسؤولية الأسرة عن تنمية القيم الخُلُقية وهما:

الأمر الأول: إن مسؤولية الأسرة متكاملة تجاه الأطفال وتربيتهم، ذلك أن تنمية القيم لا يأتي وحده بل في إطار إشباع الحاجات التي يحتاجها الطفل، ومعلوم أن القيم تتخلل كافة هذه الحاجات ومعنى العناية بهذه الحاجات وإشباعها الاهتمام الشامل بتنمية هذه الجوانب على أساس قيمي.

وقد أشارت السنة النبوية إلى ذلك في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو**

---

(١) سورة الروم، آية: ٢١.

(٢) خرجه البخاري، كتاب الأحكام، باب قول الله تعالى: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾، برقم ٧١٣٨، من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

ينصرانه، أو يمجسانه كما تنتجون البهيمة هل تجدون فيها من جدعاء حتى تكونوا أنتم تجدعونها»[1].

الأمر الثاني: أن الأسرة المسلمة أصابها من التغيير ما أصابها، وتواجه مشكلات جمة، بل يمكن القول بأنها تعيش صراعاً قيمياً ليس هذا مجال تحليله وبيان أسبابه، فقد انسحب على الأسرة ما انسحب على المجتمع الإسلامي، بل والمجتمع العالمي.

ومع هذا التغيير الاجتماعي تغيرت أشياء في الأسرة منها الإيجابي ومنها السلبي هذا التغيير يجعل وظيفة الأسرة المسلمة أكثر أهمية وصعوبة، خاصة في مجال تنمية القيم الإسلامية.

وفي إطار هذه المتغيرات، فإن دور الأسرة يتحدد في تنمية القيم الخلقية في إطار رعايتها للنمو المتكامل لشخصية الطفل كما يلي:

- مساعدة الطفل على تأكيد الإيمان بالله سبحانه وتعالى بشتى الوسائل.
- مساعدة الطفل على تمثل القيم والحقائق والمبادئ الإسلامية، وإمداده بالخبرات الاجتماعية المثيرة له.
- مساعدة الطفل على توضيح وترجمة قيمه واتجاهاته ومشاعره وآراء التي تمثلها.
- تهيئة المناخ المناسب المساعد على اكتساب القيم.
- توجيه الطفل إلى ما يحب أن يفعله في المواقف المختلفة.
- على الأسرة أن تحترم ذاتية الطفل واحترام قدرته على الأداء، واحترام أسئلته.
- تعويد الطفل على الآداب الاجتماعية الإسلامية.

---

(1) خرجه البخاري، كتاب القدر، باب الله أعلم بما كانوا عاملين، برقم ٦٥٩٩، من حديث أبي هريرة ﷺ.

- تَقَبُّلُ الأفكار الجديدة من الطفل واحترام حبه للاستطلاع دون التقليل من شأنه، أو احتقاره، لأن هذا يقلل من شعوره بذاتيته، مما يعتبر معوقاً في نمو القيم لديه.
- تعويد الطفل على السيطرة على بيته والتعامل معها.
- العدل بين الأطفال والمساواة بينهم حسب ما أقر الإسلام[1].

وعلى ذلك ينبغي على الأسرة المسلمة الآن أن تسارع بالتخلص من قيم الضعف، وإعادة النظر في السياسة الداخلية لكل أسرة مسلمة، حيث لا يجوز بأية حال من الأحوال أن تقع عين الطفل مثلاً أو سمعه على سلوك غير صحيح، وعليه فإن المطلوب من الوالدين أن يكونا فعلاً قدوة صالحة، لتقديم النموذج الأمثل في التربية والتفتح واختيار الجيد المفيد والبعد عن سياسة الانغلاق والحرمان وغلق الأبواب، وا" أعلم.

٢ ـ جماعة الأقران:

جماعة الأقران تكوين طبيعي ينشأ اختلاط الأطفال ببعضهم في إطار العائلات والحي أو الشارع، والمعلوم أن الطفل يقضي وقتاً طويلاً مع هذه الجماعة، وتلعب هذه الجماعة دوراً بالغ الأهمية في إكساب الناشئ القيم، ونظراً لهذه الأهمية فقد حظيت باهتمام بالتوجيهات الإسلامية ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾﴾[2].

وقال: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾[3].

وقال: ﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾[4].

---

(١) موسوعة نضرة النعيم، سبق، ١/ ١٦٦.
(٢) سورة الفرقان، الآيتان: ٢٧، ٢٨.
(٣) سورة الزخرف، ": ٦٧.
(٤) سورة الشعراء، الآيات: (٩٩ ـ ١٠١).

وعنه كذلك قال: قال رسول الله ﷺ: **«المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل»**[1].

ولخطورة الأمر وأهميته ينبغي وبإلحاح على الآباء مساعدة الأبناء في اختيار رفقائهم ومراقبتهم من بعد على ذلك وتقديم النصح والإرشاد لولدك وصديقه بلين وحب ورفق فبالحب تدخل القلوب، وكذلك على الآباء والمربين إرشاد وتوجيه الأطفال إلى خطورة الصحبة السيئة وضرورة الإكثار من ضرب الأمثلة على ذلك ليكون الأولاد على يقين ووعي وبصيرة، من يختارون، ومع من يكونون علاقاتهم وبهذا الوعي نستطيع أن نغرس في نفوس أطفالنا وننمي فيهم القيم والمثل العليا على ضوء توجيهاتنا، والله أعلم.

٣ ـ المسجد:

المسجد شعار الحياة في المجتمع الإسلامي، واهتم الرسول ﷺ به في أول قدومه إلى المدينة، وهذا يدل دلالة واضحة على أهميته ومكانته، فقد كان المسجد مقراً لاستقبال الوفود، ومجالس العلم، ودور الإفتاء، وداراً للقضاء والفصل بين المسلمين، وكان رسول الله ﷺ لا يمنع الصغار من المسجد، بل كانت له مواقف تؤكد ذلك، منها:

عن أبي قتادة الأنصاري ﷺ: ' رسول الله ﷺ كان يصلي وهو حامل أمامة بنت زينب بنت رسول ﷺ لأبي العاص بن ربيعة بن عبد شمس على عاتقه، فإذا ركع وضعها، وإذا رفع من السجود أعادها»[2].

وكان ﷺ يراعي وجود الأطفال في المسجد فعن أنس ﷺ قال: **«إني لأدخل في الصلاة فأريد إطالتها، فأسمع بكاء الصبي فأتجوز مما أعلم من**

---

(١) خرجه الترمذي، أبوا . الزهد عن رسول الله ﷺ، باب الرجل على دين خليله، برقم ٢٤٠٧، من حديث أبي هريرة ﷺ، وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٢) خرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب إذا حمل جارية صغيرة، برقم ٥١٦، من حديث أبي قتادة الأنصاري ﷺ.

شدة وجد أمه من بكائه»[1].

وعن جابر بن سمرة[2] ﷺ قال: «صليت مع النبي ﷺ صلاة الأولى، ثم خرج إلى أهله وخرجت معه فاستقبله ولدان، فجعل يمسح خدي أحدهم واحداً واحداً، قال: أنا فمسح خدي فوجدت ليده برداً أو ريحاً كأنما أخرجها من جُؤنة عطّار»[3].

وهذا كله يدل على حضور الصغار المسجد، وأن تنشئة الطفل على المسجد وارتباطه به له أثر عظيم في تنمية القيم الخلقية الإسلامية.

ولكي يؤدي المسجد وظيفته في تنشئة الأجيال المسلمة التنشئة السليمة، وتنمية القيم لديهم فإنه على القائمين على المساجد والمشرفين عليها، وضع خطة للعناية بالأطفال خاصة ومنحهم هدايا تشجيعية مرة تلو مرة ليتعود الطفل على الذهاب للمسجد، كما ينبغي غرس قداسة المسجد في نفوس الأطفال لينشئ الأطفال على حب المساجد وعلى مراعاة حرمتها، كما أنه على القائمين على المساجد معاملة الأطفال معاملة لطيفة، وألا يغلظوا لهم القول، فإن الملاطفة والمداعبة تجعل الطفل يحب المسجد، ويألف المصلين، مما يجعله يحب الترداد على المسجد، والله أعلم.

٤ ـ المدرسة:

المدرسة مؤسسة وتنظيم اجتماعي، لها وظائفها الهامة في المجتمع، ودورها واضح وجلي في تثقيف الناشئة وتربيتهم، بما تقدمه لهم من خبرات

---

(١) خرجه البخاري، كتاب الأذان، باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي، برقم ٧٠٩، من حديث أنس ﷺ.

(٢) هو الصحابي الجليل: جابر بن سمرة بن جنادة بن جندب بن جحير، العامري، السوائي، حليف بني زهرة وأبوه صحابي كذلك، توفي ﷺ سنة ٧٤هـ، انظر: الإصابة ٢١٢/١، ترجمة رقم ١٠١٨.

(٣) خرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب طيب رائحة النبي ﷺ ولين مسه والتبرك، برقم ٤٤٢٢، من حديث جابر بن سمرة ﷺ.

منظمة، ومتنوعة وأنشطة مختلفة، وتستطيع المدرسة أن تسهم الإسهام الفعال في بناءِ شخصية الفرد، بما تهيِّئه له من مناخ صحي يساعد على النمو المعرفي، والانفعالي، والجمالي، والاجتماعي، والعقدي.

والمدرسة تعتمد على فلسفة تربوية نابعة من المجتمع الإسلامي ذاته، معبرة عن أهدافه، وكي تقوم المدرسة بتنمية القيم الإسلامية ينبغي تحقق الشروط الآتية:

- توفير الخبرات المتنوعة لتنمية هذه القيم لدى الناشئة، وإتاحة الفرص أمامهم للتعرف عليها والانفعال بها والوعي بها، إذ إن المسألة ليست مجرد تقديم للقيم الخلقية واستيعابها نظرياً، وإنما كيفية بناء هذه القيم وغرسها في نفوسهم.

- الاهتمام بتوفير مواقف ممارسة هذه القيم، وهي مواقف عملية لأنه لا يكفي تزويد المعلومات، ولا الوعظ والتلقين، وإنما لا بد من النشاط الواقعي والمواقف الحية، التي لا بد أن يعيشها الناشئ في المدرسة.

- الاهتمام باتجاهات الناشئة ومشاعرهم، واستخدام القوة الانفعالية، والتفكير معاً في تنمية القيم الإسلامية.

- الاهتمام بتوفير القدوة الصالحة، المتمثلة في المعلم الكفء الذي يكون على درجة عالية من المهارة، وعلى وعي وتدريب كافيين لتنمية القيم، وكي يتحقق هذا، فلا بد أن يكون للمعلم شروط معينة لا بد من توافرها فيه:

  - أن يكون واعياً بوظيفته، وأهميتها في مجال تنمية القيم الخلقية.
  - أن يكون على علم بتوجيهات الكتاب والسنة في هذا المجال.
  - أن يكون عالماً بما يريد تعليمه، وتنميته، من قيم في الأفراد.

- أن يكون ملتزماً بتلك القيم، أي: أن يكون قدوة متمثلة فيه الشروط السابقة.

- أن يكون عالماً متمكناً بتخصصه العلمي.

الاهتمام بتنظيم العلاقة القائمة بين المدرسة والمجتمع ومؤسساته.

الاهتمام بالجو الاجتماعي المدرسي، القائم على أساس الحب والألفة، وبالتالي يتشرب القيم الإسلامية، عن طريق العلاقة الحميمة مع أساتذته ومعلميه.

- الاهتمام بالأنشطة المدرسية المتنوعة، والتي تعتبر بيئة مناسبة جداً لتنمية القيم الخلقية.
- الاهتمام بالمكتبة المدرسية، على أن تختار محتوياتها بعناية بالغة، من حيث الشكل والمضمون، وكذا الاهتمام بأماكن اللهو واللعب.

والحاصل: أن دور المدرسة مهم في مجال تنمية القيم الخلقية الإسلامية، ولا بد أن يعلم القائمون عليها هذا، وأن يجعلوا منها بيئة تربوية مناسبة تعمل على تنمية هذه القيم[1].

٥ - وسائل الإعلام:

تقوم وسائل الإعلام والاتصال بدور بالغ الخطورة والأهمية في حياة الناس عامة، وفي حياة الناشئ بصفة خاصة، فقد احتلت مركزاً بالغ الأهمية لديهم، حتى إنها أصبحت - في كثير من الأحيان - بديلاً عن الكتاب من مؤسسات التربية والتعليم والتثقيف.

وتزداد خطورة وأهمية وسائل الإعلام، في مجال تنمية القيم الإسلامية المعبرة عن حركة المجتمع الإسلامي، فهي تقوم بدور رائد وفعال في هذا

(١) نضرة النعيم، سبق ١/١٧٧، ١٧٨ مختصراً.

المجال، ولكي تكون هذه الوسائل أكثر فعالية يلزم ما يلي:

- أن تنبثق رسالة الإعلام من التصور الإسلامي الخالص، ويلزم ذلك تضافر الجهود المخلصة في سبيل تقديم القيم الخلقية الإسلامية.
- أن تخضع لتنظيم وتخطيط متكامل شامل، لإيصال القيم الخلقية الإسلامية الخالصة للناس كافة بأسلوب عصري.
- أن تستخدم الحكمة في مخاطبة الناس، فتأتيهم من جانب اهتماماتهم، وآلامهم اليومية، مع انتقاء الكلمة الطيبة التي تفتح أقفال العقول والقلوب، التزاماً بالتوجيه القرآني الكريم: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾[1]، وقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾[2].
- أن تتصدى وسائل الإعلام للقيم والاتجاهات الهابطة التي تقدم بقصد أو بغير قصد في الإعلام، بهدف التشكيك في القيم الإسلامية، بل التشكيك في الإسلام كله.
- أن تعمل على إيجاد كوادر إعلامية مسلمة، تقدم المادة الإعلامية، وتبدع من أجل إيصال القيم الإسلامية لكل فرد.

أن تعمل على تكريس الطاقات المسلمة وتكثيفها، فكراً وثقافةً وعلماً واقتصاداً.

أن تعمل على توفير القدوة الحسنة إعلامياً والملتزمة بالقيم الإسلامية والصادقة مع نفسها وربها والموجهة جهودها نحو الخير، المجانبة

(١) سورة النحل، آ: ١٢٥.
(٢) سورة آل عمران، آ: ١٥٩.

للكلمة النابية والعبارة الجارحة، وذلك لأن هذه الوسائل تؤثر في الإنسان وخاصة ميله للتقليد والمحاكاة، والتي لها تأثير فعّال في ميدان الإعلام، وميدان التربية والتعليم على السواء.

فرجال الإعلام ينظرون إلى القدوة الحسنة، على أنها من وسائل الإعلام، تغني في ذاتها عن بذل الجهود الإعلامية في سبيل دعوة ينشرونها، أو فكرة يدعون إليها، أو عقيدة أو سياسة ينشرونها، ونحو ذلك لذا فإن القدوة الحسنة هي من أنجح الأساليب والوسائل للاتصال بالناس»[1].

- أن نركز باهتمام بالغ على برامج الأطفال بوجه خاص، بحيث تقدم لهم القيم الإسلامية بأسلوب سهل ميسر، بحيث يساعد على تكوين وتنمية ذاتيتهم الإسلامية العربية فيعتزون بالقيم الإسلامية.
- أن نركز باهتمام على برامج المرأة المسلمة، وتقدم لها كافة ما يهمها، وبصورة جادة تتمكن معها المرأة المسلمة قارئة وغير قارئة من الاستفادة من هذه البرامج، وذلك لأن المرأة هي أخطر عامل مؤثر في تنمية القيم لدى الطفل المسلم.

إن الأمر أوسع مما يتصور وأخطر مما نقدر، ومن حجم هذه الكلمات، إن الجهد المبذول من أجل تقدم المجتمعات العربية الإسلامية لن يكون ذا جدوى، إذا لم تواكبه حركة قوية في بناءِ وتنمية القيم الإسلامية، التي بإمكانها أن تحفظ هذا الجهد فلا يضيع، وتحفظ الإنسان الذي يبذل هذا الجهد من الضياع والعدم والاغتراب[2].

ومما سبق من القول لهو مؤشر جيد بل ممتاز عندما يكون الإعلام إسلامياً، وفي إطار إسلامي، وهذا أقل القليل في مجتمعات تدين الإسلام، وتنص دساتيرها دولة دولة أن الدين الإسلامي هو المصدر الأساسي

---

(١) الإعلام في صدر الإسلام، عبداللطيف حمزة، ط٢، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٧٨، ص٧٤.

(٢) نضرة النعيم، سبق، ١٨٢/١، ١ مختصراً.

للتشريع، لكن بريق الكلمات شيء، والواقع شيء آخر وإنما نص على ذلك من باب تحلة القسم فقط.

وإن الناظر الآن لوسائل الإعلام المسموعة بقسميها إذاعات القرآن الكريم، والبرنامج العام، ليجد العجب العجاب مما يجعل المسلم المعاصر مشدوهاً بعقله متململاً حزيناً كئيباً كاليتيم الذي فقد أبواه، بل فقد العالم كله، وفقد ذاته، وكيانه، عندما تعلم ما تعانيه إذاعات القرآن الكريم من هجوم مسلّط عليها وضعف تمويلها، وقلة مواردها، وهشاشة المادة المقدمة للمستمع المسكين الذي يود أن يستمع شيئاً يتقرب به إلى الله تعالى في زمن الغربة، إضافة إلى أن البرامج تقليدية لم تف بحاجة المستمع ولم تشبع رغباته.

أما وسائل الإعلام المرئية بقسميها كذلك التليفزيون المحلي التابع للدولة، والقنوات الفضائية التي عجت ساحتنا بها، أما التليفزيون المحلي فالطامة الكبرى، والداهية العظمى، فبرامج الفتاوى بها حتى يقال إننا مسلمون والبرنامج المعروف بكل تلفاز مُحَلى بالحديث الديني فإنه لا يستغرق دقائق معدودة، أما المسلسلات المتنوعة المشتراة من هنا وهناك فبالعشرات والأفلام الأجنبية التي تُبَثُّ في التلفاز المحلي فأساس أصيل، وركن ركين، لا غنى عنه، وأما النشرة فيا لها من نشرة حيث تخرج عليك قارئة النشرة وبها ما بها من مكياج، وألوان طيف، متعددة ولباس كاس عارٍ، وأما الأغاني والسهرات فهو الأصل فهذا هو الحال حتى كان التلفاز في بعض البلاد الإسلامية يقف بثه في الساعة الثانية عشرة ليلاً...، أما الآن فالبث طوال اليوم والليلة، وكأني بقول الشاعر أمتثل:

كنت امرأً من جند إبليس فارتقى ... بيَ الحال حتى صار إبليس من جندي

فهذا هو الإعلام المفترض فيه أنه يشارك بفاعلية، وجدية جادة، في تنمية القيم الإسلامية في نفوس المسلمين، والله أعلم.



المطلب الثاني
التنمية في مجال الآداب

لما كانت الأخلاق الفاضلة، مكتسبة، فإن المسلم يعمل دائماً على تنمية الآداب حتى تصبح سلوكاً، وديناً له، فتصبح جزءاً منه لا ينفصل عنه بحيث يتعهدها بأن تزيد تلك الآداب باستمرار ولا تنقص، ومن ذلك أدب السلام، أدب الاستئذان، أدب المحادثة، أدب الجلوس، أدب الأكل والشرب، أدب الطريق، وهذا ما سنبينه بعون الله تعالى فيما يلي:

١ ـ آداب النية والاستثمار بالنيات:

النية روح العمل ولبه وقوامه، وهو تابع لها يصح بصحتها ويفسد بفسادها، وفي هذا يقول الرسول ﷺ: **«إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى»**[1]، العمل لا يقع إلا بالنية، والمستثمر المسلم ليس له من عمله إلا ما نواه، ولا يقتصر ذلك على العبادات بل يمتد إلى المعاملات وغيرها من العادات والمباحات حيث تتحول بالنية إلى عبادات وقربات.

وكذلك المستثمر المسلم الذي يعمل بنية كسب الرزق من الاستثمار في الزراعة أو الصناعة أو التجارة أو الخدمات، ونموها يغدو عبادة وجهاداً في سبيل الله، إذا قصد بعمله عف نفسه عن الحرام، وإغناءها بالحلال، وكفاية أسرته، واتباع طريق العدل والإحسان في معاملاته لسائر الخلق، وتقديم النصح للمسلمين وقضاء حوائجهم.

فالعمل الواحد يتنوع حكمه وقيمه الأخلاقية وجزاؤه الأخروي تبعاً لنية صاحبه، حيث إن الأمور بمقاصدها، وفي الحديث: **«وإنك مهما أنفقت من نفقة، فإنها صدقة، حتى اللقمة التي ترفعها إلى في امرأتك، وعسى الله أن يرفعك»**[2].

---

(١) خرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، برقم ١، من حديث عمر بن الخطاب ﷺ.

(٢) خرجه البخاري، كتاب الوصايا، باب أن يترك ورثته أغنياء خير من أن يتكففوا الناس، برقم ٢٧٤٢ من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ.

إن هذا الحديث يوضح خطورة النية في قبول الأعمال ونمائها عند الله ﷻ فمثل ما نوى العبد كان الأجر، وعلى قدر النية يكون الإخلاص في العمل والثواب، ا أعلم.

والإسلام جعل العمل ضرباً من العبادة إذا استحضر صاحبه النية في نشاطه الاقتصادي، والمستثمر المسلم يعمر الأرض، ويزيد الثروة وينميها، ويغرس الثمرة وينميها، فإذا تطلع إلى ما عند الله كان له الأجر في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝﴾[1]، وقال: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾[2].

وقال: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[3].

وعلى قدر إخلاص المستثمر المسلم لربه واستحضار النية يكون مدد الله تعالى وعونه وكفايته وولايته له، فالإمداد على قدر الاستعداد، إمداد بالتوفيق والسداد على حسب ما في القلوب من نية وإخلاص، وقد كان من وصية النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص ﷺ: **«إنك لن تخلف فتعمل عملاً تبتغي به وجه الله تعالى إلا ازددت به درجة ورفعة»**[4][5].

قال ابن القيم: «العبد إذا خلصتْ نيته لله تعالى، وكان قصده وهمه وعمله لوجهه سبحانه كان الله معه، فإنه سبحانه مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، ورأس التقوى والإحسان خلوص النية لله»[6].

---

(١) سورة الأنعام الآيتان: ١٦٢، ١٦٣.

(٢) سورة البينة آية ٥.

(٣) سورة الكهف، ـ: ١١٠.

(٤) خرجه البخاري، كتاب المغاز ، باب في حجة الوداع، برقم ٤٤٠٩، من حديث عامر بن سعد عن أبيه ﷺ.

(٥) الاستثمار في الإسلام، أشرف محمد دوا ، دار السلام، ط١، ٠ ١ ـ ٢٠٠٩، ص٥٦، ٥٧.

(٦) إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم، ٢/٤٣٠.

والنية الصالحة نماء وتنمية للعمل الصالح بثبوت الأجر وحصول المثوبة بفضيلة النية فمجرد النية والعمل الصالح يكون العمل نامياً بثبوت الأجر، ذلك في قوله ﷺ: **«من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة»**[1].

وكذلك صاحب النية الفاسدة عمله مبتور غير نام ومحروم من الأجر والثواب، ومن ذلك قوله ﷺ: **«إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار»**، فقيل: يا رسول الله هذا القاتل، فما بال المقتول؟ فقال: **«إنه كان حريصاً على قتل صاحبه»**[2].

وهنا سوّت النية الفاسدة والإرادة السيئة بين قاتل مستوجب للنار وبين مقتول لولا نيته الفاسدة لكان من أهل الجنة، ومن هنا تعلم خطورة النية ومدى تنميتها للأجر وحصول الثواب، والله تعالى أعلم.

٢ ـ تنمية الأدب مع الله ﷻ:

من أحب إنساناً تأدب معه، وكان مطيعاً له، . ن هذا شأن البشر مع البشر، فما بالنا بمحبة رب البشر الذي خلقهم ورزقهم وأوجدهم من العدم، فكيف ننمي هذا الأدب؟

ينمى هذا الأدب بما يلي:

- دوام الشكر له سبحانه وتعالى على نعمه ومننه التي لا تحصى ولا تُعد، فالشكر تنمية للمزيد قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ۝١٥٢﴾[3].

وقال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[4]، وهذه الزيادة هي النماء

---

(١) خرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب من هم بحسنة أو بسيئة، برقم (٦٤٩١) من حديث ابن عباس ﷺ.

(٢) خرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾، باب ٣١، من حدبث أبي بكرة ﷺ.

(٣) سورة البقرة، ـ: ١٥٢.

(٤) سورة إبراهيم، ـ: ٧.

الناجم عن الشكر ومن أعطي الشكر أعطي المزيد ومن حرمه حرم المزيد.

- تنمية القلب بالمهابة والنفس بالوقار، وذلك بالنظر إلى علم الله تعالى وإطلاعه على جميع الأحوال.

ومن تنمية القلب أن يعلم العبد أن الله ينظر إليه ويشاهده، فيستحي من مخالفته والخروج عن طاعته فإنه من الأدب مع الله ﷻ.

- تنمية اللجوء إلى الله وعدم اليأس من روح الله، فإن اليأس والقنوط سوء أدب مع الله قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾[2].

- تنمية المراقبة الدائمة لله ﷻ والنظر إلى شدة بطشه، وقوة انتقامه، وسرعة حسابه، فيزداد العبد خوفاً من الله وبعداً عن معاصيه، وتلك تنمية عظيمة قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾[3].

- تنمية الاعتماد على الله والفرار إليه، والتوكل عليه، إذ ليس من الأدب معه سبحانه أن أعتمد على غيره وهو الخالق جل شأنه، قال تعالى: ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝﴾[4].

- تنمية حسن الظن بالله تعالى، إذ ليس من الأدب أن يُسيء الأدب مع الله فيعصيه ويخرج عن طاعته، ويظن أنه غير مطلع عليه، قال تعالى: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ۝﴾[5].

---

(١) سورة يوسف، آ: ٨٧.
(٢) سورة الزمر، آ: ٥٣.
(٣) سورة الرعد، آ: ١١.
(٤) سورة الذاريات، آ:
(٥) سورة فصلت، آ:

٣ ـ تنمية الأدب مع كلام الله تعالى (القرآن الكريم):

إن قراءة القرآن الكريم تنمي في المسلم الإيمان بعظمة كتاب الله ﷻ وقدسيته وشرفه، ولعل سائلاً يسأل ويقول كيف تكون تنمية الأدب مع كلام الله تعالى؟

والجواب يتضح فيما يلي:

حصول أجر التلاوة بالتزام آداب التلاوة من طهارة، واستقبال قبلة، والخشوع في التلاوة، ومعايشة التلاوة، فإن ذلك كله يزيد في الأجر وينميه.

- تنمية الأجر وزيادته، بحسن الترتيل والوقوف عند معانيه، قال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾[1].
- تنمية الأجر بحسن الصوت، وجمال الأداء، لحديث: **«زينوا القرآن بأصواتكم»**[2]، وكذلك حديث: **«لم يأذن الله بشيء ما أذن لنبي أن يتغنى بالقرآن»**[3].
- تنمية الأجر، بالتدبر واستحضار القلب وفهم معانيه قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾[4] والاجتهاد، وأن يكون القارىء من أهل القرآن وخاصته قال محمد بن كعب: كنا نعرف قارىء القرآن بصُفرة لونه، يشير إلى سهره وطول تهجده[5].

ـ تنمية الأدب مع النفس:

يؤمن المسلم بأن سعادته في حياته متوقفة على مدى تأديب نفسه،

---

(١) سورة المزمل، آية: ٤.

(٢) خرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب تفريع أبواب الوتر، استحباب الترتيل في القراءة، برقم ١٢٩١، من حديث، البراء بن عازب ﷺ.

(٣) خرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب من لم يتغن بالقرآن، برقم ٥٠٢٤، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٤) سورة محمد، آية: ٢٤.

(٥) منهاج المسلم، أبو بكر جابر الجزائري، ط١وزارة الأوقاف، قطر، ص٥٨.

وتطييبها، وتزكيتها وتطهيرها وتنميتها، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّنهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّنهَا ۝﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝﴾[2].

وكي يعيش المسلم عاملاً على تأديب نفسه وتزكيتها وتنميتها، إذ النفس أولى أن تؤدب، فعليه عندئذ بالآداب المزكية للنفس والتي تعمل على تنمية النفس وتطهيرها وحملها على فعل الخيرات ودفعها لفعل الطاعات، ضمن الخطوات التالية:

- **تنمية النفس بالتوبة:**

والمراد منها التخلي عن سائر الذنوب والمعاصي، والندم على كل ذنب، والعزم على عدم العودة إلى الذنب، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[4]، وقوله ﷺ: **«لله أفرح بتوبة العبد من رجل نزل منزلاً وبه مهلكة، ومعه راحلتُهُ، عليها طعامُه وشرابُه، فوضع رأسه فنام نومة، فاستيقظ وقد ذهبت راحلته، حتى اشتد عليه الحر والعطش، أو ما شاء الله، قال: أرجع إلى مكاني، فرجع فنام نومة، ثم رفع رأسه فإذا راحلته عنده»**[5].

- **تنمية النفس بالمراقبة:**

وهي أن يأخذ المسلم نفسه بمراقبة الله تبارك وتعالى، فيعلم علم

---

(١) سورة الشمس، الآيتان: ٩، ١٠.
(٢) سورة العصر، الآيات: ١ ـ ٣.
(٣) سورة التحريم، آية: ٨.
(٤) سورة النور، آية: ٣١.
(٥) خرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب التوبة، برقم ٦٣٠٨، من حديث عبدالله بن مسعود ﷺ.

اليقين أن ا۔ رقيب على عمله، قائم على كل نفس بما كسبت، وكانت روح المراقبة هي ما درج عليه السابقون الأولون من سلف هذه الأمة الصالح، فبلغوا بذلك درجة المقربين، ومن آثارهم في ذلك:

- قيل للجنيد - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «بم يستعان على غض البصر؟ قال: بعلمك أن نظر الناظر إليك أسبق من نظرك إلى المنظور له».

- وقال سفيان الثوري - رَحِمَهُ اللَّهُ - «عليك بالمراقبة ممن لا تخفى عليه خافية، وعليك بالرجاء، ممن يملك الوفاء، وعليك بالحذر ممن يملك العقوبة».

ولقد خفت المراقبة في نفوسنا لله تبارك وتعالى في هذه الأزمان التي طغت الماديات على المعنويات، وابتعد الناس عن رب الأرض والسماوات، حتى ضاق الناس ذرعاً وكثرت عليهم الشهوات والشبهات ولا ملجأ إلا إلى الله، فما أحوج النفوس إلى المراقبة من جديد، وكي ننمي روح المراقبة في النفوس فلا بد من:

١. كثرة الاستغفار والذكر في السر والعلن فإن كثرة الاستغفار تولد المراقبة.

٢. قيام الليل وكثرة الدعاء فيه والتضرع إلى الله تعالى، والله أعلم.

- **تنمية النفس بالمحاسبة:**

فإن النفس إذا صفتْ حاسبت العبد، في كل يوم على عمله فإن رأى العبد نقصاً في الفرائض لام نفسه ووبخها، وقام إلى جده في الحال، وإن رأى نقصاً في النوافل عوض النقص وجبره، وإن عصى وارتكب ذ. ً استغفر وندم، وتلك هي المحاسبة وتنمية النفس وتزكيتها وتطهيرها، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝١٨﴾[1]، فقوله تعالى: ﴿وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ﴾ هو أمر بالمحاسبة

(١) سورة الحشر، آ : ١٨.

للنفس على ما قدمت لغدها المنتظر، وقال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1]، وقال ﷺ: **«إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة»**[2] وقال عمر بن الخطاب: «حاسبوا أنفسكم قبل أن توزنوا»، وكان ﷺ إذا جن عليه الليل يضرب قدميه بالدرة ـ بالعصا ـ ويقول لنفسه: ماذا عملت اليوم؟، وهذا أبو طلحة ﷺ لما شغلته حديقته عن صلاته خرج منها صدقة لله تعالى هكذا كانوا يحاسبون أنفسهم عن تفريطها، ويلومونها على تقصيرها، يلزمونها بالتقوى، فينهونها عن الهوى عملاً بقوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾[3][4].

- **تنمية النفس بالمجاهدة:**

بأن يعلم المسلم أن أشد أعدائه نفسه التي بين جنبيه، قال تعالى: ﴿۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾[5].

ومن طبيعة النفس البشرية أنها تحب الدعة والخُلود، فإذا عرف المسلم هذا أعد نفسه لمجاهدتها، فأعلن عليها الحرب وشهَرَ ضدها السلاح وصمَّم على مكافحة النزوات والشهوات، فإذا أحبت الراحة أتعبها، وإذا رغبت في الشهوة حرمها.

والمسلم إذ يجاهد نفسه في ذات الله كي تطيب وتنمو وتزكو وتطمئن، وتصبح أهلاً لكرامة الله ورضاه، فهذا قائد المجاهدين والزهاد الذي علّم البشرية جمعاء رسول الله ﷺ قام الليل حتى تفطرت قدماه

---

(١) سورة النور، آية: ٣١.

(٢) خرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه، من حديث الأغر المزني.

(٣) سورة النازعات، الآيتان: ٤٠، ٤١.

(٤) منهاج المسلم، سبق، ص٦٤.

(٥) سورة يوسف، آية: ٥٣.

الشريفتان، فلما سئل قال: «أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً».

وقال أبو الدرداء ﷺ: «لولا ثلاث ما أحببت العيش يوماً واحداً: الظمأ لله بالهواجر، والسجود له في جوف الليل، ومجالسة أقوام ينتقون أطايب الكلام كما ينتقى أطايب الثمر»[2].

٥ ـ التنمية بإفشاء السلام:

السلام في الأصل السلامة، يقال: سلم يسلم سلامةً وسلاماً، ومنه قيل للجنة دارُ السلام، لأنها دار السلام من الآفات[3].

إن الرسول ﷺ قد بين أن المسلم عندما يلتقي بأخيه فيصافحه ينمي الله تعالى له في أجره ويغفر له، لحديث البراء بن عازب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يفترقا»**[4].

من أجل ذلك، قال الإمام النووي ـ رحمه الله تعالى ـ: **«المصافحة سنة مجمع عليها عند التلاقي»**[5].

وقال ابن بطال[6] ـ رحمه الله ـ: **«الأخذ باليد هو مبالغة المصافحة، ذلك مستحب عند العلماء»**[7].

وقد بين الرسول ﷺ أن الذي يبدأ بالسلام هو الحريص على تنمية أجره.

---

(١) خرجه البخاري، كتاب التهجد، باب قيام الليل، برقم ١١٣٠، من رواية المغيرة ﷺ.
(٢) منهاج المسلم، سبق، ص٦٥.
(٣) النهاية في غريب الحديث، ٣٩٢/٢.
(٤) خرجه الترمذي، كتاب الاستئذان، باب ما جاء في المصافحة، برقم ٢٧٢٧، وحسنه.
(٥) فتح الباري، ٥٥.١١.
(٦) هو: علي بن خلف بن عبدالملك، أبو الحسن عالم بالحديث من أهل قرطبة، له عدة رسائل، توفي سنة ٤٤٩هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء (٤٧/١٨).
(٧) فتح الباري، ٥٥.١١.

فعن أبي أمامة أنه قال: قيل: يا رسول الله، الرجلان يلتقيان أيهما يبدأ بالسلام؟ فقال: **«أولاهما بالله»**[1] ومعنى «أولاهما بالله» أي: أحق الناس بمغفرة الله ورحمته أو أقرب الناس با ٠.

وكذلك إفشاء السلام على من عرفت ومن لم تعرف فيه تنمية للأجر لحديث عبدالله عمرو بن العاص أن رجلاً سأل النبي ﷺ أي الإسلام خير؟ قال: **«تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت وعلى من لم تعرف»**[2].

وقد كان الصحابة يحرصون على تنمية أجرهم وزيادته عند الله تعالى بإفشاء السلام بين الناس، فقد كان عبدالله بن عمر ﷺ يخرج إلى السوق من أجل أن يسلم على الناس.

وفي إفشاء السلام تنمية للخير وإشاعته بين أفراد المجتمع.

فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أو لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»**[3].

قال في الفتح: (فيه أن من فوائد إفشاء السلام حصول المحبة (وتنميتها) بين المتسالمين، ولما فيه من ائتلاف الكلمة)[4].

* * *

---

(١) خرجه الترمذي، كتاب الاستئذان، باب ما جاء في فضل الذي يبدأ بالسلام ٥٦ (٢٦٩٤) وحسنه.

(٢) بذل المجهود، ١٣٥/٢٠.

(٣) خرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، برقم ١١٠ من حديث أبي هريرة.

(٤) فتح الباري، ١٨/١١، وما بعدها.

المطلب الثالث
التنمية في مجال الأخوة والمحبة في الله

ونعني بتنمية الأخوة والمحبة في الله، هي: تعهد هذه الأخوة، والمحبة باستمرار، والمحافظة عليها بتقوية أواصرها من حين لآخر بمزاولة أسباب تنميتها، وإعطائها صبغة الاهتمام الكامل، والأوليات لكل منهما، لكي لا تزول، ولا تنمحي بمرور الأيام في كل زمان ومكان.

ورابطة أخوة الإيمان، أنوى من رابطة النسب لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٠﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٠٣﴾[2].

ومن أسباب تنمية رابطة الأخوة وزيادة المحبة، ما يلي:

- إفشاء السلام فيما بين المسلمين وقد مر بنا الحديث عنه.

- أن تكون المحبة لله وفي الله، لا لشيء آخر من أغراض الدنيا، كطلب المال، والجاه. . .، فإنها حتماً ستزول.

- تبادل الزيارات.

- تبادل الهدايا فيما بينهم.

- المواساة بالمال، والمساعدة.

- أن يكون كل منهم عوناً لصاحبه في الملمات، وسنتحدث بعون الله تعالى عن كل فقرة فنقول وبالله التوفيق ومنه العون والسداد.

---

(١) سورة الحجرات، [illegible]: ١٠.
(٢) سورة آل عمرا[illegible]:

أولاً: إفشاء السلام:

ومعناه: السلام على من تعرف ومن لا تعرف، وقد سبق الحديث عنه.

ثانياً: المحبة في الله:

وتنميتها تعني استمرار هذه المحبة والمحافظة عليها من حين لآخر فلا يعكر صفوها شيء من ملمات الدنيا، وتنميتها كذلك أن تكون خالصة لوجهه الكريم، لا لأي غرض آخر دنيوي كالمال وغير ذلك، مما يتباغض الناس ويتحاسد الناس عليه في الدنيا.

ويؤيد ذلك من السنة النبوية حديث رسول الله ﷺ: **«سبعة يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة ا ، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه»**[(1)].

وكذلك حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: **«لا يجد أحدٌ حلاوة الإيمان حتى يحب المرء لا يحبه إلا لله، وحتى أن تقذف في النار أحبُ إليه من أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله، وحتى يكون الله ورسوله أحبَ إليه مما سواهما»**[(2)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «إنك إذا أحببت الشخص لله، كان الله هو المحبوب لذاته، فكلما تصورته في قلبك، تصوَّرت محبوب الحق فأحببته، فازداد حُبُك لله، كما إذا ذكرتَ النبي ﷺ والأنبياء قبلَهُ والمرسلينَ وأصحابَهُم الصالحين، وتصورتهم في قلبك، فإن

(1) خرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب الصدقة باليمين، برقم ١٤٢٣، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(2) خرجه البخاري، كتاب الأدب، باب الحب في الله، برقم ٦٠٤١، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

ذلك يجذبُ قلبك إلى محبة ا- المنعم عليهم، وبهم، إذا كنت تحبُّهم لله، فالمحبوب لله يجذبُ إلى محبةِ ا- ، والمحب لله إذا أحبَّ شخصاً لله فإن الله هو محبوبُهُ، فهو يحب أن يجذبه إلى الله تعالى، وكلٌ من المحب لله والمحبوبِ للهِ يُجذبُ إلى الله»[1].

فالمحبة في الله تنمي كمال الإيمان والإسلام.

والمحبة في الله تنمي وتغذي الأرواح والقلوب، وبها تقر القلوب.

والمحبة في الله تنمي التودد ومحبة الناس.

ثالثاً: تبادل الزيارات:

ومن الأشياء التي تنمي المحبة في الله وتقوي صلة الأخوة في الله تبادل الزيارات وهي مما يؤكد تقوية المحبة وتزيدها وتنميها.

فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ: **«أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى فأرصد[2] الله له، على مدرجته[3] ملكاً فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تربُها[4]. قال: لا، غير أني أحببتُهُ في الله ﷺ قال: فإني رسولُ الله إليك، بأن ا- قد أحبَّك كما أحببتَهُ فيه»[5].**

ويقوي هذا الحديث كذلك، ما جاء عن ابن مسعود ﷺ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله: كيف تقول في رجل أحب قوماً ولم يلحق بهم؟ فقال: **«المرء مع من أحب»[6].**

---

(١) مجموع الفتاوى، ٦٠٨/١٠.

(٢) أرصد، أي: أقعده يرقبه.

(٣) على مدرجته: المدرجة هي الطريق.

(٤) تربها، أي: تقوم بإصلاحها، وتنهض إليه بسبب ذلك.

(٥) خرجه مسلم، كتاب البر والصلة وا- ، باب فضل الحب في الله، برقم ٤٧٨٤، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٦) خرجه البخاري، كتاب الأدب، باب علامة حب الله ﷺ، برقم ٥٨٤٠، من حديث ابن مسعود ﷺ.

رابعاً: تبادل الهدايا فيما بينهم:

ومما ينمي الأخوة في الله والمحبة فيه سبحانه وتعالى - تبادل الهدايا - فإن التهادي بين المسلمين له أثر كبير في زرع المحبة والمودة بينهم، وتقوية أواصرها، وتعميق مشاعر الأخوة وتنميتها، والإخلال بهذا الأمر قد يكون له آثار سيئة، وقد يغير النفوس، ويذهب المحبة، غير أن للهدية آداباً تتعلق بها يجب علينا تنمية تلك الآداب، ومنها:

الأدب الأول: النية الصالحة:

أي: ينوي الشخص بإخراجه للهدية تقوية علاقته وتنمية أواصر المحبة بأخيه المسلم، واستجلاب مودته، وسَلَ ضغينة صدره، كما أمر الله تعالى، ابتغاء مرضاته ﷻ، لما يحققه ذلك من مصالح الدين والدنيا.

الأدب الثاني: البدء بذوي الأرحام والجيران:

إن إعطاء وتبادل الهدايا بين الأرحام صلة لهم وأولو الأرحام أولى من غيرهم بالهدية، وفي الهدية نوع من الإحسان، إضافة لما في الهدية تقوية العلاقات بين الأرحام وتنمية الحب بينهم، وكذلك تبادل الهدايا مع الجيران لما أمر الله به من الإحسان إلى الجار إكرامه.

فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره»**[1].

وقال تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾[2].

والجار في نظر الإسلام له حرمته، وله مقامه، وطلب العناية بالجار

---

(1) خرجه مسلم، ٤٨ كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف، برقم ٩٨، من حديث أبي شريح الخزاعي.

(2) سورة النساء، آ: ٣٦.

على وجه أخص، ومشاركته في سرائه وضرائه وأحزانه وأفراحه، وتقديم العون له، والهدايا له في المناسبات، فإن ذلك من تنمية المحبة ودوام الألفة بينهما، لأنه بذلك تكون الجماعة التي تتكون من جيران بينهم هذا التماسك على أشد ما تكون قوة واتحاداً، والإسلام لا ينشد إلا سعادة الناس[1]، من أجل ذلك كانت الهدية مشروعة لإدخال السرور على قلب المسلم.

الأدب الثالث: إبعاد الهدية عن الشبهة أو الحرام:

بأن يتجنب المرء الإهداء إلى موظف عام، أو منْ بيده مصالح الناس، حتى يُسَدَّ باب الرشوة إذ أن الهدية حينئذ قد تكون رشوة في الحقيقة، أو تقرباً لمن بيده قضاء المصالح بإذن الله، وهذا يجعلها غير مشروعة، ومثل هذا النوع لا ينمي محبة بحال، وإنما هو إعانة للإفساد في الأرض، وفعل المنكر، والله أعلم.

الأدب الرابع: عدم احتقار الهدية ولو كانت بسيطة:

سواء من جهة المُهْدي، أو من جهة المُهْدى، أما من جهة المُهْدي فلأنه إن استقل الهدية فلم يخرجها فإن المقصود من الهدية وهو التحابب وتنمية المودة وقال ﷺ: «**يا نساء المسلمات، لا تحقرن جارة لجارتها ولو فِرْسَنَ شاة**»[2].

قال ابن الأثير في النهاية «الفِرسِن: عظم قليل اللحم، وهو خف البعير كالحافر للدا ّ، وقد يستعار للشاة فيقال: فرس شاة، والذي للشاة هو الظلف»[3].

والمقصود من هذا النهي كم قال أهل العلم: حث المرأة على الجوار

(١) الإسلام أدبه وآدا ، سلمان نصيف الدحدوح، ١٩٩٠، ص٤٩.
(٢) خرجه البخاري، كتاب الهبة وفضلها، برقم ٢٥٦٦، من حديث أبي هريرة ﷺ.
( ) النهاية لابن الأثير (٤٢٩/٣).

بما عندها ولو كان قليلاً صغيراً، فهو خير من عدمه، ولا يدفعها احتقاره إلى الامتناع عن الإهداء للجارة.

فإن هذا مدخل للشيطان للإفساد والنزغ بين الناس فإنه يسعى بكل وسيلة لإفساد ذات البين والعاقل من يحذر ذلك، والله أعلم.

الأدب الخامس: عدم رد الهدية:

لأن قبول الهدية دليل على سلامة الصدر وأن الحب نام بين المُهْدي والمُهدَى وردها دليل على عداوة وبغضاء وتقاطع بينهما لقوله ﷺ: «**أجيبوا الداعي، ولا تردوا الهدية**»[1].

فإن قبول الهدية وعدم ردها دليل على المحبة، وعلى تقدير المُهْدي ورد الهدية عنوان على الكراهية، أو الاحتقار للمُهْدي، أو للهدية، وهذا مما يوغر الصدر ويزرع البغضاء بدلاً من المحبة والمودة.

الأدب السادس: المكافأة على الهدية:

يُسَنُّ للمُهدَى إليه أن يكافئ المُهدي، وأن يقابل هديته بمثلها، أو بخير منها ما استطاع، فإن ذلك أدعى لدوام واستمرار وتنمية المحبة بين الناس لفعله ﷺ أنه «كان يقبل الهدية، ويثيب عليها»[2].

الأدب السابع: تخيُّر الأوقات المناسبة للهدية:

على المسلم أن يتحسس الوقت الذي يجد فيه طريقها إلى قلب المسلم مثل يوم العيد، فإن هذا من الحكمة والفطنة والكياسة، ثم يقدم الإنسان حينئذ من يتعلقون بالهدية أكثر كالصغار والنساء، ثم من يليهم،

---

(١) خرجه البخاري في الأدب المفرد، باب حسن الملكة، برقم ١٥٨، من حديث ابن مسعود ﷺ.

(٢) خرجه البخاري، كتاب الهبة، باب المكافأة في الهبة، برقم ٢٥٨٥، من حديث عائشة ﷺ.

وهكذا وكذلك يبدأ بالوالدين ونحوهم من أهل التعظيم والتقديم، وكذلك يختار المرء الوقت والمكان الذي يحبه المُهْدى إليه، فإن الناس «كانوا يتحرون يوم عائشة بهداياهم لما يعلمون من حبه لعائشة»[1].

الأدب الثامن: اختيار الهدية المناسبة:

ينبغي للمهدي أن يحسن اختيار نوعية الهدية التي يقدمها، فقد يناسب شخصاً ما أن تهديه طعاماً، ويناسب غيره الماء، ويناسب ثالثاً الثياب، ويناسب رابعاً كتاب، وهكذا فالأحسن والأفضل مراعاة حال وطبيعة المُهْدى إليه، ومزاجه، والأشياء التي نعلم أنه يحبها.

الأدب التاسع: عدم المن بالهدية:

يجب أن يحذر المهدي من أن يمنَّ على المُهْدى إليه، أو يعيِّره بالهدية، فإن هذا محبط للأجر وحذر الله تعالى منه بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾[2].

والعاشر: ألا ينتظر ردها:

بعض الناس في مجتمعاتهم لديهم عادة أنه إذا أعطيت له هدية يحمل هم ردها مرة ثانية إلى صاحبه وقد يكون ظروفه المالية سيئة لا تسمح بالرد، فتمتلئ نفس المعطى غيظاً وحمقاً على المعْطي.

خامساً: المواساة بالمال، والمساعدة:

ومن الأشياء التي تنمي المحبة بين الإخوان، المواساة بالمال، فيواسي كل منهما أخاه بماله إن احتاج إليه، بحيث يكون دينارهما ودرهمهما واحداً

---

(١) خرجه البخاري، كتاب الهبة، باب من أهدى إلى صاحبه، برقم ٢٥٨٠، من حديث عائشة، ﷺ.

(٢) سورة البقرة، [illegible]

لا فرق بينهما فيه، كما روي عن أبي هريرة ﷺ إذ أتاه رجل:

فقال: إني أريد أن أؤاخيك في الله.

قال: أتدري ما حق الإخاء؟

قال: عرفني.

قال: لا تكون أحق بدينارك ودرهمك مني.

قال: لم أبلغ هذه المنزلة بعد.

قال: ذهب عني[1].

والمواساة مع الإخوة على ثلاث مراتب، كما قال الإمام الغزالي - رحمه الله -:

أدناها: أن تنزله منزلة عبدك أو خادمك، فتقوم بحاجته مع فضلة مالك.

الثانية: أن تنزله بمنزلة نفسك، وترضى بمشاركته إياك في مالك.

الثالثة: وهي العليا، أن تؤثره على نفسك، وتقدم حاجته على حاجتك.

والمواساة لغة: مصدر قولهم: واسيتُهُ، يقول ابن فارس: الهمزة والسين والواو أصل واحد يدل على المداواة والإصلاح[2].

واصطلاحاً: كما قال ابن مسكويه[3]: المواساة: معاونة الأصدقاء والمحتاجين ومشاركتهم في الأموال والأقوات[4].

(١) الإسلام أدبه، آدابه، مرجع سابق ١٩٩٠م، ص٤٧٠.

(٢) مقاييس اللغة، ١٠٧/١.

( ) هو: أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه، أبو علي، مؤرخ سكن أصفهان، وتوفي بها، وألف كتباً نافعة، منها: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، انظر: الأعلام ٢١١/١، ٢١٢/١.

(٤) الفوائد، ص٢٢٤.

قال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ: المواساة للمؤمنين أنواع:

الأول: مواساة بالمال.

الثاني: مواساة بالجاه.

الثالث: مواساة بالبدن والخدمة.

الرابع: مواساة بالنصيحة والإرشاد.

الخامس: مواساة بالدعاء والاستغفار لهم.

السادس: مواساة بالتوجع لهم.

قال ابن القيم: وعلى قدر الإيمان تكون هذه المواساة، فكلما ضعف الإيمان ضعفت المواساة وكلما قوي قويت المواساة، وكان رسول الله ﷺ أعظم الناس مواساة لأصحابه بذلك.

ودخلوا على بشر الحافي في يوم شديد البرد، وقد تجرد وهو ينتفض، فقالوا: ما هذا يا أبا نصر؟ فقال: ذكرتُ الفقراء وبردهم، وليس لي ما أواسيهم، فأحببتُ أن أواسيهم في بردهم.

كذلك من المواساة مشاركة المسلم في مشاعره خاصة في أوقات حزنه، وعند تعرضه لما يعكر صفوه، وهنا فإن إدخال السرور عليه وتطييب خاطره بالكلمة الطيبة، أو المساعدة الممكنة بالمال أو الجاه، أو المشاركة الوجدانية هو من أعظم المواساة وأجل أنواعها، فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»**[1].

وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى: المواساة من أخلاق المؤمنين.

---

(1) خرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، برقم ٤٩٩٦، من حديث أبي هريرة.

وإن عليَّ بن الحسين[1] كان يحمل الخبز بالليل على ظهره يَتْبَعُ به المساكين في الظلمة، ويقول: إن الصدقة في سواد الليل تطفئ غضب الرب[2].

وعن عمرو بن ثابت ﷺ قال: لما مات عليُّ بن الحسين وجدوا بظهره أثراً مما كان يَنْقُلُ الجُرْبَ[3] بالليل إلى منازل الأرامل[4].

والحاصل: أن المواساة تنمي في النفس حب الله ﷻ، ثم حب الخلق.

فالمواساة تنمي في النفس حبَّ الخير للآخرين.

والمواساة تنمي روح الأخوة بين المسلمين.

والمواساة تنمي وتقوي العلاقات بين المسلمين.

والمواساة تنمي الألفة بين الناس وتؤكد معنى الإخاء، وتنشر المحبة[5]، والله أعلم.

سادساً: أن يكون كل منهم عوناً لصاحبه في الملمات:

ومن الأشياء والوسائل التي تنمي روابط الإخوة بين المسلمين تفريج الكربات وتقديم المعونة لأخيك في النوائب وقضاء الحاجات، ويؤثره على نفسه، وأولاده.

فاما تفريج الكربات:

التفريج لغة: مصدر فرَّج، وهو مأخوذ من مادة (ف ر ج)، قال ابن

---

(١) هو: علي بن الحسين ابن الإمام علي بن أبي طالب الهاشمي، السيد الإمام، زين العابدين، ولد في سنة ثمان وثلاثين ظناً، انظر: سير أعلام النبلاء ٤/١٥٧.

(٢) نزهة الفضلاء، ١/٤٠٦.

(٣) الجرب: جمع جريب وعاء يحمل فيه الطعام والدقيق ونحوهما.

(٤) نزهة الفضلاء، ١/٤٠٦، ٤٠٧.

(٥) مستفاد من نضرة النعيم، مرجع سابق، ٨/٣٤٦٩.

منظور: الفَرْج: الخلل بين الشيئين، والجمع فُرُوج[1].

واصطلاحاً: كشف الهم وإذهاب الغمّ ورفع الضَّرر.

والكربات لغة: جمع كُرْبة، والكَرْبُ مصدر كَرَبَ، وهو مأخوذ من دة (ك ر ب) التي تدل على الشدة والقوة، يقال: مفاصِلُ مُكْرَبَةٌ، أي: شديدة قوية، وأصلُهُ الكَرَبُ وهو عقد غليظ في رشاء الدَّلو، ومن الباب الكَرْبُ وهو الغم الشديد[2]، وجمعه كُرُوب.

واصطلاحاً: قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ: «الكَرْبُ وهو ما يدْهمُ المرء مما يأخذ بنفسه فيغمُّهُ ويحزنُهُ»[3]؛ واصطلاحاً: رفع الضُّرِّ وإذهاب ما يَدْهَمُ الإنسان ويأخُذُ بنفسِهِ فَيَغمُّهُ ويُحزنُهُ.

قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾﴾[4].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾﴾[5] سلام على نوح في العالمين.

وقال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾[6].

ويقول الرسول ﷺ: **«من سرَّهُ أن ينجيه اللهُ من كُرَبِ يوم القيامةِ فلينفِّس عن معسر، أو يضع عنه»**[7].

---

(١) لسان العرب، (٣٤٢/٢).

(٢) مقاييس اللغة أحمد بن فارس ١٧٤/٥.

(٣) فتح الباري (١٥٠/١١).

(٤) سورة الأنعام، الآيتان: ٦٣ ـ ٦٤.

(٥) سورة الصافات، الآيات: ٧٥ ـ ٧٩.

(٦) سورة النمل، آ-: ٦٢.

(٧) مسلم، برقم ١٥٦٣، ومعنى فلينفس، أي: يمد ويؤخر المطالبة، وفي ذلك تنفيس وتفريج الكربة، لأن التنفيس يعني تفريج الكرب.

وينبغي أن يتعلم صاحب الكرب الأدعية والأذكار الواردة عن رسول الله ﷺ وأن يذكّر أن ما به من كرب إنما هو اختبار من الله له وما عليه إلا الرضا والصبر، وطلب الأجر من الله عسى أن ينمى له في الآخرة.

فعن عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: **«المسلم أخو المسلم لا يظلِمُهُ ولا يُسلِمُهُ ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كُربة فرج الله عنه كُربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة»**[1].

فتبين من ما مضى من الأحاديث أن من فرج الكربة عن أخيه ينمي الله له الأجر والثواب يوم القيامة، وكذلك ينمي الله تعالى كشف كربة أخيه باستجابة الدعاء وتفريج الكربات، كذلك ينمي حب الخير للآخرين، وينمي القرب من الله، ا أعلم.

واما قضاء حوائج الإخوان:

فهذا ما يرشد إليه النبي ﷺ بقوله: **«من نفّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسّر على معسر يسر اللهُ عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبدُ في عون أخيه»**[2].

كذلك من الأسباب التي تنمي الإخوة وروابطها، العفو عن الزلات، والتغاضي عن الهفوات، وستر العورات، نقول وبالله التوفيق:

أن الألفة ثمرة حسن الخلق، والتفرقة ثمرة سوء الخلق، لأن حسن الخلق يوجب التحابب والتوافق، وسوء الخلق يثمر التباغض والتدا.

---

(١) خرجه البخاري، كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه برقم و٢٤٤١، من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنه.

(٢) خرجه مسلم، سبق تخريجه.

فمن أدب الأخوة أن يعفو الأخ عن زلة أخيه، فإن كانت زلته في دينه، فتلطف في نصحه مهما أمكن، ولا تترك زجره ووعظه، ومما ينمي الحب كذلك التغاضي عن هفواته، وكذلك وستر عيوبه، وترك إساءة الظن بأخيه، وأن يحمل فعله على الحسن مهما أمكن، وإن ارتكب معصية سراً أو علانية فلا يقطع مودته، ولا يهمل أخوته، بل ينتظر توبته وأوبته.

قال أبو الدرداء ﷺ: «إذا تغير أخوك، ومال عما كان عليه، فلا تدعه لأجل ذلك، فإن أخاك يعوج مرة ويستقيم أخرى، واعلم أنك إن طلبت منزهاً عن كل عيب لم تجد، ومن غلبت محاسنه على مساويه فهو الغاية».

وقال يحيى بن معاذ[1]: «بئس الصديق صديق يحتاج أن يقول له: اذكرني في دعائك، وأن تعيش معه بالمداراة، أو يحتاج أن تعتذر إليه»[2].

وكي ننمي المحبة ونقوي أواصر المحبة، فعليه ألا يتلفظ بلسانه إلا بما يحبه، ويدعوه بأحسن الأسماء إليه، وأن يذكره بخير في حضوره، وغيابه، وألا يكلفه بما لا يطيق، وألا يحمله ما لا يرتاح إليه، فإن ذلك مما ينمي المحبة بينهما.

وكذلك مما ينمي المحبة الدعوة له بالخير، ومما يزيد المحبة في الله وينميها كذلك أن يدعو له، ولأولاده بالخير، والصلاح في غيابه لقوله ﷺ: **«مَنْ دعا لأخيه بظهر الغيب، قال الملك الموكل به آمين ولك بمثل»**[3].

وأما الإيثار على النفس، والأولاد:

والاخوة والمحبة في الله درجات أعلاها الإيثار، وأن تؤثره بما يحتاجه

---

(١) يحيى بن معاذ الرازي، الواعظ، من كبار المشايخ، له كلام جيد، ومواعظ، انظر: سير أعلام النبلاء ٨/١٣.

(٢) الإسلام أدبه وآدابه، سلمان نصيف الدحدوح، ١٩٩٠م، ص٤٧٠، ٤٧١.

(٣) خرجه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب، برقم ٥٠٤١، من حديث أبي الدرداء ﷺ.

هو وأولاده على نفسك وأولادك، وأنت في أشد الحاجة إلى ذلك الشيء.

قال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1]، وأوسطها المساواة بينك وبينه، فتحب له كما تحب لنفسك لحديث رسول الله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم، حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»[2].

* * *

المطلب الرابع
التنمية في مجال النصح والإرشاد

ومعنى تنمية النصيحة حرص المسلم على أداء عمله بإتقان بحيث يؤدي الأحسن، والأفضل، والأمثل، وأن يقوم به على أتم وجه، وبالتمام، والكمال، تاماً غير منقوص لحديث النبي ﷺ: «**إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه**»[3][4].

النصيحة لغة: هي الاسم من النصح، وكلاهما مأخوذ من مادة (ن ص ح) التي تدل على ملاءمة بين شيئين وإصلاح لهما[5].

وقال الراغب: النصح مأخوذ من قولهم: نصحتُ له الوُدَّ، أي: أخلصتُهُ، أو من قولهم: نَصَحْتُ الجلدَ: خطتُهُ.

وفي الاصطلاح: كلمة جامعة تتضمن قيام الناصح للمنصوح له بوجوه

---

(١) سورة الحشر، آ: ٩.

(٢) خرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، برقم ١٣، من حديث أنس بن مالك.

(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان برقم ٥٣١٢، صحيح الجامع برقم، ١١٨٠.

(٤) التنمية بالمفهوم الشامل في الإسلام، سبق ص١٣٧ وما بعدها.

(٥) ابن فارس في (المقاييس) (٥/٤٣٥).

الخير إرا ً وفعلاً، وتشمل النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامّتهم[1].

وقال الجرجاني: هي الدعاء إلى ما فيه الصلاح والنهي عما فيه الفساد[2].

وقال في الذريعة: النصح إخلاص المحبة للغير بإظهار ما فيه صلاحه[3].

وأول النصح أن ينصح الإنسان نفسه، ويجتهد في تنمية الخير والصلاح لنفسه.

وإصلاح النفس يحتاج إلى مجاهدة وصبر فإن أراد الإنسان من خلال ما به من خير أن ينمي نفسه بالنصح فيلزمه ألا يكون غاشاً، فمن غش نفسه قلّما نصح غيره، زد على ذلك إضافة إلى الغش أنه لما غش نفسه، لم يكن عادلاً مع نفسه والله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾[5].

قال ابن عباس ـ ﷺ ـ: لا يزال الرجل يزداد في نصحه ورأيه ما نصح مستشيره، فإذا غشّهُ سلبَهُ الله نُصحه ورأ [6].

وقد جاء ذكر النصيحة في كتاب الله تعالى في مواضع كثيرة منها على سبيل المثال:

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم

---

(١) جامع العلوم والحكم، ص٧٦.
(٢) التعريفات، ٣٦٠.
(٣) الذريعة، ٢٩٥.
(٤) سورة النساء، ¯-· ١٣٥.
(٥) سورة الأنعام، آية: ١٥٢.
(٦) الذريعة، سبق، ٢٩٥.

﴿مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝﴾(1).

وفي الآيات نصيحة من سيدنا نوح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام وتلك مهمة الداعية إلى الله أن يكون دائم النصح لقومه محباً لهم الخير وهناك آيات أخرى فيها أن نفع النصح مرهون بإرادة الله سبحانه وتعالى قال تعالى حكاية عن نوح: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝﴾(2).

وتفيد الآيات أيضاً أن النصح علامة من علامات الإخلاص قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ۝﴾(3).

وآيات أخرى تبين أن النصح فيها لم يكن صادراً من قلب محب ولم يكن لله ولا لرسوله، بل كان النصح فيها مدَّعى، قال تعالى عن إخوة يوسف: ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ۝﴾(4).

وقال تعالى في موضع آخر: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ۝ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ۝﴾(5).

وتبين مما مضى أنه ليست كل كلمة تقال تسمى نصيحة، فقد يتظاهر

---

(1) سورة الأعراف، الآيات ٥٩ ـ ٦٢.

(2) سورة هود، آية: ٣٤.

(3) سورة القصص، آية: ٢٠.

(4) سورة يوسف، آية: ١١.

(5) سورة الأعراف، الآيات: ١٩ ـ ٢١.

المرء بالنصح وهو ليس كذلك وقد ينصح ظاهراً حتى لا يعاتب وحتى يظهر أمام الناس أنه أدى ما عليه، **لذا فإن الإنسان** الذي لديه حرص على النصيحة وإسداء الخير والنفع والحريص على تنمية أجر وثواب النصيحة **يلزمه آداب** لتكون نصيحته نامية ونافعة لغيره:

الأدب الأول: النية:

كما هو معلوم عليها مدار الأعمال كلها، فينبغي للناصح أن ينوي بنصيحته لغيره وجه الله تعالى، والتماس الأجر والثواب منه سبحانه وتعالى.

الأدب الثاني: المسارعة بتقديم النصح والإرشاد لأخيك المسلم:

إذا وجدته على وشك الوقوع في شر معين أو ارتكاب خطأ شرعي، أو يوشك أن يفعل شيئاً فيه مضرة عليه، ففي هذه الحالة من باب تنمية المحبة لأخيك وحبك الخير له المبادرة بنصحه ولو لم يطلب، وليس هذا من التطفل في شيء بل إن هذا من كمال النصح له، والحرص عليه، وقد تسمع ما لا يسرُك ولا يرضيك.

وقد بين النبي ﷺ أن خير الكسب ما كان فيه الإنسان ناصحاً، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«خير الكسب كسبُ يدِ العامل إذا نصح»**[(١)]، وبين أن الإنسان إذا طُلبت منه النصيحة فلا يتردد في بذلها، وبين أن الناصح من أوائل من يدخلون الجنة فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«عُرض عليّ أول ثلاثة يدخلون الجنة: شهيد، وعفيف متعفف، وعبد أحسن عبادة الله، ونصح لمواليه»**[(٢)].

وبيَّن كذلك أن الإنسان في موقع المسؤولية، يحرم من الجنة إذا لم ينصح ويؤدي واجب النصيحة، فعن معقل بن يسار ﷺ قال: قال

---

(١) خرجه أحمد (٢/٣٣٤)، حديث (٨٤٣٣)، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٢) خرجه الترمذي، أبواب فضائل الجهاد، باب ما جاء في ثواب الشهداء، برقم ١٦٤٠، من حديث أبي هريرة ﷺ، وقال: حديث حسن.

رسول الله ﷺ: «**ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يُحطْها بنُصحِهِ إلاّ لم يجد رائحة الجنة**»[1].

وقد بين ﷺ أن النصيحة واجب من الواجبات لحديث أبي هريرة ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**حق المسلم على المسلم ست**» قيل: ما هنّ يا رسول الله؟ قال: «**إذا لقيتَهُ فسلِّم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فسمِّته، وإذا مرض فعُده، وإذا مات فاتبعْهُ**»[2].

فعليك إذن بالتحمل والصبر، ولا تتوقف عن النصح له، فإنك إنما تبتغي الأجر من الله تعالى.

الأدب الثالث: ليس كل الناس نمط واحد وشكل واحد وشخصية واحدة، وإنما خلق الله تعالى الناس متفاوتين في كل شيء، فمن الناس من يحب شيئاً يكرهه آخر وهكذا، ومن ذلك النصح يمكن أن تنصح إنساناً بشكل مباشر، بينما لا يصلح لآخر أن تكون النصيحة له بشكل مباشر.

وهذا هو شأنه ﷺ الدعوي في النصح فكان يقول: «**ما بال أقوام يقولون كذا . . . ، أو يفعلون كذا. . .**» وهكذا يختلف أسلوب النصيحة بحسب اختلاف المنصوح إذا كان صغيراً، أو كبيراً، أو كان صاحب مكانة اجتماعية، فلكل أسلوبه، ووقته، ونصيحته.

الأدب الرابع: أن تكون النصيحة في السر وليست أمام الناس فإن أكثر الناس لا يقبلون النصيحة إذا كانت في العلن، وذلك لما فيها من الإحراج أمام الآخرين لهذا قد تأخذهم العزة بالإثم فيرفضون قبول النصيحة، لأنها عندئذ تكون أشبه بالفضيحة، لأنها تحمل معنى التعيير، أما النصيحة في السر فإنها لا تحمل هذه المعاني وغالباً ما تقبل وتكون خفيفة على النفس، باردة على قلبك المنصوح، ورحم الله الشافعي إذ يقول:

---

(١) خرجه البخاري، كتاب الأحكام، باب من استرعى رعية فلم ينصح، برقم ٧١٥٠، من حديث معقل بن يسار ﷺ.

(٢) خرجه مسلم، كتاب السلام، باب من حق المسلم للمسلم رد السلام، برقم ٤١٤٠، من حديث أبي هريرة ﷺ.

تعمَّدني بنصحك في انفرادي   وجنبني النصيحة في الجماعة
فإنَّ النصح بين الناس نوع   من التوبيخ لا أرضى استماعه
فإن خالفتني وعصيت قولي   فلا تغضب إذا لم تلق طاعة[1]

وقال ﷺ: «من وعظ أخاه سراً فقد وعظه وزآ ، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه»[2].

قال الإمام الآجري[3] ـ رحمه الله تعالى: ـ «لا يكون ناصحاً لله تعالى ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامَّتهم إلا من بدأ بالنصيحة لنفسه، واجتهد في طلب العلم والفقهِ ليَعْرف به ما يجب عليه، ويَعْلَمَ عداوة الشيطان له وكيف يكون الحذر منه ويَعْلَمَ قبيح ما تميل إليه النفس حتى يُخالفها بعِلْم»[4].

وقال الإمام النووي ـ رحمه الله تعالى ـ: «قالوا مدار الدين على أربعة أحاديث، وأنا أقول بل مدارُهُ على حديث: «الدين النَّصيحة»[5].

وقال الإمام ابن رجب ـ رحمه الله تعالى ـ : «الواجب على المسلم أن يُحبَّ ظهور الحق ومعرفة المسلمين له، سواءٌ كان ذلك في موافقته أو مخالفته، وهذا من النصيحة لله ولكتابه ورسوله ودينه وأئمة المسلمين وعامَّتهم، وذلك هو الدين كما أخبر النبي ﷺ»[6][7].

---

(١) ديوان الشافعي، فقرة رقم (١١٦) أدب النصح، ص٧٨، . ز، ٢٠٠٦م.
(٢) موسوعة الآداب الإسلامية، سبق، ص٧٩٥، ٧٩٧.
(٣) هو: العلامة محمد بن الحسين بن عبدالله البغدادي الأجري، من أشهر كتبه كتاب الشريعة في السنة، ذا مكانة عالية لما عرف عنه من الاتباع ولزوم السنة، انظر: السير للذهبي (١٦/١٣٣ ـ ١٣٥).
(٤) بصائر ذوي التميز، للفيروزآ   / ٦٧.
(٥) نفسه، ٥/٦٤.
(٦) الفرق بين النصيحة والتعيير، (٣٢ ـ ٣٣) وكذلك مجموع مؤلفات الشيخ السعدي (١٣/٢، ١٧٩/٤، ٣٩٦/٥، ٤٦/٧)، غذاء الألباب بشرح منظومة الآدا ، للسفاريني ٤٤/١، تعظيم قدر الصلاة، للمروزي، ٦٣٧/٢.
(٧) عبدالرحمن بن أحمد بن رجب وزين الدين أبو الفرج، الفقيه الحنبلي، الحافظ الزاهد، له مؤلفات نافعة، منها: جامع العلوم والحكم، توفي سنة ٧٩٥هـ، انظر: شذرات الذهب ٦/ ٣٣٩.

وملاك الأمر بالنصح تلك القاعدة الجليلة العظيمة التي وضعها رسول الله ﷺ في ذلك الحديث الشريف من قوله ﷺ: «**الدين النصيحة**» قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: «**لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم**»[1]، وهذا الحديث هو الأساس في الموضوع، بل إن النصيحة لا تنمى ولا يحصل العبد على الأجر والثواب إلا بتطبيق هذه القاعدة تطبيقاً سليماً.

وقد بين الحديث أن النصيحة لله سبحانه وتعالى أولاً وهي تكون بألا يشرك العبد مع الله أحداً، والإخلاص التام في العبادة، من صلاة، وصيام، وزكاة، وحج، بل كل عمل يؤديه العبد لله تعالى مصحوباً بالنية، قاصداً به وجه الله تعالى، فهو عبادة، بحيث لا يشوب ذلك شائبة من رياء، أو سمعة، أو تصير، وأن يجاهد في الله حق جهاده، فيغير المنكرات بيده، أو بلسانه، أو بقلبه، وذلك أضعف الإيمان لقوله ﷺ: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**»[2].

ومعنى النصيحة لكتابه هي: التأدب بآدابه، والتخلق بأخلاقه، واتباع أوامره، واجتناب نواهيه، وأن يُعظَّم، وأن يتلى حق تلاوته، وقد سئلت عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: ـ للسائل ـ ألست تقرأ القرآن؟ قال: بلى قالت: فإن خلق نبي الله كان القرآن[3]، وكل هذا تنمية للعبد في الآخرة.

وأما النصيحة لرسوله ﷺ فوسائل تنميتها عظيمة فتكون باتباع

---

(١) خرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، برقم ١١١، من حديث تميم الداري رضي الله عنه.

(٢) خرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، برقم ٩٩، من حديث، أبي سعيد رضي الله عنه.

(٣) خرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب جامع صلاة الليل، برقم ١٣٩، من حديث قتادة عن زرارة.

هديه ﷺ، والتخلق بأخلاق النبي والدعوة الجادة إلى سنته ﷺ، والذب عنها، وحب من يحبه، وبغض من يبغضه، وقد جاء عن عمر بن الخطاب ﷺ قال عمر: كنا مع رسول الله ﷺ وهو آخذ بيد عمر، فقال له عمر: يا رسول ا ، لأنت أحب إليَّ من كل شيء إلا نفسي، فقال النبي ﷺ: **«لا والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك»**، فقال عمر: فإنك الآن والله لأنت أحب إليَّ من نفسي، فقال النبي ﷺ: **«الآن يا عمر»**[1].

- ومن باب تنمية النصيحة لأئمة المسلمين وهم الحكام وهي إرشادهم إلى الحق، ونصحهم بالرفق، واللين، وبأسلوب لائق بهم، من غير تشهير بهم، أو خروج عليهم، أو حدوث فتنة.

- ومن باب التنمية في هذا الباب الدعاء للحكام بالتوفيق والعون والسداد، لأن صلاحهم صلاح للرعية وفسادهم فساد للرعية، فينبغي التلطف معهم.

وقوله: **«لائمة المسلمين»** الأئمة هم الذين لهم الولاية، ويستولون على الأمة الإسلامية، سواء كان بعهد تولى ذلك الوالي بأن عهد إليه من قبله، أو بالقوة من ذلك الوالي بأن أخذ الولاية بالقوة، وتولى عليهم بالغلبة، كل هذا بلا شك إذا تمت له الولاية وجبت الطاعة له، والسمع له، وحرم الخروج عليه، وذلك لأن الخروج على الأئمة يسبب فتناً وضرراً على المسلمين، وكم حصل بسببه من القتل؟! وكم حصل بسببه من السجن، وإضرار المسلمين، وإضرار علماء المسلمين؟! فلأجل ذلك قالوا: يجب السمع والطاعة لولاة الأمور، واستدلوا بقوله ﷺ: **«اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة»**[2].

---

(١) خرجه البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي، برقم ٦٢٨٦، من حديث عمر.

(٢) خرجه البخاري، كتاب الأحكام وباب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، برقم ٦٧٦٠، من حديث أنس بن مالك ﷺ.

وأمر بأن يسمع له ويطاع إلا أنهم لا يطاعون في معصيته، لقوله ﷺ: **«لا طاعة في معصية، إنما الطاعة في المعروف»**[1]، ولكن لا يجوز أ ٰ يُخرج عليهم بالسيف، ولا تنزع الطاعة من أيديهم[2].

- ومن باب تنمية النصيحة للمسلمين هي أن تهتم بأمر أخيك المسلم، وشؤونه، كما نهتم بأمرك وشؤونك الخاصة، فإذا رأيت أخاك مثلاً سيسقط في حفرة، أو أن حريقاً يتهدده من بعيد، أو قريب، فإنه لا يمكنك أن تقف موقف المتفرج، فلا بد إذاً أن تمد يدك، لتنقذه، أو على الأقل تنبهه للخطر الذي ينتظره، ويتهدده، فكذلك الحال إذا ما قصّر في واجبات ١ ، أو ارتكب منهياته، فعليك أن تنصحه بالتي هي أحسن[3]، انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[4].

وهذا ما تقتضيه الأخوة، والنصح ينقسم إلى قسمين:

١ - النصح الفردي.

٢ - النصح الجماعي.

النصح الجماعي: أن تقوم جماعة من المسلمين وليس فرداً، وهو الذي أصبح شائعاً في معظم بلدان العالم المتقدمة، حيث تقوم مراكز البحوث والدراسات، بموافاة أولياء الأمور بالبيانات والمعلومات الدقيقة الوثيقة حول كل شأن من الشؤون السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وبالآراء والأفكار الموضوعية حول أي مفردة من مفرداتها، حتى أصبح هذا الاتجاه منهجاً ثابتاً لهذه الدول بحيث لا تقدم على أمر ما قبل إشباعه بحثاً ودراسة[5].

---

(١) خرجه البخاري، كتاب أخبار الآحاد، باب ما جاء بإجازة خبر الواحد، برقم ٧٢٥٧ من حديث علي.

(٢) من شرح العلامة الدكتور/ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين - رحمه الله - لأصول السنة للإمام أحمد - رحمه الله -، ص٩٦، ٩٧.

(٣) التنمية بالمفهوم الشامل في الإسلام، سبق، ص١٣٩، ١٤٠.

(٤) سورة الحجرا- ، ـِـ : ١٠.

(٥) النبي المربي، سبق، ص٤١٠.

أما النصح الفردي: فهو كما ذكرنا النصح لمن يتولى أي أمر من أمور المسلمين، وهذا من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، اللذان يعتبران من أهم واجبات المسلم، وأهم عوامل خيرية الأمة، ويعتبر هذا النوع من النصح أمانة في أعناق أعوان صحبة السلطان والمقربين منه وأصدقائه، والله أعلم[1].

«ومما سبق يتبين أن النصيحة تنمي حب الخير للآخرين، وتنمي شيوع الفضيلة، والنصيحة، كذلك تنمي الاستقرار في المجتمع الإسلامي.

وعلى كل حال فإن النصح بكل أشكاله وأساليبه، يدل على فعالية الأمة واهتمامها بأوضاعها وحرصها على سلامتها وقوامة مسيرها، وعلى موضوعية القيادات بقبولها النصيحة من أي جهة جاءت، والرسول الكريم، يوالي التأكيد في تربيته للمسلمين على بذل النصيحة كما أسلفنا الأحاديث الدالة على ذلك، والله أعلم».



---

(١) نفسه، سبق، ص٤٠٩.



خلاصة الفصل الثالث

تناولت في هذا الفصل، أنواع التنمية الذاتية ومنها الفكرية، والروحية، والاجتماعية، والسلوكية، وتناولت الحديث عن شخصية المسلم، وما ينبغي أن يكون عليه في هذا العصر الهائل المعلومات والدراسات والبحوث، وإن المعلومات وحدها ليست كافية، ما لم تكن مصحوبة بإيمان وروحانية تدفع المسلم نحو تنمية الذات والاندفاع للأمام، فكان الحديث عن التنمية الروحية، وفي هذا الخضم العلمي لا يمكن أن تنعزل الأخلاق والسلوكيات عن العلم والمعرفة، بل هي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً به، وبهذا يتقدم الأفراد ومن ثم المجتمع عندما يسود فيه روابط المحبة والأخوة والنصح والإرشاد.

* * *

الفصل الرابع

التنمية ودورها في بناء الإنسان

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التنمية حقوق ومسئولية وتربية، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: التنمية في مجال الحقوق والواجبات.

المطلب الثاني: التنمية البشرية عوامل وعقبات.

المطلب الثالث: التنمية في مجال المسئولية.

المطلب الرابع: التنمية في مجال التربية .

المبحث الثاني: التنمية في مجال البذل والعطاء، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التنمية بالصدقة.

المطلب الثاني: التنمية بالزكاة.

المطلب الثالث: التنمية في مجال العمل والكسب.

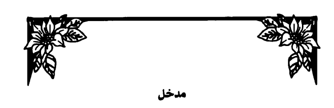
المبحث الثالث: التنمية في مجال المال، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: التنمية في مجال التجارة.

المطلب الثاني: التنمية في مجال الزراعة.

المطلب الثالث: التنمية في مجال الثروة الحيوانية.

المطلب الرابع: التنمية في مجال الإنتاج.



مدخل

المجتمع الإسلامي لحمة واحدة، يتكاتفون مع بعضهم البعض، تجمعهم لغة واحدة، ودين واحد، ويربط أفراده حقوق مشتركة تنظم حياتهم، وهي حقوق منصوص عليها، ترجع هذه الحقوق في النهاية إلى الضمير الديني والمشاعر الرابطة لوشائج المجتمع، وهذه الحقوق في الغالب غير منضبطة، ولا نستطيع قياسها أو تحديدها، حيث تحمل هذه الحقوق معان كثيرة من الحب والرحمة والشفقة، وقد أكدَ الرسولُ ﷺ على جملة كبيرة من الحقوق كي يرسي في المجتمع الإسلامي قواعد الأخوة والترابط، فلكل حق، ولكل واجب، نحو الوالدين، نحو الأبناء، نحو الزوجين، نحو القرابة، نحو الجيران، نحو المسلمين بصفة عامة، يعطي حقه دون توقف، أو تلكؤ، أو تضجر، أو تأفف، أو إلحاق ضرر، أو إيذاء لهم سواء عن طريق الكلام، أو عن طريق الفعل، أو الإشارة وهذا ما سيوضحه الباحث بعون الله تعالى في هذا الفصل والله الموفق.




المبحث الأول
التنمية حقوق ومسئولية وتربية

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: التنمية في مجال الحقوق والواجبات.

المطلب الثاني: التنمية البشرية عوامل وعقبات.

المطلب الثالث: التنمية في مجال المسئولية.

المطلب الرابع: التنمية في مجال التربية.

* * *

المطلب الأول
التنمية في مجال الحقوق والواجبات

١ ـ تنمية الحقوق والواجبات نحو الوالدين:

قال الله تعالى ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾[1].

---

(١) سورة الإسراء، الآيتان ٢٣، ٢٤.

وفي الآية دليل على وجوب حق الوالدين في الحياة، إعطائهما حقهما كاملاً غير منقوص، وهو سبحانه وتعالى قرن الإحسان إليهما بطاعته مباشرة وهي تنمية عظيمة للإحسان إلى الوالدين.

وكلما صنع الولد معروفاً لوالديه كلما تذكر ما أعده الله له من الأجر فتلك هي التنمية، كلما ازداد الولد معروفاً كلما زاد أجره وهكذا والله أعلم.

إن الولد مهما عمل مع والديه، فلا يمكن أو يوفيهما حقهما كاملاً وقد سأل صحابي النبي ﷺ: من أحق الناس بحسن صحابتي؟، قال: «أمك»، قال: ثم من؟ قال: «أمك»، قال: ثم من؟ قال: «أمك» قال: ثم من؟ قال: «ثم أبوك»[1]، وقد بين القرآن سبب ذلك التفضيل للأم على الأب قال تعالى ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ۝﴾[2]، ذلك لما لاقته الأم من الألم، والتعب، والسهر والمشقة، والإرضاع، فقد لاقت الأم ثلاثة متاعب قاسية لم يتحملها الأب، أولها مشقة الحمل، وثانيها مشقة الوضع، وثالثها مشقة الرضاعة والتربية.

ومن تنمية أجر الإحسان إلى الوالدين، صلة أصدقاء الوالدين بعد وفاتهما قال ﷺ: «إن من أبر البر صلة الرجل أهل وُدّ أبيه بعد أن يولي»[3][4].

ولما كان للوالدين مكانة عظيمة عند الله ﷻ فقد حَرُم على الأبناء ذكورهم وإناثهم على السواء، عقوق الوالدين، لأي سبب من الأسباب حتى لو جاء لإرغامهم على شيء يكرهونه، قال تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ

---

(١) خرجه البخاري، كتاب الأدب، باب من أحق الناس بحسن الصحبة، برقم ٥٩٧١، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) سورة لقمان، آ: ١.

(٣) يولي: يموت.

(٤) مسند أحمد ١٤/١٠ ٥٧٢١ بإسناد صحيح.

﴿مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾[1].

ومادام بر الوالدين فضلاً لا يعدله فضل آخر إلا عبادة الله وطاعته، فلا يصح لمسلم، ولا مسلمة، أن يدرك هذا الفضل دون أن يحصل عليه، وهو ما عناه قوله ﷺ: **«رغم أنفه ثم رغم أنفه ثم رغم أنفه قيل من يا رسول الله قال: من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كليهما فلم يدخل الجنة»**[2][3].

وقد جاء التحذير الشديد من عقوق الوالدين، وإغضابهما، فقد قال ﷺ: **«ثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، والديوث، ورجلة النساء»**[4].

لهذا كان لزاماً على الأب المسلم، أن يحمي أولاده من هذا العقاب الشديد عند الله، بأن يربيهم تربية حسنة، فيعرفهم حدود الله، وأسباب غضبه ومقته، ويساعدهم ويعينهم على بره.

ويضع الإمام الغزالي[5] رحمه الله للوالد بعض الضوابط في تربية الأولاد، ومساعدتهم حتى يكونوا بارين به، غير عاقين له، فيقول: «يعينهم على بره، ولا يكلفهم من البر فوق طاقتهم، ولا يلح عليهم في وقت ضجرهم، ولا يمنعهم من طاعة ربهم، ولا يمنن عليهم بتربيتهم»[6] فالوالد لا يشتد مع ابنه، ويختبر طاعته له بالامتحانات الشاقة، كأن يمنعه النوم في بعض الأوقات لإتمام عمل غير هام، أو يكلفه من أعمال البر والملاطفة وخفض الجناح ما يلغي شخصية الولد ومكانته، كأن يغضب إذا نسي الولد أن يقبل

---

(١) سورة لقمان، آية ١٥.

(٢) خرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآدا . . . رغم أنف من أدرك أبويه أو أحدهما عند الكبر، برقم ٤٧٥٥، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) الأسرة المثلى في ضوء القرآن والسنة، د. عمارة نجيب، ص١٦٢.

(٤) خرجه الحاكم، المستدرك على الصحيحين، كتاب الإيمان، ١/٧٢ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٥) سبقت ترجمته ص١٧١.

(٦) الأدب في الدين، الغزالي ص٥٦، ٥٧.

ـ ه، أو سها أن يهيء له مجلسه، أو يقرب له حذاءه، بل يحاول الأب أن يتغافل عن بعض زلات الولد، ولا يعاقبه إلا على الواجبات إن قصّر فيها، أو الأخطاء الكبيرة، كأن يُسيء الأدب معه، أو يرفع صوته في وجهه أو يقل أدبه مع الأم أو الجد أو الجدة[1].

وهذا هو منهج السلف رضوان الله عليهم، فهذا خارجة بن مصعب[2] ﷺ ينصح الأب أن يسوق ولده إلى البر سوقاً رفيقاً، فيقول: «يعطيه ويحسن إليه حتى يبره»[3].

وهذا فقه عظيم من رجال السلف رضوان الله عليهم، إذ أن نظرهم أبعد من حدود هذه الدنيا، وحبهم لأولادهم وإشفاقهم عليهم يتطلب مساعدتهم، وعونهم على النجاة في الآخرة قبل كل شيء، فلا يكلفونهم ما لا يطيقون من الأوامر، بل يفكر أحدهم قبل الأمر: هل سوف يطيق الولد ذلك، أم يعجز عنه، فأسوقه بنفسي إلى التهلكة؟ وبقدر ما يجني في المستقبل من إحسانهم له وبرهم به، فإن الآباء عادة لا يتكلفون الإحسان لأولادهم لأن القضية فطرية مركوزة في قلوبهم.

وما جاء في السنة من تعظيم حق الوالد، أن مال الولد لأبيه، وأن للأب أن يأكل منه، قال ﷺ: **«إن أطيب ما أكلتم من كسبكم وإن أولادكم من كسبكم»**[4]، كما أنه لا حدَّ على الوالد لولده مطلقاً لعظم حق الأب ومنزلته، فإن سرق مال ولده لم تقطع يده، وإن كان للولد على أبيه دين لم يطالبه به، وإن قذف الأب ولده لا يُحد ولا يُجلد، ولو أن الوالد قتل

---

(١) مسئولية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة، عدنان حسن صالح باحارث، دار المجتمع، ط٤، ١٩٩٣م ص٢١١.

(٢) خارجة بن مصعب، الإمام العالم المحدث، شيخ خراسان، ارتحل وأخذ عن عمرو ٠ دينار، توفي سنة ١٦٨، وله ٧٨ سنة. انظر: سير أعلام النبلاء ٣٢٦/٧.

(٣) البركة في فضل السعي والحركة، الوصابي، ص٩٧.

(٤) خرجه الترمذي، أبواب الأحكام عن رسول الله، باب ما جاء أن الوالد يأخذ من مال ولده، برقم ١٣٤١، من حديث عائشة ﷺ. وقال هذا حديث حسن.

ابنه فإنه لا يقتل به، أما لو حدث العكس فقتل الابن والده قُتل الولد حداً لعظم حق الأب ومكانته[1].

ومما سبق يتضح عظم حق الوالدين، ومنزلتهما في الشريعة الإسلامية، إذ أن عاطفتهما كفيلة بمنعهما من قصد الإضرار بهم أو إيذائهم، فإن قصد إيقاع الضرر بالأولاد لا يمكن أن يحدث إلا عند فساد الفطرة، وانحرافها بالكلية[2].

ونختم بسؤال وجواب: أما السؤال كيف ننمي في نفوس أبنائنا البر بالوالدين؟ والجواب: بتعريف الولد بحق والديه، وأن رضاهما من رضا الله ﷻ، وأن غضبهما من غضبه سبحانه وتعالى، يحيي في قلبه الخشية من العقوق.

٢ ـ حقوق الأولاد على الآباء:

معلوم أن الإسلام جعل للوالدين حقوقاً، وواجبات على الأولاد، كذلك جعل بالمقابل حقوقاً للأولاد على الآباء والأمهات، فكل من الوالدين، والأولاد يجب أن يعرفوا ما لهم، وما عليهم من حقوق، ومسئوليات، فيسيروا على المنهج الذي رسمه الشارع الحكيم، ولا يتعدوه، لكي لا يتصدع بنيان الأسرة، أو يحصل فيه أي خلل أو تصدع، من هذه الحقوق والواجبات ما يلي:

١ ـ **على الوالد**: أن يكفل لأولاده الغذاء، والكساء، ووسائل الراحة، فهو المسئول عن ذلك أمام الله تعالى، قال تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾﴾[3].

---

(١) المغني، لابن قدامة، ج٦، ص٢٨٨، ٢٩١، ج٩، ص٣٥٩، ٣٦٥ ـ ٣٦٦، ج١٠، ص٢٠٨.

(٢) مسئولية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة، عدنان حسن صالح باحارث، ص١١٣.

(٣) سورة الطلاق، آية ٧.

ويقول ﷺ مرغباً في الإنفاق على الأهل، والأولاد وأن ما ينفقه عليهم أعظم أجراً من غيرهم، **«دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك»**[1].

وقال ﷺ مهدداً من لا يقوم بواجبه نحو من يعولهم: **«كفي بالمرء إثماً أن يحبس، عمن يملك قوته»**[2].

٢ ـ **على الوالدين**: رعاية أولادهما، وتربيتهم التربية السليمة وتعليمهم، وتهذيبهم ماداموا صغاراً فلا يفرطان فيهم، بأن يتركا الولد الصغير يجالس من يشاء، ويماشي من يشاء، فإن كثيراً من الأطفال الذين لم تنضج عقولهم بعد، سرعان ما يتقبلون من غيرهم الخصال الذميمة، وينقادون وراءهم دون وعي، أو إدراك، فإذا ما تركا لهم الحبل على الغارب، ولم يهتما بهما اهتماماً تاماً، فسوف تكون النتيجة سيئة، ويصعب حينئذ ردهم إلى الصلاح، والإصلاح، لأن الطفل في هذه المرحلة كالعجينة يمكن تشكيله ـ في صغره ـ كيف يشاء. قال رسول الله ﷺ: **«لأن يؤدب الرجل ولده، خير له من أن يتصدق بصاع»**[3].

٣ ـ **على الوالد**: أن يختار المدرس الصالح، والمدرسة الصالحة لولده، فلقد كان الصحابة والسلف حريصين كل الحرص على اختيار المدرس الصالح لأطفالهم، وكانوا يعنون به عناية فائقة، ولهم ولع شديد به، لأنه المرآة التي يراها الطفل فتنطبع في نفسه وعقله... وهو مصدر للتلقي... ومن شدة اهتمامهم بهم أنهم ينصحون أبناءهم في أخذ الأدب

---

(١) خرجه مسلم، كتاب الزكاة، باب فضل النفقة على العيال والمملوك، وأثم من ضيعهم وبرقم ١٧٣٥، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) خرجه مسلم، نفسه.

(٣) البركة في فضل السعي والحركة، الوصابي، ص٩٧، والحديث حرجه الترمذي، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في أدب الولد برقم ١٩٥٧، وقال هذا حديث غريب ولا نعرفه من هذا الوجه، من حديث جابر بن سمرة.

قبل العلم، وإذا استلزم الأمر السفر والرحلة للوصول إلى المدرس الصالح القدوة، فهذا أمر سهل يسير على قلوب الآباء، مع أن هذا له أعباؤه المالية على الأبوين، ولكن في سبيل أن يبني ولدي بناءاً علمياً سليماً، يهون كل شيء ولهذا قال ابن سينا[1] في كتابه السياسة باب - سياسة الرجل ولده: ينبغي أن يكون للصبي مؤدب عاقل ذو دين، بصير برياضة الأخلاق، حاذق بتخريج الصبيان، وقور، رزين بعيد عن الخفة والسخط، وأن يكون حلواً لبيباً ذا مروءة، ونظافة ونزاهة، وإلى هذا ذهب أمراء المسلمين في الحصول على المدرس الصالح لتعليم أولادهم.

وروي أن عتبة بن أبي سفيان قال لمؤدب ولده: يا عبدالصمد: ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح نفسك، فإن أعينهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما استحسنت، والقبيح عندهم ما استقبحت، وعلمهم كتاب الله، ولا تستكرههم عليه فيملوه، ولا تتركهم فيه فيهجروه، وروهم من الشعر أعفه، ومن الحديث أشرفه، ولا تخرجهم من علم إلى علم حتى يحكموه، فإن ازدحام الكلام في السمع مضلة للفهم، وتهددهم بي وأدبهم دوني، وكن لهم كالطبيب الرفيق لا يضع الدواء إلا بعد معرفة الداء، ورَوِّهم سير الملوك وجنبهم محادِّ النساء، ولا تتكلنَّ على عذر مني، فإني اتكلت على كفاية منك، واستزدني بزيادتك إياهم، أزدك إن شاء الله[2]، ثم يؤكد الماوردي[3] على ضرورة وأهمية اختيار المعلم فيقول: ثم يجب أن يجتهد في اختيار المعلم والمؤدب له اجتهاده في اختيار الوالدة، فإن الولد يأخذ من مؤدبه من الأخلاق والشمائل والآداب والعادات أكثر مما يأخذ من والده، لأن مجالسته له أكثر ومدارسته معه أطول، والولد قد أمر حيث سُلِّم إليه بالاقتداء به

---

(١) ابن سينا هو الحسين بن عبدالله، فيلسوف، صاحب تصانيف في الطب والمنطق، له مؤلفات كثيرة.
توفي عام ٤٢٨ هـ ينظر سير أعلام النبلاء (٥٣١/١٧).

(٢) نصيحة الملوك، لأبي الحسن الماوردي، تحقيق محمد الخضر حسين، نشر وزارة الأوقاف الكويتية، ص ١٧٢.

(٣) نفسه، ص ١٧٠.

جملة، والائتمار له دفعة، وإذا كان هكذا فيجب أن لا يقتصر من المعلم والمؤدب على أن يكون - رثاً للقرآن، وحافظاً للغة، أو راوياً

للشعر، حتى يكون تقياً ورعاً عفيفاً ديِّنا فاضل الأخلاق، أديب النفس، عالماً بأخلاق الملوك، وآدابهم، عارفاً بجوامع أصول الدين والفقه[1].

٣ ـ اكتشاف المواهب وتوجيه الطاقات:

من هنا يأتي دور الوالد في اكتشاف المواهب لدى الأبناء، والعمل على تنميتها، وتوجيهها التوجيه السليم، لإبراز الموهبة، والتفاعل مع المجتمع، وعندئذ يكون لها الأثر الفاعل في تنمية ورفعة شأن البلاد في المجالات المتعددة، والرسول ﷺ بعد فتح مكة أمر بلالاً أن يصعد فوق الكعبة ويؤذن، فأذن بلال[2]، وفي أثناء ذلك أخذ بعض مشركي قريش يستهزئون ويقلدون صوت بلال غيظاً، وكان من جملتهم «أبو محذورة الجمحي»[3] وكان أحسنهم صوتاً، فلما رفع صوته بالأذان فقال النبي ﷺ نعم هذا الذي سمعتُ صوته اذهب فأذن لأهل مكة فمسح على ناصيته[4] وصدره بيده الشريفة، قال أبو محذورة «فامتلأ قلبي إيماناً ويقيناً، فعلمت أنه رسول الله، فألقى عليه الرسول ﷺ الأذان وعلمه إياه، وأمره أن يؤذن لأهل مكة وكان عمره ست عشرة سنة».

---

(١) منهج التربية النبوية للطفل، محمد نور بن عبدالحفيظ سويد، مؤسسة الريان، ط٥، ١٩٩٤، ص٢٢٥.

(٢) بلال بن رباح، مولى أبي بكر الصديق، مؤذن رسول الله، من السابقين الأولين الذين عذبوا في سبيل الله، شهد بدراً شهد له النبي بالجنة، توفي بلال، ٢٠ هـ بدمشق وهو ابن بضع وستين سنة أنظر سير أعلام النبلاء (٣٤٧/١).

(٣) أبو محذورة الجمحي أوس بن معير، مؤذن المسجد الحرام، وصاحب النبي ﷺ، توفي سنة تسع وخمسين، انظر سير أعلام النبلاء (٢٤/٣) والحديث أخرجه أحمد بطوله في المسند برقم ١٥٦١٢.

(٤) من أساليب الرسول ﷺ في التربية، الشيخ نجيب خالد العامر، مكتبة الصحوة، الكويت، ١٤٢٧ هـ، ٢٠٠٦ م.

ومن هذه يتبين أنه ﷺ وجه الطاقات، والمواهب، بأن حولها أولاً إلى نور الإسلام، إذ أن الإسلام نماء حتى يستفيد من هذه الطاقة، في إقامة شعيرة من شعائر الإسلام، ومن ثم توجيه هذه الطاقة في أمر أسمى وهو خدمة الإسلام والمسلمين، وعندئذ ينمو المجتمع المسلم، ويزداد خيره، ويرتقي، عندما توجه الطاقات والمواهب، توجيهاً سليماً على أسس علمية متينة، أيضاً اختيار الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين لزيد بن ثابت حيث قدموه للنبي ﷺ ورشحوه في تعلم السريانية نظراً لقدراته وميوله اللغوية، ومقدرته على تنفيذ رغبة رسول الله ﷺ في تعلم السريانية، وهو دليل على توجيه الطفل حسب ميوله العلمية، ورغبته النفسية، لأن أوعي لتمكن العلم من نفسه، وتفوقه على أقرانه، فهذا ابن سينا[1] يرى أنه ليست كل صناعة ـ مهنة ـ يرومها الصبي ممكنة له مواتية، ولكن ينبغي له أن يزاول ما شاكل طبعه وناسبه.

وإن بعض الآباء يتدخل في تحديد مستقبل الابن، فما إن يحصل الولد على الثانوية العامة، إلا ويتدخل الأب في تحديد الكلية التي يريد أن يدخلها الابن، وقد تكون رغبات الولد مضادة لرغبة والده، يقول والده حتى تكون كذا وكذا ولم ينظر الوالد البتة في ميوله ولا استعداده النفسي، فتأتي الصدمة أن يتعثر الابن في طريقه الدراسي، ولم يحقق ما يرجوه والده منه والله أعلم، لذا ينبغي على الوالد في هذا الباب محاورة ولده دون أية ضغط منه في اختيار ما يناسبه، ويلاءم قدراته وميوله، إن أول خطوة في طريق الإبداع والنبوغ، أن يرى الابن نفسه في مكانه المناسب، كي يعطي، ويبتكر ويبدع ويتميز وقد كان الإمام البخاري[2] ـ رحمه الله ـ في أول أمره يحاول تعلم الفقه والتبحر فيه، فقال له محمد بن الحسن[3]: اذهب واشتغل بعلم

---

(١) سبق ترجمته.

(٢) سبق ترجمته.

(٣) هو محمد بن الحسن بن واقد الشيباني، أبو عبدالله، صاحب الإمام أبي حنيفة، عالم فاضل فقيه، وله مصنفات، ولد سنة(١٣٢ هـ)، وتوفي سنة (١٨٩ هـ) انظر: وفيات الأعيان (٤ /١٨٤ ـ ١٨٥).

الحديث، عندما رآه مناسباً لقدراته وأليق به وأقرب إليه وقد أطاعه البخاري، ومن ثم صار على رأس أهل الحديث بل وإمامهم[1].

٤ ـ على الوالد أن يبني عقل ولده فكرياً

ومما لا شك فيه أن تعليم الولد القرآن وهو في سن مبكرة فوائد جمة منها:

١ ـ توسيع مدارك العقل والفهم.

٢ ـ تعميق مهارات اللغة العربية.

٣ ـ حفظ الله تبارك للإنسان.

٤ ـ الاستقامة في الدنيا والفلاح في الآخرة.

٥ ـ غرس الهمة العالية في النفس منذ الصغر.

٦ ـ علو شأن الوالدين في الآخرة.

كذلك يحرص على بناء الولد البناء الفكري، العلمي، النافع، بتوفير مكتبة نافعة في المنزل. لقد مات أبي رَحِمَهُ اللَّهُ رحمة واسعة وكانت مواريثه كتباً بارعة، وآداباً جامعة، تفتحت عيني على الكتاب، فكان سلْوتي وخُلوتي وصديقي الدائم، فأحببت القراءة والكتابة، في سن مبكرة، ولئن كانت صيدلية المنزل ضرورية لدواء الأجسام، فالمكتبة الإسلامية في المنزل ضرورة لإصلاح العقول، ويختار في المكتبة ما كتبه السلف الصالح، في شتى العلوم النافعة، والآداب الجامعة، باستشارة أهل العلم. ليتكون بعد ذلك فكره تكويناً صحيحاً وفق منهج أهل السنة والجماعة، والله أعلم.

٥ ـ على الوالد أن ينمي حب العلم في نفس ولده:

إن طلب العلم من أفضل العبادات التي يتقرب فيها العبد من ربه لهذا

(١) منهج التربية النبوية للطفل، سبق ص٢٣٣ بتصرف.

كانت فترة الطفولة أخصب فترة في البناء العلمي والفكري.

ذكر ابن عابدين[1] في حاشيته ما أنشده نفطويه لنفسه:

أراني نسيت ما تعلمت في الكبر	ولست بناسٍ ما تعلمت في الصغر
وما العلم إلا بالتعلم في الصبا	وما الحلم إلا بالتحلم في الكبر
وما العلم بعد الشيب إلا تعسف	إذا كلَّ قلب المرء والسمع والبصر
ولو فلق القلب المعلم في الصبا	لأبصر فيه العلم كالنقش في الحجر

ولهذا وعي وأدرك الصحابة والتابعون وأصحاب الحديث أن تعلّم الصغار له كبير الأثر في نشوء الطفل العلمي، حيث يجعله أقوى ثباتاً وأرسخ في الذاكرة مما يتعلمه الإنسان وهو كبير[2].

وكان الحسن بن علي ﷺ يقول لبنيه: تعلموا فأنكم صغار قوم اليوم تكونون كبارهم غداً، فمن لم يحفظ منكم فليكتب[3].

وكان عطاء بن أبي رباح يقول للغلمان: اكتبوا فمن كان لا يحسن كتبنا له ومن لم يكن معه قرطاس أعطيناه من عندنا"[4].

وكتب بديع الزمان الهمذاني إلى ابن اخت له يحثه على الجد في طلب العلم فقال: أنت ولدي مادامت والعلم شأنك، والمدرسة مكانك، والقلم أليفك، والدفتر حليفك، فإن قصرت وما إخالك فغيري خالك

---

(١) ابن عابدين: هو محمد أمين بن عمر بن عبدالعزيز عابدين، دمشقي، فقيه الديار الشامية، إمام الحنفية في عصره، صاحب (حاشية ابن عابدين) انظر: الأعلام للزركلي ٢٦٧/٦.

(٢) الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي، ولي الخلافة لستة أشهر بعد والده علي بن أبي طالب، تنازل لمعاوية عن الخلافة، وخلع نفسه، مات بالمدينة سنة ٥٠هـ، ينظر سير أعلام النبلاء (٢٤٥/٣).

(٣) الكفاية في علم الرواية، للخطيب البغدادي، ص٢٩.

(٤) المحدث الفاصل، ص٣.

والسلام[1]وقد ذكر ابن عبدالبر[2]في جامع بيان العلم وفضله:

قال لقمان لابنه: يا بني ما بلغت من حكمتك قال: لا أتكلف ما لا يعنيني قال: يا بني إنه قد بقي شيء آخر، جالس العلماء، وزاحمهم بركبتيك، فإن الله يحي القلوب الميتة بالحكمة، كما يحي الأرض الميتة بوابل السماء، يا بني لا تتعلم العلم لثلاث ولا تدعه لثلاث:

لا تتعلمه: لتماري به، ولا لتباهي به، ولا لترائي به.

ولا تدعه: زهادة فيه، ولا حياء من الناس، ولا رضا بالجهالة.

يا بني: لا تجادل العلماء فتهون عليهم، ويرفضوك. ولا تجادل السفهاء فيجهلوا عليك ويشتموك، ولكن اصبر نفسك لمن هو فوقك في العلم، ولمن هو دونك، فإنما يلحق بالعلماء من صبر لهم ولزمهم، واقتبس من علمهم في رفق.

يا بني: إن الحكمة أسكنتْ المساكين مجالس الملوك[3].

وكيف ننمي حب العلم في نفوس الأجيال الجديدة؟ فالجواب والله أعلم بإطلاع الأبناء على تاريخ العلماء وجهادهم، وطلبهم للعلم، وصبرهم على تحمل المشاق، ورحلاتهم في طلب العلم.

متابعة الأبناء في القراءة والتشجيع على ذلك.

ضرورة تنظيم الوقت واستغلاله وعدم تضييعه والله أعلم.

٦ ـ على الوالد أن يهتم بالتنمية الصحية للابن:

إن الإسلام اهتم بصحة الإنسان عامة، وبصحة الطفل خاصة، باعتبار أن الجسم أمانة عند الإنسان لذا وجب المحافظة على هذه الأمانة، فكيف

---

(١) الهداية الإسلامية، محمد الخضر حسين، ص٢٢٨.

(٢) جامع بيان العلم وفضله، ابن رجب الحنبلي، ١/

(٣) منهج التربية النبوية للطفل، سبق، ص٢٢٢.

يعمل الوالد على البناء الصحي للطفل نقول وبالله التوفيق باختصار:

١ - الاهتمام بالرياضة البدنية، فإنها تبني الجسم بشكل قوي.

٢ - تعود الطفل في سن مبكرة على سنة السواك، ويؤكد الرسول ﷺ ذلك بقوله: **«لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة»**[(١)]

فإن تعود الطفل على هذه السنة العظيمة، فإنه بذلك يقضي على كثير من الأمراض التي تكون أحياناً من تسوس الأسنان، أو من مرض اللثة وقد أكد الطب الحديث ذلك.

٣ - إتباع السنة النبوية، في الأذكار الصباحية، والمسائية، وفي الأكل والشرب.

تعويد الأبناء على النوم بعد العشاء والاستيقاظ المبكر لصلاة الفجر.

تحفيظ الأبناء ما ورد في الرقية الشرعية، ليرقي نفسه.

٧ - على الوالد أن يربي أولاده على الآداب الإسلامية وينمي ذلك في نفوسهم:

١ - تعويد الولد أدب الاستئذان وحبّذا لو حفظ الأطفال سورة النور، لما تشتمل عليها السورة من آداب وأحكام.

وقد أوضح الجاحظ «بأن المعلمين كانوا يعنون عناية خاصة بتحفيظ الفتيات سورة النور»[(٢)] وهو هدى السلف رضوان الله عليهم، كوقاية لهم مع الشرح والبيان والسورة بمثابة المناعة الإيمانية، التي بها يتقوى الناشىء في التحكم في غريزته وضبط نفسه.

---

(١) خرجه البخاري، كتاب الجمعة، باب السواك يوم الجمعة، برقم ٨٨٧، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) البيان والتبيين، للجاحظ، ٩٢/٢.

تعليمه بقيمة الآداب مثل آداب السلام، آداب الطريق، آداب الجوار، آداب الحديث والحوار، وقد سبق الحديث عنها، في مبحث التنمية في مجال الآداب ٩ ـ وعلى الوالد المساواة بين الأولاد في العطاء، بحيث لا يفضل أحداً على أحد منهم قال ﷺ: «لا تشهدني على جور»[١]، لأن النساء فيهن ضعف، وسبل الكسب تكاد تكون منعدمة أمامهن، لذلك كُنَّ أحق بذلك التفضيل، ولكن ذلك قد يغيظ الذكور، فيحصل الشقاق في صفوف الأسرة الواحدة، فمنع ذلك عليه الصلاة والسلام[٢].

تنمية حقوق ذوي القربى: من هدي الإسلام، ومميزاته، أنه دائماً يدعو إلى الألفة، والمحبة، والتماسك، والتعاطف، والتراحم بين الأفراد والجماعات، فبعد أن دعا إلى رباط وشائج الأسرة في داخل البيت بين الأولاد، والوالدين وبين حقوق كل من الزوجين، توسع في دائرة الأسرة، ليشمل الأقارب، والأرحام كالإخوان والأخوات، والأعمام، والعمات، والأخوال، والخالات، فأوجب صلتهم، والرحمة بهم، ورغب فيها، يقول تعالى مرغباً في الإحسان إليهم: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾﴾[٣].

ويقول تعالى محذراً من قطيعة الرحم، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[٤].

وسئل ـ ﷺ ـ مما يُدخل الجنة من الأعمال ويباعد عن النار. فقال:

---

(١) خرجه البخاري كتاب الهبات، باب لا يشهد على شهادة جور، برقم ٢٦٥٠ من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٢) التنمية بالمفهوم الشامل في الإسلام، سبق، ٥٠.

(٣) الإسراء، آية: ٢٦.

(٤) النساء، آية: ١.

«تعبد الله، ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم»[1].

ويقول ﷺ: «إن الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم اثنتان صدقة وصلة»[2].

وقال: «من أحب أن يُبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره، فليصل رحمه»[3].

فالمسلم لا يتأخر في إسداء المعروف لقرابته ورحمه، ولو آذوه ونغصوا عليه عيشته، لأنه يبتغي بذلك رضا الخالق جل وعلا، فقد جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم، ويقطعوني وأحسن إليهم، ويسيئون إليّ، وأحلم عنهم، ويجهلون عليّ، قال: لئن كنت، كما قلت، فكأنما تسفهم الملّ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك[4].

والصلة لا تكون بالعطاء من المال، والطعام، واللباس فحسب، فقد يكون قريبك في غني عنك، أو قد تكون أنت فقيراً، ليس عندك ما تعطي الأقارب، وتواسيهم بالمال، فحينئذ تجب صلتهم بالزيارة والمراسلة، وتهتم بشئونهم، وشئون أولادهم، كما تهتم بشئونك الخاصة، وشؤون أولادك. وقد جاء رجل إلى النبي ﷺ - فقال: يا رسول الله، فقال: إني أصبت ذنباً كثيراً، فهل لي من توبة؟ قال: «ألك والدان؟» قال: لا، قال: فلك من

---

(١) خرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، برقم ١٣٩٦، من حديث أبي أيوب ﷺ.

(٢) خرجه الترمذي، أبواب الزكاة عن رسول الله، باب ما جاء في الصدقة على ذي القرابة، برقم ٦٤٩، من حديث سلمان بن عامر ﷺ.

(٣) خرجه البخاري، كتاب الأدب، باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم، برقم ٥٩٨٦، من حديث أنس بن مالك ﷺ.

(٤) خرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، برقم ٤٧٦٨، من حديث أبي هريرة ﷺ.

خالة؟ قال: نعم، قال رسول الله ﷺ: «فبرها»[1].

ومما تقدم تبين لك مدي اهتمام الإسلام بالأسرة وقوتها، وتماسكها وكرامتها، ومدى اهتمام الشارع الحكيم بتنمية حقوقها، وواجباتها على الدوام[2].

والسؤال: كيف ننمي حقوق ذوي القربى في نفوس الناشئة؟

والجواب وبالله التوفيق ومنه العون والسداد وإليه المرجع والمعاد: بصلة الرحم والأقارب.

قال الحافظ ابن حجر[3]: الرحم بفتح الراء وكسر الحاء المهملة، يطلق على الأقارب، وهم من بينه وبين الآخر نسب، سواء كان يرثه أم لا، وسواء كان ذا محرم أم لا.

وقيل: هم المحارم فقط، والأول هو المرجح لأن الثاني يستلزم خروج أولاد الأعمام وأولاد الأخوال من ذوي المحارم وليس كذلك»[4].

وصلة الرحم، كما يقول الملا على القاري[5]: (كناية عن الإحسان إلى الأقربين من ذوي النسب والأصهار، والتعطف عليهم والرفق بهم، والرعاية لأحوالهم)[6]، ويتأتى ذلك عن طريق:

---

(١) خرجه الحاكم في المستدرك، برقم٧٢٦١، وهو صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) التنمية بالمفهوم الشامل في الإسلام، ، سبق، ص٥٤، ٥٥.

(٣) هو أحمد بن علي بن محمد بن حجر الكناني العسقلاني، أقبل على طلب الحديث والتصنيف فيه، ولي قضاء القضاة الشافعية بمصر، من مصنفاته: فتح الباري، انظر شذرات الذهب ٢٧٠/٧ ـ ٢٧٣.

(٤) فتح الباري ٤١٤/١٠.

(٥) هو علي بن سلطان محمد الهروي القاري، نور الدين من أهل هراة، نزيل مكة وبها توفي، فقيه حنفي، أحد صدور العلم في عصره، من مصنفاته: حاشية على فتح القدير، وشرح الهداية. انظر: معجم المؤلفين ١٠٠/٧.

(٦) مرقاة المفاتيح ٦٤٥/٨.

أولاً: القدوة، فإن الولد عينه مقصورة على الوالد، فالحسن ما حسن، والقبيح ما قبح، يقول الولد لوالده نريد زيارة عمي، وينظر إلى وجه والده، فيجده عبوساً عندما سمع نبأ الزيارة، فطفق يقول لولده إن شاء الله يا ولدي ولم يفعل، والولد يراقب من بعيد، ماذا يحدث، ثم يأتي الولد مرة ثانية، نريد زيارة عمي عندئذ لا يجد الوالد مخرجاً إلا أن يقول يا ولدي أنا غاضب جداً من عمك، لأنه فعل كذا وكذا وكذا... ويظل يعدد سلبيات لا تنتهي.

والولد لا يستوعب كل ما قاله والده فيبدأ الولد في التفكير ماذا يفعل؟ لم يجد جواباً ولا حلاً.سألت طالباً لديَّ آخر مرة زرت فيها عمك؟ قال منذ عامين!! علماً أن بينهما جدار، وهكذا تلعب القدوة دوراً هاماً وخطيراً في صلة ذوي القربى وعدمها.

ثانياً: التودد والزيارة ، وإخلاص النية لله ﷻ، عند الزيارة، لا أقول هو جاءني وأنا أرد الزيارة، أو هو لما جاءني جاء بكذا وبكذا وأنا أرد ذلك في زيارتي له، إن مثل هذه التصرفات، تذهب ود الأخوة وتطفئ صفائها، وليحرص الوالد عند كل زيارة اصطحاب الأسرة معه في زيارة الأقارب كي تنمو المحبة وتزداد العلاقة، وتقوي روابط القربى وحبذا لو أن إنساناً حصر أفراد أسرته، ثم كتب أرقام هواتفهم وأولادهم وأسرهم وأصهارهم بدفتر وأسماء مثلاً دليل هاتف الأسرة، لكان ذلك شيئاً جميلاً يترتب عليه جمع شمل الأسرة، وتنمية أواصر الحب بينهم والتواصل معهم بين الحين والحين.

ثالثاً: مشاركتهم في المناسبات، وهذا أمر مهم جداً في زرع المحبة، وزرع رابطة القربى في نفوس الصغار قبل الكبار.

رابعاً: زيارة المريض منهم، واحتساب ما أعده الله للزائر من أجر ومثوبة.

خامساً: العفو عن الزلات والهفوات ، وهو أمر هام جداً... فمن منا لا يخطئ وينبغي في مثل هذه الحالات تلمس أخلاق النبي ﷺ ودعوة

الناس لها وإسقاط هذه الأخلاق على واقعنا لنعفو عمن ظلمنا، ونسامح من أخطأ في جو تشع فيه روح المودة والمحبة والوئام، كما أن صلة الرحم تزيد الرزق وتنمية لحديث (من سره أن يبسط له في رز- ، وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه)[1].

وفي هذا الحديث ثمرتين عظيمتين هي: البسط في الرزق، والزيادة في العمر.

لذا عنوّن الإمام العظيم البخاري رحمه الله في كتابه باباً بعنوان «باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم» أي بسبب صلة الرحم، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، فإن صلة الرحم محبة في الأهل، مثراة في المال، منسأة في الأثر»**[2]، **وفي هذا الحديث فوائد عظيمة:**

١ - **تنمية المحبة بزيارة الرحم.**

٢ - **تنمية المال وكثرته.**

٣ - **تنمية ونماء في العمر بالبركة فيه.**

ولصلة الرحم زيادة على كونها تبارك في العمر، وتنمي المال وتكثره، كما ذكرنا كذلك تنمي المحبة بين الأقارب وتقويها. لحديث عبداللّه بن عمر رضي الله عنه قال: **«من اتقى ربه، ووصل رحمه أنسيء له في عمره، وثري ماله، وأحبه أهله»**[3].

---

(١) خرجه البخاري، كتاب الأدب، باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم، برقم ٥٩٨٥، من حديث ابي هريرة رضي الله عنه.

(٢) خرجه الترمذي، أبواب البر والصلة، باب ماجاء في تعليم النسب، برقم١٩٨٥، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال هذا حديث غريب من هذا الوجه، ومعنى قوله منسأة في الأثر، يعني زيادة في العمر.

(٣) خرجه البخاري، الأدب المفرد، باب من وصل رحمه أحبه أهله، برقم ٥٩، من حديث ابن عمر وهو حديث حسن.

هذا وقد بلغت شدة أثر صلة الرحم في نمو الأموال، وإبعاد الفقر، حتى إن الفجرة تنمو بسببها بفضل الله تعالى أموالهم، ويكثر عددهم، ويبتعد عنهم الفقر، عن أبي بكرة[1] ﷺ عن النبي ﷺ قال: **«إن أعجل الطاعة ثواباً صلة الرحم حتى إن أهل بيت ليكونوا فجرة، فتنمو أموالهم، ويكثر عددهم إذا تواصلوا، وما من أهل بيت يتواصلون فيحتاجون»**[2].

دفع إشكال:

صرحت الأحاديث السابقة أن صلة الرحم تنمي العمر، وتزيده بسبب صلة الرحم، وهذا في الظاهر يعارض قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[3]، والجمع بينهما من وجهين: **أحدهما**: أن هذه الزيادة كناية عن البركة في العمر، بسبب التوفيق إلى الطاعة، وعمارة وقته بما ينفعه في الآخرة، وصيانته عن تضييعه في غير ذلك.

ثانيهما: أن الزيادة على حقيقتها، وذلك بالنسبة للملك الموكل بالعمر، وأما الأول الذي دلت عليه الآية فبالنسبة إلى علم الله تعالى، كأن يقال للملك مثلاً: إن عمر فلان مائة مثلاً إن وصل رحمه، وستون إن قطعها، وقد سبق في علم الله تعالى أنه يصل أو يقطع، فالذي في علم الله لا يتقدم ولا يتأخر، والذي في علم الملك هو الذي يمكن فيه الزيادة والنقص، وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ الْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾[4]، فالمحو والإثبات بالنسبة لما في علم الملك، وما في أم الكتاب هو الذي في علم الله تعالى فلا محو فيه البتة، ويقال له القضاء

---

(١) هو أبو بكرة نفيع بن الحارث بن كلدة الثقفي، صحابي، من أهل الطائف، توفي بالبصرة عام ٥٢هـ ينظر سير أعلام النبلاء ٣ /٥.

(٢) خرجه ابن حبان، كتاب البر والإحسان، باب صلة الرحم وقطعها، رقم الحديث ٤٤٠، من حديث أبي بكرة ﷺ وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/١٥١، وقال رواه الطبراني عن شيخه الأنطاكي ولم أعرفه وباقي رجال الإسناد ثقات.

(٣) سورة الأعراف، آية: ٣٤.

(٤) سورة الرعد، آية: ٣٩.

المبرم، ويقال للأول القضاء المعلق[1].

٤ - تنمية حق الجار:

من الملاحظ في المجتمعات غير الإسلامية، أن الجار يعيش السنوات الطوال، وهو لا يعرف عن جاره شيئاً، حتى ولو مجرد معرفة، والسبب أنه لم تُتح له الفرصة للالتقاء بالجيران، والتعرف عليهم، ولا يوجد دين من الأديان على وجه الأرض، مثل الدين الإسلامي، يحض ويرغب، ويوصي بالإحسان للجار، والتعرف عليه، والسؤال عن أحواله، وإدخال السرور عليه، وعلى أولاده، ومن هنا تتضح حكمة الإسلام في مشروعية الصلوات الخمس في جماعة، كل يوم خمس مرات، فيجتمع الجار مع جاره، والمسلم مع أخيه المسلم، ليتعرف عليه وعلى أحواله، ولتكون الصلة قوية، ودائمة يقول تعالى موجباً ومرغباً في الإحسان إلى الجار: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾[2]، وثبت عنه ﷺ أنه قال: **«ما زال جبريل يوصيني بالجار، حتى ظننت أنه سيورثه»**[3]، وقد حذَّر كلَّ التحذير من إيذاء الجار، والتعرض له بسوء قال ﷺ: **«والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن قيل: ومَنْ يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمَنُ جاره بوائقه»**[4].

وحق الجار ليس خاصاً بالمسلم، بل إن حق الجار يشمل كل من يسمي جاراً بغض النظر عن دينه، ولونه، وجنسه.

والأحق بالإهداء والإكرام، أقرب الجيران باباً، فقد قالت عائشة أم

---

(١) فتح الباري ٤١٦/١٠ باختصار، شرح النووي (١٦/ ١١٤)، وعمدة القاري (٢٢ /

(٢) النساء، آية: ٣٦.

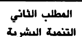
(٣) خرجه البخاري، كتاب الأدب، باب الوصايا بالجار، برقم ٦٠١٤ و من حديث عائشة ﵂.

(٤) خرجه البخاري، كتاب الأدب، باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه، برقم، ٦٠١٦، من حديث أبي شريح ﵁، والبوائق: الغوائل والشرور.

المؤمنين ﷺ: (يا رسول الله إن لي جارين، فإلى أيهما أهدي، قال إلى أقربهما منك باباً)[1]؛ لذا ينبغي على المسلم أن يعلم أنه ليس حق الجوار، معناه كف الأذى فحسب، وإنما احتمال الأذى، إذا صدر منه، والرفق به، وابتداء الخير له، وأن يبدأه بالسلام، ولا يطيل من الكلام، ويعوده إذا مرض.

وتنمي التعامل مع الجار، بالصبر واحتمال الأذى إن وقع منه، وتقديم المساعدة إليه إن احتاج ذلك، والنصح له، وعياده إذا مرض، والوقوف بجانبه في الملمات، كل هذا ينمي ويزيد في الأجر والثواب المدخر للعبد عند الله تعالى. والله أعلم.

* * *



المطلب الثاني
التنمية البشرية

كلمة تنمية كما أشرنا في بداية بحثنا تعني: النمو، وبشرية تعني: الجنس البشري ولذلك فإن التنمية البشرية ليست علماً، ولكنها أسلوب في الحياة يستخدمها الإنسان لكي يعيش حياة أفضل[2].

لذلك فإن الإسلام يدعو، ويأمر، ويشجع على تنمية عدد الأفراد في المجتمع الإسلامي، وكثرة النسل من خلال هذه الوسائل التنموية:

١ ـ تشجيع الإسلام للزواج:

الزواج عبارة عن تزاوج منظم بين الرجال والنساء، على حين يجمع معنى الأسرة بين الزواج والإنجاب، وهو كذلك نظام اجتماعي، يتصف

(١) خرجه البخاري، كتاب الشفعة، باب أي الجوار أقرب؟ برقم ٢٢٥٩، من حديث عائشة ﵂.

(٢) قوة التفكير، سبق، ص٣٧٤.

بقدر من الاستمرار والتنمية، والامتثال للمعايير الاجتماعية، وهو كذلك ظاهرة مقدسة أو نظام إلهي مقدس، خلقه الله وأكدته الشرائع السماوية، والكتب المقدسة، أساس للحياة الإنسانية[1]، وهو أساس نماء وتنمية المجتمع، فلا يمكن لمجتمع ما أن ينمو إلا بالزواج، ولا نماء بغير زواج، فبالزواج يبقى النوع الإنساني وبالزواج تحصل التنمية في المجتمع، والأسرة في الإسلام لا تكون إلا بالزواج، وأن الناس على اختلاف ألسنتهم وألوانهم أسرة كبرى، لأنهم نفس واحدة خلقها الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝﴾[2].

وأصبحت أية علاقة خارج هذه العلاقة المقننة نوعاً من الحرام المنهي عنه نهياً شديداً، لأن في هذه العلاقة المحرمة إعاقة شديدة عن التنمية.

وقد شجع الرسول ﷺ الأمة على الزواج فقال ﷺ: **«يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع، فعليه بالصوم، فإنه له وجاء»**[3]، وكذلك مما يعمل على تنمية عدد أفراد المجتمع، أن الإسلام أباح التعدد في الزواج، فأباح للرجل الواحد أن يجمع بين أربع نسوة، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ۝﴾[4].

قد يتزوج الإنسان زوجة صالحة، ديِّنة، وعلى خلق، لكن قدر الله تعالى، أن تكون المرأة بعد فترة من الزواج أنها لا تنجب، وبالتالي يحدث

---

(١) الزواج والعلاقات الأسرية، سناء الخولي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٩ ص٥٦ بتصرف.

(٢) سورة النساء، آية ١.

(٣) خرجه البخاري، كتاب النكاح، باب قول النبي ﷺ من استطاع الباءة فليتزوج، و برقم ٥٠٦٥، من حديث عبدالله بن مسعود ﷺ.

(٤) سورة النساء، آية ٣.

بين الزوجين شيئٌ كبيرٌ من النفور بسبب حب النفس الإنسانية للإنجاب، وتلك فطرة في الإنسان فيبدأ الزوج بالتفكير في زوجة ثانية، لعل الله يرزُ منها الولد فيؤنس عليه حياته، وينمي العلاقة بينه وبين زوجته، وقد يكون الرجل ممن أنعم الله عليه بالمال الوفير والسكن المتعدد، فبدأ يفكر في الزواج الثاني أو الثالث أو الرابع ولا ضير في هذا على الإطلاق ولذلك نقول إن إباحة التعدد في الزواج لهي من أكبر عوامل التنمية في المجتمع الإسلامي ومن أقوى وسائل الترابط بين أفراد المجتمع. والله أعلم.

٢ ـ وكذلك اختيار الزوجة الصالحة الودود، الولود

من أعظم وسائل التنمية في المجتمع المسلم، وتنمية عدد المسلمين، وتكثرهم فيه إدخال للسرور على قلب رسول الله ﷺ فعن معقل بن يسار[١] قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني أصبت امرأة ذات حسب وجمال، وأنها لا تلد، أفأتزوجها؟ فقال: لا، ثم أتاه الثانية، فنهاه، ثم أتاه الثالثة، فقال: تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم[٢].

وفي الزواج استمرار ذرية الإنسان، وتنمية للبشرية، وقد عنون الإمام البخاري رحمه الله، في كتاب الجهاد والسير، باب من طلب الولد للجهاد، ومن الملاحظ في العصر الحديث هذا، أن الكفار من غرب وشرق وأذنابهم في بلاد المسلمين، يروجون فكرة تحديد النسل بين المسلمين، وفي الوقت نفسه يشجعون الكفار على الإنجاب، وذلك لكي يقل عدد المسلمين ويزداد عدد الكفار[٣].

وينبغي على المسئولين الوعي بما يخططه لنا أعداء الإسلام، وأن

---

(١) معقل بن يسار المزني البصري رضي الله عنه، من أهل بيعة الرضوان، مات بالبصرة في آخر خلافة معاوية. انظر: سير أعلام النبلاء ٥٧٦/٢.

(٢) خرجه أبو داود، كتاب النكاح، باب النهي عن تزويج من لم يلد من النساء، ١٧٩١، من حديث معقل بن يسار.

(٣) منهج التربية النبوية، سبق، ص٣٥.

الآوان أن يعوا ذلك، حيث إنهم يريدون وضع العراقيل والحواجز والسدود أمام نماء وتنمية المجتمع المسلم، ليسهل حصرنا ولنكون لقمة سائغة لأعدائنا والعجب أن تصدر فتاوى من بلاد المسلمين، تبيح تحديد النسل دون أن تفصلْ في المسألة في الوقت ذاته يشجع العدو الصهيوني على النسل والإنجاب، وكانت العرب قديماً تقول «إنما العزة للكاثر» فيجب علينا حكاماً ومحكومين أن نعي خطورة ما يدبره عدونا لنا وأن نفهم واقعنا فهماً صحيحاً، وفي حث الإسلام للمسلم على اختيار الزوجة الصالحة حصرياً فيه هدف عظيم حيث أن الزوجة الصالحة ساعد عظيم في التنمية من نواح كثيرة:

١ - الزوجة الصالحة لها دور في تنمية أخلاق أبنائها.

٢ - الزوجة الصالحة لها دور في تنمية أر ٠ الإسلام والإيمان في نفوس الأبناء.

٣ - ولها دور عظيم أيضاً في تنمية واستقرار الأسرة.

ولها دورها كذلك في تنمية ونمو العلاقات الأسرية بينها وبين أسرة زوجها، والحاصل أن خيرها عظيم، وفائدتها على المجتمع جليلة، ولهذا بيّن الرسول ﷺ بانها خير ما يكنز المرء ويدخره في دنياه وآخرته، لما ورد عن ثوبان قال: لما نزلت ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قد علمنا أي المال نتخذ، قال: أفضله، ولسان ذاكر، قلب شاكر، وزوجة مؤمنة تعينه على إيمانه)[1]، وفي صلاح المرأة تنمية واستقرار للمجتمع، أن صلاح المرأة صلاح للمجتمع بأسره، و فساد المرأة فساد للمجتمع كله، والمرأة هي المجتمع كله، وفي صلاح المرأة كذلك تنمية للتبعل حيث تزداد المرأة الصالحة يوماً وراء آخر في صيانتها لزوجها وأولادها ونشرها للفضيلة في المجتمع، وهذا هو تنمية لحسن تبعلها

---

(١) خرجه الترمذي، كتاب أبواب التفسير، باب سورة التوبة، برقم ٣٠٩٤، من حديث ثوبان وقال حديث حسن.

للزوج، والله أعلى وأعلم، وإذا حصل خلاف أو خصام بين الزوجين، فالإصلاح بينهم واجب لقوله تعالى ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾﴾[1]، فإذا زاد الشقاق وكبر وتأزمت الأمور وتفاقمت، فآخر العلاج الكي، لذا كان الطلاق في حالة اليأس من الإصلاح، وفي حالة سد جميع أبواب الصلح، وقد ضيقت الشريعة باب الطلاق حرصاً على تنمية المجتمع واستقراره، حيث في الطلاق إيقاف لنمو المجتمع وسد باب الألفة بين أفراد المجتمع، من أجل ذلك كان الطلاق من مدمرات التنمية، وفي الطلاق يفقد الولد نماء الحب والعاطفة، وتفقد البنت نمو الأمومة الحقيقية عندما تر زوجة جديدة لأبيها، يفقد الأولاد جميعاً تنمية التوجيه والعطف والحنان، والله أعلم.

قال الدكتور/ العبادي: وقد أمر الإسلام بالمحافظة على الإنسان منذ ولادته، ومنذ نعومة أظفاره، فأوجب على أمه إرضاعه، والقيام بتربيته، ومهامه، وإزالة الأذى عنه، وأوجب على والده النفقة عليه إلى أن ينمو، ويعتمد على نفسه، ويكون عضواً في المجتمع، يساهم في تنمية المجتمع، ويرقى به إلى المستوى اللائق به بين الأمم من حيث القوة، قوة البدن، والعقل، والعلم، والمنفعة، ورغد العيش، بل والحفاظ عليه، وهو في بطن أمه، فحرّم الإجهاض، واعتبر ذلك إجراماً يعاقب عليه القانون[2]، لأن في الإجهاض تعدٍ على تنمية المجتمع ونماءه، وكذلك العقم فيه إيقاف لتنمية المجتمع وتدمير للنوع الإنساني.والله أعلم.

يقول الدكتور/ عبدالعزيز الخياط: والإنسان بشر له حق إشباع غريزة البقاء، والميل إلى الولد، ومادام العقم مرضاً يمنع تحقيق شهوة الولد، وقد يترتب عليه فساد العلاقة الزوجية، وقد يؤدي إلى الفرقة بين الزوجين، فمن الضروري القول بجواز معالجته بالطرق الطبية والمشروعة، بل إنه قد يكون

(١) التنمية بالمفهوم الشامل في الإسلام، ، سبق، ص٩٢.

(٢) التنمية بالمفهوم الشامل في الإسلام، سبق، ص ٩٢.

واجباً، إذا تحقق الفساد على عدم معالجته في شقاء الزوجين، وتعاسة الحياة الزوجية، أو خشي انفصام الحياة الزوجية، لأن الحرص على استمرار الحياة الزوجية ـ (وتنميتها ونماءها) مما يدعو إليه الإسلام، بل هو واجب من واجبات الزوجين، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب[1].

وكل ما يهدف إلى التنمية وإلى نماء المجتمع شرعه الإسلام، وحث عليه، لذا فإن المجتمع الإسلامي مجتمع تنموي مستمر، جمع بين الدين والدنيا وكلاهما لا ينفصل عن الآخر، ويرجع الأساس في التنمية الشاملة، ارتباطها الوثيق بالدين الإسلامي فتبدأ التنمية بالإنسان منذ خروجه من بطن أمه، وهو مرتبط بدينه، وعقيدته، وخالقه سبحانه وتعالى، وتلك هي التنمية والله أعلم

* * *

١ ـ عوامل تحقيق التنمية البشرية الشاملة

١ ـ الإيمان بامكانية الإصلاح والتغيير:

وأقصد به الإيمان بإمكانية الإصلاح على تغيير أنماط الحياة السائدة، وكذلك الواقع، حيث لم تكن مهمة المسلم في هذه الحياة على تغير أحواله، وإنما تمتد إلى تغير أحوال أمته بل إلى صلاح مجتمعه.

وهذا هو رسول الله ﷺ طاف بالبيت وحوله الأصنام، ومع ذلك لم يغير شيئاً البتة، وهو الموحى إليه من رب العالمين، وما ينطق عن الهوى لأن التغيير يؤدي وتئذاك إلى إحداث فتنة عظمى، والتغيير من السنن الهامة على طريق النهوض بالتنمية البشرية، والتغيير سنة يقررها ربنا تبارك وتعالى، قال تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) حكم العقم في الإسلام، عبدالعزيز الخياط، مطابع وزارة الأوقاف، الأردن، عمان، ١٤٠١ هـ، ص١٦، ١٨.

﴿لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ۝١١﴾[1].

وارتباط سنة التغيير بتنمية المجتمع الإسلامي وتقدمه، واضح غاية الوضوح، وذلك أن التنمية والتقدم لا يمكن أن تأتي في ظل الوضع الحالي للأمة الإسلامية، فلابد إذن من التغيير، دون إحداث ثورة علي الموجود.

لذلك نجد النبي ﷺ عندما أراد التغيير بدأ بالنفس البشرية، وصنع منها الرجال العظماء القادرين على تنمية المجتمع، ثم انطلق ﷺ في إحداث أعظم تغيير عرفته البشرية على الإطلاق وهو انتقال الناس من الظلمات إلى النور، قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝١٢٢﴾[2].

والله تعالى يعلمنا ـ أن تغيير الذات هو أساس كل تغيير والانتقال من حال إلى حال سنة من الله تعالى ـ حيث دوام مجتمعاتنا ولزومها على حالة معينة يجعل المجتمعات تمر بصورة مريبة من الخمول، وبالتالي بعدها التام عن التنمية ومواكبة الركب الحضاري.

وحياة الكثير من الناس ولزومهم نظام واحد بخيره وشره يجعل الناس غير مستعدين لتغيير أنفسهم ومألوفاتهم وعاداتهم، إلا إذا شعروا بحاجة ماسة إلى التغيير، وليس هناك زمان الأمة فيه أحوج إلى هذا التغيير منه أشد من هذا الزمان.

حيث تخلفت الأمة في مناحي كثيرة، يقول الدكتور/ عبدالكريم بكار[3]: هنا تبرز أهمية تغيير المجال الإدراكي للناس، من خلال إعادة

---

(١) سورة الرعد، آية ١١.

(٢) سورة الأنعام آية ١٢٢.

(٣) هو عبدالكريم بن محمد الحسن بكار، معاصر، من مواليد حمص عام ١٩٥١، أحد المؤلفين البارزين في مجالات التربية والفكر الإسلامي، له عدة مؤلفات منها، اكتشاف الذات، جدد عقلك، بناء الأجيال.

ترتيب بعض التصورات، والانتباه إلى بعض الأمور المنسية، بالإضافة إلى شحذ أذهانهم لتكون أكثر حساسية تجاه المتطلبات المتجددة لحياتنا المعاصرة.

وقد أثنى الله ﷻ على هذه الأمة فقال تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[1] وفي حديث مسلم (ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي، إلا كان له من أمته حواريون، وأصحاب يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف، يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده، فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه، فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبّة خردل)[2].

وسئل حذيفة بن اليمان[3] ﷺ ـ عن ميت الأحياء؟ فقال: الذي لا ينكر المنكر بيده ولا بلسانه ولا بقلبه.ثم يتساءل الدكتور عبدالكريم بكار حفظه الله لماذا يكره الناس التغيير

قال وجدنا الأسباب التالية:

١ ـ القصور الذاتي: حيث شعور المرء في أعماق ذاته بالعجز على استيعاب المتغيرات الجديدة.

ولم يكن القصور الذاتي آتياً من فراغ وإنما سببه ضعف النشأة وغياب التشجيع والتحفيز، وسنتحدث عنه بعد قليل، على سبيل المثال: التعامل مع الحاسوب أصبح ضرورة ملحة الآن، بعض الناس الآن قد يعمل في مهنة حساسة ووصل إلى مرحلة متقدمة من السن، وهو لا يجيد استخدام

---

(١) سورة آل عمران، ٣، ١١٠.

(٢) خرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، برقم، ١٠٠ من حديث عبدالله بن مسعود.

(٣) حذيفة بن اليمان. من نجباء أصحاب محمد ﷺ، صاحب السر، له عدة أحاديث، ولي إمرة المدائن، توفي بعد مقتل عثمان بأربعين ليلة. انظر: سير أعلام النبلاء ٣٦١/٢.

الحاسوب، وليست عنده القدرة على التفاعل والتعامل مع الحاسوب. بل وبهم من يأمره بالتقدم وتطوير الذات بأنه يشك في قدراته بعد هذا العمر الطويل، وأمثال هؤلاء يريدون أن يوقفوا نمو الحياة كما وقفوا. والله أعلم.

٢ ـ يخاف الناس ـ أحياناً ـ من الجديد بسبب غموض الآثار التي سيتركها في حياتهم.

الخوف من الجديد ـ من وجهة نظري ـ ضعف في التوكل على الله تعالى، لأنه ينبغي على المسلم إذا أراد أن يخوض تجربة جديدة في حياته فعليه بأمرين لا ثالث لهما أولهما ـ التوكل على الله ـ ثانيهما ـ الثقة بالنفس. فإذا توكل على الله تعالى وكانت ثقته بنفسه كبيرة، خاض التجربة بنجاح، وعليه أن يكل النتائج والآثار إلى الله تعالى والله أعلم.

٣ ـ يقاوم الناس التغيير في بعض الأحيان خوفاً من الخروج على تقاليد المجتمع الذي يقف عادة بقوة حارساً على عاداته وقيمه، وإن كانت غير ملائمة.

المسلم الحق يعلم تمام العلم أن الدين هو المصدر الوحيد الثابت في هذه الحياة فلا يتغير ولا يتبدل حتى وإن تغيّر الناس، والمجتمع، ومن ثمّ عليه أن يعلم أن العادات والتقاليد ليست قرآناً يتلي، حتى تتبع دون تغيير او تبديل، وقد تحدث القرآن الكريم عن هذه الطائفة فقال تعالى﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾[1]، فهؤلاء أسلموا عقولهم للعادات والتقاليد دون تفكير في صحتها وعدمها وا¯ اعلم.

٤ ـ إذا أكره الناس على تغيير شيء فإنهم يقاومون ويأنفون من الامتثال لا رفضاً للمضمون، ولكن من أجل مقاومة الضغوط التي تمارس عليهم. والتي يرونها غير مشروعة[2].

وإذا أردنا أن نغيّر أحوالنا إلى أفضل مما نحن فيه ـ حتى نصل إلى

---

(١) سورة الزخرف، ¯ ، ٢٣.

(٢) اكتشاف الذات، سبق، ص٩٠.

التنمية والنمو المطلوب في المجتمع الإسلامي ـ فإن علينا الآتي:

١ ـ يجب علينا أن نتشبع بفكرة تقول ـ إن تغيير العادات أمر ممكن، على خلاف ما هو شائع بين الناس من أن الطبع تحت الروح، ولا يزول إلا بخروج الروح!!

إن التدين الحق يخفف من النزعات الشديدة داخل الإنسان، ويدعم نوازع الخير ويزكيها، والإسلام لا يؤكد على تغيير الطباع السيئة بمقدار تأكيده على الحيلولة دون تجسيدها في عادات المرء وسلوكياته وأنشطته، وهو بذلك ينقل مسألة التغيير من مستوي الجدل الفلسفي إلى مستوي العمل والمجاهدة، فمجاهدة النفس وردعها من أجل إيقاف تجليات الطباع في السلوك وهذا هو المهم، ثمّ لا يُحاسب الناس على طباعهم، لأنها ليست من صنع أيديهم، وإنما يحاسبون على أعمالهم التي يمتلكون القدرة على الامتناع عنها.

٢ ـ المشكلة في التغيير كثيراً ما تتمثل في رهبة الخطوة الأولى، فإذا استطاع المرء أن يحشد قواه المعنوية لخطو الخطوة الأولى، فإنه يكون قد قطع نصف الطريق نحو ما يريد، وبعد ذلك تكون الخطوة الثانية أسهل وهكذا . . . لو حصل بعض الارتداد عن العادات والأعمال الجديدة، فإن ذلك لا يسبب أضراراً كبيرة، حيث يكون محرض جديد على إ - التجربة مرة أخرى.

٣ ـ الحصول على دعم معنوي ذاتي للتغيير، وذلك من خلال التركيز على تصور المناهج والفوائد العاجلة والآجلة التي سنحصل عليها من وراء العادات الجديدة، لنتصور الثواب العظيم الذي نحصل عليه من وراء تخصيص نصف ساعة يومياً لخدمة أرامل، أو أيتام أو فقراء، ولنتصور التحسن الصحي، والنشاط والحيوية التي سنحصل عليها من وراء مشي نصف ساعة يومياً، وفي المقابل علينا أن نركز الخيال على الأضرار التي يسببها لنا عدم تنظيم الوقت، أو الإدمان على التدخين أو العزوف عن

القراءة. هذا التركيز على المنافع والمضار يوجد توطئة نفسية وذهنية ممتازة للتغيير.

٤ ـ لنقطع كل السبل التي كانت توصلنا إلى عمل الأشياء السيئة من فراغ، وصحبة سيئة، واهتمامات تافهة، وقراءات رديئة، وفي المقابل فإن علينا محاولة تكرار الشيء الذي اكتسبناه مرات ومرات، حتى نوجد له ركائز قوة في الجملة العصبية لدينا، فالإصرار على التكرار ضمان لثبات الجديد واستمراره.

٥ ـ ابحث عن البدائل الجيدة لتجعلها تحل محل ما هو سيء لديك، طرد الشُحّ بالصدقة، وأصحاب السوء بصحبة أهل الصلاح، والفراغ ببرمجة العمل اليومي، ونسيان المواعيد بكتابتها، والكسل بالتمارين الرياضية وهكذا...[١].

٢ ـ الثقة بالنفس:

الناظر في تاريخ الإنسان يجد أن البداية واحدة لكل فرد منّا، وليس على ذلك برهان أقوى من صراخنا جميعاً حين نلج إلى عالم الأرض الفسيح، لكن الأمر الذي لا يحتاج إلى برهان، هو أن النهاية مختلفة إلى حد بعيد في حياة بعضنا، إن الثقة بالنفس في الحياة هي طريق لتنمية المجتمع الإسلامي، بدون ثقة في النفس لا يستطيع الإنسان أن يقدم شيئاً لمجتمعه وبالتالي لو عمّ هذا الفكر لتوقف نمو المجتمع، وما أروع ما قاله الأديب الكبير مصطفى صادق الرافعي[٢] حين قال: «إذا لم تزد على الدنيا كنت زا' أ عليها».

لن تتحقق الثقة بالنفس في عالم الواحد منا ما لم نؤمن إيماناً صادقاً قوياً اننا أهل لهذه الثقة، وأهل لتحقيق نجاحات في المجتمع، وهذه هي

(١) اكتشاف الذات، سبق، ص٩٠، ١

(٢) سبقت ترجمته ص٦٦.

البداية لطريق التنمية، ومن لم يحسن البداية فلن تكون له نهاية، من أجل ذلك قيل أن أضخم المعارك في حياة الإنسان تلك التي يقضيها الإنسان مع نفسه، وعندما تبدأ معركة المرء بينه وبين نفسه فهو عندئذٍ شخص يستحق الذكر. إن الواثق بنفسه لا يعرف طريق اليأس[1].

يقول الدكتور/ عبدالكريم بكار: لو تأملنا مليّاً في الفوارق الجوهرية بيننا لما وجدناها كبيرة لكن إذا نظرنا في الإنجازات والنجاحات التي يحققها الأشخاص المتشابهون، فإننا سنجدها متباينة إلى حد بعيد. وما ذلك إلا لأن وعينا بذواتنا يختلف اختلافاً كبيراً من شخص إلى آخر.

إن من الثابت أن خطأً واحداً كاحتقار الذات أو الغرور، أو الكسل، أو الفوضى، أو عتمة الرؤية، يمكن أن يصيب فاعلية الواحد منا بالشلل التام، ويُقعده عن تحقيق أمور كثيرة كان بإمكانه الوصول إليها لولا العطب الذي أصاب جانباً من جوانب شخصيته[2].

وهذا كله يدل على أن الشروط المطلوبة للتفوق العظيم كثيرة، ولهذا فإن السواد الأعظم من الناس عبارة عن أشخاص عاديين، فأنت ترى عشرات الألوف من المهندسين والمدرسين والأطباء شديدي التشابه، والمتقاربين في أدائهم، ولا تكاد تجد المتميزين منهم يصلون إلى ٥ ٪ أما المتميزون جداً جداً، فهم قد لا يصلون إلى ٥ بالألف وعلى مقدار ما تدعو هذه الوضعية إلى التشاؤم، تدلنا على وجود إمكانات هائلة للتحسين، وأكثر مما نتخيل إذا توفر لنا شرطان أساسيان:

الأول: وعينا بذاتنا، بالمدلول الواسع لهذه الكلمة.

الثاني: امتلاكنا الإدارة الصلبة (والثقة بالنفس) التي تساعدنا في تجسيد الرؤية في سلوكنا.

---

(١) مستفاد من مقال بعنوان تنمية الذات، مشعل بن عبدالعزيز الفلاحي، مجلة البيان العدد ٢٤٥ سنة ٢٠٠٨ ص٢٦ بتصرف واختصار.

(٢) اكتشاف الذات، سبق، ص١١٩.

ثم يقول: المتفوقون يثقون في قدراتهم الذاتية، ويتوقعون من أنفسهم النجاح ويتصرفون على أساس ذلك، وهم لثقتهم بأنفسهم يجعلون الناس يثقون بهم»[1].

وأمثال هؤلاء ومن كانت هذه صفتهم هم أسبق الناس في تحقيق التنمية، والتقدم والنمو لمجتمعاتهم والتنمية لدي الواثق من نفسه، هي القدرة على الاستمرار في بذل الجهد والإصرار والدأب على تحقيق النجاحات في المجتمع، لذا نري على أرض واقعنا المعاش الدول الفقيرة تنموياً وبينها وبين تحقيق التنمية حواجز وسدود وعقبات، ولا عجب فهي التي وضعتها لأنفسها، وليست وافدة من خارج وإنما كما قال الله تعالى ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ﴾[2]، هذه الدول الهابطة تنموياً حطمت طموحات أبنائها، وجعلت تطلعاتهم وآفاقهم محدودة حتى أوصلت هؤلاء فقط إلى أن يبحثوا عن لقمة العيش ويقنعون بالدون وهي بذلك قد ارتكبت جريمة عظمى لا تغتفر شهد عليها التاريخ وسجلها سلباً على هذه الدولة لأنها قضت وأماتت الإبداع ودفنته بأيديها، من عقول أبناء هذا الجيل الذي كان ينتظر منه، أن يساهم، وأن يبدع، وأن يبتكر لتحقيق التنمية بمفهومها الشامل من أجل رفعة ونمو وتقدم مجتمعه الذي يعيش فيه.

إن على كل إنسان منا دور في المجتمع لابد وأن يقوم به، لكن لا يستطيع الإنسان أن يقوم بالدور المطلوب منه كما نريد نحن وكما يريد مجتمعه، إلا إذا أعدنا الثقة إلى نفسه مرة ثانية، فإن العطاء والبذل ولبد الثقة، فإذا سلمنا جدلاً بأن نجحنا ونجحت المجتمعات السالفة الذكر في إعادة الثقة لنفوس أبنائها، وطفقوا يعملون على تنمية المجتمع ومن قبل على تنمية ذواتهم من جديد، إن الذي يعمل على تنمية مجتمعه، ورفعة أمته، لا يستوي مع من غفل وقعد وكسِل.

(١) اكتشاف الذات، سبق، ص١٢١.

(٢) سورة الشورى، آ: ٣٠.

٣ ـ الخدمة والتضحية بالذات:

أن قيام الأفراد والقائمين على التنمية بأدوارها، كرسالة، وواجب، وليس كعمل مأجور، ورسول الله ﷺ في هذا الباب له سهم عظيم، فهو ﷺ يخرج إلى عالم يتعلق بالشجر، ويسجد للحجر، ويؤله التمر واللبن، يقف على الصفا، وأعلن الرحلة من هناك، وواجه بمفرده جيوش الباطل، والله اعلم وظل يناضل عن رسالته، ويبذل التضحيات من أجل تحقيق أهدافه، ولم يزل كذلك يبذل ويضحي ﷺ حتى قلب موازين التاريخ، وغيَّر معالم القيم، في حياة تلك المجتمعات التي خاض التجربة فيهم، وأعاد الناس جميعاً من تيه الطريق إلى غاية الهدا-، وفي ثنايا الطريق دميت عقباه وكسرت رباعيته، ووضع سلى الجزور على ظهره عليه الصلاة وأزكى السلام والله أعلم. فلم يكتف بهذا، بل ربى ﷺ صحابته الأبرار على التضحية، ووضع الأسس التي تبني عليها أمته، وكان فعله ﷺ أبلغ في كل المواقف، فكان أول المسلمين في لقاء العدو، وسرت هذه الروح في كل مسلم، حتى يكتب أبو بكر لخالد بن الوليد «احرص علي الموت توهب لك الحياة» وأي حياة؟ حياة العزة والمنعة والكرامة، ويكتب خالد للأعداء في كتب المنابذة: «وإلا فقد جئتكم بقوم أحرص علي الموت منكم على الحياة»[1].

وللتضحية أثر كبير في تنمية وتقدم المجتمعات الراقية، ولك أن تنظر إلى المجتمع النبوي، بل ومجتمع الصحابة الكرام، قد وصل إلى القمة والمهابة والرقي ويكفي ما كان لمجتمعات القرون الثلاثة الأولى من سيادة علي الدنيا بأسرها، وا- اعلم، ولقد أصبح الاستعداد للتضحية عالياً لدي جيل الصحابة والتابعين، وتابعيهم، حتى شيدوا لهذا الدين وهذه الأمة أمجادها، والسيرة النبوية المشرفة تعج بالأمثلة ومن ذلك: المثال الأول: مصعب بن عمير[2] كان من أغنى فتيان قريش، وأعطر فتى في قريش،

---

(١) النبي العربي، سبق، ص ٥٨٧ مختصراً.

(٢) مصعب بن عمير بن هاشم القرشي، صحابي، أسلم في مكة، شهد بدراً، واستشهد في أحد، ينظر سير أعلام النبلاء ١٤٥/١.

وأجمل فتى في قريش، ومن أفضلهم لباساً، فضحى بذلك كله واستشهد يوم بدر، ولم تكن عليه سوى بردة، إذا غطوا بها رأسه بدت قدماه، وإذا غطوا بها قدميه بدت رأسه.

المثال الثاني: عندما تجمعت قبائل أسد وغطفان وفزارة وثعلبة وبني مرة وعبس وبعض بني كنانة في الأبرق وذي القصة بجوار المدينة وقد ارتدوا جميعاً عن الإسلام ويقصدون مهاجمة المسلمين، أصّر أبو بكر وهو الخليفة أن يخرج إليهم بنفسه فقال المسلمون: ننشدك الله يا خليفة رسول الله أن تعّرض نفسك، فإنك إن تصب لم يكن للناس نظام، ومقامك أشد على العدو، فابعث رجلاً، فإن أصيب أمّرت بآخر، فقال: «لا والله لا أفعل ولأواسينكم بنفسي»[1].

والمثال الثالث: وهذا ثابت بن قيس حامل را. - الأنصار، ينادي في المسلمين، اللهمّ إني أبرأ إليك مما يعبد هؤلاء، وأشار إلى المرتدين، وأبرأ إليك مما يصنع هؤلاء، وأشار إلى الأعراب، وحفر لنفسه حفرة حتى منتصف ساقيه، وأخذ يقاتل حتى لا تزول الراية من مكانها حتى استشهد.

و من خلال هذه الأمثلة الرائعة على التضحية بالذات، وتقديم الروح رخيصة في سبيل الله، ولأجل دين الله، إن هذا لهو أكبر دليل على تنمية المجتمع، ورقيه وعلو شأنه بين الأمم، ولنا أن نقارن الآن بين تلك القرون الفاضلة وبين مجتمعاتنا الآن، فإنها مقارنة ظالمة فشتان شتان بين الأمرين، فلا يبخلنّ أحد على وطنه، ومجتمعه، ودينه بقطرة دم ترفع رأسه أمام الخلق يوم القيامة ويفوح منه المسك أ. الآبدين. والله أعلم.

٤ ـ الإعداد الإيماني:

وهذا الإعداد الإيماني له علاقة عظيمة بالتنمية إذ أن العقيدة الصحيحة وهي التي تعطي للإنسان القيمة للحياة، وتمنحها الخلود، لذلك فهو يعمل

(١) تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري، ٢،٢٥٦.

من أجل الخلود، ولتحقيق جنته في الدنيا و الآخرة، كما أنه حسب عقيدته خليفة في الأرض، أو خليفة الله في الأرض للتعمير، كما أن الإيمان بالله وباليوم الآخر، وما فيه من نعيم مقيم يمنعه من الظلم والفساد في الأرض، وأكل أموال الناس بالباطل، ومن عامة المحرمات والخبائث والمؤذيات، فيصبح إنساناً نافعاً غير ضار.

وكذلك علاقة الإيمان بالتنمية من ناحيتين:

الإيجابية من حيث الاندفاع نحو العمل الصالح النافع الكثير الدائم الباقي.

السلبية من حيث الامتناع عن الإضرار والجرائم والفساد في الأرض وكل ما فيه ضرر.

وأما العقيدة فتعطي الأمن الداخلي والنفسي لصاحبها، وتجعله متوكلاً على الله تعالى، مع الأخذ بالأسباب، مؤمناً بالقدر خيره وشره، والأمن النفسي يساعد على الإنتاج بشكل طيب، وأما عدم ارتكاب الجرائم فآثاره واضحة على الحفاظ على الأموال وتنميتها، قال الله تعالى ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾[1]، وقال تعالى ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾[2].

٥ ـ الإعداد العلمي والتقني:

وذلك من خلال العلم النافع لكل علوم الحياة الدنيوية والأخروية، ويدخل فيه تحقيق المهارات، والقدرات على الابتكار، وصناعة التقنيات الجديدة، واختراعها و هذا لن يتحقق إلا بالعلم وهو الشرط الأساسي

---

(١) سورة النحل، آية: ٩٧.

(٢) سورة نوح، الآيات: ١٠ ـ ١٢.

ومفتاح التمكين، وليس المقصود به محو الأمية، الذي يعد المرتبة الأدنى، ثم يأتي بعدها محو الجهل بالحقائق، ثم المرتبة الثالثة وهو العلم الشامل النافع المؤثر ولاسيما في مجال التقنيات والوسائل المؤثرة، وقد أشار القرآن الكريم على دور الرسول أمام أمته فقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝﴾[1]، ولهذا كان من وظائف الرسول ﷺ كما بينت الآية، أن من وظائف الرسول القيام بتزكية النفس، وتنميتها بالتخلي من كل الرذائل، مثل الحقد، والحسد، والبغضاء، والفرقة، والخلاف، والكسل، والذل، ثم بتحليتها بجميع الفضائل والقيم السامية، من المحبة، والصفاء، والنقاء، والتواضع، وكذلك التعليم للكتاب وهو أس التنمية وعلى رأس ذلك القرآن الكريم، لكنه يشمل كل كتاب نافع، وصالح للدين والدنيا، وكذلك أشارت الآية إلى تعليم الحكمة، وهي كل شيء نافع، إذن الآية الكريمة تضمنت معظم شرائط التنمية المتمثلة في محو الأمية، ورفع الجهل، وتحقيق العلم النافع.

٥ ـ حماية حقوق الإنسان وكرامته وحريته:

إذ بدونها لا إبداع ولا قدرة، بل يصبح الإنسان في ظل الإستبداد والدكتاتور- وكبت الحريات كالعبد، الذي فقد حريته وإرادته، وقد عبر القرآن عن خطورة الإستبداد والكبت، فقال ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝﴾[2]. وباختصار شديد فإني على يقين بأن إصلاح النظام السياسي شرط أساسي لتحقيق التنمية الشاملة المستدامة، وعلاقة حقوق الإنسان بالتنمية علاقة هامة لأن حياة الإنسان وحريته وكرامته وحقوقه والتعامل معه، بعدل وانصاف

---

(١) سورة الجمعة، آية ٢.

(٢) سورة النحل، آية ٧٦.

يجعله شريكاً فعلياً في العملية الإنتاجية، من أجل هذا ربط الله ﷻ بين كرامة الإنسان، ورزق الطيبات، وتفضيله على كثير من المخلوقات، فقال تعالى ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[1]، فالإنسان المظلوم مضطرب غالباً، ويسعى للثأر من ظالمه، وبالتالي لا يفكر، ولا يمكنه الإبداع، وبالتالي يكون عائقاً من عوائق التنمية.

٦ ـ اختيار القوي الأمين:

أي: أهل الاخلاص والاختصاص للتعمير والإنتاج وكل مفاصل النشاط الاقتصادي، إذ بدون الإخلاص لله تعالى يكون الفساد الإداري، وبدون الاختصاص لايكون هناك التطور والإبداع، وكلاهما من ضروريات التنمية.

والأصل في ذلك قوله تعالى ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾[2].

٧ ـ إحياء الوقف الإسلامي:

الوقف تنمية بشرية، وتنمية اجتماعية، وتنمية اقتصادية، حتى يمكننا القول بأن حضارتنا الإسلامية هي حضارة الوقف، وقد كان له دورعظيم في توفير الحد الأدنى من الطيبات العامة للفقراء، من خلال الأوقاف الخاصة بالفقراء، لإطعامهم وكسوتهم بل وتعليمهم، وتقليل الفروق بينهم وبين الأغنياء، ولهذا لابد من تنمية الموارد الوقفية، وذلك باختيار العناصر الفعالة، المتماسكة، القادرة على التطوير، وضرورة متابعة أداء العاملين بالوقف، ومن الوقف توفير التعليم المجاني للفقراء، وتوفير الأمن الصحي للفقراء والمحتاجين، وكذلك رعاية الأيتام، وكفالتهم، وتربيتهم حيث يساعد

(١) سورة الإسراء، آ. ٧٠.

(٢) سورة القصص، آية ٢٦.

ذلك على الحفاظ على ثروة كبيرة للأمة، لا يستهان بها، وكذلك من الوقف، المساهمة في تطوير العمل الخيري في المجتمع الإسلامي.

٨ ـ فرض ضرائب عادلة معقولة على القادرين:

حيث يجوز للدولة الإسلامية فرض ضرائب عادلة على القادرين، بحيث يستطيعون دفعها بسهولة، من باب الصدقات العامة التي يجوز للدولة إيجابها عد الضرورة أو الحاجة العامة، وهذا رأي جماعة من الفقهاء.

٩ ـ توفير البيئة المناسبة للإ ستثمار والإدخار:

وذلك من خلال توفير الأمن والأمان، وإصدار القوانين التي تحمي الحقوق، وتهيئة البنية التحتية المادية، والمعنوية للتنمية، والاستثمار، وتشجيع المشروعات الصغيرة، والمتوسطة، والكبيرة، لاستيعاب رأس المال، وتجميع الادخار وتوجيهه نحو النماء، هذه هي العوامل التي تعمل على تحقيق التنمية الشاملة.



معوقات التنمية البشرية

١ ـ انسحاب الذات:

وهو نوع من الهروب اللاشعوري أمام الألم حيث تنسحب الذات وتكون مصحوبة بتحريك الصراع من مجال لآخر في الحياة النفسية[1] وهو ما نعايشه صباح مساء، من خلال تعاملنا اليومي مع الناس نلاحظ هناك شريحة من الناس عندما تقابل الموقف، الصدمة، التجديد، التحديث، تجده سريع الهروب محاولاً التخلص مما نزل به، مجرد الخلاص، فلم يفكر في ضرورة إثبات ذاته، بل تجده يرفض تقبل الذات في مثل هذه المواقف. . .

---

(١) الشخصية، مأمون صالح، دار أسامة، الأردن،

لأن مطالب الذات عندئذ كثيرة وهو يرفض تلك المطالب فليس أمامه إلا رفض الكل ليتحرر بانسحاب ذاته من المواجهة والمصادمة، ومن كانت هذه صفاته فهو غير نامٍ، وبالتالي يعيق حركة التنمية، ا- أعلم.

٢ ـ الانكفاء على الذات:

وهي آلية تدفع الإنسان إلى معاقبة ذاته، وهي دفاع عن عاطفة الإثم اللاشعورية وتنطوي هذه الآلية على الرغبة في أن يكون الفرد في وضع حب وعقاب في آن واحد[(١)].

لا نريد من الذات الدفع إلى المعاقبة، وجمع الذات بين الحب والعقاب. جمع مضطرب، لأنها قد تغالي في العقاب على حساب الحب، وهذا حاصل، وإنما الموازنة في الذات والخروج من هذا الانكفاء الذاتي، لذا نري استبدال الحب والعقاب بالحب والحساب بمعني أن يحب الإنسان العطاء والدفع لتنمية ذاته أولاً ثم لتنمية مجتمعه ثانياً والحساب بمعني محاسبة النفس عندما تتخلى عن التنمية والنمو والعطاء. والله أعلم.

٣ ـ غياب الوعي الذاتي:

المجتمعات التي غلب عليها الانغلاق، ومن ثمّ غياب الوعي تخضع لبرمجة قاسية من العادات والتقاليد المبهمة، تعمق جهل أبنائها بأنفسهم بلا شك من خلال عزلهم عن المجتمعات الأخرى، ونظرا لغياب الوعي الذاتي فإنها تقدم معارف مغلوطة، ومشوهة، وعليه تصبح النفس مضطربة عاجزة كلياً عن تقديم آية تنمية أو المشاركة فيها بأدنى جهد ممكن، وفي غياب الوعي الذاتي يملأ العقل ويحشي بالخرافات والأوهام والمعطيات الفاسدة والمعلومات الخاطئة، لذلك ينبغي عودة الذات إلى أن تتعرف على نفسها من جديد، فمن عرف ذاته عرف واقعه، ومن عرف واقعه، عرف مجتمعه، ومن عرف مجتمعه، قدر على تنميته. والله أعلم.

---

(١) الشخصية، نفسه ص١١٦.

المطلب الثالث
التنمية في مجال المسؤولية

المسؤولية من خصائص الدين الإسلامي، وهي تحمُّل المسؤولية تجاه الآخرين، وهي تتميز تماماً عن مسؤوليات البشر، وتتفرد: بأنها أساساً تنبع من ذات المسلم نفسه، ومن داخله، نتيجة لمراقبة الخالق جل وعلا وخوفه منه، طمعاً لما عند الله تعالى من الأجر والثواب.

وتنمية المسؤولية في الإسلام ذات أهمية كبرى في حياة الأفراد والجماعات، وفائدتها عظيمة، وشاملة تعم المجتمع بأكمله، والمسؤولية في الإسلام يتوقف عليها صلاح الأمة كلها، وفسادها كلها، نتصلح بصلاح الراعي وتفسد بفساد الراعي، وصلاح الراعي يتوقف عليه نفسه بحيث يحاسب نفسه في كل صغيرة وكبيرة، فيعلم أنه محاسب، ومؤاخذ على تلك المسؤولية أمام الله تعالى، والمسؤولية في الإسلام ليست لطرف دون طرف، وإنما حمَّل الإسلام المسؤولية لجميع الأطراف، فكل واحد في المجتمع المسلم إلا وعليه مسؤولية، ما عدا الصبي، والمجنون لأنهما غير مكلفين.

وبإلقاء المسؤولية على جميع أطراف المجتمع، يحصل التوازن فيه، فيعلم كل فرد فيه أنه مؤاخذ ومحاسب.

وتنمية المسؤولية تكون بالمحافظة على أدائها، وإنجاز ما كلف الإنسان به، من مسؤوليات في الموعد المقرر، دون تأخير أو تسويف، لأن أداء المسؤولية في وقتها المحدد، دليل على وعي المكلف وفهمه الدقيق لهذا الدين، لأن المجتمع الإسلامي مجتمع متكاتف متآلف، يشد بعضه بعضاً، ولا غنى فيه للمسلم عن أخيه المسلم.

وأساس تلك المسؤولية قوله ﷺ: «كلكم راع، ومسؤول عن رعيته، الإمام راعٍ، ومسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهلّه، ومسؤول عن رعيته،

والمرأة راعية في بيت زوجها، ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راعٍ في مال سيده ومسؤول عن رعيته»[1].

والمسؤولية لغة: مصدر مأخوذ من مادة (س أل) التي تدل على استدعاء معرفة أو ما يؤدي إلى المعرفة، أو استدعاء مال أو ما يؤدي إلى المال[2].

واصطلاحاً: قال الدكتور دراز: نعني بالمسؤولية كون الفرد مكلفاً بأن يقوم ببعض الأشياء وبأن يقدِّم عنها حِساباً إلى غيره وينتج عن هذا التحديد أن فكرة المسؤولية تشمل على علاقة مزدوجة من ناحية الفرد المسؤول بأعماله وعلاقته بمن يحكمون على هذه الأعمال، والمسؤولية قبل كل شيء هي استعداد فطري، إنها المقدرة على أن يُلزم الإنسان نفسه أولاً، والقدرة على أن يفي بعد ذلك بالتزامه بوساطة جهوده الخاصة[3].

وقيل: المسؤولية حالة يكون فيها الإنسان صالحاً للمؤاخذة على أعماله ومُلزماً بتبعاتها المختلفة. وقد قررها القرآن في آيات كثيرة فقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾[4].

وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾[5].

وقال تعالى: ﴿هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾[6].

---

(١) البخاري، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، برقم ٨٩٣، من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) لسان العرب (س أل) (١٩٠٦/٣) ط. دار المعارف.

(٣) دستور الأخلاق في القرآن، محمد عبدالله دراز، ص١٣٨.

(٤) سورة المؤمنون، آية: ١١٥.

(٥) سورة القيامة، آية: ٣٦.

(٦) سورة الجاثية، آية: ٢٩.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٥﴾﴾[1].

وقال تعالى: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٤٤﴾﴾[2].

وقال الدكتور محمد علي الهاشمي: الفرد المسلم يشعر بمسؤوليته عن رعيته، ذلك أن ما من تقصير أو تهاون أو تفريط في جنب الله ورسوله، يقعُ فيه أحد أفراد أسرة هذا المسلم إلا وهو مسؤول عنه: **«كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته...»**[3]، وهذه المسؤولية التي يُحسها المسلم الصادق من جرّاء تفريط أحد أفراد أسرته تحزّ جنبه، فلا يُطيق عليها صبراً، ويسارع في إزالة أسبابها، مهما تكن النتائج، فما يصبر على هذه المسؤولية، وما يطيق السكوت عليها إلا رجل في إيمانه ضعف، وفي دينه رِقَّة[4] وهذه المسؤولية أنواع:

١ - **المسؤولية الدينية**: وهي التزام المرء بأوامر الله ونواهيه، وقبوله في حال المخالفة لعقوبتها، ومصدرها الدين.

٢ - **المسؤولية الاجتماعية**: هي التزام المرء بقوانين المجتمع ونظمه وتقاليده.

وقيل: هي المسؤولية الذاتية عن الجماعة، وتتكون من عناصر ثلاثة، هي: الاهتمام والفهمُ والمشاركة[5].

٣ - **المسؤولية الأخلاقية**: هي حالة تمنح المرء القدرة على تحمل تبعات أعماله، وآثارها ومصدرها الضمير، وكل مسؤولية قبلناها، وارتضينا

(١) سورة الأحزاب، آ: ١٥.
(٢) سورة الزخرف، الآيتان:
(٣) سبق تخريجه.
(٤) شخصية المسلم، محمد علي الهاشمي، ص١٤، ١٥.
(٥) المسؤولية الاجتماعية والشخصية المسلمة، أحمد سيد عثمان، ص٢٦٩.

الالتزام بها فهي مسؤولية أخلاقية، يجب علينا أن نعمل على تنميتها ونموها في المجتمع الإسلامي ليصبح متكاملاً.

٤ ـ **المسؤولية الفرد**: الفرد الإنساني خُلِقَ وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده، ويحاسب وحده، وعليه مسؤوليات متعلقة بوجود الفرد، يحاسب عليها أمام خالقه، وأمام الناس فمن أحسن فله الحسنى، ومن أساء فعليها.

٥ ـ **المسؤولية الصحية بالعمل والكسب لتوفير الغذاء الصحي**، والمسكن الصحي والملبس وغيره لذاته، والابتعاد عن كل ما يضير بصحته الجسمية، والعقلية، والنفسية من المحرمات والمبادرة إلى علاج أي حالة مرضية تلم به.

٦ ـ **المسؤولية العلمية**: بان ينفي عنه معالم الجهل، ويسعى لاكتساب العلم والمعرفة فيما يصلح نفسه ودينه ومقومات حياته، ويؤهله للتصدي لتحديات الحياة، ومواجهة مشكلاتها.

٧ ـ **المسؤولية التقويمية**: بأن يحاسب نفسه بين الحين والحين، ليعرف أي نواحي قصور تعرض لها فيتلافاها، وبذلك يتلافى الإخفاق في مسيرة حياته كلها.

٨ ـ **المسؤولية التنموية**: بتنمية ما آل إليه بالنظرة، أو بالاكتساب من نواح مادية، أو معنوية، ليواكب مستجدات الحياة، ويواجه متطلباتها.

والرسول ﷺ يؤكد على هذه المسؤولية، عن النفس بصفة مستمرة، لتحقيق صلاح الفرد الإنساني ـ ذاتياً ـ لأن في صلاحه ـ صلاح المجتمع ككل، والحياة بتكاملها فيقول ﷺ: **«احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز»**[1].

---

(١) خرجه مسلم، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة به وتفويض المقادير ـ، برقم ٤٩٤٥، من حديث أبي هريرة ﷺ.

٩ ـ **المسؤولية عن الغير بقسميها**: مسؤولية مباشرة، مسؤولية غير مباشرة.

أما المسؤولية المباشرة: بالقيام بالمسؤوليات التي تتعلق به شخصياً، من رعاية الأسرة، وحمايتها، والإنفاق عليها، والعناية بصحة أفرادها والتزامهم بدينهم.

وأما المسؤولية غير المباشرة: بأن يكون ذا تأثير إيجابي في صلاح المجتمع، بكونه قدوة لغيره، فعدالة القاضي، وأمانة التاجر، وإخلاص العالم، ووفاء الصديق، لها تأثير فعّال في إلزام غيرهم بالصلاح مقتدين بهم، وفي الوقت نفسه دلالة على الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومقاومة الظلم، ومساندة العدل إلى غير ذلك والرسول ﷺ يربي المسلمين على النهوض بمجتمعهم، واعتبار كل منهم مسؤولاً عما يدور في مجتمعه، والنهوض بهذه المسؤولية فيقول ﷺ: **«من دل على خير، فله أجر فاعله»**[1].

ويقول: **«من دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً»**[2].

١٠ ـ **المسؤولية الجماعية بقسميها**:

١ ـ **مسؤولية الجماعة عن الفرد**:

الجماعة ما هي إلا مجموعة أفراد، وإذا تخلى عنها الأفراد انفرط عقدها، لذلك فإن فقدان أي فرد أو إصابته أو اعتلاله أو إعاقته، مما جعل التفكير الجمعي ينصب على حماية الأفراد، ورعاية مصالحهم، وهنا يؤكد

---

(١) خرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بركوب وخلافه، برقم ٣٦٢٠ من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه.

(٢) خرجه مسلم، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى، برقم (٤٩٦٠). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الرسول ﷺ على الجماعة، أن ترعى حق الفرد، وألا يهان فرد من المسلمين وسط جماعتهم أو يخاف أو يظلم إلى غير ذلك.

٢ ـ مسؤولية الجماعة عن الجماعة: إن أي جماعة تنتصل من واجباتها، ومسؤولياتها تجاه إصلاح أوضاعها، وتسديد أمورها، تحكم على نفسها بالدمار، وتصبح جميع مقدراتها وثرواتها ومقوماتها نهباً لكل ناهب، حيث تستباح أوطانها ويقهر إنسانها، وتعمها فتن، لا تلحق أضرارها بمشعليها فقط وإنما تحرق وجود الجماعة ككل، والله تعالى يقول: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾[1].

وعلى هذا الأساس يأخذ الرسول الأمة الإسلامية بالوقوف في وجه المنكر، كل حسب قدراته ـ بحيث لا يعفي منه أحداً بالحديث المشهور: **«من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»**[2][3].

والإسلام يعتبر الإنسان مسؤولاً مسؤولية مباشرة أمام الله، ثم أمام الناس، عما يصدر عنه من أقوال وأعمال، بإرادته الحرة، وبذلك يحقق التنمية والنهوض وفق مستويين عامين هما:

١ ـ الالتزام: والالتزام هو الأصل في النهوض بالمسئولية، حيث يقوم كل فرد مسلم بالنهوض بما يترتب عليه من مسؤولية ذاتياً، وبمبادرة منه، لإيمانه بأن القيام بالواجب يقتضي الالتزام بمسؤولياته، لينعم بحقوقه ويحقق التنمية في مجتمعه، والالتزام يمثل قمة الرقي الذاتي الإنساني، إذا يتمثل الإنسان لما يؤمن به فيصبح رقيباً على ذاته، يقوّم إعوجاجها إذا انحرفت، ويُحكم تصرفاته وفق معايير واضحة محددة هي شرع الله، فيحاسب نفسه قبل أن تحاسب، والإنسان هو الذي يعلم تمام العلم إن كان ما يأتيه خيراً

---

(١) سورة الأنفال، آية: ٢٥.

(٢) خرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، برقم ٩٩، من حديث أبي سعيد الخدري.

(٣) النبي العربي، سبق، ص٢٣٣، ٢٣٦.

أو شراً والله تعالى يقول: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۝﴾[1].

والمحاسبة على الالتزام الذاتي تأتي من الخالق ـ جل وعلا ـ لذلك يأخذ الرسول ﷺ المسلمين، بتربية جادة تحقق الالتزام ذاتياً، ولما اشتد به ﷺ وجع المرض قال: **«ائتوني أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً كتاب الله وسنة نبيه ﷺ»**[2].

٢ ـ **الإلزام**: ويتحقق الإلزام بتطبيق الشرع وتنفيذه، بحيث يردع غير الملتزم ويجبره على الالتزام، فإذا كانت القمم الساحقة من البشر، من ذوي الضمائر الحية والقلوب النقية، ملتزمة تلقائياً، والإسلام ينظر إلى عدم الالتزام على أنه حالة مرضية، يجب علاجها بكل وسيلة ممكنة، أما إذا استعصيت على العلاج، وأصبحت تهدد حياة المجتمع، فلا بد من البتر حتى لا تتعمق، ويصبح إصلاح الحياة معها مستحيلاً.

والرسول ﷺ يؤكد على ولاة الأمر تحقيق الإلزام حتى تستقيم الحياة، فيقول: **«أقيموا حدود الله في القريب والبعيد، ولا تأخذكم في الله لومة لائم»**[3].

وقال ﷺ: **«...إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»**[4][5].

والمسؤولية في الإسلام شاملة وبيان ذلك أنها:

١ ـ من ناحية الفرد لقوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ عَمَّا

---

(١) سورة القيامة، الآيتان: ١٤، ١٥.

(٢) خرجه البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته برقم ٤٤٣١ من حديث ابن عباس ﷺ.

(٣) خرجه التبريزي في مشكاة المصابيح، كتاب الحدود، برقم ٣٥٨٧ بإسناد جيد.

(٤) خرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، - (٣٤٧٥)، من حديث عائشة.

(٥) النبي المربي، سبق، ص٢٢٨، ٢٢٩.

كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾[1].

٢ ـ من ناحية الأعمال الخيِّرة والشريرة صغيرة وكبيرة ظاهرة وخفية لقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾[2].

٣ ـ من ناحية الأقوال والألفاظ سِرِّها ونجواها يقول الله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾[3].

٤ ـ من ناحية السمع والبصر يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾[4].

٥ ـ من ناحية النعيم والمال قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾[5].

وقوله ﷺ: **«لا تزولُ قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناهُ، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقهُ، وعن جسمه فيم أبلاه»**[6][7].

وسنتحدث في هذا المطلب عن المسئوليات بصفة عامة: مسؤولية الحاكم، مسؤولية الرجل، مسؤولية المرأة في بيتها، مسؤولية الخادم أو العامل، مسؤولية العالم، مسؤولية الجار عن جاره، مسؤولية الأغنياء عن الفقراء، مسؤولية المسلم عن غيره من المسلمين عامة، ومسؤوليته كذلك

---

(١) سورة الحجر، الآيتان: ٩٢، ٩٣.
(٢) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧، ٨.
(٣) سورة ق، آية: ١٨.
(٤) سورة الإسراء، آية: ٣٦.
(٥) سورة التكاثر، آية: ٨.
(٦) خرجه الترمذي (٢٤١٧)، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب في القيامة، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وقال محقق جامع الأصول (٤٣٦/١٠): وهو كما قال.
(٧) راجع موسوعة نضرة النعيم، سبق، ٣٤٠/٦.

عن الحيوانات وسأبين بعون الله تعالى الحديث عن كل مسؤولية على حده مبيناً كيف تعمل هذه المسؤولية على تنمية المجتمع المسلم؟.

فنقول وبالله التوفيق:

أولاً: مسؤولية الحاكم:

هو المسؤول الأول في المجتمع الإسلامي، وكل من في يديه سلطة فعلية، أو تنفيذية كالوزير، والقاضي، رئيس الدائرة، ومدير الجامعة، ومدير المدرسة، لكن المسؤولية الكبرى تقع على كاهل الحاكم للشعب فهو المسؤول عن الشعب، وبيده السلطة الكاملة، فهو المسؤول الأول عما يحدث لشعبه من خير وشر، لأنه إذا صلح، صلحت الرعية، وإذا فسد فسدت الرعية، تبعاً له، فالحاكم في شعبه كالقلب في الإنسان بالنسبة للجسم، وسائر الأعضاء، فإذا صلح، صلحت سائر الأعضاء، وإذا فسد فسدت الأعضاء كلها؛ لذا قد رفع الله قدر الإمام العادل، بأن يظله تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله فقال ﷺ: **«سبعة يظلهم الله تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله الإمام العادل»**[1] فكان الإمام العادل هو أول من ميزه الله بهذه الميزة العظيمة، أنه نشر العدل والمساواة، بين رعيته، وتبين لنا السنة الشريفة حديث المخزومية: وهو أن المخزومية سرقت، ووصل الأمر إلى الحاكم (رسول الله ﷺ) فقرر قطع يدها، وهناك التمس القوم شخصاً يشفع لهم عند رسول الله ﷺ بأن يصفح عنها، لأنها امرأة شريفة، ومن قبيلة معرو-، فلم يجدوا أمامهم من يجرؤ على الكلام معه سوى أسامة بن زيد[2]، حب رسول الله ﷺ، فكلمه في ذلك، فما كان من رسول الله ﷺ إلا أن وبخه

---

(١) خرجه البخاري، كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، برقم ٦٦٠ من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) هو أسامة بن زيد بن حار-، صحابي ابن صحابي، ولد بمكة، ونشأ على الإسلام، هاجر إلى المدينة، وأمره النبي ﷺ قبل العشرين من عمره، وانتقل إلى دمشق في أيام معاوية، ثم رجع المدينة وتوفي بها سنة ٥٤هـ، سير أعلام النبلاء (٣٤٢/٦).

على موقفه ذلك، ولم يكتف بذلك، بل صعد المنبر معلناً للجميع: إن الناس في الإسلام سواء، لا يعرف شريفاً، ولا وضيعاً، وحذّرهم من أن يقفوا ذلك الموقف غير العادل، وقال: **«إنما أهلك الذين قبلكم أنهم إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وا لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»**[1].

وقد سار الخلفاء ومن بعده على مسيرة العدل المحمدي فهذا خليفته الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه فعندما تولى أمر المسلمين، قام خطيباً، وقال: «قد وُليت عليكم ولستُ بخيركم، ولكن نزل القرآن، وسنَّ النبي السنن فعلمنا، اعلموا أن أكيس الكيس التقوى، وأن أحمق الحمق الفجور، وأن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ له بحقه، وإن أضعفكم عندي القوي حتى آخذ الحق منه، أيها الناس إنما أنا متبع، ولست بمبتدع، فإن أحسنت فأعينوني، وإن زغت فقوموني»[2] هذا أبو بكر الذي قال عمر في حقه: «رحم الله أبا بكر، فقد أتعب من بعده». أما عمر رضي الله عنه، فقد بلغ من اهتمامه بأمور المسلمين، وتحمُّله المسؤولية، وزهده في الدنيا، أنه أمسك مرة بتبنة من الأرض، فقال: يا ليتني هذه التبنة! يا ليتني، لم أكُ شيئاً، يا ليت أمي لم تلدني؛ ومن اهتمامه بالمسؤولية قوله رضي الله عنه، لو أن جَمَلاً، هلك ضياعاً بِشَط الفرات، لخشيت أن يسألني الله عنه[3]، والسؤال الآن: كيف ينمي الحاكم المسؤولية تجاه شعبه؟

فالجواب والله أعلم: يستطيع الحاكم أن ينتهز المسؤولية الملقاة على كاهله فيعمل على تنميتها تجاه شعبه، بأن يكون عادلاً، لا يحابي، لا يجامل، متمنياً نماء أجره عند الله تعالى، محكماً لشريعته سبحانه وتعالى، مدافعاً عن دينه، برفع رايته والله أعلم.

---

(١) خرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، برقم ٣٤٥، من حديث عائشة.

(٢) البداية والنهاية ٥/ ٢١، ٣٠٥/٦.

(٣) سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، د. علي الصلّابي، ط دار المعرفة، لبنان، ٢٠٠٦، ١١٧.

ثانياً: مسؤولية الرجل في بيته:

الرجل رب الأسرة، مسؤول عن مجتمعه الصغير الذي يشرف عليه، عن والديه، وأولاده، وزوجته وخدمه.

أولاً: المسؤولية عن الوالدين: يجب عليه العناية بهما، والنفقة عليهما، وإكرامهما في اليسر والعسر.

قال تعالى: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۝٢٣ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ۝٢٤﴾[1].

ثانياً: مسؤوليته عن أولاده: ما داموا صغاراً فيجب عليه بكل شيء تربيتهم، والنفقة عليهم فلا يقصر في مأكل، أو مشرب، أو ملبس، أو مسكن، وأن يحن عليهم ويعطف عليهم فلا يفضل أحداً على أحد، بالتساوي بينهم في العطف، والحنان، وكذلك مسؤول على توجيههم وتربيتهم وتعليمهم العلم النافع، والأخلاق الحميدة الكريمة، ومن ذلك تعويدهم على الصلاة.

لحديث: «**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر**»[2].

ويجب عليه إبعاد أولاده عن رفقاء السوء، لحديث: «**مثل الجليس الصالح والجليس السوء، كمثل صاحب المسك، وكير الحداد، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد ريحاً خبيثة**»[3].

---

(١) سورة الإسراء، الآيتان: ٢٣، ٢٤.

(٢) خرجه أبو داود، كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة، برقم ٤٣٥، من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده. قال النووي في الخلاصة وإسناده جيد.

(٣) خرجه البخاري، كتاب البيوع وباب في العطار وبيع المسك، برقم (٢١٠١) من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ.

كذلك من مسؤوليته، الاعتناء بالزوجة بأمرها بالتستر والعفاف والفضيلة وتعليم أحكام الشرع الحنيف والإحسان إليها قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[1] ويمكن تنمية هذه المسؤولية ـ مسؤولية الرجل في بيته بما يلي:

١ ـ المراقبة والمتابعة الدائمة للأولاد وكيفية سيرهم على توجيهات الأب وإرشاداته.

٢ ـ المداومة على إرشاد وتوجيه الأبناء.

٣ ـ حث الأسرة جميعاً (البنون، البنات، الزوجة) على طاعة الله وطلب العلم.

٤ ـ تعاهد البيئة الخارجية للأولاد من رفقاء وأصدقاء ـ ومدرسة.

وبهذا كله تحصل التنمية إذ لو تمسك وقام كل أب بدوره الذي أعطاه وكلّفه الشرع به لصلح جزء كبير في المجتمع الإسلامي. والله أعلم.

* * *

تنمية مسؤولية المرأة في بيت زوجها

المرأة في الإسلام لها شأن عظيم فهي تتحمل المسؤولية الكبرى إلى جانب الرجل في بناء الأسرة وتأسيس المجتمع وتنميته، ولها مكانة كبرى في ديننا، وهذا ما شهد به أولُو العلم على مدى التاريخ، فلم تتأخر المرأة في الإسلام عن مواكبة ركب البناء والتأسيس والتنمية في هذه الحياة فترة من الزمن، فكانت على مدى الحياة في ظل الإسلام عزيزة كريمة مصونة تحمل المسؤولية بكل كفاءة، وتتحمل الأعباء بكل جدارة[2] ومسؤولية المرأة في بيتها نوجزها فيما يلي:

---

(١) سورة النساء آية: ١٩.

(٢) المرأة في القرآن والسنة، خالد عبدالرحمن العك، ط، دار الحكمة، سوريا ١٩٩٨م، ص٧، ٨.

المسؤولية الأولى للزوجة القرار في المنزل، كي تقوم بواجبها المنوط بها خير قيام، من رعاية زوج، وتربية أولاد، ومهام المنزل، وفي القرار في البيت تنمية ونمو للفضيلة فيه ولعل سائلاً يسأل: كيف يكون قرار المرأة في البيت تنمية ونمو للفضيلة في المجتمع؟

فالجواب وبالله التوفيق: ألا تشترك معي أن المرأة هي صانعة الرجال وهي دائماً من وراء كل العظماء، فما من عظيم إلا وراءه امرأة جليلة طاهرة كريمة، هي سيدة حيانه، مؤسسة سعادته وبانية مجده، امرأة هذا شأنها عندما تربي أولادها على الخلق والفضيلة والدين ويخرجون إلى المجتمع لينشدون فيه ما تعلموه في المدرسة الكبرى، مدرسة الأم ـ أليس هذا يعد نماء وتنمية ورقي للمجتمع.

وهل المجتمع يكون مجتمعاً إلا بالخلق والأدب والفضيلة والدين من أجل ذلك كله كان قرارها في المنزل تنمية عظيمة للمجتمع، ويظن بعض الجهال أن قرار المرأة في بيتها معناه أنها حبيسة الجدران في المنزل كيف هذا؟ وهي التي تخرج لأداء الصلاة في جماعة، وتخرج لصلاة العيدين، وتخرج لصلاة الاستسقاء وزيارة أهلها، وأقاربها، وتخرج لقضاء حوائجها وشراء ما تحتاجه من ملبس وزينة، بلا إسراف في ذلك لأن القرار في المنزل هو الأصل بالنسبة للمرأة فأين الحبس إذنْ!!

كذلك من مسؤولية المرأة أداء حقوق الزوج عليها، دون تفريط أو إفراط في ذلك لحديث: **«إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحصنت فرجها، وأطاعت بعلها، قيل لها: ادخلي أي أبواب الجنة شاءت»**[1] الأم والأم وحدها، لما وضع الله تعالى فيها من صفات الحب والحنان والعطف والقدرة على تلبية المتطلبات الخاصة بالأولاد. ومن مسؤولياتها الحفاظ على مال زوجها، فلا تتصرف في ماله إلا بإذنه فلا تبذر

(١) خرجه ابن حبان، كتاب الحج، باب الهدي، ذكر إيجاب الجنة للمرأة إذا أطاعت زوجها مع إقامة الفرائض لله، برقم ٤٢٣٧، من حديث أبي هريرة ﷺ، وله شواهد يرقى بها إلى درجة الحسن.

ولا نقتر لأنها مسؤولة على ذلك أمام الله ﷻ. ومن مسؤولياتها ألا تدخل أحداً في بيتها في غياب زوجها، وأن تحافظ على عفتها وكرامتها، وأن تبتعد عن مظان الشك والريبة. ولا تخرج من منزلها إلا بإذن الزوج. وهي مسؤولة أيضاً عن الخدم، تعطيهم حقوقهم، تكلفهم من العمل ما يطيقون، لا تظلمهم، لا تحتقرهم، بل عليها أن تكون سفيرة للإسلام في دعوتها للخدم غير المسلمات بتقديم القدوة، والخلق الحسن عند التعامل معها، ودعوتها للإسلام برفق ومساعدتها في ذلك، فلتؤد المرأة مسؤوليتها، بذلك يستقيم المجتمع وينمو ويتقدم ويسير المجتمع في ركب التنمية الصحيح ففي صلاح المرأة صلاح للمجتمع وفي فسادها فساد للمجتمع.



تنمية مسؤولية الخادم أو العامل

يكثر هذا في بلاد الخليج العربي، وجود خادم يعمل في البيت، على هذا الخادم مسؤولية أمام الله ﷻ، فهو مسؤول أمام الله عما أؤتمن عليه من أسرار، ومسؤول عن رعايته للأعراض، والأموال، والأطفال.

ونقول أنه يجب على كثير من بلدان الإسلام، إغلاق واستقبال غير المسلمين لما في ذلك من سلبيات قد تؤدي إلى عدم تنمية المجتمع، وارتكاب جرائم خطيرة ومشينة أما إذا كان الخادم مسلماً فهو كذلك يجب عليه حماية الأعراض والأموال وأما العامل الذي قمت باستئجاره ووكلته بعمل من الأعمال، فهو مسؤول عن عمله حتى يؤديه صاحبه على أكمل وجه، وأن ينصح العامل في عمله، وأن يتقنه فلا إفراط في العمل ولا تفريط، وإلا سوف يكون مسئولاً عن التقصير يوم القيامة لحديث: **«إن الله تبارك وتعالى يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه»**[1].



(1) خرجه البيهقي في شعب الإيمان، برقم ٥٣١٢، صحيح الجامع برقم ١١٨٠.

تنمية مسؤولية العالم نحو غيره من الناس

العالم عليه مسؤولية ضخمة عظيمة، لا تحد لا مكاناً ولا زماناً، بل هي صالحة لكل زمان ومكان ما دامت الحياة قائمة.

مسؤولية العالم أن يعلم غيره العلوم النافعة وينشرها في الناس وإلا يسأله الله تعالى عن ذلك لحديث: **«من طلب العلم ليجاري به العلماء، أو ليماري به السفهاء، ويصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار»**[1].

ومن مسؤولية العالم النصح لأولياء الأمور بالتي هي أحسن، ومن خلال الأطر الشرعية لحديث: **«الدين النصيحة»**، قلنا: لمن؟ قال: **«لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم»**[2].

وكما هو مسؤول عن تبصير الرعية بما يجب للحاكم عليهم، من الطاعة وحرمة الخروج عليه ووجوب الصبر على أذاه كما هو مقرر عند أهل السنة والجماعة.

وكما أن من مسؤولية العالم تبصير الناس بمعتقد أهل السنة والجماعة وشرحه لهم شرحاً ميسراً.

ومن مسؤولياته كذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من غير منكر لحديث: **«والذي نفسي بيده لتأمرنَّ بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم»**[3].

---

(1) خرجه الترمذي، أبواب العلم عن رسول الله، باب ما جاء فيمن يطلب بعلمه الدنيا، برقم ٢٧٠١ من حديث كعب بن مالك عن أبيه ﷺ، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

(2) خرجه مسلم، كتاب الإيمان، [باب بيا]ن أن الدين النصيحة، برقم ١١١، من حديث تميم الداري ﷺ.

(3) خرجه الترمذي، أبواب الفتن، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر برقم (٢١٨٩)، من حديث حذيفة بن اليمان ﷺ وقال: حديث حسن.

ومن مسؤولياته أن يكون قدوة في نفسه، مبتغياً الأجر من الله ﷺ ومن مسؤولياته: أن يثبت في دعوته، مدافعاً من أجل الحق، ثابتاً على مبادئه وللعلماء في قصة «بلعام بن باعوراء» العبرة والعظة.

ومن مسؤوليات العالم أن يعيش مشاكل مجتمعه وواقعه ويجتهد مع رفاقه في وضع أنجع الحلول.

ومن مسؤوليته العظيمة تعبيد الناس لله ونشر التوحيد ومحاربة البدع والخرافات والجهالات وما أكثرها في بلاد الإسلام.

ومن مسؤوليته كذلك أن يتقي الله فيما يصدر عنه من فتاوى وأن يبلغ دين الله كما أمر الله وعلى مراد الله ورسوله والله أعلم.

* * *



مسؤولية المسلم تجاه اخيه

المسلم عليه مسؤولية كبرى تجاه أخيه المسلم ومن ذلك:

- أن يحب المسلم لأخيه ما يحبه لنفسه في كل شيء يرجع إليه بالفائدة في الدنيا والآخرة، ويكره لأخيه ما يكره لنفسه لحديث رسول الله ﷺ قال: **«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»**[1].

مسؤولية المسلم تحتم عليه أن يكون إيجابياً في مجتمعه، يشارك في رفع راية مجتمعه، بالاجتهاد في دراسته إن كان طالباً، وبالعلم والبحث إن كان أستاذاً.

٣ ـ أن يبدي له النصح، إن استشاره في أمر من الأمور.

---

(١) خرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، برقم ١٣، من حديث أنس بن مالك.

٤ - إذا كلف المسلم أخاه بعمل، نصح له فيه، وقام به على أتم وجه.

٥ - إذا رأى المسلم من أخيه اعوجاجاً في السلوك، أو تقصيراً في الواجبات نصحه بالتي هي أحسن.

- ومن مسؤوليته تجاه أخيه عدم ظلمه، ولا يخونه، لا يخذله ولا يحقره.

٧ - ومن مسؤوليته كذلك أن ينصر أخاه إذا كان ظالماً أو مظلوماً لقوله ﷺ: **«انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً»**[1].

ومن مسؤوليته ستره لأخيه عن هفواته قال ﷺ: **«ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة»**[2].

٩ - ومن مسؤوليته زيارته إذا مرض، ومشاركته أفراحه وأحزانه، ومعاونته والوقوف بجانبه في ضيقه.

* * *

تنمية مسؤولية الجار عن جاره

الجار في الإسلام له شأن كبير، بيَّنته السنة النبوية، في مواطن كثيرة، وله مسؤوليات عظام منها على سبيل الإيجاز:

١ - الإحسان إلى الجار لقوله ﷺ: **«ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»**[3].

---

(١) خرجه البخاري، كتاب المظالم، باب أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً، برقم (٢٤٤٣) من حديث أنس ﷺ.

(٢) خرجه البخاري، كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، برقم (٢٤٤٢) من حديث عبدالله بن عمر ﷺ.

(٣) خرجه البخاري، كتاب الأدب، باب الوصاة بالجار، برقم ٦٠١٥، من حديث عبدالله بن عمر ﷺ.

قال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرم جاره»[1].

كف الأذى عنه، وعدم الإساءة إليه بقول أو فعل، أو إشارة لقوله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره»[2].

٣ - والصبر على إيذائه، فقد جاء رجل إلى النبي ﷺ يشكو جاره فقال له ﷺ: «اذهب فاصبر» فأتاه مرتين، أو ثلاثاً فقال: «اذهب فاطرح متاعك في الطريق»، فطرح متاعه في الطريق فجعل الناس يسألونه فيخبرهم خبره، فجعل الناس يلعنونه. فعل الله به وفعل وفعل فجاء إليه جاره فقال له: ارجع لا ترى مني شيئاً تكرهه[3].

ومن مسؤولية الجار حفظ أسراره وعرضه.

ومن مسؤولية زيارته إذا مرض، ومشاركته في أفراحه وأحزانه ومساعدته إذا احتاج مالاً «والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه»[4].



مسؤولية الأغنياء عن الفقراء

اقتضت حكمة الله ﷻ أن يتفاوت الناس في المال بين غني وفقير، وجعل لكل منهما مسؤولية يجب عليه يقوم بها ومن مسؤولية الأغنياء:

---

(١) خرجه البخاري، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره برقم ٦٠١٩، من حديث أبي شريح العدوي ﷺ.

(٢) خرجه البخاري، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، برقم (٦٠١٨)، من حديث أبي هريرة.

(٣) خرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في حق الجوار، برقم (٤٥٥١)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٤) رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، برقم (٤٩٩٦)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

ليعلم الأغنياء، أن المال الذي بأيديهم، هو مال الله تعالى، وضعه أمانة في أيديهم، واستخلفهم فيه، ولا بد إذاً من طاعته سبحانه وتعالى في تلك الأمانة، ووضعها في موضعها، وهي أن يضع ما فرضه الله تعالى في أيدي الفقراء والمساكين كما دل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾[1].

ومسئولية الأغنياء عن الفقراء، لا تتوقف عند حد إيصال الفقراء حقوقهم، بل حذر كل التحذير من الإساءة إلى الفقراء، فحذّر من المن، والأذى الذي بالفقير من الغني قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾﴾[2].

٣ - وجعل الصدقة، إذا كانت فضلاً خفية، أفضل من العلانية، لكي لا يتضرر الفقير برؤية الناس له، فكان المتصدق من السبعة: «**الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله**»[3].

وحذر الله تعالى الغني من انتهار للفقراء قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾﴾[4].

* * *

(١) سورة التوبة، آ: ٦٠.

(٢) سورة البقرة، آ: ٢٦٤.

(٣) رواه البخاري، كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة برقم (٦٦٠) من حديث أبي هريرة.

(٤) سورة الضحى، آ: ١٠.

المسؤولية عن الحيوانات

الإسلام رفع مكانة المسلم إلى مرتبة عالية وكرمه ورفع قدره.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾[1] بل جعل للحيوانات معاملة خاصة، لذلك يجب على المسلم أن يعلم أنه محاسب ومؤاخذ على ما تحت يديه من حيوانات والمسؤولية عن الحيوانات تتجسد فيما يلي:

١ - توفير الطعام والشراب لها، وأن يقوم بواجبه خير قيام، كما أنه محاسب على التقصير في حقها.

حذَّر من إيذائها سواء كانت مملوكة له أو لغيره، إنسياً أو وحشياً لذا قال ﷺ: «عُذبتْ امرأة في هرة حبستها، حتى ماتت فدخلت فيها النار لا هي أطعمتها، ولا سقتها إذ حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض»[2].

٣ - وقد نهى رسول الله ﷺ أن تصبر البهائم[3]، وهي أن تحبس وهي حية، لتُقتل بالرمي ونحوه وقد رأى ﷺ حماراً قد وسم في وجهه فقال: «لعن الله الذي وسمه»[4].

والخلاصة مما تقدم جميعاً من أنواع المسؤولية أن المسؤولية تنمي الإخلاص في العمل والثبات عليه، والمسؤولية تنمي كسب ثقة الناس واعتزازهم به، والمسؤولية تنمي الشعور لدى الشخص المسؤول بالسعادة والله أعلم.

* * *

(١) سورة الإسراء، ـ: ٧٠.

(٢) خرجه البخاري، كتاب المساقاة، باب فضل سقي الماء، برقم ٢٣٦٥ من حديث عبدالله بن عمر ﷺ.

(٣) خرجه البخاري، كتاب الذبائح، باب ما يكره من المثلة، برقم (٥٥١٣) من حديث أنس بن مالك ﷺ.

(٤) خرجه مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن ضرب الحيوان في وجهه ووسمه، برقم ٤٠٦٩، من حديث جابر بن عبدالله بن عمر ﷺ.

المطلب الرابع
التنمية في مجال التربية

إن التحديات التي تواجه أمتنا في ظل عالم اليوم الذي أُطلق عليه بحق عالم الانفجار المعرفي والتكنولوجي، يفرض علينا مواجهة هذا التحدي بتخطيط تنموي شامل ومدروس، قائم على الإبداع العلمي والتربوي، لذا أقول: لا بد من وضع خطة ميدانية وبرنامج تنفيذي يصلحان كقاعدة صلبة لانطلاقة حقيقية لعمل إسلامي مشترك طويل النفس يربط بين حلقتي التعليم والتنمية، لأن كلاهما مرتبط بالآخر في كل مجتمع، فلا تربية حقيقية ولا تعليم صحيح، ما لم يؤديا وظيفة التنمية بمفهومها الإنساني الشامل، ولا تنمية حقيقية ولا اقتصاد ناجح ما لم يتزود بكوادر عالية المستوى جامعة في مراحلها التعليمية بين التكوين النظري، والتجربة العلمية، ولذا نقول دائماً أن التربية منطلق التنمية وانطلاقاً من مسؤولية التربية يهدف محور التربية في هذا العالم المتغير إلى تنمية التربية وجعلها أداة التنمية الشاملة.

وفي هذه السطور نبين أمرين مهمين؛ الأمر الأول: نشير إلى البرامج «الأربعة للتربية والتنمية في هذا العالم المتغير» التي أثيرت في الندوة التي عقدتها المنظمات العربية في دولة الكويت تحت شعار «الندوة الفكرية حول تطوير المنظمة وتحديثها[1] في محور التربية والتنمية في عالم متغير».

البرنامج الأول: تحديث الفكر التربوي العربي:

ويسعى هذا البرنامج لإيجاد فلسفة عربية تربوية متميزة في أهدافها وسياساتها معتمدة على فلسفة اجتماعية تأخذ بقيم العدالة، والحرية، والمساواة والمشاركة والابتكار والإبداع ثم الانطلاق إلى «مستقبل آت» تكون فيه التربية متطورة ومتجددة ذاتياً وقادرة على الأخذ والعطاء في حوارها مع

---

(١) مجلة التربية، اللجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم، العدد العاشر بعد المائة، السنة الثالثة والعشرون، سبتمبر ١٩٩٤م، ص٥٦، ٥٧.

الآخرين، وتحديث النظم التربوية واستخدام التقنيات، ووسائل الاتصال الحديثة ورفع كفاءة التعليم، والعناية بأنماط التعليم المختلفة بجانب التعليم النظامي، وتشجيع التعليم المستمر للوصول بالتعليم إلى بناءِ «المجتمع المتعلم» وليس «النخبة المتعلمة»... ثم الارتقاء بفلسفة التربية إلى بناء «المجتمع العربي المثقف بالثقافة القومية»، المؤمن بقيمها الإيجابية القادر على ربط الثقافة القومية بإيجابيات الثقافات الأخرى وبخاصة في جوانبها الحديثة المتصلة بالثورة العلمية والتقنية.

البرنامج الثاني: تعميم التعليم الأساسي ومحو الأمية:

وذلك عن طريق تحقيق إلزامية التعليم على الأقل في المرحلة الابتدائية، وتوسيع آفاق التعليم إلى فضاءات أرحب، وبخاصة من خلال التعليم قبل المدرسة في البادية والريف العربي، وبالإفادة من كل المؤسسات والتجارب التقليدية في هذا المجال بدعمها وتطويرها في أهدافها وأساليبها ووسائلها، وزيادة التركيز في تعليم المرأة والفئات المحرومة الأخرى في المجتمع العربي من المعوزين واللاجئين والمعاقين واللامبالين... ثم الارتقاء بكفاءة التعليم الأساسي لجعله أداة لخدمة البيئة والمجتمع.

وفي مقدمة هذا السعي، تكتسب محاربة الأمية أهمية خاصة حيث يشكل الأميون أكثر من نصف المجتمع العربي، وسيتم ذلك عن طريق تكثيف الحملات الشاملة لمحو الأمية وتعليم الكبار والاهتمام بالتعليم الموازي باعتباره رافداً هاماً من روافد العملية التربوية المستمرة.

البرنامج الثالث: تطوير التعليم الثانوي والتقني والمهني:

ينال هذا النوع من التعليم أهمية خاصة لدوره في إحداث التنمية، وفي نقل التكنولوجيا وتوسيع سوق العمل، ولمواجهة ذلك لا بد من تطوير سياساته ونظمه ومناهجه ومحتوياته، وربط التعليم الثانوي بالتعليم المهني وبالعكس، مما يقتضي بذل جهد مكثف لنقل تجارب الدول المتقدمة في هذا المجال، ويتأكد دور المنظمة العربية بالكويت أيضاً في تشجيع المبادرات القومية والقُطرية للعناية بقطاع الشباب وبتشجيع قيمة العمل المهني

والبدوي لديهم، وإعطاء أهمية خاصة لتكوين شخصيتهم القومية بترسيخ الهوية الثقافية العربية.

وسوف يبذل جهد خاص في مستوى المنظمة العربية بالكويت، والتنسيق مع الأقطار العربية لتطوير محتوى وأساليب تدريس الرياضيات والفيزياء والمعلوماتية لسد النقص في هذه التخصصات لما لها من أهمية خاصة في تنمية الحركة العلمية والثقافية الحديثة في الوطن العربي.

البرنامج الرابع: تحسين نوعية التعليم العالي في سبيل العلم والثقافة:

يأتي على رأس أولويات التعليم في الوطن العربي تعزيز دور مؤسسات التعليم العالي لحل مشكلات التنمية الاجتماعية والاقتصادية ولمواكبة العصر في الاكتشافات العلمية والتكنولوجية الحديثة، وبخاصة في تلك المجالات التي تتصل مباشرة بقضايا التنمية في الوطن العربي كالتقنية البيولوجية، والطاقة المتجددة، وتقنية الحاسوب والدوائر الالكترونية والتقنيات السمعية والبصرية.

كما سيبذل جهد خاص لتطوير دراسات التعليم في العلوم التطبيقية والتركيز على مجالات ذات أهمية في التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الوطن العربي، وفي هذا السياق سوف تهتم المنظمة بتطوير سياسات التعليم العالي، لتراعي التوازن بين التخصصات المختلفة، وفقاً لمطالب التنمية الشاملة، وذلك للحد من تخريج المثقفين أو المتعلمين العاطلين وشبه العاطلين، وتطوير سياسات القبول لتمكين الطلاب من الكبار والراشدين، من الالتحاق بمؤسسات التعليم العالي المختلفة.

ومن البرامج الروافد:

١ ـ العناية باللغة العربية وتطوير أساليبها:

حيث ستمثل اللغة العربية مكانة متميزة في مجمل نشاط المنظمة حتى نهاية هذا القرن من خلال برنامجها الكبير عبر القطاعات في موضوع

التعريب والترجمة، كما سيولي هذا المحور (التربية والتنمية الشاملة في عالم متغير) عناية خاصة للغة العربية تعلم وكوسيلة تعليم.

٢ ـ تعليم الفئات الخاصة:

يهتم هذا البرنامج اهتماماً خاصًا بالمعوقين، كما رأت المنظمة أن يعالج موضوع الموهوبين في برامج متكاملة عبر القطاعات بعنوان «العناية بالنوابغ والموهوبين» وسوف تولي المنظمة عناية خاصة لإعداد وتدريب المعاقين.

٣ ـ الارتقاء بمهنة التعليم:

ويركز هذا البرنامج على تعزيز مكانة المعلم والارتقاء بمهنته ليحمل رسالة قومية في الأصالة والتجديد في المجتمع العربي من ناحية، وليكون المعلم العربي مربياً حقيقياً لا معلماً فقط، وسيكون من اهتمامات المنظمة تمكين المعلمين من المشاركة في جهود التنمية الشاملة من خلال تنظيماتهم الثقافية والمهنية والاجتماعية بالتعاون مع المنظمات العربية ذات الاهتمام المشترك بتنمية الموارد البشرية، وذلك عن طريق تطوير تشريعات العمل وتوثيق الصلة بين المعلمين وبين كليات التربية ومعاهد المعلمين لتأمين المشاركة المطلوبة بينهم في شتى مجالات التصور والتطبيق.

٤ ـ النهوض بالمطالعة لدى الأطفال:

الهدف الأساسي من هذا البرنامج هو ربط الصلة بين الكتاب وبين الأطفال العرب منذ المراحل الأولى من حياتهم وإقامة علاقة حميمة بين الأطفال والمطالعة وتنميتها بصفة مستمرة بحيث تصبح المطالعة أمر لا غنى عنه يمارسه الطفل العربي في كل مراحل نموه بتلقائية طوال حياته[1].

ومن خلال اطلاعي على توصيات وبرامج الندوة خاصة محور «التربية

---

(١) مجلة التربية، سبق، ص٥٨، ٥٩.

والتنمية في عالم متغير» التي عقدتها المنظمة العربية في دولة الكويت نقول وبالله التوفيق.

صحيح أن الندوة خلصت في نهاية أمرها إلى برامج وتوصيات غاية في الدقة والجودة إننا كثيراً في بلادنا العربية نقضي الساعات الطوال حول التنظير النظري الذي قد يؤصل موضوعاً معيناً نحتاجه الآن أو بعد حين، لكن الأهم من هذا كله ... أن تعقد لجنة بعد الانتهاء من مثل هذه الندوات وذلك لمتابعة وتنفيذ هذه التوصيات على أرض الواقع ومتابعتها بدقة وعناية واهتمام ثم ترفع التقارير إلى اللجان العليا بأن التوصيات طبقت ونفذت بالفعل والذي لم ينفذ يُضرب له مدة محددة لإنجازه وهكذا وبهذه الطريقة تستفيد مجتمعاتنا العربية بمثل هذه الندوات بالتنمية الحقيقية لمجتمعاتنا...

إن التنمية الشاملة في المجتمع لا تحصل بتأصيل نظري، أو تنظير باهت، وإنما تحصل بتضافر الجهود وتعاونها المستمر، والفاعل وشحذ جميع طاقات المجتمع وتعبئتها لأجل رفع را- المجتمع، وتنميته وقد تكون أسباب التنمية تحت أيدينا في بلادنا لكننا لا ننتبه إليها، لأننا لم نضع التنمية في (عين اليقين) بل أبقيناها علم يقين فقط ... لكن بالمتابعة المستمرة ... والالتحام والتعاون فيما بيننا والمسارعة لسد خلة بعضنا البعض تصبح التنمية في بلادنا (حق اليقين) والله أعلم.

والأمر الثاني: نتناول التنمية في مجال التربية من خلال المنظور الإسلامي المنضبط بالكتاب والسنة فقول وبالله التوفيق:

تختلف التربية الإسلامية عن غيرها من أنواع التربية بأن التربية الإسلامية من صنع الخالق جل وعلا، ومن توجيهات النبي ﷺ أما التربية الأخرى فهي من صنع البشر ... إذن ... البون شاسع والفارق كبير جداً بين الاثنين ولا مقارنة بينهما أصلاً.

التربية: لغة فعله ربي، يربي، تربية، فالرب: هو الله سبحانه وتعالى.

ورب كل شيء: مالكه ومستحقه. الرب السيد المطاع، والرب المصلح.

فالتربية هي: عملية واعية مضبوطة تؤدي لإحداث تغيرات في سلوك الفرد، وهي عملية مستمرة ضابطة لسلوك الفرد من ميلاده حتى مماته[1]، والتربية تحمل معنى التنمية، وتبدأ التربية في الإسلام بتعلم العلم، والعمل على نشره، وتعليمه للغير لحديث: «خيركم من تعلم القرآن وعلّمه»[2]، لأن العلم هو أساس التربية قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[3]، ويقول تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾[4]، والعلم، والتربية متلازمان، لا ينفصلان، وهما ضروريان للمجتمع والتربية مستمرة ويحياها الفرد في جميع أوقاته، ويتفاعل معها، فينميها باستمرار في عباداته، وفي أخلاقه، وفي معاملاته. وإن كنا قد تحدثنا في الفصل الثالث في المطلب الثاني في التنمية الروحية عند الحديث عن التنمية في مجال العبادات وتحدثنا هناك عن التنمية إلا أننا هنا نتحدث عن العبادات ودورها التنموي في التربية فمثلاً الصلاة نجد أن المسلم مرتبط دوماً بالصلوات التي هي عماد الدين، ولها غايات تربوية أنها تدل المسلم على الطريق المستقيم الذي يرضي خالقه، فهي تعرج بروحه إلى خالقه سبحانه وتعالى كل يوم خمس مرات يؤدي صلاة بعد صلاة، فالصلاة تربي المسلم على النظام، فلا يجوز لمصلي أن يتقدم أو يتأخر عن الإمام وتربيه على النظافة فلا صلاة بغير طهور، وتربيه كذلك على احترام الوقت فلا تجوز الصلاة قبل الأذان ولذا عرّف الفقهاء الأذان قالوا: الإعلام بدخول الوقت وكذلك تربيه على التواضع والانكسار فما السجود وتعفير الجباه لله ﷻ إلا تدريب على التواضع والانكسار والذل لله ﷻ حيث يضع أعلى مكان في جسمه على

(١) مجلة التربية، سبق، ٦٠.

(٢) خرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، برقم ٥٠٢٧، من حديث عثمان ﷺ.

(٣) سورة طه، آية: ١١٤.

(٤) سورة الزمر، آية: ٩.

الأرض وتربيه على المراقبة والخشوع فالله تعالى يراك وأنت تصلي فهو سبحانه وتعالى مطلع عليك وعلى قلبك أين هو وأنت تصلي! لذلك يقول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝﴾[1] وكذلك تربي الصلاة المسلم على القرب من الله، فلا يلجأ إلى غيره ولا يدعو غيره ولا يشكو إلا إليه لحديث: «أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر»[2] وقال تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾[3] وكذلك تربي الصلاة المسلم على قوة الإرادة فهذا عبد يتوضأ بالماء البارد ويترك فراشة الهين الليّن ويهب لصلاة الفجر ولا يفعل ذلك إلا قوي الإرادة. وكذلك تربي الصلاة المسلم على الصبر وهل يصبر على الطاعة إلا من أنار الله قلبه بالإيمان لذلك قال تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ۝﴾[4]، فهذا ابن عباس جاءه خبر موت ولده فنزل من على دابته وصلى، ولما سئل عن ذلك قال: ألم يقل الله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ . . .﴾[5] مما أعده له من الجنة وحسن نعيمها. والصلاة تربي العبد على زيادة الإيمان فكلما ازداد العبد طاعة كلما ازداد إيماناً قال الله تعالى: ﴿لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾[6] والصلاة تربي العبد على كراهية المعصية قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾[7] الصلاة تربي العبد على الإقبال على الله والانسلاخ من الدنيا، ألا تتفق معي أن العبد إذ دخل في تكبيرة الإحرام انسلخ من الدنيا وأقبل على الله وحرُم عليه كل شيء ثم تأتي الزكاة ودورها الفاعل في التربية، الزكاة تربي العبد

---

(١) سورة المؤمنون، آ : ٢.

(٢) خرجه الترمذي، أبواب الدعوات، باب في دعاء الضيف، برقم (٣٦٦٠)، من حديث عمرو بن عبسة ﷺ، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

(٣) سورة ، آ : ١٦.

(٤) سورة البقرة، آ :

(٥) سورة البقرة، آ :

(٦) سورة الفتح، آ :

(٧) سورة الحجرات، :

على تأليف القلوب، وكذلك الزكاة تربي العبد على التكافل الاجتماعي وحصول التضامن بين الناس، والزكاة أيضاً تربي القلوب على الطهارة من البغض والكراهية والحسد فيكون المجتمع كما قال رسول الله ﷺ: **«كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى»**[1]، كما أن الزكاة تربي العبد على حمل هم الآخرين، فمما لا شك فيه أن العبد يحمل هم الفقير فيفكر فيه فيعطيه من ماله. ولذا أجاز بعض الفقهاء إخراج الزكاة للفقير قبل أوان استحقاقها من باب حمل همه ومساعدته في حل مشاكله الآجلة والعاجلة. الزكاة تربي العبد على الطهارة والنماء والتزكية قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝﴾[2].

والزكاة ترفع العبد من المذلة إلى العزة والكرامة، فإن الغني إذا امتنع عن إعطاء زكاة أمواله سيتحول الفقراء إلى متسولين في الشوارع هنا وهناك لكن إذا صرفت الزكاة للفقراء فإنها تمنعهم من التسول وتحفظ عليهم دينهم، وأما الصوم فله دور عظيم في التربية فهو تدريب على تنمية الإحساس عند الأغنياء بإخوانهم المحتاجين، كما أن الصوم تدريب على السمو الروحي. كذلك الصوم تدريب على الإخلاص ومراقبة الله ﷻ، فهو حفظ للنفس من الرياء.

وأما دور الحج فعظيم فمن أعظم الدروس والعبر أنه تدريب على التوحيد فالكل قد وحّد لباسه، والتقوا جميعاً في مكان واحد، ويلبون بنداء واحد ليخرج الحاج من هذه العبادة وقد أخذ عهداً مع ربه سبحانه وتعالى ألا ينادي إلا هو ولا يطلب إلا منه فقد طلب منه في عرفات الله واستجاب له. كما أن الحج تدريب على التضحية. وهو تدريب على التوكل على الله وصدق اللجوء إليه، فيترك ماله وولده وأهله ويتوكل على الله ومن توكل

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، برقم ٦٠١١، من حديث النعمان بن بشير ﷺ.

(٢) سورة التوبة، آ : ١٠٣.

على الله كفاه. وتدريب على المساواة فلا فرق بين شريف ووضيع ولا بين غني وفقير، ولا بين حاكم ومحكوم ولا بين رئيس ومرؤوس.

والحج تدريب على حصول الألفة والترابط بين المسلمين، فلقد انصهروا جميعاً على عرفات الكل يناجي ربه، كل فرد بجانب أخيه من بلد أخرى فيتعاونون ويترابطون ... ويتراحمون.

كما أن الكفارات كذلك لها دور تربوي بالغ الأهمية فلقد اهتم الشارع بجلب المصالح ودرء المفاسد، وذلك لإصلاح حال الإنسان ودفع فساده، لأنه لما كان هو المهيمن على هذا العالم، اعتنت الشرائع السماوية به لصلاح العالم الذي يتحقق صلاحه بصلاح الإنسان، والمجتمع يصلح بصلاح الأفراد، الذين هم أجزاء نوعه لذلك كانت معالجة الفرد من حيث تزكية نفسه وصفاء باطنه، لأن الباطن هو محرك الإنسان إلى الأعمال الصالحة، كما يشمل صلاحه صلاح عقله، وصلاح عمله، وصلاح ما بين يديه من موجودات العالم الذي يعيش فيه[1].

من هنا جاءت الكفارات التي كانت نمطاً من أنماط الإصلاح النفسي، ونمطاً فريداً لجبر خطيئة الإنسان، وإبراء ذمته من اعتدائه على حقوق الله، أو حقوق الإنسان، التي حذّر الخالق منها بقوله: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾[2] لأن الكفارات وجبت إما بسبب ارتكاب المحظور أو بسبب التقصير أو بسبب نقص واجب من واجبات الحج.

وفي حالتي التقصير والمحظور، يشعر الإنسان بالمسؤولية بسبب التفريط والإهمال أو بسبب الإصرار والقصد إلى الفعل، لأن ما فعله تفريطاً أو قصداً يضر بنظام الجماعة أو بعقائدها أو بحياة أفرادها، أو بأموالهم، أو بأعراضهم، أو بمشاعرهم، أو بغير ذلك من شتى الاعتبارات التي تستوجب على الجماعة صيانتها وعدم التفريط فيها، وهدف الشارع من الكفارات ليس

(١) مقاصد الشريعة، محمد الطاهر بن عاشور، ص٦٣ الشركة التونسية للتوزيع.
(٢) سورة الطلاق، آية: ١.

الانتقام وإنما الكفارات معالجة النفس البشرية، وسعي إلى تطهيرها وتزكيتها وتنميتها، لأن في تزكيتها صلاح باطنه، وفي صلاح الباطن صلاح الجوارح التي هي محرك الإنسان إلى الأعمال المفيدة. قال النعمان بن بشير[1]: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «. . .**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**»[2]. ثم عالج بعد ذلك إصلاح العمل الذي يحصل بالتدرج إجابة لتزكية النفس، وتدرجاً مع مراحل تطهير النفس، ونتيجة لذلك كانت بعض الأحكام الشرعية، منها الكفارات التي كان تنفيذها منوطاً بالوازع الديني، وهو وازع الإيمان بالله، المتفرع عن الرجاء والخوف، الرجاء في رحمة الله والخوف من عقابه، قال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[3].

وبهذه الكفارة يصلح الإنسان أمر نفسه، بتعليمها الانضباط والصبر على الملمّات، والاقتراب من الله، وبذلك يتبع أوامره، ويبتعد عن نواهيه، ويتعوّد الإنابة إليه والتوكل عليه، والعطاء المالي الذي تقتضيه الكفارة يقوي الإرادة، ويهذّب الوجدان، ويرشد الفكر إلى المنهج القويم، والصراط المستقيم. وبهذا تكون الكفارات حاملة للتربية الفردية والجماعية، وفيها إصلاح اللسان الذي ينطق أحياناً بما يستوجب الكفارة، وبذلك تتطهر الألسنة وتشتد المراقبة عليها من طرف أصحابها حتى لا يقعوا فيما وقع فيه غيرهم من أداء الكفارات أو ما جنته ألسنتهم عليهم بما هو أعظم جرماً، قال معاذ بن جبل[4]: كنت مع النبي ﷺ في سفر فأصبحت يوماً قريباً منه

---

(١) النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي، توفي (٦٥ ـ ٦٨٥م) ابن حجر، الإصابة ٥٥٩/٣.

(٢) خرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، برقم ٥٢، من حديث النعمان بن بشير ﷺ.

(٣) سورة البقرة، آ: ٢٣٥.

(٤) معاذ بن جبل بن عمر الأنصاري الخزرجي، شهد العقبة والمشاهد كلها، رسول رسول الله إلى اليمن توفي (١٧هـ ـ ٦٣٩م) ابن حجر في الإصابة (٤٣٦/٣)، والسير (٤٤٣/١٠).

ونحن نسير، ثم قال: «... ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ قلت: بلى يا نبي الله، فأخذ بلسانه قال: «كفَّ عليك هذا»، فقلت: يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به، فقال: «ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكبُّ الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم»[(1)(2)].

وقد علمنا مما سبق أن العبادات، هي السبيل للترابط، وهي التربية الصادقة التي تربي الإنسان وكذلك الآداب والأخلاق الإسلامية توحد بين المسلمين، وتنمي الإخوة الصادقة بينهم، وزيادة المحبة فيما بينهم إذ أن طريقة الإسلام في تنمية التربية من خلال ما ذكرنا هي معالجة هذا الكائن معالجة كاملة، شاملة، ثم من خلال ما سبق من تربية العبادات للخلق والفضيلة فإنها كذلك تربي الضمير وتنميه في الإنسان، إذ بالضمير صلاح الأعمال وفسادها، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ۝﴾[(3)].

وإذا أهملنا الضمير وأهملنا تربيته وذلك بعدم تنميته فإننا بذلك الإهمال نكون قد أهملنا ولا شك الجسم كله، ولا شيء ينمي الضمير ويقويه ويثبته فلا يضعف ولا ينهزم غير الإيمان بالله ﷻ فالإيمان متبوع والضمير الإنساني الحي تابع. والله أعلم.

ولكي تؤدي التربية دورها في التنمية الشاملة المتوازنة فلا بد من التنمية في مجال الدين، إيجاد مداخل عمل مقترحة تتمثل في:

١ ـ تحديد الأهداف التربوية حسب النوع والمراحل.

٢ ـ ضرورة إعداد المعلمين، وتدريبهم وتطويرهم، واختبارهم على أسس علمية رصينة ضمن لجان على مستوى عال من الثقافة والتربية.

---

(١) خرجه الترمذي، أبوا الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، برقم ٢٦٦١، من حديث معاذ بن جبل ﷺ وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) الكفارات في ضوء القرآن والسنة، الميلودي بن جمعة، مؤسسة المعارف، بيروت، ٢٠٠٢ م.

(٣) سورة الشمس، الآيات: (٧ ـ ١٠

تطوير المباني والمرافق المدرسية والتجهيزات.

تطوير سبل التمويل والإنفاق.

ضرورة وضع برنامج تربوي مدروس لتعميم التعليم الأساسي ومحو الأمية.

تنويع التعليم الثانوي وربطه باحتياجات المجتمع ومتطلبات سوق العمل.

والحقيقة أنه كي تتم التنمية على أسس علمية وأهداف واضحة جيدة ويكون لها الأثر الفاعل في المجتمع لا بد من القرار السياسي ويشمل هذا القرار:

ـ إعداد الأولوية للتعليم وتجديده وتطويره.

ـ غرس الاعتماد على الذات والتعليم الذاتي لدى أبناء الجيل الجديد.

ـ اعتماد القاعدة الإسلامية بأن الأصل في الأشياء الإباحة والكف عن التوسع في التشدد والتضييق، والأوامر والنواهي ـ التي ربما تدخل في باب العادات والتقاليد وضرورة تنقيح المناهج الدراسية وفقاً لذلك.

ـ التركيز على التفكير العلمي[1].

ولقد أوضح النداء المسمى بنداء «عمّان» أن تطوير التربية للمستقبل يقوم على:

١ ـ صياغة بيئة التعليم على مقومات تمكن المتعلم من النمو المستمر إلى أقصى ما تسمح به طاقاته و- راته.

---

(١) وقد صدرت هذه النداءات عن «مؤتمر تعليم الأمة العربية في القرن الحادي والعشرين»، (عمان ١٩٩٠م) انظر: التربية والتنمية، د. عبدالعزيز عبدالله الجلال، الدار التربوية للدراسات والاستشارات، الرياض، ١٤١٦هـ، ص١٥ مختصراً.

التركيز في العملية التربوية على تعليم كيفية التعلم بديلاً عن أساليب التلقين وثقافة الذاكرة.

- إقامة الجسور التعليمية ونقاط العبور المتعددة بين حلقات النظام التعليمي ومراحله وأنواعه.

٤ ـ الاهتمام بالتعليم غير النظامي والتعليم الذاتي والتدرب المتواصل وتعليم الكبار باعتبارها أنماطاً من التعليم المستمر الذي تتزايد الحاجة إليه في ضوء التنامي المتسارع للمعرفة والمهارة والقدرات التكنولوجية لقوة العمل.

القضاء على الأمية ورصد كافة الموارد والإمكانات لذلك عن طريق خطة وطنية شاملة تهدف في الوقت ذاته إلى استيعاب جميع الأطفال للقضاء على الأمية في منابعها.

فك الارتباط بين الشهادة والوظيفة، وفك الارتباط بين الشهادة وتسعير أجرها.

توزيع الأعباء بين الدولة والمجتمع المدني في تحمل مسؤوليات التعليم تخطيطاً وتنظيماً وتمويلاً وتقويماً.

التأكيد على تكوين القدرات الذهنية التي تركز على قدرة التعامل مع المجهول بديلاً عن مجرد الإلمام بالمعلوم، وعلى القدرة التي تحيط بالنظرة الكلية، وتنظيم التخصص على قاعدة عريضة من المعلومات.

الحاجة الملحة إلى التوحد وتجاوز التباينات في أنماط المؤسسات التربوية بما يرسخ ثقافة قومية مشتركة.

١٠ ـ تأكيد الأهمية البالغة لدور المعلم في التطوير النوعي لتعليم المستقبل الذي ينبغي أن يعد إعداداً رصيناً في مادته العلمية وفي تكوينه المهني، وينبغي أن يشمل هذا الإعداد إدراكه لمشكلات العصر ولخصائص المجتمع العربي وتدريبه على استعمال أحدث وسائل

الاتصال التكنولوجية في التعليم[1].

ومما سبق يتبين أن النظام التربوي له دور كبير في تحقيق التنمية الشاملة ذات البعد الإنساني.

والتربية الناجحة تسهم في تحقيق التنمية الشاملة وأن التنمية الشاملة تساهم في نجاح التربية في نفس الوقت والسؤال هل تستطيع التربية التعامل مع المعطيات الثقافية والاستفادة من بعضها وتطوير بعضها لتسهم تلك المعطيات في نجاح التربية وفي تحقيق التنمية عن طريق ترسيخ ثقافة يمكن أن تسمى «ثقافة التنمية».

وللإجابة على هذا السؤال يقول الدكتور / عبدالعزيز عبدالله الجلال: أن الثقافة السائدة في أي مجتمع وبالذات قيمها الضمنية أو المعلنة تؤثر على السلوك الفردي والجمعي، للفرد العادي، ولصانع القرار، للمتعلم وغير المتعلم، فإذا كانت الثقافة السائدة حاضنة للسلوك التنموي، يلاحظ مساهمتها الإيجابية، وإن كانت القيم السلبية هي السائدة في ثقافة المجتمع فيلاحظ مساهمتها السلبية وإعاقتها للتنمية بشكل عام، بل يلاحظ إعاقتها لنجاح النظام التربوي، فالقيم الثقافية تسيطر على سلوك الطالب والمعلم والمدير وكل فرد من العاملين في المؤسسة التربوية ويتحقق نجاح التربية بوجود قيم ثقافية تنسجم مع متطلبات التحول الاجتماعي ومعطيات التنمية والقدرة على استبطان ثقافة العلم والتقنية والتفكير النقدي والموضوعية والإبداع والإنتاج وعلى ذلك تكون ثقافة التنمية هي القيم الثقافية المحركة والمحيط الثقافي الحاضن لقيم التنمية والسلوك التنموي في المجتمع، وإن أصدق وصف للعلاقة بين الثقافة والتربية والتنمية أنها علاقة تبادلية بمعنى أن نجاح التربية يسهم في تغيير الواقع الثقافي ويسهم في تحقيق التنمية وتحقيق التنمية يسهم في نجاح التربية ويكون الناتج النهائي هو توليد وترسيخ «ثقافة التنمية» للمجتمع، وإذا ما سادت هذه الثقافة فإن بقية المساعي ستكون أكثر

---

(١) التربية والتنمية، مرجع سابق، ص١٧ مختصراً.

فعالية، وستكون «التنمية الشاملة» يوجهها الإنسان أو حسب التعبير الجديد «التنمية البشرية» هي السائدة والقادرة على الاستمرار والنمو حسب تطور المجتمعات واحتياجاتها.

ولإلقاء بعض العمق على قضية تأثير الثقافة وقيمها السائدة على مسيرة التربية ومسيرة التنمية في المجتمعات العربية فإن هذا يلزم منا التركيز على القيم وأنماط السلوك السلبية التي تعمل من طرف خفي على إعاقة التنمية من هذه الأنماط السلوكية السلبية:

- غياب الحوار الأسري بين الأبناء (الجيل الجديد) وبين السلطة المطلقة المتمثلة في (الأب ـ الأم ـ الأخ الأكبر ـ إلخ) وانتقال هذه النمط والقيمة إلى المؤسسة التربوية (المدرسة) حيث السلطة المطلقة للمدير والمعلم على الطالب وفقد الحوار والتعبير عن الذات والقمع أولاً بأول وموت الموهبة والإبداع، إن وجود مثل هذا النسق سيكون له تأثيره السلبي تربوياً وتنموياً في نفس الوقت حيث لا يشجع الإبداع والمبادرة والحوار والموضوعية والتفكير النقدي.

ومن الأنماط السلبية كذلك تصارع القيم داخل القبيلة والقرية وتوريث العصبية القبلية لأبناء الجيل الجديد، وهذا يناقض متطلبات الحضارة والتنمية.

ومن الأنماط السلبية كذلك الموقف المختلف من قضية تعليم المرأة[1] والوصول بها إلى المستوى الثقافي المرضي ونؤكد أن الواقع المعاش يشهد شهادة صدق لوجود هذه الأنماط ويشهد كذلك أن المرأة الحاصلة مثلاً على الإعدادية لها ثقافة غير الأخرى الحاصلة على الثانوية غير مثيلتها الحاصلة على الليسانس أو البكالوريوس، مما لا شك فيه أنها تكون أقدر على الموازنة بين الأمور الحياتية، وزيادة الوعي لديها سيكون لها التأثير الإيجابي في تربيتها لولدها خاصة في

(١) التربية والتنمية، مرجع سابق، ص١٩، ٢٠ مختصراً.

مساعدته في مذاكرة كثير من الدروس العلمية وغيرها، وهذا بدوره يخلق أثراً إيجابياً بحصول الابن على الدرجات العالية ولعل قائلاً يقول في الماضي: كانت أمهاتنا أميات لا يعرفن القراءة والكتابة ومع ذلك خرّجن الطبيب والمخترع والمهندس. . . إلخ.

وأن اختلاف متطلبات الأزمنة وهجوم الصراع التكنولوجي له أثر كبير وفاعل في قضية التربية فالزمان غير الزمان والجيل غير الجيل والمعطيات غير المعطيات والمدخلات والمخرجات غير المدخلات والمخرجات.

وإذا اتفقنا أن التعليم الجامعي الحالي لا يصلح للبنت مثلاً فلا بد إذن من توفير البديل الإسلامي الآمن الذي يضمن للبنت النقلة النوعية التي تؤهلها كي تكون زوجة واعية فاهمة لكافة الحقوق عليها، إذن لا بد أن يكون هناك مؤسسات ودور تعليم نسائية تتعلم فيها الفتاة ما يؤهلها كي تكون زوجة مسلمة يتخرج على أيديها الجيل الإسلامي المنشود، التركيز على المعلوم من الدين بالضرورة أولاً بالنسبة للمرأة أي تعلم ما يصح به عقيدتها وصلاتها. كمرحلة أولى ثم تتدرج في طلب الأمور والعلوم الأخرى كل حسب ما يرى ويحب فما المانع أن نرى الداعية المتخصصة في التوحيد والعقيدة والأخرى في الفقه والثالثة في التفسير والرابعة في الحديث وهكذا وكتب السير طافحة بمثل هذا، ونرى أن انتشار مثل هذه الثقافة يعمل بصورة جادة إلى حدوث إيجابيات فاعلة جداً في قضية تنمية المجتمع وازدهاره وتبوُؤ الأماكن المتقدمة بين الحضارات والأمم ونخلص من ذلك إلى أن:

المرأة المتعلمة المثقفة الداعية سيكون لها دورها في تكريس أنماط السلوك والقيم الإيجابية لدى نتاجها.

وإن غياب المرأة المتعلمة ووجود المرأة غير المتعلمة سيكون لها دورها في تكريس أنماط السلوك والقيم السلبية لدى نتاجها كذلك ويكوّن في النهاية معوقاً شديداً من معوقات التنمية.

وإذا كان الأمر كذلك ـ الكلام ما زال مستمراً للباحث ـ وكانت ثقافتنا

تحتوي على معوقات للتربية والتنمية نتيجة لسيطرة بعض القيم والسلوكيات السلبية كما أشرنا فإننا بحاجة ماسة إلى فرز وانتقاء القيم والسلوكيات حتى تسهم في تحقيق التنمية وتمكين التربية من تحقيق الدور المنشود في شمول العملية التنموية من هذه القيم المنتقاة:

ـ العدل وتكافؤ الفرص ـ العدالة الاجتماعية والتضامن والتعاون والتآخي والترابط والترحم العائلي ـ والتزام العلم والعلماء ـ احترام العمل ـ الشورى وحرية الرأي ـ الجهاد في سبيل الحق ـ احترام الإنسان وتأكيد حقوقه ـ التناصح والتواصي والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ تنمية الثروة وحسن استخدامها ـ رعاية الفقراء أو اليتامى والمساكين، رعاية ذي القربى والحفاظ على حقوقهم.

إن ترسيخ مثل هذه القيم في النفوس له أثره الكبير والفاعل في تنمية المجتمع وتقدمه. والله أعلم.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

الفصل الخامس

التنمية في مجال الجهاد من خلال السنة النبوية

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: التربية العسكرية.

المطلب الثاني: تنمية مقومات الجسم العسكري.

المطلب الثالث: تنمية الروح الجهادية.

المطلب الرابع: تنمية الكفايات التعبوية.

المطلب الخامس: الإرهاب وأثره السلبي في التنمية.



مدخل

لا تقوم الحروب إلا بالإنسان ـ مهاجماً أو مدافعاً ـ والإنسان له مقومان: معنوي ومادي، وبقدر قوة وعنفوان كل من المقومين وتعاظمهما تكون كفاية الإنسان في كل مجال من مجالات الحياة. ومنها المجال العسكري وقد وعى الرسول ﷺ هذه الحقيقة فكان للجهاد منزلة عظيمة عنده، من أجل إعلاء كلمة الله ولتحقيق الحسم العسكري السريع تخفيفاً لآثار أمد لحرب، وهذا ما سنبينه في المطالب الخمسة بعون الله تعالى.

* * *

المطلب الأول
التربية العسكرية والإعداد العسكري

نقول وبالله التوفيق:

اهتم الرسول ﷺ بتأهيل الفرد الإنساني وإعداده وتربيته على العزة والكرامة حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[1]. وانطلاقاً من هذه الخبرية فقد ربى رسول الله صحابته الكرام على حب التضحية وبذل النفس رخيصة

---

(١) سورة آل عمران، آ: ١١٠.

في سبيل الله، وكذلك رباهم على الصدع بالحق ومواجهة الآخرين به دون تشهير أو تنكيل به فهذا أبو بكر الصديق عندما أنفذ بعث أسامة قائلاً:

(لا تخونوا، ولا تغدروا، ولا تغلُوا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً ولا شيخاً كبيراً، ولا امرأة، ولا تفرقوا نخلاً، ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا للأكل، وإذا مررتم بقوم فرّغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرّغوا أنفسهم له)[1].

فإذا كانت هذه هي أخلاق المسلمين في الحرب فما بالنا بأخلاقهم في السلم!!

إن التربية العسكرية تنمي لدى الفرد المسلم كيف يحمي عقيدته ودينه قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾[2].

كذلك التربية العسكرية تنمي لدى المسلم الثقة بالنفس وقوة التوكل على الله تعالى وكذلك رباهم ﷺ على رفض الظلم عند المواجهة والوقوف بجانب المظلوم دون النظر إلى لونه ودينه، ووطنه وجنسه.

ومن التربية العسكرية التي ربى رسول الله عليها أصحابه أن يكون المسلم إيجابياً فاعلاً لا أن يكون رقماً من الأرقام على هامش الأحداث في بيئته ومجتمعه، فقد كان النبي ﷺ محط أنظار مجتمعه، حتى لقب بالأمين، شاهد هذا من الأمانة مع العدو في القتال فلا يخن العهد والميثاق بينه وبين عدوه وكذلك الإيجابية في الدفاع عن الوطن وعدم التخلي عنه في أحلك الظروف ومهما كانت الأسباب.

وكذلك إذا علم الجنود أن قائدهم متصف بالأمانة، فإنهم ولا شك

---

(١) فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم، د. علي محمد الصلابي، ط دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، ط ٤، ١٤٢٧ هـ ـ ٢٠٠٦ م، ص ٥٠٠.

(٢) سورة البقرة، آ: ١٩٣.

يثقون في توجيهاته وفي منهجه، والتربية العسكرية لها أسس متينة وعظيمة لا بد من غرسها في نفوس المربين وقد تجلت سورة العصر بإبراز أسس التربية العسكرية قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝﴾[1].

فأول هذه الأسس: الإيمان بالله، فهو من أهم عوامل النصر فكان جيش الإسلام مؤمناً بربه، واثقاً بنصره، متوكلاً عليه، **والثاني**: العمل الصالح والإخلاص فيه إذ لا بد عند إعداد الأفراد إعداداً ربانياً أن يتربى المسلم على أن تكون أقواله، وأعماله، وجهاده كله لوجه الله تعالى وابتغاء مرضاته ويصبح بذلك جندياً ربانياً.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝﴾[2].

إن الإخلاص ركن من أركان قبول العمل، ومعلوم أن العمل عند ا لا يقبل إلا بالإخلاص، وتصحيح النية، وبموافقة السنة والشرع[3].

والثالث: التواصي بالحق، حيث يؤدي هذا إلى تقوية صلة الأفراد بعضهم ببعض لا سيما إن كانوا محاربين.

والرابع: التواصي بالصبر وهذه صفة عظيمة وبالغة الأثر في التربية العسكرية حيث الصبر والثبات على لقاء العدو قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ۝﴾[4].

ثم إن القيادة العسكرية مثل أي قيادة تحتاج إلى موهبة وعلم وفن،

---

(١) سورة العصر الآيات: (١، ٢، ٣).

(٢) سورة الأنعام، آية: ١٦٢.

(٣) مختصراً من السيرة النبوية، عرض وقائع وتحليل أحداث، د. علي محمد الصلابي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط١، ٢٠٠١ م، ١١٩/١.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٢٣.

والإعداد لها يعني تمكين الفرد الموهوب من علومها وتمرسه بفنونها، بحيث يصبح قادراً على ممارستها على أساس من العلم والمعرفة والدراية والإتقان المحكم لجميع الفنون التي تتطلبها.

إن اختيار مجموعة من الأفراد نقوم بتربيتهم تربية عسكرية لا بد أن تتوافر فيهم المقومات القيادية الأساسية الفطرية من مواهب وملكات وإرادة وقدرات وشخصية واثقة، فإن ذلك لا يعني قيامهم بالدور القيادي وإنما لا بد من إكسابهم المقومات المكتسبة من علوم ومعارف عسكرية متخصصة وتعمق في علم النفس وإحكام للمعلوماتية بكل مفاهيمها وتنمية وترسيخ المعتقدات وربطهم بالقيم والأخلاق.

وكذلك ربط الأفراد بالقائد والتفافهم حوله فإذا رُسخ في أذهان الجند أن قائدهم عالي الأخلاق، رفيع القيم، سامي الفضائل، أحاطوه بكل احترامهم، وتقديرهم، وأولوه ثقتهم ومحبتهم وطاعتهم، بل واتخذوه قدوة لهم، واتخذوا تصرفاته أسوة يتأسون بها، وقائد هذه صفاته جدير أن يقود أمته للنصر، لذا نجد أن سيدنا عمر ﷺ ـ في رسالة إلى سعد بن أبي وقاص في مسيرة إلى العراق قال له: (وآمرك ومن معك بتقوى الله، وأن تكونوا أشد احتراساً من المعاصي منكم من عدوكم ـ واسألوا الله العون على أنفسكم، كما تسألونه النصر على عدوكم)[1].

* * *

المطلب الثاني
تنمية مقومات الحسم العسكري

المقومات المعنوية للفرد الإنساني، والتي أصبح يطلق عليها مسمى

(1) الفاروق القائد، محمود شيت خطاب، مكتبة الحياة، بيروت، ط٢، ص٩٤، ٩٥، باختصار.

(الروح المعنوية) أصبحت أهم ما يهتم به أي جيش من الجيوش، وعليها مدار الكسب في أي معركة، لأنها تمد القائد الإنساني بقوة جبارة، تجعله يقاتل بإيمان ووجدان عميق، فيواجه كل المواقف بقوة وبسالة، يبذل أقصى ما لديه لتحقيق الشهادة في سبيله، أما إذا كانت الروح المعنوية مزعزعة، ضعيفة، فإن الجندي قلما يصبر ويتحمل ويثبت، عندئذ يدفعه خوفه وحرصه على الحياة على أن يولي الأدبار، راضياً وقانعاً بحياة الخنوع والذلة.

ألا ترى معي أن الصحابة ـ ﷺ ـ كانت روحهم المعنوية عالية، يقاتلون ببسالة، يحرصون على الشهادة أشد من حرص عدوهم على الحياة، والسبب هو دفع النبي ﷺ لهم وتحريضهم على الشهادة، ونظراً لكون المسلمين أقل عدداً وعدة من أعدائهم، فقد عمل الرسول الكريم ﷺ، بكل جهد على الارتقاء بالحشد المعنوي للمسلمين قبل دخول المعركة كي تعوض الروح المعنوية قصورَ العدد والعدة.

قبل النصف الثاني من هذا القرن العشرين كان مشاهير القادة العسكريين مثل نابليون بونابارت، وهتلر، وغيرهم، يعتبرون أن ٧٥ ٪ من مقومات الحسم العسكري والنصر على الأعداء، تعود إلى الروح المعنوية للمقاتلين، وأن ٢٥ ٪ تعود للنواحي المادية على اختلاف مكوناتها.

إلا أن استخدام الأسلحة النووية والهيدروجينية وما إليها من أسلحة الدمار الشامل، كالصواريخ العابرة للقارات والطائرات العسكرية التي تفوق سرعة الصوت والالكترونات الدقيقة التي تحدد الأهداف إلى غير ذلك، جعلت نسبة الحسم العسكري تتراجع[1].

لقد بقي الرسول ﷺ ثلاثة عشر عاماً في مكة، يحاصره طغيان الطغاة وتطارده سفاهة السفهاء، وجهالة الجهلاء، ويرى بعينيه ما يتعرض له صحابته الكرام من قتل وتعذيب وتنكيل ومع ذلك لم يحرك ساكناً، لم

---

(١) بين العقيدة والقيادة، اللواء، محمود شيت خطاب، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٢، ص٣٤.

يشهر سيفاً ولم يشرع رمحاً، جاء العباس بن عبادة[1] ﷺ - إلى النبي ﷺ بعد بيعة العقبة الثانية قائلاً:

والذي بعثك بالحق، إن شئت لنميلن غداً على أهل منى بسيوفنا.

فقال ﷺ: «لا، لم نؤمر بذلك». فلماذا.[2].

لأن النبي ﷺ كان يعلم حق العلم أن القتال لا يحسم بفوران العواطف ولا بالعقوبة في المواجهة، وإنما لا بد من الإعداد الشامل المتكامل معنوياً ومادياً، ولما كان التحشيد المعنوي هو العامل الأكثر حسماً فقد بدأ ﷺ به على ما يلي:

١ - التمكين للمعتقدات:

مما لا شك فيه أن معتقدات الإنسان تغير وتشكل كيانه المعنوي وتكون كذلك نسيجه الفكري والعاطفي، بحيث تصبح تصوراته وتصرفاته ومواقفه في الحياة محكومة بما يؤمن به ويعتقده وعلى ذلك تتحكم المعتقدات في كل منحي من مناحي حياته.

وقد جاءت العقيدة الإسلامية بمفاهيم ومسلّمات تختلف كلياً عما يرسخ في أذهان أبناء المجتمع المكي ولهذا قالوا للنبي ﷺ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾[3]، وقالوا: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ۝٧﴾[4]، ثورة على العادات والأعراف والمألوفات، ولا يمكن الركون في الإيمان إلى القول باللسان، فما يبرزه الظاهر قد لا يتوافق مع ما تكنه السرائر، لذلك كان عنصر الوقت عاملاً

---

(١) العباس بن عبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان بن زيد بن غنم بن سالم بن عوف الأنصاري الخزرجي، من أصحاب العقبة، هاجر مع رسول الله إلى المدينة، انظر: الإصابة لابن حجر (٣/٦٣٠).

(٢) النبي العربي، سبق، ص٥٦٣.

( ) سورة الزخرف، ـ: ٢٢.

(٤) سورة ص، ـ: ٧.

هاماً للحكم على رسوخ المعتقدات، واستثمره ﷺ في التعميق للمعتقدات الإسلامية الجديدة في عقول وقلوب المسلمين مدة إقامتهم في مكة برؤية وعقلانية وحوار هادئ هادف وبنّاء.

لقد أدرك الرسول ﷺ أن الروح المعنوية وإن كانت لازمة لكل إنسان في كل عمل وكل تصرف وكل موقف، إلا أنها أعظم أهمية للمقاتل، فهو عندما يخوض غمار المعركة لا بدّ له من التضحية التي تحتّم على الصبر والثبات والفداء، وهو هنا لا يضحي بمال أو عقار أو ممتلكات يملك غيرها أو يمكنه تعويضها، وإنما يضحي بروحه التي لا يملك غيرها، ولا يمكنه تعويضها، والإنسان بفطرته حريص على الحياة، لذلك لن يضحي بروحه إلا في سبيل ما هو أهم عنده من الحياة وأبقى، وما من شيء يمكن اعتباره كذلك سوى العقيدة، حيث يؤمن إيماناً راسخاً لا يتزعزع، بأن موته في هذه الحياة ليس فناء أبدياً وتلاشياً نهائياً، وإنما هو انتقال من دار إلى دار، محاطاً برضا الله تعالى، وعنايته مع الشهداء والصديقين والأبرار، وإذا أمعنا النظر في معركة بدر وهي موطن الابتلاء الحقيقي الأول للمسلمين، نجد أن الرسول ﷺ لم يقرر خوض المعركة ابتداء، وإنما اختبر مدى رسوخ المعتقدات في نفوس المسلمين، ومدى استعدادهم للتضحية قبل الإقدام بهم من على مواطن التضحية، فقال قولته المشهورة: «**أشيروا عليّ أيها الناس**» لماذا؟ لأن المشورة ستفرز تقويماً موضوعياً لمدى رسوخ العقيدة وكان كما يلي:

تكلم أبو بكر ثم عمر ـ رضي الله عنهما ـ فجزاهما خيراً ـ ثم أعاد القول: «**أشيروا عليّ أيها الناس**».

تقدم المقداد بن عمرو[1] فقال: «يا رسول الله، امض لما أراك الله

---

(1) المقداد بن عمرو ويعرف بابن الأسود، الكندي البهراني الحضرمي، أبو معبد، صحابي من الأبطال، أحد السبعة الذين كانوا أول من أظهر الاسلام، وأول من قاتل على فرس في سبيل الله وشهد بدراً وسكن المدينة، وتوفي على مقربة منها، انظر: الأعلام للزركلي (٢٨٢/٧).

فنحن معك، والله لن نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا هاهنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق، لو سرت بنا إلى برك الغماد ـ موضع باليمن ـ لجالدنا معك دونه حتى تبلغ . . .».

لقد كان المشيرون كلهم من المهاجرين، وهؤلاء كان حرياً بهم أن تتعمق العقيدة في نفوسهم بعد قرابة خمسة عشر يوماً من البعثة، لكن هناك فئة أخرى وهم الأنصار، حديثة العهد بالإسلام فما موقفها؟

هنا نهض سعد بن معاذ[1] ﷺ فقال: والله لكأنك تريدنا يا رسول ا". قال: «نعم»، فقال سعد: يا رسول الله: لقد آمنا بك وصدّقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت، فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق، لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلّف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، وإنا لصبر في الحرب، صدق عند اللقاء، ولعل الله يريك بنا ما تقرّ به عينك، فسر على بركة ا"[2].

عندما اطمأن الرسول ﷺ إلى تمكن المعتقدات من نفوس المسلمين قال: «سيروا أبشروا» وساروا وكانت البشرى، عصف رجال العقيدة بالمشركين عصفاً، وانتصروا على قلة عددهم وعتادهم ـ ٣١٣ رجلاً ليس معهم سوى فرسين والسلاح الفردي ـ على قادة الكفر برغم كثرة عددهم وعتادهم ـ ٩٥٠ رجلاً، ومائة فرس وكل أنواع الأسلحة المتوافرة آنذاك ومثلما كان رسول الله ﷺ حريصاً على التمكين للمعتقدات، كان حريصاً أيضاً على التعبئة النفسية لصحابته الكرام ففي كل معركة خاضها المسلمون

---

(١) هو سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس أبو عمرو الأنصاري الأوسي البدري، أسلم على يد مصعب بن عمير، كان سيداً في قومه، توفي يوم الخندق سنة ٥هـ. ينظر سير أعلام النبلاء ١/ ٢٧٩.

(٢) السيرة النبوية، عبدالملك بن هشام، دار المنار، القاهرة، ١٩٩٤، ج٢، ص٥٣٨ بتصرف.

ضد الشرك وأهله كانت التعبئة النفسية لدى المسلمين تصل إلى أعلى مدى ممكن، لذلك كان المسلمون يقاتلون عن إيمان عميق بعدالة موقفهم، مما أمدهم بتصميم لا يوجد له مثيل في الانتصار على من يستهدفون دينهم ومعتقداتهم وحريتهم وكرامتهم.

والمثال على ذلك من غزوة بدر، لقد جاءت المعركة بعد تعبئة نفسية ضد المشركين وسادتهم جعلت التضحية هيّنة يسيرة.

لم يكن المهاجرون قد نسوا التعذيب والتنكيل والبطش والتجبر والظلم الذي صبّه عليهم سادة قريش صباً، فكانوا في قمة التعبئة النفسية ضدهم، وكانوا هؤلاء يرون ما حدث لنبيهم من المشركين، وما حدث لإخوانهم المسلمين على أيدي عتاة قريش، وكان شباب الأنصار يسألون عن أدق التفاصيل، وكلما سمعوا جديداً أضاف شحنات من التعبئة النفسية ضد هؤلاء الطغاة.

وجاءت معركة بدر، وعلم أولئك وهؤلاء، بأن بين الخارجين للقتال رؤوس الكفر كأبي جهل، وأمية بن خلف، وعتبة بن ربيعة، وعقبة بن أبي معيط وغيرهم، فتعاظمت التعبئة النفسية، ودليل ذلك ما قاله عبدالرحمن بن عوف ـ ﷺ ـ: إني لواقف يوم بدر في الصف، فنظرت عن يميني وشمالي فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثة أسنانهما، فتمنيت أن أكون بين اثنين أقدر منهما، فغمزني أحدهما وقال: يا عمّ، أتعرف أبا جهل؟

قلت: نعم، وما حاجتك إليه؟

قال: لقد علمت أنه كان يسب رسول الله ويؤذ . ، فوالذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا. فتعجبت لذلك، وغمزني الآخر، وقال مثل قول صاحبه، فما سرني حينئذ أنني بين أي رجلين مكانهما، وأشرت لهما إلى أبي جهل، فشدّا عليه مثل صقرين، وابتدراه بسيفيهما حتى قتلاه، وهما: معاذ بن عمرو بن الجموح[1]،

---

(1) معاذ بن عمرو بن الجموح بن كعب الأنصاري الخزرجي السلمي، المدني البدري، شهد بدراً، وروى عنه ابن عباس، عاش إلى زمن عثمان، أنظر سير أعلام النبلاء (١/ ٢٤٩).

ومعاذ بن عفراء[1].

ويرى بلال[2] أمية بن خلف ـ وهو الذي كان يعذبه في مكة ـ وكان قد استسلم للزبير بن العوام[3] ﷺ فيندفع إليه بلال بسيفه، ويمنعه الزبير، فيصيح بلال: رأس الكفر أمية بن خلف، لا نجوت إن نجا ثم يصيح: يا أنصار الله، رأس الكفر أمية بن خلف، لا نجوت إن نجا، وكان مجرد ذكر الاسم كافياً لأن تغلي النفوس ضده، فالكل يعلم ما كان يقوم به من دنيء الفعال، ويندفع الأنصار نحوهما[4].

ولمَ تكن التعبئة النفسية ضد يهود الذين جاهروا بعداوة الإسلام وأهله وارتكبوا من التآمر والغدر والخيانة ما يفوق الاحتمال، ولا ضد الروم الذين قتلوا رسول رسول الله، وقتلوا أمير معان العربي شرَّ قتلة لأنه أسلم وتحريضهم عرب الشمال ضد المسلمين وبخاصة في موقعة مؤتة، ثم إعدادهم لغزو المدينة، وتحريضهم للمرتدين إلى غير ذلك، ولا ضد الفرس الذين استبدوا بعرب العراق، ومزّق زعيمهم رسالة الرسول قبل أن يقرأها، وأمر عامله على اليمن أن يرسل إليه برسول الله مكبلاً، وكان لهم تاريخهم الطويل في التنكيل بالعرب، لم تكن التعبئة النفسية ضد هؤلاء بأقل منها ضد المشركين، لذلك ما كان يتاح اللقاء مع أي قوة من هذه القوى حتى يعصف المسلمون بها عصفاً[5].

* * *

---

(1) معاذ بن عفراء هو معاذ بن الحارث بن رفاعة بن الحارث بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي المعروف بابن عفراء، شهد بدراً، الإصابة في معرفة الصحابة (١٤٠/٦).

(2) سبق ترجمته.

(3) الزبير بن العوام بن خويلد يلتقي مع النبي ﷺ في النسب، أول من سل سيفه في سبيل الله، هاجر إلى الحبشة، قتل في رجب سنة ٣٦هـ . انظر: سير أعلام النبلاء (٤١/١).

(4) تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري، سابق، ج٢ ص٥ بتصرف.

(5) النبي العربي، سبق، ص٥٦٦ باختصار.

المطلب الثالث
تنمية الروح الجهادية

الجهاد في الإسلام (أعني جهاد الكفار) فرض كفاية، إذا قام به البعض، سقط الإثم عن الآخرين ودليله من كتاب ربنا سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[1].

والجهاد له أنواع كما يلي باختصار شديد:

١ ـ **جهاد الكفار والمحاربين للإسلام**، ويكون بالنفس وبالمال، واليد، واللسان، والقلب ودليله قوله ﷺ: **«جاهدوا المشركين، بأموالكم، وأنفسكم، وألسنتكم»**[2].

ولقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[3].

ويقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾[4].

لذلك كان الرباط في سبيل الله واجباً كفائياً قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[5].

---

(١) سورة التوبة، آ: ١٢٢.

(٢) خرجه الحاكم في مستدركه، كتاب الجهاد (جاهدوا المشركين) برقم ٢٣٨٤، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٣) سورة التوبة، آ: ١١١.

(٤) سورة الصف، آ:

(٥) سورة آل عمران، آ:

ومما يدل على تنمية الروح الجهادية بأن الجهاد لا يتقيد بزمان دون زمان ولا بمكان دون مكان، فالاستمرار فيه مشروع إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[1]. والمقصود من جهاد الكفار: هو إعلاء كلمة الله، لا لشيء آخر، وحتى لا تكون فتنة في الأرض بانتشار الشرك في الأرض، وعبادة غير الله. قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾[2].

ومما يدل على تنمية الروح الجهاد، والاستمرار فيه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾[3].

وقال ﷺ: **«من مات ولم يغزُ، ولم يحدث نفسه بالغزو، مات على شعبة من النفاق»**[4].

٢ ـ جهاد المُنافق، ويكون باليد، وباللسان، وبالقلب لحديث: **«من رأى منكم منكراً، فليغيره بيده، ومن لم يستطع فبلسانه، ومن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»**[5].

٣ ـ الجهاد بالكلمة: هو أن يقول كلمة حق أمام سلطان جائر لحديث: **«إن من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر»**[6].

---

(١) سورة الأنفال، آ: ٦٠.

(٢) سورة الأنفال، آ: ٣٩.

(٣) سورة الأنفال، آ: ٦٥.

(٤) خرجه مسلم، كتاب الإمارة، . . ذم من مات، ولم يغز، ولم يحدث نفسه، بر ٣٦٤٤ من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٥) خرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، برقم ٩٩ من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٦) خرجه الترمذي، أبواب الفتن، باب ما جاء أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر، برقم (٢١٩٤) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ. وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

٤ ـ **جهاد الشيطان**: يجب جهاد الشيطان عند وسوسته بفعل أو ترك في العقيدة، أو فعل الطاعات، أو فعل الخيرات، وما يزينه من منكرات، بالتعوذ «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» لقوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝﴾[1].

٥ ـ **جهاد النفس الأمارة بالسوء**: وهو من أعظم أنواع الجهاد، إذا سولت لصاحبها فعلاً منكراً، أو ترك فريضة، أو ترك واجب.

٦ ـ **جهاد الدنيا**: يجب على المسلم أن يجاهد الدنيا عندما تغزوه بمظاهرها الفتانة، وتتزين له بزينتها البرّاقة الخادعة، وتغويه، وتغريه، لكي يقع في المهالك قال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَٰلِ وَالْأَوْلَٰدِ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾[3][4].

والروح الجهادية هي التي تحفز المسلم لينفر للجهاد، لذلك عمل الرسول الكريم على تعميق مفهوم الجهاد لدى المسلمين من ناحية وتنمية الروح الجهادية لدى كل مسلم من ناحية أخرى وهذا ما عمل على تحقيقه وذلك بالضبط هدف الجهاد بأن يكون في سبيل الله معروف وهو ما يمثل الحق والعدل والخير والحرية والمساواة وتكريم الإنسان . . . إلخ لذلك فلا استهداف في الجهاد للمنافع الذاتية أو الاستعلاء في الأرض أو ظلم الناس وقهرهم واستذلالهم إلى غير ذلك، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾[5].

ويقول ﷺ: «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**»[6].

---

(١) الأعراف، آية: ٢٠٠.

(٢) الحديد، آ: ٢٠.

(٣) لقمان، آ: ٣٣.

(٤) التنمية بالمفهوم الشامل في الإسلام، مرجع سابق، ص٧٠.

(٥) سورة التوبة، آ: ٩.

(٦) خرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، برقم ٢٦٨٢ من حديث أبي موسى.

وبيان كون من يقتل في سبيل الله شهيداً، والشهيد له مكانة عالية كريمة عند خالق الخلق - سبحانه - فالله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾[1].

ويفصِّل الرسول ﷺ القول في تكريم الشهيد في الآخرة فيقول: **«ما من أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة»**[2].

وكذلك بيان حال المتقاعسين عن الجهاد، وهو واقع الحال المعروف للناس جميعاً، فإذا كان الجهاد سبيل العزة والمنعة وتعزيز مكانة الأمة، فإن تركه سبيل الذلة والصغار والمهانة بحيث يعيش تاركو الجهاد حياة عذاب لا يطيقها عقلاء بني البشر.

وتبين السنة الشريفة كذلك ثواب وقيمة كل عمل من أعمال الجهاد وكيف أن الله ينميه في الآخرة ومن ذلك:

١ - نماء المرابطة: لحديث: **«رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه»**[3].

٢ - نماء الحركات: لحديث: **«لغدوة في سبيل الله أو روحة خير مما طلعت عليه الشمس وغربت»**[4].

٣ - نماء التجهيز: لحديث: **«من جهز غازياً في سبيل الله فقد**

(١) سورة آل عمران، آ: ١٦٩.

(٢) خرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب تمني المجاهد أن يرجع إلى الدنيا برقم ٢٦٨٩، من حديث أنس بن مالك ﷺ.

(٣) خرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الرباط في سبيل الله ﷺ، برقم ٣٦٤٨ من حديث سلمان ﷺ.

(٤) خرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الغدوة والروحة في سبيل الله، برقم ٣٦٠٦، من حديث أبي أيوب ﷺ.

غزا»[1].

٤ ـ نماء الرعاية: لحديث: «من خَلَفَ غازياً في سبيل الله بخير فقد غزا»[2].

٥ ـ نماء الرماية: لحديث: «ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي»[3].

وهكذا نجد أن رسول الله ﷺ لم يترك عملاً من أعمال الجهاد إلا وحثَّ عليه وندب المسلمين إليه، من أجل أن تهفو نفوس المسلمين إلى الجهاد حيث يعتبره المسلم أغلى أمنية له وما نراه اليوم من أهل فلسطين وتضحياتهم وجهادهم وحرصهم على الشهادة لهي أكبر دليل على صدق هذا والتاريخ الإسلامي مليء بمثل هذه البطولات ومنها:

فهذا عمير بن أبو وقاص[4]، صبي لم يبلغ الحلم أو كاد، يرده الرسول يوم بدر ولا يجيزه الرسول لصغر سنه فيأخذ في البكاء والنشيج، ويراه أخوه الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص، ويسأله ما به، فيقول: أحب الخروج عسى أن يرزقني الله الشهادة، ولكن الرسول ردني، ويكلم سعد الرسول فيه فيجيزه، وينطلق عمير إلى أرض المعركة، ويقاتل كأشجع ما يكون الرجال، حتى قابل ربه شهيداً[5].

---

(١) خرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فضل من جهز غازياً أو خلفه بخير، برقم ٢٧١٥، من حديث زيد بن خالد ﷺ.

(٢) خرجه البخاري، نفسه.

(٣) خرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه، برقم ٣٦٥٣، من حديث عقبة بن عامر.

(٤) عمير بن أبي وقاص هو أبو وقاص مالك بن وهيب بن عبد مناف ابن زهرة أخو سعد بن أبي وقاص، أجازه النبي ﷺ يوم بدر، وهو ابن ست عشرة سنة، انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١٢٢١/٣).

(٥) أسد الغابة في معرفة الصحابة، علي بن الأثير، طهران، إيران ١٣٧٧هـ ج١٤٨/٤ بتصرف.

وهذا عمرو بن الجموح[1] ﷺ له أربعة أبناء يشهدون المشاهد كلها ولم يتخلفوا عن أي منها، وهو أعرج شديد العرج، يسمع النداء يوم أحد، ويحمل سيفه ورمحه ومعدات القتال، وينطلق صوب أحد، فيعترضه أبناؤه، ويقولون له: لقد عذرك الله، ونحن نكفيك. فيرفض ويأتي الرسول يشكوهم قائلاً: إن بني يريدون أن يحبسوني عن الخروج معك، فوالله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه الجنة فقال له النبي ﷺ: **«أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك»** ثم يلتفت إلى أبنائه ويقول: ما عليكم ألا تمنعوه لعل الله يرزقه الشهادة.

وعلى هذا فقد ترسّخ مفهوم الجهاد لدى المسلمين، وكونه بوابة كرامة الحياة وعزتها ومنعتها، وسبيل علو المكانة في الحياة الآخرة، لذلك أصبح روحاً تسري في أعماق كل مسلم، ولا زال داعي الجهاد إذا دعا ـ برغم ما أصاب المسلمين من تخلف ـ المحرك الرئيسي لعزائم المسلمين[2].



المطلب الرابع
تنمية الكفايات التعبوية

على الرغم من أهمية الكفايات المعنوية، من الإيمان بالله والاقتناع بالجهاد سبيلاً للعزة والكرامة والالتزام بالتحشيد العام، إلا أن ذلك لا يكفي وحده لتحقيق النصر الذي يحسم المعركة، فقد يضم الجيش أفضل العناصر ومع ذلك يخسر المعركة من أجل نقص في الكفايات التعبوية، كالكفايات المادية أو العلم والخبرة والتجربة والتدريب . . . إلخ.

---

(1) عمرو بن الجموح، الخزرجي الأنصاري السلمي الغنمي، والد معاذ، ومعوذ، وخلاد، لم يشهد بدراً، كان أعرج وقتل يوم أحد، انظر: سير أعلام النبلاء (٢٥٢/١).

(2) النبي العربي، سبق، ص٥٧٠.

لذلك اهتم الرسول ﷺ بالكفايات التعبوية اهتماماً بالغاً لوصفها سبيلاً لرفع الكفايات الجماعية ومن هذه الكفايات:

١ ـ المعدات القتالية:

لا تغني المقومات المعنوية بحال عن المتطلبات المادية، فالعصا مثلاً ـ مهما كان صاحبها مؤمناً ـ لا تقابل البندقية، والبندقية لا تقابل المدفع أو الصاروخ وهكذا، فالقوة المعنوية لها اعتبارها المقدر، كما أن للقوة المادية اعتبارها، لا غنى البتة لأي جيش عن أي من القوتين، لذلك فإن الله تبارك وتعالى لم يترك المؤمنين لإيمانهم فقط في قهر الأعداء، وإنما قال لهم: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[1].

والقوة هنا مطلقة، تشمل كل قوة مادية ومعنوية، اقتصادية واجتماعية وسياسية وعسكرية، ومن العسكرية، السلاح والعتاد والمعدات والتجهيزات والإمدادات، حسب متطلبات الصراع وتطور الزمان والمكان ويشير رباط الخيل إلى القوات المحمولة وفق تطورها بوصفها ضرورة لا غنى عنها، على أن يكون القصد الرئيسي هو إرهاب العدو ومنعه من العدوان على المسلمين، وإلا فقتال من يعتدي ويقاتل.

وقد أولى الرسول ﷺ متطلبات القوة المادية اللازمة للقتال اهتماماً كبيراً ومن ذلك:

أ ـ حيازة السلاح الفردي:

لقد كان السلاح الفردي من سيف ورمح ودرع وترس وغيرها متوافراً لكل عربي، فالحياة المخوفة التي يعيشونها تجعل هذا السلاح ضرورة من ضرورات الحياة لا غنى لأحد عنه، وكانت اليمن مشهورة بصناعة السلاح بأنواعه، حيث يُصدّر لجميع أرجاء الجزيرة، وكان من الصحابة من تمرّس

(١) سورة الأنفال، آية: ٦٠.

في صناعة السلاح مثل خباب بن الأرت، ولم يكن الرسول يتردد في استعارة السلاح في المواقع الكبرى حتى من غير المسلمين من المعاهدين والمسالمين فعند الخروج لغزو حنين علم أن عند صفوان بن أمية سلاحاً كاملاً يحتاجه المسلمون، فقال له:

«يا أبا أمية أعرنا سلاحك نلقى به عدونا غداً» قال صفوان: **«أغصباً يا محمد؟»**.

قال: **«بل عارية مضمونة حتى نؤديها إليك»**.

قال صفوان: **«ليس بهذا بأس»**.

وقدّم للمسلمين مائة درع بما يكفيها من السلاح[1]، وعمل ﷺ على أن يتزود المسلمون بالسلاح من أيدي أعدائهم، وفي ذلك يقول ﷺ: **«من قتل قتيلاً فله سلبه»**[2].

ولحديث: **«من أقام بينة على قتيل قتله فله سلبه»**[3].

وبذلك تكاثر السلاح الفردي بأيدي المسلمين بعد الغزوات والسرا المتتابعة، ولا سيما بعد المعارك الكبرى مع الفرس والروم.

ب ـ أدوات الرمي:

عندما تحصنت هوازن وثقيف بحصون الطائف ولم يستطع المسلمون اجتياحها، ابتكر المسلمون أول منجنيق عرفته العرب، كما اخترعوا الدبّابة بصورتها الأولى في الهجوم على الحصون، ثم تطور كل منهما تدريجياً.

---

(١) السيرة النبوية، عبدالملك بن هشام، سابق، ج٤، ص٣٠٧، ٣٠٨.
(٢) خرجه البخاري، كتاب فرض الخمس، باب من لم يخمس الأسلاب، برقم ٠٠٠ من حديث أبي قتادة ﷺ.
(٣) خرجه البخاري، كتاب المغازي، باب قول الله ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ...﴾ الآية، من حديث أبي قتادة ﷺ.

ويتلو رسول الله ﷺ قوله تعالى: «﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾» فيقول ﷺ: **«ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي»**[1].

ويحث المسلمين على التزود المستمر بالسهام، كما يوصي قادة الجيوش بحيازة الذخيرة المناسبة والكافية بأنواعها.

ج ـ وسائل حمل القوات:

من المعلوم أن القوات المحمولة أعلى كفاية من قوات المشاة لأسباب عديدة منها:

- سرعة الحركة.
- الانقضاض السريع.
- مفاجأة العدو.

لذلك كثيراً ما تتفوق القوات المحمولة سواء على الخيل والجمال أو الدبابات وناقلات الجنود والطائرات على قوات المشاة، والعربي بحكم حياته الصحراوية مهتم بتربية الإبل والخيل، بوصف الأولى وسيلة نقل المستلزمات بأنواعها والخيل للغارات السريعة، والرسول ﷺ يؤكد على العناية بالإبل، ويعطي اهتماماً خاصًا بالخيل فيقول ﷺ: **«الخيل ثلاثة: فهي لرجل أجر، ولرجل ستر، ولرجل وزر»**[2]. ويقول ﷺ: **«البركة في نواصي الخيل»**[3].

د ـ التزويد:

وأقصد بذلك حاجيات الجيش من مأكل ومشرب وملبس ومأوى

---

(١) خرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه، برقم (٦٥٣) من حديث عقبة بن عامر ﷺ.

(٢) خرجه مسلم، كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، برقم ١٧١٧، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٣) خرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الخيل معقود في ناصيها الخير إلى يوم القيامة برقم (٢٧٢٣). من حديث أنس بن مالك ﷺ.

وتعويض الفاقد من السلاح إضافة إلى حاجة أسر المجاهدين وتأمين الحياة الكريمة لهم.

وليست حاجيات الجيش قاصرة على السلاح والناقلات المختلفة.

والأصل أن التزويد من واجبات الدولة الأساسية ولكن قد تنوء إمكانات الدولة ومصادرها بذلك، لا سيما إذا خاضت حروباً متتابعة وكانت الدولة محدودة الإمكانات. وأي مجتمع تفوق إمكاناته وقدراته إمكانات الدولة مراراً، لذلك كان الإنفاق في سبيل الله من مقومات المجتمع المسلم، فالله ﷻ يقول: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾[1]، وبذلك اعتبر ـ ﷺ ـ الإنفاق جهاداً في سبيل الله.

وانطلاقاً من ذلك الإنفاق في سبيل الله من قبل الصحابة يفوق الوصف، فقد أنفق أبو بكر كل ماله في سبيل الله، وأنفق عمر نصف ماله، وأنفق عثمان أموالاً طائلة، فقد جهز جيش العسرة بتسعمائة وخمسين بعيراً، ثم أكمل الألف بخمسين فرساً، واشترى بئر رو ـ وجعلها وقفاً للمسلمين، وباع الزبير بن العوام داراً بستمائة ألف، فقيل له: «لقد غبنت».

فقال: لتعلمن أنني لم أغبن . . . أشهدكم أنها في سبيل الله وحمل عبدالرحمن بن عوف على ألف راحلة وخمسمائة فرس في سبيل الله[2].

هـ ـ نظام المعلومات:

مما لا شك فيه أن كل جيش يحرص قبل مواجهة خصمه أن يجمع أكبر قدر ممكن من المعلومات الدقيقة بصفة عامة، عن كل ما لديه، ليستطيع أن يعدّ له ما يحقق له النصر عليه من حيث القوات وأعدادها وكفاءتها، وليكتشف مكامن الخلل والقصور لديه ويعمل على استغلالها لإنزال الضربة القاضية به، وحتى لا يقابل في ساحة المعركة جيشاً لا تتوافر

(١) سورة البقرة، آ: ٢٦١.

(٢) الرياض النضرة، المحب الطبري، القاهرة، ١٣٢٧هـ، ص١١١ وما بعدها.

له معلومات عنه، وجمع المعلومات عن العدو أمر معروف قديماً في المعارك والحروب التي جرت على الأرض، وكذلك استخدام الجواسيس والعيون والمخبرين حيث كانت من أوائل المهام التي اهتمت بها الدول المتحاربة.

وقد عمل الرسول ﷺ على توعية المسلمين بأهمية المعلومات عن العدو من البدايات الأولى للصراع مع المشركين، والتنبيه إلى اتخاذ الحيطة واليقظة والحذر استجابة لقوله تعالى: ﴿وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾[1].

ولهذا شرعت صلاة الخوف، لقد عمل عليه الصلاة والسلام على الحصول على أدق المعلومات عن العدو، وعلى تنويع مصادر الحصول عليها، بحيث يوازن ويقارن ويرجّح في تحليله للمعلومات، وصولاً إلى أكثر الاحتمالات دقة ليعدَّ العدة بناءً عليها، وعلى سبيل المثال نورد كيف تعامل النبي ﷺ مع المعلومات قبيل معركة بدر؟.

وللإجابة على هذا السؤال نقول: إن النبي ﷺ رتب في مكة من ينهي إليه أخبار قريش فكانت ترد إليه تباعاً، ولما كان بوادي ذفران أتاه خبر مسيرهم وبكل التفاصيل، وهناك استشار الصحابة في القتال، ولما أصبح قريباً من بدر ـ التي علم أن المشركين يقصدونها ـ خرج بنفسه مع أبي بكر، وقابلا سفيان الضمري، الذي أخبرهما بما يعرفه عن موضع قوات قريش، وعندما وصل بدراً أرسل ثلاثة من أخلص صحابته هم: علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص إلى مياه بدر ليعلموا الأخبار فعادوا بغلامين لقريش ظنوهما لأبي سفيان، ولكن الرسول ﷺ علم أنهما لقريش فقام باستجوابهما بنفسه، وعلم منهما مكان قريش، ومن خرج من قادتها، ولم يعرفا عددهم، ولكن عليه الصلاة والسلام قدَّره بتحليل معلومة نحر الجزر لذلك كان ﷺ في المعركة يعرف كل شيء عن العدو الذي يواجهه وهكذا في كل معركة.

---

(١) سورة النساء، آية: ١٠٢.

الضبط:

ونعني به وبالله التوفيق والسداد أن يكون الجيش ملتزماً بالتنظيم المعتمد له، يعرف كل جندي، وكل مسؤول، وكل فرقة المكان المخصص لها، فالفرسان فرسان، والمشاة مشاة، والمقدمة مقدمة، وهكذا القلب والجناحان (الميمنة والميسرة).

وأن يلتزم بالأوامر الصادرة إليه من القيادة والضبط، فلا اجتهادات فردية ولا اتباع للهوى. ومن المعروف عسكرياً أن الجيش الأكثر تطبيقاً من حيث النظام والطاعة ووحدة الرأي والموقف أجدر بتحقيق النصر من الجيش الذي يركب فيه كلٌ رأسه وينطلق على هواه، فتعمه الفوضى ويسوده الاضطراب، وقد ربى الرسول ﷺ المسلمين على قوة الضبط في كل أحوالهم ومنها الأوضاع القتالية، ولم يكن العرب قد اعتادوا عملية الضبط في حياتهم، فقد كانت حياة الغزو، وشن الغارات تعتمد على استثمار الكفايات الفردية، لذلك كان تشديده عليه الصلاة والسلام بأجلى العبارات على الرماة يوم أحد بألا يبرحوا أماكنهم، إلا أمر عليهم عبدالله بن جبير وقال لهم: «**إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم وإن رأيتمونا ظهرنا على العدو وأوطاناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم**»[1].

ومع ذلك ما أن رأوا انهزام المشركين حتى صاحوا: الغنيمة . . . أي: قوم الغنيمة، وأخلوا أماكنهم ولم يسمعوا أميرهم، فحلّت الهزيمة محل النصر، ولكن هذه الحادثة كانت ضارة نافعة فقد استوعب المسلمون منها أهمية الضبط، وربما كانت مشيئة الله تعالى من ورائها أن يتعلم المسلمون درساً في أهمية الضبط. فلقد وصل الضبط في حياة الرسول ﷺ إلى أعلى مستويات الكمال، ولم يكن أحد من المسلمين ليخالف أمراً صدر عن رسول الله في المنشط أو المكره والسراء أو الضراء ذلك لأن طاعته ـ عليه الصلاة والسلام

---

(١) خرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره في التنازع والاختلاف في الحرب، برقم ٢٩٠٣ من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

ـ من طاعة ا[illegible] ، فكثير من آيات الطاعة تقرن طاعة الله بطاعة رسوله قال ا تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾[١]، ويقول تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ـ[illegible]ن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾[٢]، ولكن هذا الضبط أصبح سجية طبيعية من سجايا المجاهد المسلم، حتى غدت جيوش المسلمين أكثر جيوش عرفتها البشرية ضبطاً، أي: تنظيماً وطاعة ووحدة رأي ووحدة موقف ووحدة هدف وغاية.

التدريب:

الجندي المدرب أقدر على ممارسة القتال من الجندي غير المدرب، وأكثر استعداداً لتحمل المشاق والصبر على المكاره والصعاب، والعلوم والمعارف العسكرية لا أهمية لها إن لم تمارس عملياً على أرض الواقع، لذلك تحرص الجيوش على تدريب وحداتها ميدانياً وبصفة دورية مستمرة.

ومن المعروف أن صحابة الرسول ﷺ لم يكونوا أصلاً أصحاب سيف ورمح ومعرفة ودراية بفنون القتال، ولم يكونوا في عداد المقاتلين في مجتمعاتهم، لذلك ما أن استقر بالرسول الكريم المقام في المدينة حتى أخذ في وضع المسلمين في بؤرة الخبرة والتجربة العسكرية بالتدريب الميداني، ليرتقوا بخبراتهم ومعارفهم وتدريبهم إلى مستوى الأحداث فالقتال آت، ولن يرحم عديم الخبرة، فكيف تم ذلك. كانت البداية بإرسال السرايا، فأرسل في حياته ٥٢ سرية، شارك فيها ـ مع الأخذ بالاعتبار تكرار المشاركين ـ أكثر من سبعة آلاف مسلم، وبالرغم من أن السرايا لم تكن قتالية إلا أنها كانت فرصة للإعداد للقتال وتحمل مشاق الجهاد والصبر والثبات والتضحية، مع أن بعض أفرادها مارسوا القتال فعلياً.

ثم كانت الغزوات ٢٨ غزوة، شارك فيها ـ مع أخذ التكرار بالاعتبار أيضاً ـ أكثر من سبعين ألفاً من المسلمين، وفي بعض الغزوات مارس

---

(١) سورة الأنفال، [illegible]: ١.

(٢) سورة آل عمران، [illegible]:

المسلمون القتال فعلياً، فحصل من بقي منهم على قيد الحياة على خبرات متنوعة في القتال والحصار وبكل أنواع الأسلحة.

وكانت البداية في غزوة «وذان» بمائتين، وارتفع العدد في تبوك إلى ثلاثين ألفاً، وفي حجة الوداع كان ﷺ يؤم مائة ألف في غاية الضبط والنظام والطاعة. لذلك لم يقابل الرسول الكريم أعداء، بجند أغمار لا علم لهم بالحرب ولا دراية ولا تجربة، وإنما بجند معدّين مدربين مجربين خبراء، قادرين على الصمود في وجه الأعداء والإنكاء بهم.

نقل المعارك:

يقال إن الهجوم خير وسيلة للدفاع، وإن المدافع قليل نصره بعكس المهاجم، ذلك لأن الجيش المهاجم يختار مكان المعركة وللمكان أهميته في النصر، فقد كان لمكان المسلمين وسيطرتهم على مياه بدر دور في النصر، وكان لإخلاء الرماة مكانهم يوم أحد أثر رئيسي في الهزيمة، وهكذا، وإن المهاجم ينقل المعركة إلى أرض العدو مما يدخل الخوف والفزع في صفوف المدافعين ويمد المهاجمين بالقوة وإن المهاجم يجنب شعبه ويلات الحرب في حين يصطلي المدافع بنارها، وإن المهاجم يتحكم في إمدادات المدافع الخارجية وإن المهاجم أكثر ثباتاً وإصراراً على عدم الفرار، لذلك كان الرسول ﷺ ينقل المعارك إلى أرض العدو، كلما كان ذلك ممكناً، فالسرايا والغزوات كلها كانت خارج المدينة، وعندما علم بتآمر يهود خيبر وغطفان خرج عليهم، وعندما نقضت قريش معاهدة الحديبية صبحها بعشرة آلاف، وعندما علم بجمع الروم شمالي الجزيرة، أسرع لمقابلتهم في تبوك فانفضوا وهكذا كانت الروح القتالية لدى رسول الله وصحابته الكرام مما كان له الدور الإيجابي في تعزيز روح الجهاد وتنميتها في نفوس الصحابة ﷺ أجمعين. والله أعلم.

* * *

المطلب الخامس
الإرهاب وأثره السلبي في التنمية

معنى الإرهاب في اللغة:

رهب رهبة ورهباً ورهبوناً، كلمات عرفتها اللغة العربية، ومعاجمها قديماً، ولكن الإرهاب كمصطلح هو حديث الاستعمال، فقد ورد في (لسان العرب) تحت مادة (رهب) ومشتقاتها: «رهب، بالكسر، يرهب رهبة ورهباً، بالضم، ورهباً بالتحريك، أي: خاف: ورهب الشيء رهباً ورهباً ورهبة: خافه»[1].

وفي القاموس المحيط: «أرهبه واسترهبه»: أخافه، وترهبه: توعده[2].

والناظر لمادة (رهب) في المعاجم اللغوية يجد أن المادة تدور على الخوف والرعب ونشره في صفوف الآمنين، لذلك أقر المجمع اللغوي الذي عقد في القاهرة، بأن الإرهاب (صفة تطلق على المجموعة التي تتخذ من سبيل العنف وسيلة لتحقيق غاياتها السياسية)[3] وجاء في معجم العلوم الاجتماعية، ورد تحت اسم النزعة الإرهابية معنى «بث الرعب الذي يثير الجسم والعقل، أي: الطريقة التي تحاول بها جماعة منظمة أو حزب، أن يحقق أهدافه عن طريق استخدام العنف، وتوجه الأعمال الإرهابية ضد الأشخاص، سواء كانوا أفراداً أو ممثلين للسلطة، ممن يعارضون أهداف هذه الجماعة»[4].

---

(١) لسان العرب، سبق، ص٤٣٦.

(٢) القاموس المحيط، سبق.

(٣) المعجم الوسيط، سبق، ص٣٧، ص٩٢.

(٤) معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، أحمد زكي بدوي، مكتبة لبنان، بيروت، ص٢٢٣، ٢٢٤.

١ - قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ۝٤٠﴾[1].

فمعنى قوله تعالى: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ أي خافون، والرهب والرهبة: الخوف، ويتضمن الأمر به معنى التهديد.

٢ - قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ۝٦٠﴾[2].

فمعنى قوله تعالى: ﴿تُرْهِبُونَ﴾ أي: تخيفون[3].

يقول ابن العربي في تفسير ﴿تُرْهِبُونَ﴾ أي: تخيفون بذلك أعداء الله وأعداءكم من اليهود والنصارى وكفار العرب[4].

وقد أوضح الفخر الرازي أن الحكمة من إعداد القوة ورباط الخيل هي أن الكفار إذا علموا أن المسلمين متأهبون للجهاد ومستعدون له ويملكون جميع الأسلحة والأدوات خافوهم[5].

٣ - قوله تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾[6]، أي: طمعاً وخوفاً.

٤ - قوله تعالى: ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ﴾[7] أي: من الرعب، ومن الملاحظ أن بعض هذه الآيات السالفة الذكر، إنما جاءت بنوع من الترهيب الذي لا بد منه للإنسان، لمساعدته على حفظ توازنه، وضبط شهواته، وردع نوازعه، ليستقيم على الطريق الصحيح، وفي هذا

---

(١) سورة البقرة، آ: ٤٠.
(٢) سورة الأنفال، آ: ٦٠.
(٣) الجامع لأحكام القرآن، ٣٣٢/١.
(٤) أحكام القرآن، ٨٧٥/٢.
(٥) التفسير الكبير، ٤٢٣/٧.
(٦) سورة الأنبياء، آ: ٩٠.
(٧) سورة القصص، آ: ٣٢.

الإطار ركز القرآن الكريم على أهمية الترغيب والترهيب للإنسان، وأن لا يعبد إلا الله، ولا يشرك به شيئاً، وهذا ما يعتبر ترغيب هدا ، وإن الترهيب في القرآن الكريم إنما جاء تخويفاً للذين لا يؤمنون بالله، وحتى يرجعوا عن ضلالتهم ويهتدوا إلى الصراط[1].

ومع أن مادة (رهب) في بعض مشتقاتها قد حملت معنى الإرهاب وذلك باحتوائها على بعض العناصر المكونة للإرهاب، وهو عنصر الخوف، إلا أن القرآن الكريم جاء بكلمة أخرى ومكون آخر وهو عنصر الرعب فقد ورد في القرآن الكريم تحت مادة رعب ومشتقاتها خمس آيات في خمس سور وبمعنى متشابه كالخوف الشديد والهلع والفزع والهول والزلة والصغار والذعر، والآيات هي:

قوله تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾[4].

وقوله تعالى: ﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾[5].

وقوله تعالى: ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾[6].

---

(١) الإرهاب في ميزان الإسلام، أحمد الريسوني، مجلة المجتمع، عدد ١٢٠١، الكويت، ١٩٩٦/٥/٢٨، ص٤٧.

(٢) سورة آل عمران، آ :

(٣) سورة الأنفال، آية:

(٤) سورة الأحزا ، :

(٥) سورة الحشر، :

(٦) سورة الكهف، :

وفي الحديث الصحيح: «نصرت بالرعب وأوتيت جوامع الكلم»(١).

واستنادا إلى آيات الرهبة ومشتقاتها تبين أن الرهبة جاءت تحمل نوعا من المهابة والاحترام، بينما الإرهاب لا يحمل هذا المعنى.

وإذا كان الإرهاب يثير الرعب في نفوس الناس، بل ويقضي على حياة الآمنين الأبرياء، فقد شدد الإسلام على حرمة قتل النفس، لما لها من مكانة عالية، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ﴾(٢).

قال القرطبي: وهذه الآية من أمهات الأحكام، والمعنى: ما ينبغي لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ، فقوله: ﴿وَمَا كَانَ﴾ ليس على النفي، وإنما هو على التحريم، والنهي كقوله: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ ولو كانت على النفي لما وجد مؤمن قتل مؤمناً قط، لأن ما نفاه الله فلا يجوز وجوده والتقدير ما كان له أن يقتله البتة)(٣).

كما بين الله تبارك وتعالى أن قاتل العمد له الحكم الشديد في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾(٤).

والنفس لها مكانة تعادل كل النفوس في حرمة الاعتداء وضرورة الحفاظ عليها، قال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾(٥).

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: (أي: من قتل نفساً بغير سبب من قصاص

---

(١) خرجه البخاري، كتاب التيمم، برقم ٣٣٥، من حديث جابر بن عبدالله.

(٢) سورة النساء، آية: ٩٢.

(٣) تفسير القرطبي، الجزء الخامس، ص٣١١، ٣١٢.

(٤) سورة النساء، آية: ٩٣.

(٥) سورة المائدة، آية: ٣٢.

أو فساد في الأرض، واستحل قتلها بلا سبب ولا جناية، فكأنما قتل الناس جميعاً، لأنه لا فرق عنده بين نفس ونفس، ومن أحياها أي: حرم قتلها واعتقد ذلك فقد سلم الناس كلهم منه بهذا الاعتبار)[1].

ولعظم قتل النفس بغير حق نجد أن القرآن الكريم قد قرنها بالشرك بالله تعالى، كل ذلك حرصاً من الإسلام على سلامة النفوس المعصومة من الاعتداء، قال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾[2].

قال الطبري ـ رحمه الله ـ: النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق وحقها ألا تقتل إلا بكفر بعد إسلام أو زنا بعد إحصان أو قود نفس، وإن كانت كافرة لم يتقدم كفرها إسلام فأن لا يكون تقدم قتلها لها عهد وأمان)[3].

وقد يلبس هؤلاء أهل الإجرام على الناس أنهم يريدون الإصلاح، فقد حذر القرآن من تلبيس المجرمين المفسدين الذين يلبسون على الناس أفعالهم بما يقولونه لهم من أنهم يريدون الخير وخدمة الأمة، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾[4].

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: (أي: هو أعوج المقال سيئ الفعال، فذلك قوله وهذا فعله، كلامه كذب، واعتقاده فاسد، وأفعاله قبيحة)[5].

---

(١) تفسير ابن كثير، الجزء الثاني، ص٤٢، ٤٣.

(٢) سورة الأنعام، آية: ١٥١.

(٣) تفسير الطبري، الجزء الخامس عشر، ص٨٠.

(٤) سورة البقرة، الآيات: ٢٠٤ ـ ٢٠٦.

(٥) تفسير ابن كثير، الجزء الأول، ص٢٤٧.

هذا وقد أكد القرآن تأكيداً شديداً على أن عمل المفسدين باطل ولا صلاح فيه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[1].

وتسعير الحروب وإيقادها والسعي بالإفساد في الأرض صفة المغضوب عليهم من اليهود الذين وصفهم الله بذلك فقال تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[2].

ومن خلال ما مضى من الآيات يتبين أن الإسلام إنما جاء لحفظ النفس البشرية والدفاع عنها من عبث العابثين، وأن القرآن الكريم وقف موقفاً صلداً أمام المفسدين الذين يعبثون بمقدرات شعوبهم ولا يبالون بحياة الناس فقد وصفهم بالمفسدين بل ولا يصلح الله عملهم والله أعلم.

ولما كانت السنة هي شقيقة القرآن الكريم فقد قررت أن الإسلام إنما مبناه على اللين وعدم العنف وليس فيه ما يدعو إلى القتل والاعتداء على الأنفس المعصومة لحديث النبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها: **«إن ا" رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف»**[3].

وعنها أن رسول الله ﷺ قال: **«إن الرفق لا يكون في شيء إلا زا" ، ولا ينزع من شيء إلا شانه»**[4].

وقال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ: (في هذه الأحاديث فضل الرفق والحث على التخلق وذم العنف، والرفق سبب كل خير، ومعنى يعطي على الرفق، أي: يثيب عليه ما لا يثيب على غيره)[5].

كما أكدت السنة النبوية الشريفة على حرمة دماء المسلمين، وأنها معصومة من الاعتداء لحديث: **«لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله**

---

(١) سورة يونس، آ-: ٨١.
(٢) سورة المائدة، آية: ٦٤.
(٣) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة، باب فضل الرفق، برقم (٢٥٩٢) من حديث عائشة رضي الله عنها.
(٤) المصدر نفسه، برقم ٢٥٩٤.
(٥) شرح النووي على صحيح مسلم، الجزء السادس عشر، ص١٤٥.

إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمفارق لدينه التارك للجماعة»[1].

وقال ﷺ: **«إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا»**[2].

قال الإمام النووي - رحمه الله -: (المراد بهذا كله بيان توكيد غلظ تحريم الأموال والدماء والأعراض والتحذير من ذلك)[3]. وأكدت السنة النبوية الشريفة كذلك على منع الاعتداء على المسلم، سواء من الناحية المعنوية أو الجسدية لقوله ﷺ: **«كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه»**[4].

قال المناوي - رحمه الله -: وأدلةُ تحريم هذه الثلاثة مشهورة معروفة من الدين بالضرورة، وجعلها كل المسلم وحقيقته لشدة اضطراره إليها، فالدم فيه حياته ومادته والمال ماء الحياة الدنيا والعرض به قيام الصورة البدنية والمعنوية)[5].

كذلك حرصت السنة الشريفة على سلامة المسلم، فقد ورد المنع بأن يشار إلى المسلم بحديدة أو نحو ذلك خشية مذلة يد أو حدوث خطأ، فيصاب المسلم بالأذى والضرر لقوله ﷺ: **«لا يشير أحدكم على أخيه بالسلاح فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار»**[6].

---

(١) خرجه مسلم، كتاب القسامة والمحاربين، باب ما يباح به دم المسلم، برقم ٣٢٧٧، من حديث عبدالله بن مسعود.

(٢) خرجه البخاري، كتاب العلم، باب ليبلغ الشاهد الغائب، برقم ١٠٥، من حديث أبي بكرة.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، الجزء الحادي عشر، ص١٦٩.

(٤) خرجه مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم، برقم ٤٧٧٨، من حديث أبي هريرة.

(٥) فيض القدير، الجزء الخامس، ص١١.

(٦) خرجه البخاري، كتاب الفتن برقم ٦٦٩٦ من حديث أبي هريرة.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الملائكة لتلعن أحدكم إذا أشار إلى أخيه بحديدة وإن كان أخاه لأبيه وأمه»**[1].

وعن جابر عن النبي ﷺ: «أنه نهى عن أن يتعاطى السيف مسلولاً»[2].

وقال ﷺ: **«لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً»**[3].

والمتأمل في جملة الأحاديث السالفة الذكر يخلص إلى عدة فوائد منها:

١ ـ النهي عن ترويع وتخويف المسلم.

٢ ـ التأكيد على حرمة المسلم دمه، وماله، وعرضه.

٣ ـ حرمة حمل السلاح وإشهاره على المسلم.

٤ ـ العقوبة الشديدة لمنتهك حق الأخوة والله أعلم.

وما أروع ما سطره الإمام ابن حجر: (إذا استحق الذي يشير بالحديدة اللعن، فكيف الذي يصيب بها؟ وإنما يستحق اللعن إذا كانت إشارته تهديداً، سواء كان جاداً أم لاعباً)[4].

وقال ﷺ: **«ذمة المسلمين واحدة فمن أخفر مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل»**[5].

وقال عبدالله بن عمر: (إن من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله)[6].

---

(١) خرجه ابن حبان، كتاب الحظر والإباحه، برقم ٦٠٤٧، من حديث أبي هريرة.

(٢) خرجه أبو داود، كتاب الجهاد، باب في النهي أن يتعاطى السيف مسلولاً برقم ٢٢٦٥، من حديث جابر.

(٣) خرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب من يأخذ الشيء على المزاح، برقم ٤٤١٤، من حديث عبدالرحمن بن أبي ليلى.

(٤) فتح الباري، الجزء الثاني عشر، ص٢٥.

(٥) خرجه البخاري، كتاب الحج، باب حرم المدينة، برقم ١٧٨٤، من حديث علي. والصرف: التوبة، والعدل: الفدية.

(٦) خرجه البخاري، كتاب الديات، باب قول الله: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا﴾ برقم ٦٥٠١، من حديث ابن عمر.

وإذا كان ديننا الإسلامي يحرص ويؤكد على حرمة الأموات، وعدم الاعتداء عليهم، فمن باب أولى حرصه على الأحياء لحديث: **«كسر عظم الميت ككسره حيا»**[1].

إلى غير ذلك من هذه النصوص التي قررت وأكدت حرمة الإنسان وبيان أن الأصل هو صيانة الإنسان وعدم الاعتداء أو تخويفه أو التعرض عليه إلا بمسوغ شرعي ثابت لا لبس فيه ولا تأويل وفي هذا سبق فريد للإسلام فقد سبق غيره من الأنظمة والقوانين في التأكيد على حرمة الإنسان وصيانة حقوقه والله أعلم.

وأما الإرهاب في الاصطلاح:

فقد ذهب مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر في بيانه الصادر بشأن ظاهرة الإرهاب في تعريف الإرهاب إلى أنه: «ترويع الآمنين، وتدمير مصالحهم، ومقومات حياتهم، والاعتداء على أموالهم وأعراضهم وحرياتهم وكرامتهم الإنسانية بغياً وإفساداً في الأرض، ومن حق الدولة التي يقع على أرضها هذا الإرهاب الأثيم أن تبحث عن المجرمين وأن تقدمهم للهيئات القضائية لكي تقول كلمتها العادلة فيهم»[2].

بينما أصدر المجمع الفقهي الإسلامي في بيانه قال: إن الإرهاب عدوان يمارسه أفراد أو جماعات أو دول بغياً على الإنسان (دينه، ودمه، وعقله، وماله، وعرضه) ويشمل صنوف التخويف والأذى، والتهديد والقتل بغير حق، وما يتصل بصور الحرابة وإخافة السبل، وقطع الطريق، وكل فعل من أفعال العنف أو التهديد، يقع تنفيذاً لمشروع إجرامي فردي أو جماعي، يهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس أو ترويعهم بإيذائهم، أو تعريض حياتهم أو حريتهم، أو أمنهم أو أحوالهم للخطر، ومن صنوفه إلحاق الضرر بالبيئة،

---

(١) خرجه ابن ماجه، كتاب الجنائز، باب في النهي عن كسر عظام الميت، برقم ١٦١٨. من حديث عائشة.

(٢) بيان مجمع البحوث الإسلامية في الأزهر بشأن ظاهرة الإرهاب، ١٤٢٢هـ

أو بأحد المرافق والأملاك العامة أو الخاصة أو تعريض أحد الموارد الوطنية، أو الطبيعية للخطر، فكل هذا من صور الفساد في الأرض التي نهى الله سبحانه وتعالى عنها[1].

والجدير بالذكر هنا أن المجمع الفقهي الإسلامي أصدر هذا البيان قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر وذلك بتاريخ ١٤٢١/١٠/١٥هـ الموافق ٢٠٠١/١/١٠م، ومن خلال ما سبق من التعريفين السابقين يكون التعريف المقترح للإرهاب: الإرهاب عمل غير مشروع، يقوم به فرد أو جماعة أو دولة لإثارة الرعب والخوف والفزع في المجتمع، بغية الوصول إلى أهداف معينة[2]. والله أعلم.

ومن خلال ما سبق لا بد من إزالة اللبس بين مصطلح الإرهاب والجهاد، لأن تحديد المعاني مطلب أساس لا غنى عنه لتوضيح المراد ومنع اللبس والخلط بين معنى وآخر، وبذلك تضيق دائرة الخلاف والشقاق بين الناس، لأن جذور الخلاف غالباً تعود لاختلاف المفاهيم أو الجهل بحقائق الأمور والله أعلم.

وعلى ذلك فتعريف **الجهاد، لغة**: كما قال ابن فارس ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: (جهد: أصله المشقة، ثم يحمل عليه ما يقاربه، يقال: جهدت نفسي، وأجهدت والجهد الطاقة)[3].

وتعريف **الجهاد في الشرع**: كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (الجهاد هو: بذل الوسع ـ وهو القدرة ـ في حصول محبوب الحق ودفع ما يكرهه الحق)[4].

وقد ذهب الشيخ سيد سابق ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: (الجهاد لا يسمى جهاداً إلا

---

(١) انظر، القطاع الخيري ودعاوى الإرهاب، د. محمد بن عبدالله السلومي، مطبوعات البيان، ١٤٢٤هـ، الرياض، ص١١٤.

(٢) التعريف من كلام الباحث.

(٣) معجم مقاييس اللغة: مادة (جهد)، ص٢٢٧.

(٤) مجموع الفتاوى، الجزء العاشر، ص١٩١.

إذا قصد به وجه الله، وأريد به إعلاء كلمته، ورفع راية الحق، ومطاردة الباطل)[1].

بينما ذهب الدكتور الزحيلي بتعريف الجهاد حيث قال: «هو بذل الجهد والكفاح بالوسائل السلمية أولاً، ثم عند اقتضاء الأمر للمحافظة على الدعاة وتحصين البلاد إلى القتال، لتحقيق السعادة الشاملة للبشرية في دنياهم وأخراهم كما ارتضاها الإله الحكيم»[2].

ومن خلال ما مضى من التأصيل اللغوي لمعنى الإرهاب، يتضح الفرق الجوهري بين الإرهاب والجهاد، أن الإرهاب يختلف عن الجهاد جوهرياً في كل شيء، في حقيقته، ومفهومه، وأسبابه، وثمراته، فالجهاد مشروع لحفظ الدين ومعالمه والعدوان ممنوع، أما الإرهاب فمعناه العدوان وهو ترويع الآمنين وتدمير مصالحهم ومقومات حياتهم، والاعتداء على أموالهم وأعراضهم وحرياتهم، وكرامتهم الإنسانية.

أما (الجهاد) يهدف إلى الدفاع عن حرمات الآمنين أنفسهم، وأموالهم، وأعراضهم وإنقاذ الأوطان وتحرير أوطانهم ونشر الإسلام ونصرة الحق ودفع الظلم وإقرار العدل والسلام والأمن.

وعلى ذلك يتقرر الإرهاب الذي ينشده الإسلام والإرهاب المذموم، أن الإرهاب المنشود هو إعداد العدة وتجهيز جيش على أسس علمية مدربة لدفع المعتدي ورد الأمن والأمان للإنسان العادي الذي يبحث عن الهدوء والاستقرار، ومع الاهتمام بالجانب العسكري والعمل على تنميته، كذلك لا بد من تنمية ثقافة الجندي المرابط، فلا ينبغي أن تكون ثقافته أنه يرابط ليلاً أو نهاراً، لأنه موظف لدى الدولة، وفقط ما يربطه بالدولة إلا الراتب، فهذا شيء خطير، إنما لا بد من غرس قضية الانتماء وتنمية الانتماء لدى المواطن وتنمية ثقافته، وليكن من المعلوم لديه أن وقوفه ورباطه هذا إنما

---

(١) فقه السنة، الجزء الثالث، ص٨٨.

(٢) آثار الحرب في الفقه الإسلامي، د. وهبة الزحيلي، ص٢٤.

هو نوع جهاد واحتساب من الدرجة الأولى دفاعاً عن دينه، ووطنه، ليحيا الناس بأمن وأمان، والإرهاب الذي ينشده الإسلام، فتح الطريق أمام كل مخترع ناجح، أمام كل عالم ينبغ في العلوم الطبية والهندسية وعلوم الجيولوجيا والذرة ليخرج كل إنسان ما لديه من طموحات والعمل لتنمية الكفاءة بدورات تدريبية طويلة المدى، تنمي فيه روح العطاء والبذل والتضحية لدينه ووطنه.

والإرهاب المنشود كذلك لا بد من العودة الصادقة إلى الله تعالى والإيمان به قولاً وعملاً والإيمان بسيدنا محمد ﷺ قولاً وعملاً وسلوكاً والعمل على تطهير مجتمعاتنا من دنس المعاصي والأقذار . . . فمن خاف ا- واتقاه خوّف الله منه كل شيء، وحسبنا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾[1].

وإلا كيف يكون جانبنا مهاباً عند عدونا؟ ونحن نتبعه ليل نهار بلا عقل ولا هدف سوى الصداقة مع العدو، وبهذا تأمن الحدود والحال كما نرى مزري سقوط بعد سقوط، انتشار الرذيلة والفواحش والإباحية والعري والسفور بدعوى الحرية ولا حول ولا قوة إلا بالله. وخلاصة القول: صحيح أن الغرب قدم للبشرية إنجازات باهرة على الصعيد العلمي والطبي والتقني، لكنه في المقابل صنع حروباً مدمرة أكثر من أي حضارة أخرى معرو-، لقد قهر الغرب كثيراً من الأمراض المستعصية، لكنه أطلق العنان للجشع والرغبة في السيطرة على الشعوب الأخرى، أعلن الغرب حقوق الإنسان، لكن الأعداء الحقيقيين للجنس البشري بلغوا حداً من العسكرة والغطرسة في الغرب بما لا يضاهى في مكان آخر على وجه الأرض، لقد قتلت الحضارة الغربية ملايين البشر في المئة سنة المنصرمة أكثر مما فعلت أية حضارة أخرى[2] من هنا يأتي دورنا المُغيَّب أن نسد هذه الفراغات العلمية والطبية والتقنية وتنمية الوسائل المؤد- إلى ذلك ولنصنع

---

(١) سورة النحل، -: ١٢٨.

(٢) صناعة الإرهاب، د. عبدالغني عماد، دار النفائس، ط ١، ٢٠٠٣م، ص١٤٧.

لأنفسنا حضارة من جديد لنتبوأ المكانة اللائقة من جديد لأمة وصفها الله تعالى بالوسطية والخيرية والريادة، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[1].

الإرهاب المنشود هو الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة والإنفاق عليها وتستوفى ربوع الأرض وتخصيص الميزانيات الكبرى والضخمة لنشر الإسلام في أرجاء العالم وضرورة تقديم النموذج الحسن والقدوة الصالحة: إن أكذوبة طرحها بعض المعترضين مفادها أن الإسلام دين انتشر بالسيف والإرهاب والقوة هي محض افتراء، وهي من نسيج خيال بعض أهل الأهواء، لأن قراءة التاريخ لا تؤيدها، واستقراء الحوادث والمحطات في تاريخ الدعوة الإسلامية لا يدعمها بدليل، ولو واحد. وإذا عدنا إلى الانطلاقة، وإلى حال الدعوة في مكة المكرمة في السنوات الأولى للبعثة قبل الهجرة إلى المدينة، نجد أن عدداً من الفرسان وأهل الشوكة قد دخلوا في الإسلام، ولم يكن المسلمون يومها يملكون من الإمكانات ما يؤهلهم حتى مجرد الدفاع عن أنفسهم، وإنما كانوا قلة مستضعفين، والمثل الآخر من بلدان كثيرة في شرقي آسيا وسواها، حيث ما يزيد على ثلث مسلمي العالم، وكلهم دخلوا في الإسلام على أيدي الدعاة والتجار، ولم تصل سلطة دولة الخلافة أو الفتوحات إلى تلك البلدان مطلقاً.

ومن ذلك أن الدعوة إلى الإسلام منهجها الإقناع الحر والمجادلة بالتي هي أحسن، والواجب على الداعية أن يبين للناس سبيل الحق، وليس من حقه استخدام أية وسائل تحمل معنى الإكراه أو الضغط، قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾[2] ولا يستخدم القتال أو العنف إلا لرفع ظلم أو لإحقاق حق[3].

---

(1) سورة آل عمران، آ: ١١٠.

(2) سورة البقرة، آ: ٢٥٦.

(3) التطرف والمتطرفون، د. أسعد السحمراني، دار النفائس، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م ص٩٤.

وهكذا يتبين لنا بأن مشروعية القتال في الإسلام تنبع من مبدأ حق الدفاع عن النفس ورد المعتدين، وتأمين حدود الدولة الإسلامية، فالإسلام لم يشرع القتال لأنه وسيلة لإجبار الناس على اعتناق الإسلام، وإنما شرعه لتأديب المعتدين وتقليم أظافر المجرمين وحماية الطرق العامة[1] هذا القتال يدخل في باب الجهاد الذي أمر به الإسلام حال الضرورة، لأن ذلك لازم لإحقاق الحق، وإثبات العدل، ويدخل في هذا الباب العمل من أجل التحرير وإزالة الاحتلال، وعلى ذلك ينبغي إعداد العدة لردع العدو وإرهابه كي يتراجع عن عدوانه وظلمه وهذا هو المطلوب والعلم عند الله تعالى.

وأما الإرهاب الذي لا ننشده ولا يرتضيه الإسلام البتة هو الذي يهدف أول ما يهدف إلى قتل النفس المعصومة، وبينا حرمة ذلك كما يهدف هذا النوع من الإرهاب إلى تدمير الاقتصاد وهو عمود التنمية وأسها، فكثير من الدول لا ترغب في التعامل مع البلد التي يكتنفها الإرهاب، وبذلك تقل الموارد الاقتصادية لتلك البلد، وجراء هذا الإرهاب المقيت أن تتدخل الدول الغربية لحماية المصالح الخاصة، وهذا ما ينبغي أخذه بعين الاعتبار.

فالإرهاب سبب لتدخل الدول الكافرة والحاقدة في أمور البلاد السياسية والداخلية لا لشيء، إلا لإشباع رغباتهم وإشفاء غليلهم، فمن منطلق حماية مصالحهم الخاصة والعامة المزعومة، وربما كان لحماية مواطنيهم كان الإرهاب ذريعة قوية لتدخلهم، بل واستمرارهم سنوات تلو سنوات، يأكلون ويمرحون من خيرات تلك البلد والاستيلاء من طرف خفي على ثرواتها بدعوى الحفاظ على الأمن وإعادة الديمقراطية.وهذا الإرهاب أيضاً يقوم على زعزعة الأمن وخلخلته وحالات الذعر التي باتت تملك الكثير من المواطنين وكذلك انتشار الفوضى في أرجاء البلاد وكذلك تيتيم الأطفال، وهذه كارثة وخطر جديد يواجه المجتمع ... من يتحمل مسؤوليات هؤلاء الأيتام؟ والخطر في الإرهاب تدمير مقدرات الوطن والبنى

---

(١) الإسلام وموقفه من العنف والتطرف والإرهاب، الشيخ منصور الرفاعي عبيد، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٨٧، ص٣٥، ٣٦.

التحتية من تدمير المنشآت الحكومية وغير الحكومية ظلماً وغدراً وعدواناً. فهذه المقدرات ليست ملكاً لأحد دون الآخر وإنما هي ملك للجميع وبتدميرها تضيع حقوق الناس وتضيع مصالح المحتاجين ومن الأضرار الهامة للإرهاب الإساءة لأهل الصلاح والدعوة ورميهم بالإرهابيين وما هم كذلك وهذا واقع مشاهد ملموس حتى بات كل إسلامي غيور على دينه إرهابي مخرب في نظر القوم، والطامة الكبرى تغيير المناهج بما يوافق الأهواء والابتعاد عن منهج الكتاب والسنة، كحذف بعض الموضوعات التي لا تعجب الغرب وتؤلمهم مثل الولاء والبراء والآيات التي تتحدث عن اليهود والنصارى وما شابه ذلك. والأمر الخطير تحويل موارد الدولة التي كانت يقرر لها أن تصرف في التنمية والبناء صار الهم الأول الإنفاق على الأسلحة وتقوية وسائل الدفاع والحماية من الإرهاب ومن مضاره كذلك محاربة الدعوة إلى الله تعالى ومراقبة المساجد والدعاة ووضع السياسات لهم من قبل الأمن ولا حول ولا قوة إلا بالله. إن الإرهاب يؤخر التنمية بل يقتل التنمية ويحول تلك البلاد والبقاع متسولين جياع يبحثون عن فتات العيش فلا يجدونه، فما من طلقة نار إلا وأعقبتها حسرة وندامة. وأخيراً الإرهاب يسخط الله ﷻ ويتعرض صاحبه لأليم العذاب في الدنيا والآخرة ويؤخر المجتمع عن ركب العمران والحضارة.

❑❑❑❑❑❑



خلاصة الفصل الخامس

ختمت الرسالة في هذا الفصل بالحديث عن الجهاد من خلال خمس مطالب تناولت فيها حاجتنا الشديدة إلى التنمية العسكرية، ولا تحصل هذه التنمية إلا بالتربية العسكرية الجادة على ضوء مقومات للحسم العسكري، والعمل على تنمية الروح الجهادية المنضبطة بالكتاب والسنة بلا غلو أو شطط من أجل هذا ختمت الرسالة بالحديث عن الإرهاب الذي ينشده الإسلام، والتحذير من الإرهاب الذي يقضي إلى استباحة الدم وهتك الأعراض، وإعاقة التنمية، وتخلف المجتمعات، وبسير المجتمعات إلى الوراء.





الخاتمة

من خلال استعراض هذا البحث نلاحظ أن هناك بعض النتائج والمقترحات التي يمكن استخراجها منه وأهمها باختصار:

***

أولاً: النتائج

اقتضت حكمة الله تعالى أن جعل الإنسان يتزاوج ويتناسل لاستمرار الحياة وتنمية المجتمع.

قد مجد الإسلام العمل ورفع قيمته، وربط به كرامة الإنسان وجعله فريضة من فرائضه والعمل هو عجلة التنمية.

أن الله تعالى سخر جميع ما في الكون للإنسان، فسخر الأرض وذللها، لتكون ملائمة لسعي الإنسان وانتشاره فيها، وسخر الليل والنهار ليكون الليل سكينة وقراراً وراحة للإنسان، وليكون النهار نشاطاً وتنمية وعملاً وابتغاء من فضل الله.

أمر الله تعالى الرسل عليهم السلام، وهم أفضل خلق الله أن يعملوا ويأكلوا من طيبات ما عملوا وهذا حض وحث منهم على التنمية ورقي المجتمعات.

أهمية العمل المهني في حياة الإنسان إذ أنه هو الطريق القديمة للتنمية.

العمل هو المصدر الوحيد للمكاسب الشرعية وهو شامل للأعمال العبادية والأعمال المعيشية.

٧ ـ اهتمت السنة النبوية الشريفة بالتنمية قولاً وعملاً:

أ ـ حث الرسول أفراد الأمة على أن يأكلوا مما عملت أيديهم وبين أنه خير الطعام.

ب ـ جعلت السنة الشريفة السعي في طلب الرزق عبادة كالجهاد في سبيل الله.

ت ـ حثت السنة الشريفة على الكسب الطيب والتصدق ومنع الكسب الخبيث وحثت على العمل في الزراعة والتجارة والصناعة لأجل تنمية المجتمع ورقيه ومكانته بين العالم.

٨ ـ العمل كأساس للتنمية مرتبط بالإيمان في الإسلام:

أ ـ الإيمان والعمل قرينان وقد ذكر القرآن ذلك في آيات كثيرة.

ب ـ العمل الصالح كلمة جامعة تشمل كل ما تصلح به الدنيا والآخرة، وما يصلح الفرد والمجتمع.

ت ـ العمل بدون إيمان جهد ضائع على صاحبه، وهباء منثور.

٩ ـ من أسس العقيدة الإسلامية أن الإنسان المسلم حامل لأمانة الخليفة فعليه أن ينقل تطوره وتقدمه وما اكتسبه من خبرات والأخذ بكل الوسائل الحديثة لأجل التنمية المستمرة وبناء الفرد المسلم بصورة سليمة.

١٠ ـ اهتمام الإسلام بالنية، إذ العمل لا ينمى إلا بالنية والقصد الحسن.

١١ ـ الدنيا مزرعة الآخرة، والمزرعة تحتاج إلى عمل وتنمية وسعي وجهد وكد.

١٢ ـ الصحابة كانوا ينمون أنفسهم، فكان منهم الزراع والتجار والصناع المتقنون وحث الإسلام الدائم على الغرس والتعمير.

ـ تحقيق المصلحة العامة للمجتمع الإسلامي من أهداف العمل في الإسلام، مثل تنمية الإنتاج سعياً إلى تحقيق الاكتفاء الذاتي للمجتمع المسلم ومثل توفير الأمن ونشر الطمأنينة وتوفير الحاجات الأخرى الضرورية والكمالية للمجتمع المسلم.

١ ـ إعمار الأرض هدف أصيل من أهداف التنمية وبه يزدهر الإقتصاد لصلته بكثير من الحرف والصناعات وبه يتحقق النماء والقوة والمنعة للمجتمع المسلم.

ـ تطبيق الشريعة الإسلامية في المجتمعات المسلمة قديماً وحديثاً، خلفت وراءها مجتمعاً تنموياً صالحاً وآمناً يقوم على الأخلاق الفاضلة والقيم الإنسانية النبيلة والنفرة من الإرهاب وسفك وهتك الأعراض ونشر الفوضى في المجتمع.

١٦ ـ البلاد التي تطبق الشريعة، تنمو يوماً وراء الآخر، وينتشر فيها الأمن ويكثر الإخاء.

١ ـ الأمة الإسلامية تميزت عن سائر الأمم، نالت درجة الخيرية بقيامها بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعد إيمانها با‍ٰ واندفاعها إلى العلم والتعلم وتنمية الأذهان بكل ما هو يفيد.

١ ـ وضع الإسلام الضوابط والحدود للتنمية بالعمل المشروع والكسب الحلال فلا يتعداه إلى ما حرمه الله من الأعمال.

١ ـ الإخلاص من الضوابط الهامة للتنمية في كل عمل يقوم به الإنسان المسلم.

٢٠ ـ خوض الحروب من عوامل إعاقة التنمية في البلدان حيث نهب الثروات وينفرط عقد الأمة وتضعف قواها.

ـ المجتمع البشري لم يشهد عبر التاريخ نظاماً تنموياً تكافلياً متكاملاً مثل ما هو موجود في الإسلام.

* * *

ثانياً: بعض التوصيات

- ضرورة الاهتمام بالجانب العلمي في جميع المجالات والتخصصات.
- ضرورة وضع اختبارات معرفية أولية للالتحاق بالجامعات.
- ضرورة إعطاء دورات دينية مكثفة لطلبة الجامعات والمدارس.
- تشجيع أصحاب المواهب النافعة كالمخترعين وإنشاء ما يسمى لهم بالنقابات وتعرف لهم مكافآت مالية.
- تكثيف مجال البحث العلمي والإنفاق عليه من قبل الحكومات.
- تبني خطة تنمية متوازنة على المستوى الوطني لمواجهة كثير من المشكلات الأمر الذي يقتضي توفير بعض الموارد من أجل تحقيق التقدم الاقتصادي والاجتماعي على المستوى المحلي.
- إعادة النظر في نظام الموارد البشرية بما يدعم برامج التنمية البشرية.
- ضرورة توسيع مشاركة المواطنين والأهالي في برامج ومشروعات التنمية البشرية.
- التكوين المستمر للهيئات المشرفة على برامج التنمية بشتى مجالاتها وصورها بما يخدم خطط وأهداف التنمية الوطنية الشاملة.
- تنمية الموارد البشرية واستغلالها بشكل عقلاني.
- الحث على جمع زكاة الأموال والزروع والثمار وتخصيص أماكن لها وإنفاقها في وجوهها لتلافي آثار الكوارث والنوازل من زلازل وحرائق وفيضانات وحروب ومكافحة الأوبئة والأمراض وإعانة المصابين والمحتاجين.
- فتح باب التبرع التطوعي من المواطنين وتحت مظلة رسمية حكومية وتنفق في المصارف الشرعية.
- سن قانون إعفاء من الوعاء الضريبي لمن يؤدي الزكاة الشرعية بشهادة

رسمية له من جهة مختصة.

- العمل على التغلب على المعوقات الداخلية والخارجية التي تواجه التنمية العلمية والتكنولوجية.
- ضرورة القضاء على الأمية ببرنامج زمني محدد تكثف فيه الجهود وتتكاتف.
- ضرورة دعم مراكز البحث العلمي.
- إعادة النظر في فلسفتنا التنموية ومناهجنا وخططنا التطويرية لتحديد أهداف جديدة، ووضع وسائل ملائمة لتحقيق تلك الأهداف.
- ضرورة استيعاب التكنولوجيا الحديثة والمنجزات الإنسانية المعاصرة بما يعزز قيمنا الإنسانية الإسلامية وأهدافنا الكبرى في خلافة الله في الأرض وتعمير الكون وإسعاد البشرية.
- ضرورة وضع خطط علمية، وواقعية للتعريب الشامل، تقوم على تنمية اللغة العربية داخلياً والعمل على تهيئة الأدوات والوسائل التقنية التي تؤهلها لهذه المهمة.
- إصدار قانون سياسي بضرورة استخدام اللغة العربية الفصحى على كافة الأصعدة حفاظاً على لغة القرآن.
- إدراك طبيعة التحديات التي تواجهها الأمة بحلول القرن الحادي والعشرين.
- تطوير الخطط والاستراتيجيات الكفيلة بتحقيق محو الأمية.
- ضرورة ربط برامج محو الأمية بمتطلبات التنمية مع التأكيد على الأبعاد الوظيفية والمهنية والحضارية.
- ضرورة إعداد المعلم إعداداً جيداً وتحسين ظروف عمله ومعيشته.
- الاهتمام بتعليم اللغة العربية ورفع مستواها في مختلف مراحل التعليم.

وضع خطط جادة لتوسيع العناية المبكرة بالأطفال والتعليم قبل المدرسي.

وضع سياسات وبرامج أكثر تحديداً لتعليم الكبار.

العمل على تعزيز التنمية الثقافية والعمل على منح البعد الثقافي في التنمية مزيداً من الدعم عن طريق تيسير المبادلات الثقافية.

الاهتمام بتأهيل العناصر البشرية، لتمكينها من التعامل مع وحدات المشروع الإنتاجي بما يساعد على تحقيق التنمية.

إعطاء الخبراء الفرصة لإبراز مواهبهم وتطبيقها لتحقيق رقي المجتمع وتنميته.

❑ ❑ ❑ ❑ ❑ ❑

الفهارس العامة

- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.



المراجع

١ - **كشف القناع على متن الإقناع**: منصور البهوتي الحنبلي، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٣.
- **المعجم الوسيط**:
- **تنمية المجتمع الريفي في مصر وأفريقيا**: عبدالمنعم شوقي، مصر، ١٩٧٤ م.
- **الإعلام ووسائله ودوره في التنمية الاقتصادية والاجتماعية**، شاكر ابراهيم، مصر، ١٩٨٥.
- **مصطلح الحديث ورجاله**: حسن محمد مقبول الأهدل، مؤسسة الريان،
- **التنمية والتخلف**، دراسات تاريخية بنائية: السيد الحسيني، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠.
- **التنمية الاجتماعية**، مفاهيم أساسية، رؤية واقعية، سجدة كامل محمد، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ١٩٨٨.
- **واقع التنمية في الجزائر**، على غربي، سلسلة كتب المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، أوت، ١٩٩٩.
- **دور المواصلات ووسائل الاتصال في تحقيق التنمية والتكامل الاقتصادي العربي**: عبدالحميد أحمد أبو طالب، رسالة ماجستير، معهد الاقتصاد، الجزائر، ١٩٨٦.
- **المشاكل والصعوبات التي تواجه التنمية البشرية وأهميتها في صناعة السيارات العربية**: أحمد عبدالسلام رمضان، الرباط، العدد ٤٧ ماي، ٢٠٠٢.

١١ - **النبي المربي**: أحمد رجب الأسمر، دار الفرقان، عمان، الأردن، ٢٠٠٤ م.

١٢ - **صفحات مضيئة من تاريخ الإسلام**: أنور الجندي، دار سلامة، تونس ١٩٨٣.

١٣ - **التليفزيون الإسلامي ودوره في التنمية**: يحيي بسيوني مصطفي، عادل الصيرفي، ١٩٨٥.

١ - التنمية الاجتماعية: عبدالباسط محمد حسن، وهبة، القاهرة، ١٩٧٩.
١ - التنمية بالمفهوم الشامل في الإسلام: عبدالله عبدالرحيم العبّادي، دار الثقافة، قطر،
١٦ - تيسير العقيدة الطحاوية: عبدالباسط محمد خليل، دار الثقافة، الدوحة، قطر،
١٧ - تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد: سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، ت ١٢٣٢ هـ، التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٥.
- الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي: مصطفى الخن، آخرون، دار القلم، دمشق،
- موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين: محمد جمال الدين القاسمي الدمشقي، دار المعرفة، بيروت،
٢٠ - أسس ومهارات الإبداع والابتكار: إبراهيم الديب، أم القرى، المنصورة، ٢٠٠٥.
٢١ - فلسفة التربية: فيليب فينكس، مترجم، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٥.
٢٢ - عقيدة أهل السنة والجماعة من خلال الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة: عبدالباسط محمد خليل، الكتاب العربي، مصر، ٢٠٠٥.
- تيسير الورقات في أصول الفقه لإمام الحرمين الجويني: عبدالباسط محمد خليل، الدوحة، قطر، ٢٠٠٢.
٢٤ - الرسالة: للإمام الشافعي، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، ط٢، ١٣٩٩ مكتبة دار التراث بالقاهرة.
٢٥ - مختصر لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية: محمد بن علي بن سلوم، حققه وضبطه ونسّقه وصححه، محمد زهري النجار، دار الباز، مكة المكرمة، ١٩٨٣.
٢٦ - أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، حافظ بن احمد الحكمي، تعليق مصطفى أبو النصر الشلبي، مكتبة السوادي، جدة، ١٩٩٥.
٢٧ - التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، الحافظ أبو عمر يوسف بن عبدالله بن عبدالبر، ط وزارة الأوقاف المغربية، تحقيق جماعة من العلماء.
٢٨ - الشريعة، الإمام أبو بكر محمد بن الحسين الآجري، تحقيق العلامة محمد حامد الفقي، الناشر، حديث أكادمي باكستان ط١، ١٤٠٣ هـ
٢٩ - حلية الأولياء طبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٠ هـ

٣٠ ـ **اعتقاد أهل السنة شرح أصحاب الحديث**، جملة ما حكاه عنهم أبو الحسن الأشعري وقرره في مقالاته، د.محمد عبدالرحمن الخميس، ط وزارة الأوقاف السعودية، عام ١٤١٩ هـ

٣١ ـ **كتاب الإيمان**، للحافظ محمد بن يحي بن أبي عمر العدني، ت ٢٤٣ هـ، دراسة وتحقيق، حمد بن حمدي الجابري الحربي، الدار السلفية، الكويت ط١، ١٩٨٦ م.

٣٢ ـ **مختصر إحياء علوم الدين**، لصاحب الإحياء نفسه، محمد بن محمد أبو حامد لغزالي، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الثالثة، بدون سنة.

٣٣ ـ **وصايا الرسول وأثرها في تقويم الفرد وإصلاح المجتمع**، د. محمد بكر إسماعيل، دار المنار، ميدان الحسين، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٩ م.

٣٤ ـ **الرياء**، سلسلة رؤية تربوية (أمراض القلوب)، نسيبة عبدالعزيز العلي المطوع، ٢٠٠٢ م.

٣٥ ـ **مجموع الفتاوى**،

٣٦ ـ **فقه الأدعية والأذكار**، عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالسعودية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥ م.

٣٧ ـ **مدارج السالكين**،

٣٨ ـ **تحفة الذاكرين**،

٣٩ ـ **تفسير القرآن الكريم**

٤٠ ـ **صفات الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة**، علوي بن عبدالقادر السّقاف، الهجرة للنشر والتوزيع، ١٩٩٤ م.

ـ **تهذيب الأخلاق**، عبدالحي بن فخر الدين الحسيني، ط المكتبة العصرية، بيروت بعناية / عبدالله بن إبراهيم الأنصاري، بدون سنة.

٤٢ ـ **الجواب الكافي**، ابن القيم

٤٣ ـ **جامع العلوم والحكم**،

٤٤ ـ **شعب الإيمان**،

٤٥ ـ **الوابل الصيب**،

٤٦ ـ **الزهد**، لابن المبارك،

٤٧ ـ **الفوائد**، لابن القيم

٤٨ ـ **آفاق جديدة في التعليم الإسلامي**، سيد على أشرف، ترجمة أمين حسين الرباط، السعودية، عكاظ، ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م.

٤٩ ـ **التعليم الإسلامي، أهدافه، ومقاصده**، محمد النقيب عطاس، ترجمة عبدالحميد محمد الحديبي، سلسلة التعليم الإسلامي، عكاظ وجامعة الملك عبدالعزيز، ١٤٠٤، ١٩٨٤ م.

٥٠ ـ **موسوعة نضرة النعيم في مكارم وأخلاق الرسول ﷺ**، إعداد مجموعة من المختصين بإشراف الشيخ / صالح بن عبدالله بن حميد، ط، دار الوسيلة، جدة، السعودية، ط٤، ١٤٢٦ هـ ـ ٢٠٠٦ م.

٥١ ـ **المصباح المنير**، الفيومي، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٧٧ م.

٥٢ ـ **من قضايا الثقافة الإسلامية**، محي الدين صابر، الطبعة الثانية، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٨٧ م.

ـ **نحو توحيد الفكر التربوي في العالم الإسلامي**، محمد فضل الجمالي، الدار التونسية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٧٢ م.

٥٤ ـ **التربية في الإسلام**، أحمد فؤاد الأهواني، ط٢، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٦٧

٥٥ ـ **تربية الإنسان الجديد**، محمد فضل الجمالي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ١٩٦٧ م.

٥٦ ـ **التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول ﷺ** / منصور على ناصف، ط٤، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٣٥ م.

٥٧ ـ **معالم التربية النبوية**، عبدالباسط محمد خليل، تقديم محمد حسان، ط١ مطابع الدوحة الحديثة، قطر، ١٤٢٥ هـ ـ ٢٠٠٥ م.

ـ **فلسفة التربية في القرآن الكريم**، على خليل مصطفي أبو العنين، ط٣، مكتبة إبراهيم حلبي، المدينة المنورة، ١٩٨٨ م.

ـ **القصص في الحديث النبوي**، محمد بن حسن الزير، ط٣، بدون ناشر، ١٤٠٥، ١٩٨٥ م.

٦٠ ـ **سيكولوجية القصة في القرآن**، التهامي نفرة، الجزائر، جامعة الجزائر، الشركة التونسية للتوزيع ١٩٧١.

ـ **ذاتية الطفل والنظرية التربوية في الإسلام**، أحمد إبراهيم كاظم، آخرون دراسات في التربية الإسلامية وأصولها النظرية والفلسفية ـ مركز البحوث التربوية، المجلد التاسع، جامعة قطر، ١٩٨٥.

٦٢ ـ مصابيح السنة.

٦٣ ـ **الإعلام في صدر الإسلام**، عبداللطيف حمزة، ط٢، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٧٨ م.

٦٤ - الاستشمار في الإسلام، أشرف محمد دوا ، دار الإسلام، القاهرة، ط١ ١٤٣٠ - ٢٠٠٩.
٦٥ - إعلام الموقعين عن رب العالمين.
٦٦ - منهاج المسلم، أبو بكر جابر الجزائر وزارة الأوقاف / قطر.
٦٧ - النهاية في غريب الحديث.
٦٨ - كتاب الإخوان، لابن أبي الدنيا.
٦٩ - الإسلام، أدبه، وآدا ، سلمان نصيف الدحدوح، ١٩٩٠ م.
٧٠ - موسوعة الآداب الإسلامية، المرتبة على الحروف الهجائية، عبدالعزيز بن فتحي السيد ندا، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
٧١ - الذريعة إلى مكارم الشريعة، للراغب.
٧٢ - التعريفات.
٧٣ - مقاييس اللغة، لابن فارس.
٧٤ - المجموع شرح المهذب.
٧٥ - الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية، حماس بن عبدالله الجلعود.
٧٦ - الألفاظ الكتابية، عبدالرحمن بن عيسى الهمداني، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٩.
٧٧ - الثبات، محمد موسى الشريف، دار ابن كثير، ط١، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.
٧٨ - اللغة وبناء الذات، عبدالرحمن بودرع وآخرون، سلسلة كتاب الأمة، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، قطر، العدد ١٠١، ١٤٢٥ هـ
٧٩ - اقتضاء الصراط المستقيم.
٨٠ - لغتنا والحياة، عائشة عبدالرحمن، مصر، دار المعارف، ١٩٦٩ م.
٨١ - الأعمال الكاملة بين العامية والفصحى، ميخائيل نعيمة.
٨٢ - الزحف على لغة القرآن، أحمد عبدالغفور عطّار.
٨٣ - المقارنة والتخطيط في البحث اللساني العربي، عبدالقادر الفاسي النهري.
٨٤ - الأخلاق الإسلامية، حسن حبنكة الميداني.
٨٥ - الفرق بين النصيحة والتعيير.
٨٦ - بصائر ذوي التميز.
٨٧ - شرح أصول السنة، لإمام أهل السنة، أبي عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل، شرح العلامة عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين، ط كنوز أشبيليا، ط١ / ١٤٢٨ / ٢٠٠٧ م.

- **الأسرة المثلى في ضوء القرآن والسنة**، عمارة نجيب، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٠ - ١٩٨٠ م.
٨٩ - **اكتشاف الذات**، عبدالكريم بكار، إصدارات الإسلام اليوم، ١٤٣٠ هـ.
٩٠ - **إحياء دور الوقف لتحقيق التنمية**، أسامة عبدالمجيد العاني، سلسلة كتاب الأمة، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، قطر، العدد ١٣٥، المحرم ١٤٣١ هـ.
٩١ - **الفقه السهل**، محمد الصوياني، العبيكان، الطبعة الأولى، ١٤٢٨ - ٢٠٠٧ م.
٩٢ - **فقه الموازنات الدعوية**، معالمه وضوابطه، معاذ محمد أبو الفتح البيانوني، دار اقرأ للنشر والتوزيع، الكويت، ٢٠٠٦.
٩٣ - **توجيه المتعلم إلى منهاج التعلم في ضوء التفكير التربوي والإسلامي**، مقداد يالجن، ط. دار عالم الكتب، الرياض، ١٤١٦ هـ.
٩٤ - **الانترنت في خدمة الإسلام**، عبدالمنعم حسن الفهدي، دار المحمدي، جدة، السعودية، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
- **الانترنت ومقاصد الشريعة، أصولها وقواعدها**، نور الدين مختار الخادمي، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، ١٤٢٧ هـ.
- **البركة في فضل السعي والحركة**، لأبي عبدالله محمد بن عبدالرحمن بن عمر الوصابي الحبشي المتوفى سنة ٧٨٥ هـ - ط دار المونة، بيروت، لبنان، ١٩٩٣.
٩٧ - **مسئولية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة**، عدنان حسن صالح باحارث ط دار المجتمع، ط٤، ١٩٩٣.
٩٨ - **الأدب في الدين**، للغزالي.
٩٩ - **المغني**، لابن قدامة.
١٠٠ - **منهج التربية النبوية للطفل**، محمد نور بن عبدالحفيظ سويد، مؤسسة الريان، ط٥، ١٩٩٤.
١٠١ - **نصيحة الملوك**، الماوردي.
١٠٢ - **حاشية ابن عابدين**.
١٠٣ - **الكفاية في علم الرواية**.
١٠٤ - **المحدث الفاصل**.
١٠٥ - **الهداية الإسلامية**، محمد الخضر حسين.
١٠٦ - **جامع بيان العلم وفضله**، ابن رجب.
١٠٧ - **البيان والتبين**، للجاحظ.
١٠٨ - **الزواج والعلاقات الأسرية**، سناء الخولي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٩.

١٠ ـ قوة التفكير، إبراهيم الفقي، إبداع للإعلام والنشر، ١٤٢٩ ـ ٢٠٠٨ م.

١١٠ ـ حكم العقم في الإسلام، عبدالعزيز الخياط، ط وزارة الأوقاف، الأردن، عمان ١٤٠١ هـ.

١١١ ـ تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جدير الطبري.

١١٢ ـ الشخصية، مأمون صالح، دار أسامة، الأردن، ط١،

١١٣ ـ دستور الأخلاق في القرآن، محمد عبدالله دراز.

١١٤ ـ شخصية المسلم، محمد على الهاشمي.

١١٥ ـ المسئولية الاجتماعية والشخصية المسلمة، أحمد سيد عثمان.

١١٦ ـ المرأة في القرآن والسنة، خالد عبدالرحمن العك، ط١، ر الحكمة، سورية، ١٩٩٨ م.

١١ ـ مقاصد الشريعة، محمد الطاهر بن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع.

١١ ـ الكفارات في ضوء القرآن والسنة، الميلودي بن جمعة، مؤسسة المعارف، بيروت، عمان، ١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٢ م.

١١ ـ دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي، د. يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٦، ط١.

١٢٠ ـ فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم، د. على محمد الصلابي، دار المونة، بيروت، لبنان، ط٤، ١٤٢٧ هـ ـ ٢٠٠٦ م.

١٢١ ـ السيرة النبوية، عرض وقائع، وتحليل أحداث، د. على محمد الصلابي، الإسلامية، ط١، ٢٠٠١م، ط دار التوزيع والنشر.

١٢٢ ـ الفاروق القائد، محمود شيت خطاب، مكتبة الحياة، بيروت، ط٢.

١٢٣ ـ بين العقيدة والقيادة، لواء محمود شيت خطاب، ط دار الفكر، بيروت، ١٩٧٢م.

١٢٤ ـ السيرة النبوية، عبدالملك بن هشام، دار المنار، القاهرة، ١٩٩٤.

١٢٥ ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة، على بن الأثير، طهران، إ ا ١ هـ

١٢٦ ـ البداية والنهاية، للحافظ بن كثير.

١٢٧ ـ التعليم وإشكالية التنمية، د. حسين بن إبراهيم الهنداوي، كتاب الأمة، وزارة الأوقاف، قطر، العدد ٩٨.

١٢٨ ـ مقدمة ابن خلدون، أبو زيد عبدالرحمن بن محمد بن خلدون، تحقيق درويش الجويري، ط٢، بيروت، المكتبة العصرية، والدار النموذجية، ١٩٩٦.

١٢٩ ـ التربية الإسلامية، نظمها، فلسفتها، تاريخها، د. احمد شلبي، ط٦، مصر، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٨ م.

١٣٠ ـ الإسلام بين الرأسمالية والشيوعية، الشيخ محمد متولي الشعراوي، إعداد أبي ياسر الأنصاري، القاهرة، دار المسلم، ١٩٨٠.

١٣١ ـ تفسير سورة القارعة والتكاثر، الشيخ محمد متولي الشعراوي، القاهرة، مكتبة القرآن، ١٩٧٧.

١ ـ من أساليب الرسول ﷺ في التربية، نجيب خالد العامر، مكتبة الصحوة، الكويت، ٢٠٠٠.

المجلات والدوريات.

١٣٣ ـ التنمية بين المفاهيم الاجتماعية والقيم الأخلاقية: ذكي محمد إسماعيل، مجلة كلية العلوم العربية، العدد الرابع.

١٣٤ ـ رؤية اقتصادية لأول وثيقة سهام الرسول ﷺ، أسامة عبدالمجيد العاني، مجلة الإسلام اليوم، العدد ١٣، الرباط، ١٩٩٥ م.

١٣٥ ـ الانترنت ثروة الثقافة والتعليم، شذي سلمان الدركزي، جامعة درم، المملكة المتحدة، مقال، مجلة آفاق الثقافة والتراث، السنة الرابعة، العدد السادس عشر، شوال ١٤١٧ هـ

١٣٦ ـ الأنترنت وآفاق البحث العلمي العربي، مفيد الزبيري، جامعة بغداد، كلية الآداب، مجلة الأمن والحياة، العدد ١٩٨، السنة الثامنة عشرة، ذو القعدة ١٤١٩ هـ، فبراير ـ مارس ١٩٩٩ م. .

١٣٧ ـ مجلة التربية، اللجنة الوطنية القَطَرية للتربية والثقافة والعلوم، دولة قطر العددان ١٠٩، يونيو ١٩٩٤، ١١٠، سبتمبر ١٩٩٤م.

❑❑❑❑❑❑





الفهرس

الموضوع	الصفحة

□□□□□□

نبذة تعريفية
الإدارة العامة للأوقاف

الوقف علامة فارقة في مسيرة الحضارة الإسلامية وقد أثبت دوره ومكانته في مجالات التعليم والصحة والعمل الثقافي والاجتماعي بمختلف أشكاله و زالت المساجد والمدارس والمعاهد والمستشفيات تقف شاهدة على عظمة وأهمية الوقف عبر تاريخنا المجيد.

وفي هذا السياق من العطاء، والتواصل الإنساني تهدف **الإدارة العامة للأوقاف** إلى إدارة الأموال الوقفية واستثمارها على أسس اقتصادية، وفق ضوابط شرعية بما يكفل نماءها وتحقيق شروط الواقفين، وتعد الأوقاف إحدى أهم مؤسسات المجتمع المدني سواء من ناحية النشأة والقدم أو الاختصاصات المناطة بها.

وانطلاقًا من النهضة الوقفية المعاصرة تم توسيع نطاق الوقف وتنويع مصارفه من خلال إنشاء المصارف الوقفية الستة المشتملة على مختلف نواحي الحياة الثقافية والتربوية والصحية والاجتماعية...الخ، وذلك تشجيعاً لأهل الخير وإرشادًا لهم لوقف أموالهم على المشاريع الخيرية التنموية وتنظيمًا لقنوات الصرف والإنفاق المساهمة في بناء المجتمع الإسلامي الحضاري.

وأما المصارف الستة فهي :

١ ـ المصرف الوقفي لخدمة القرآن والسنة.

٢ ـ المصرف الوقفي لرعاية المساجد.

٣ ـ المصرف الوقفي لرعاية الأسرة والطفولة.

٤ - المصرف الوقفي للبر والتقوى.

٥ - المصرف الوقفي للرعاية الصحية.

٦ - المصرف الوقفي للتنمية العلمية والثقافية.

وانطلاقاً من الإيمان العميق بدور العلم الشرعي والثقافة الإسلامية بشكل خاص، والعلوم التطبيقية بشكل عام في تقدم الأمة وتطورها، جاء إنشاء "المصرف الوقفي للتنمية العلمية والثقافية" ليكون رافداً غنياً للعطاء الثقافي والعلمي ضمن نطاق اختصاصاته. وأبرز مثال في إطار أعمال وإنجازات هذا المصرف رحلات العمرة للمتميزين إلى جانب إقامة العديد من الدورات العلمية.

ولا ننسى الإشارة إلى الدور المهم الذي نهض به الوقف تاريخياً في تنشيط الحركة العلمية والثقافية، وذلك بإقامة المدارس، والمكتبات والمعاهد وغيرها، ليصنع بذلك حضارة أفادت منها الإنسانية جمعاء.

- **من أهدافـــه:**

- تشجيع ودعم إقامة الأنشطة والفعاليات العلمية والثقافية.

- الحث على الاهتمام بالتعليم، وبيان دوره في رقي الإنسان ونمو المجتمعات.

- نشر العلم الشرعي والثقافة الإسلامية على أوسع نطاق والارتقاء بمستوى العاملين في هذا المجال.

- **من وسائلـــه:**

- دعم إقامة المؤتمرات والندوات وحلقات الحوار والمهرجانات والمعارض والمراكز الثقافية الدائمة والموسمية.

- دعم وإنشاء المكتبات العامة.

- دعم تنظيم الدورات التدريبية التأهيلية لتنمية المهارات والقدرات في مختلف المجالات العلمية والثقافية.